

المنتخب من السنة النبوية الشريفة
"الفردوس" مجلة الطفل المسلم

مع
هذا
العدد

منابر الأسواق

العدد ١٥ قرشا

العدد ١٢ • السنة ٣٢ • ذوالحجة ١٣٩٤ • ديسمبر ١٩٧٤



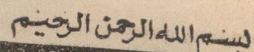
محمّد بن عبد الله
عليه السلام



يصدرها
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
فاغرة
كل شهر عربي

رئيس التحرير
محمد توفيق جويضة

العدد ١٢ - السنة ٣٢
ذو الحجة ١٣٩٤



م
مختويات
العدد

- تفسير سورة البقرة . الأستاذ أحمد حسين
- الحكم الالهية فى تشريع الحج
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
الاعجاز
اسماء يوم القيامة
معنى الحج
الحج مؤثر اسلامى
يوم الرجيع
اسلاميات فى الحكم والاجتماع
الحج تطهير وتكفير
احكام الحج ومناسكه
تسييرات الحجاج بيت الله الحرام
التحل ذلك المخلوق الوحي اليه
تطهير التراث الاسلامى من الاسرائيليات
الذكر المشروع
رحلة الحج
المؤثر المتجدد فى حياة الانسانية
- الشيخ عبد الجليل عيسى
الأستاذ فتي زهـوان
الدكتور أحمد الحوفى
الأستاذ أحمد زين
الشيخ محمد خاطر
الشيخ محمود أحمد هاشم
- الأستاذ عبد العظيم منصور
الدكتور عبد العزيز عزام
المستشار أحمد محمود خليل
الأستاذ وحدى حافظ
الدكتور أحمد حسين القفل
- الأستاذ محمد فهمى عبداللطيف
الشيخ محمد هلال عبدالرسول
الدكتور محمد كامل الفقى
الشيخ منصور الرفاعى عبيد
- الدكتورة نعمات أحمد فؤاد
الدكتور أحمد محمد عوف
الدكتور محمد عبدالنعم خفاجى
- من عجائب الخلق وروائع الخلق
هذا خلق الله
سوار كسرى [قصة العدد]

المتعاون : ٢ شارع الأمير قدادار النخوع من شارع الحريز خلف عمارة
بحري القاهرة تليفون ٢٨١٥٦ - تلغرافيا : الاسلام - القاهرة
الاشتراكات : ١٦ قرشا في جمهورية مصر العربية - ١٤ قرشا للعمال
والطلبة تدفع مقدما ، وبضام اليها البريد خارج جمهورية مصر
العربية ، وما يساوي قيمة هذه العملة في البلاد الأخرى .
تقبل كوبونات البريد الدولي ذات القروش -



سورة البقرة

الآيات من ١٢٤-١٣٤

الحج ومناسكه
كيف بنيت الكعبة؟

واذ ابلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال
انى جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتى قال لا
ينال عهدى الظالمين ●
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامناً واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم
واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين
والركع السجود ● واذا قال ابراهيم رب اجعل
هذا بلداً آمناً وارزق اهله من الثمرات من آمن
منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتهه
قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار وبئس
المصير ● واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت
واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع
العليم ● ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك
انت التواب الرحيم ● ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ● ومن يرغب
عن ملة ابراهيم الا من سقه نفسه ولقد
اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن
الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت
لرب العالمين) ووصى بها ابراهيم بنيه
يعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا
تموتن الا وانتم مسلمون ● أم كنتم شهداء اذ
حضر يعقوب الموت اذ قال لنيه ما تعبدون من
بعدى قالوا نعبد الهك واله آياتك ابراهيم
واسماعيل واسحاق الهى واحداً ونحن له
مسلمون ● تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ولكم
ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ●

الاستاذ احمد حسين

مفردات :

واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن .

ابتلى : الامتل في الفعل « بلى » من باب نصر ومعناه الاختبار والامتحان ويكون بالخير والشر والنعمة والنقمة والمعنى ان الله سبحانه وتعالى اختبر سيدنا ابراهيم وامتحنه بينما كلفه به ، فنجح ابراهيم في الامتحان (فاتمهن) أى أنه قام بما عهد به اليه على الوجه الاكمل وقد وصفه الله في آية أخرى انه « ابراهيم الذي وفى » ويقول القرطبي نقلا عن الماوردي أن ابراهيم تعنى بالسريانية « أب رحيم » والمطلوب ممن يعرفون اللغة السريانية تحقيق هذا المعنى .

ما هى الكلمات

وكعادة المفسرين القدامى واصرارهم على تحديد كل شيء ، يتحدثون عن هذه التكاليف التي أمر الله ابراهيم بتنفيذها فذهبوا في المقصود بها مذاهب شتى لا نستطيع أن نجاريهم فيها وانما نكتفى بإيراد رأى واحد من هذه الآراء يقول ان المقصود بهذه الكلمات هو « شرائع الاسلام » وهى فى رأى أصحاب هذا القول تتكون من ثلاثين سهما عشر منها فى سورة براءة « التائبون العابدون » الى آخرها وعشر فى الاحزاب « ان المسلمين والمسلمات » الى آخرها وعشر فى المؤمنون « قد أفلح المؤمنون » واذا كنا قد اخترنا هذا الرأى فلأنه أقرب الى الاحاطة والشمول من الآراء الأخرى التى تتحدث عن تقليد الاطافر ... الخ .

ونقول مع ابن جرير الطبرى « انه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر وجائز أن يكون بعض ذلك ولا يجوز الجزم بشئ منها انه المراد على وجه التعيين الا بحديث أو اجماع ، ولم يصح فى ذلك خبر ينقل الواحد ولا ينقل الجماعة الذى يجب التسليم له » .

وعلى من يريد التوسع أن يرجع الى تفسير القرطبي والذى تحدث باستفاضة وخاصة فى موضوع « الختان » الذى يعتبره البعض أحد هذه التكاليف التى كلف بها ابراهيم فقام بأدائها على الوجه الاكمل .

انى جاعلك للناس اماما

الامام : القدوة .

أى أن الله سبحانه وتعالى بعد أن امتحن ابراهيم (ابتلاه) فاجتاز الامتحان ، اختاره بعد ذلك ليكون قدوة يقتدى بها الناس . فاین هذا المعنى الكريم مما يتقوله اليهود من أن الله (سبحانه) عقد صفقة مع ابراهيم أن يعبد ابراهيم الله وفى مقابل ذلك يمنحه الله « كذا وكذا » له ولنسله من بعده .

وقد لا يعرف الكثيرون أن الصهاينة اذ يطالبون بفلسطين فيموجب هذا الاتفاق الذى أبرمه الله مع جدتهم ابراهيم أن يكونوا لله شعبا وفى مقابل ذلك يعطيهم فلسطين ، ويجد اليهود فى القرن العشرين من يتابعهم على هذا الغشيان .

انظر الى قول الله يرد على ابراهيم عندما طلب أن يمد الله الخير الذى أضفاه الله عليه الى ذريته من بعده :

« ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين » .

وهكذا عندما دعا ابراهيم شأن أى والد يبتغى الخير لاولاده أفهمه الله سبحانه وتعالى أن سيكون من نسله الصالح والطالح والخير والشرير وأن الله لا يشمل برحمته وبركته « الظالمين » وفى هذه الآية الكريمة نموذج لمعانى القرآن المتجددة والتى يرى فيها أبناء كل عصر ما يضى طريقهم ، يثلج صدورهم .

الزمنه المظلمة واليهود

ففى القديم حيث كان لواء الاسلام مرفوعا على العالمين ، وحيث لم تكن هناك اسرائيل وكان اليهود فى خدمة العالم الاسلامى كما هم فى خدمة أمريكا اليوم ، صال المفسرون وجالوا فى معنى « لا ينال عهدى الظالمين » واتخذ بعض العلماء من هذه الآية الاساس والقاعدة فى ان الامام الحاكم لا يجب أن يكون عادلا وان الظلم يسقط عن أى حاكم شرعية وجوده ويقولون فى ذلك اقوالا جميلة ورائعة تهفو لها النفوس فى كل زمان ومكان .

والآية الكريمة تحتمل كل هذه المعانى فقد استثنى الله من « عهده » الظالمين .

وانظر الان كيف يشمل هذا المعنى فيما يشمل بغى اسرائيل والظلم الذى ترتكبه فلا جدال أو شبهة فى أن اليهود بعض نسل ابراهيم ، ولكنه هذا البعض الظالم الذى استثناه الله من عهده ورحمته فلنا ان نتفائل ونستبشر بان الاسرائيليين بما ظلموا فسوف تكون عاقبتهم وحيمة .

« ذريتى » قيل ان هذه الكلمة مأخوذة من « الذر » وقيل من ذرا وقيل من ذرو .

ونحن نختار « الذر » لما ورد فى الخبر أن « الخلق كان كالذر » لانه يطابق آخر ما توصل اليه العلم من أن الحيوانات المنوية فى حجم الذرة أو دون ذلك .

واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا .

جعلنا : بمعنى صيرنا .

البيت : هو المسجد الحرام ، أى الكعبة المشرفة .

مثابة : من فعل : ثاب يثوب ثوبا بمعنى رجع .

تقول ثاب الى رشده بمعنى رجع الى رشده . وثاب الناس الى كذا جاءوا اليه وتجمعوا .

والمثابة هى الموضع الذى يثاب اليه أى يرجع اليه . والمعنى هنا أن القلوب تهفو للوصول الى الكعبة ومن قصدوا مرة يظل ما بقى حيا يتوق لزيارتها مرة ثانية وثالثة ورابعة ما بقى ذلك فى دائرة الامكان ، وهو سر أودعه الله فى الكعبة والآية الكريمة تصف خصائص بيت الله الحرام من حيث أنه مهوى النفوس ومنتهى الرغبات .

وامنا : الخاصية الثانية لبيت الله الحرام ، الامن : « ومن دخله كان آمنا » .

ولقد امتن الله على قريش بهذه النعمة نعمة الامن فليعبثوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع

ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع

السجود

هذا هو موضوع « العهد » أى الامر فقد أمر الله سبحانه وتعالى سيدنا ابراهيم واسماعيل بأن يصونا البيت بعد فراغهما من بنائه من كل دنس ورجس ، وأى رجس ودنس أشد من الاصنام والاوثان التى لوث بها مشركو مكة الكعبة ، ومن هنا كان أول ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دخل مكة فاتحا ، وهو لا يزال مهبطيا ناقته ، بحيث لم يتريث ولو لبضع دقائق ليلتقط فيها أنفاسه بعد ما عاناه فى يومه من مشقة ، بل انه قصد الكعبة على الفور وطاف حولها وفى يده قضيب من خيزران يشير به الى الاصنام وهو يردد « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » فتتكفى الاصنام على الفور ، وهكذا أعاد النبى صلوات الله عليه للكعبة طهارتها وهى التى أمر الله بها جده ابراهيم بهذه الآية ويتخذ بعض الفقهاء هذه الآية أساسا لاحكام طهارة المساجد .

للطائفين والعاكفين والركع السجود .

الطواف : أحد مناسك الحج التى سننها سيدنا ابراهيم وأقرها الاسلام فأصبحت من أركان فريضة الحج ، وصورته أن يطوف الحاج أى (يمشى) حول الكعبة سبع مرات (أشواط) وقد دار التساؤل بين المفسرين حول من هم الطائفون ومن هم العاكفون ، وأصح الآراء فى نظرنا قول القائل أن الطائفين هم حجاج بيت الله من خارجه مكة ، والعاكفون هم المقيمون فى مكة بالذات « والعكوف » فى اللغة ، اللزوم والاقبال على الشيء .

والركع السجود : أى المصلون عند الكعبة وخمس الركوع والسجود بالذكر لانهما أقرب أحوال المصلى الى الله تعالى :

— **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير**

وتمضى قصة سيدنا ابراهيم كما يثبتها القرآن فتحدثنا كيف دعا سيدنا ابراهيم لسلاله بالبركة شريطة أن يكونوا مؤمنين بالله واليوم الآخر فيفضل الله عز وجل كما هو شأنه مع بنى البشر ، فيقول له : « سافعل ذلك وأشمل من سيقولون فى هذه البقعة ببركتى سواء منهم المؤمن والكافر ، ولكن نعمتى على الكافر لا تكون الا الى حين ، أقصاه حياته فى هذه الدنيا ويوم القيامة يكون الحساب حيث لا يفلح الا المؤمنون ، أما الكفرة فأيا كان شأنهم فى الدنيا نمأواهم جهنم وبئس المصير .

وأرزق أهله من الثمرات

ويهمنا كما عودنا قراؤنا أن نقف أمام الآيات التى تتضمن معجزة خارقة نطق بها الزمن وأصبحت تقطع بأن القرآن لا يمكن أن يكون من تأليف البشر ويقر هذه الآية التى نحن بصدها من حيث كونها تتضمن

وآمنهم من خوف » ومن بطالع تاريخ العرب فى الجاهلية لا يمكن الا أن يؤمن بالسر الالهى الذى انطوت عليه الكعبة فحيث كان الاخذ بالثأر هو قوام حياة العربى ، فقد كان الواحد منهم اذا رأى قاتل أبيه حول الكعبة لا يمكن أن يفكر مجرد تفكير بايصال أى نوع من الأذى اليه .

واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى

مقام : المقام فى اللغة موضع القدمين . وهو هنا فى هذه الآية يعنى على ما جاء فى صحيح البخارى « هو الحجر الذى ارتفع اليه ابراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التى كان اسماعيل يناوله اياها فى بناء البيت . . . »

ويعرفه كل من حج حيث يصلى عنده ركعتى طواف القدوم وفى صحيح مسلم من حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى البيت استلم الركن فرمل ثلاثا ثم مشى أربعاً ثم تقدم الى مقام ابراهيم فقرأ « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » فصلى ركعتين قرأ فيهما بـ « قل هو الله أحد » و « قل يا أيها الكافرون » .

والقول على أن هذه الآية « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » بعض ما يرويه سيدنا عمر عن موافقات ربه عليه فقد قال لسيدنا محمد « هلا اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى » فنزلت هذه الآية .

وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل

عهدنا : أمرنا .

ابراهيم هو سيدنا ابراهيم أب الانبياء فقد رزق باسماعيل واسحق . ومن اسحق تناسل اليهود عن طريق ابنه يعقوب (اسرائيل) وعن طريق اسماعيل تناسل العرب المستعربة الموجودون حالياً وسنذكر فيما بعد حديثاً مطولاً عن كيفية تواجد اسماعيل فى مكة .

أما الآن فنريد أن نشير الى الحقيقة التى تخفى على الكثيرين وهى الصلة الخاصة التى تربط سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بالمصريين فقد وفد سيدنا ابراهيم الى مصر على ما يروى العهد القديم فنجرت له حوادث مع فرعون انتهت بأن قدم فرعون مصر « هاجر » لتكون جارية له وكان ابراهيم عاقراً لم يرزق بأولاد ، ويمضى العهد القديم فى قصته فيقول ان سارة زوجة سيدنا ابراهيم طلبت منه أن يبنى بهاجر المصرية عليهما يرزقان منها بغلام يكون أنس حياتهما فى شيخوختهما فكان أن أنجبت هاجر المصرية اسماعيل ، وكان من فضل الله على زوجة ابراهيم أن رزقها بالرغم من كبر سنهما باسحق . ويقول لنا العهد القديم أن عوالم الغيرة تحركت عندئذ فى نفسها وطلبت من سيدنا ابراهيم أن يبعد هاجر المصرية وابنها اسماعيل فكان أن قصد بهما بلاد الحجاز لتحقق مشيئة الله فى أن يقوم العرب المستعربة وفى كتابنا نبى الانسانية الذى صدر منه الجزء الاول تفصيل لذلك كله وسوف نورد بعد قليل حديث بناء الكعبة .

عبارة تنطق بالجهل

بقى أن تلفت نظرك الى أن نص العبارة ينطق بالجهل . فلو أن ما قيل هو نفى وجود ابراهيم واسماعيل لكان هذا النفي مجرد كلام يقال ، ومن المشاهد والمألوف أن يوجد متشككون في كل شيء ، أما أن يدور الحديث حول « الوجود التاريخي » فهذا ويبدأ الجهل ، ذلك أنه لا سبيل أمام البشر للمعرفة التاريخية الا من خلال الكتب والاثار القائمة وعندنا يضاف الى ذلك تواتر الاحاديث عن الواقعة مع غياب ما ينكرها ويجحدوها فهذا هو الوجود التاريخي بأدق معاني التاريخ وهكذا نرى أن نص العبارة متناقض متهاافت لا يراد بها وجه العلم انها بمثابة قولك انه على الرغم من أن الناس كلها تقول ان هناك بلادا تسمى الصين والصين والمصورات الجغرافية ترسم كلها موقع الصين ولكن ذلك لا يكفي لاثبات وجود الصين ثم تسمى ذلك علما . اننا نكون علومنا ومعارفنا من الكتب ومن اقوال الناس المتواترة وكل من يريد أن ينقض كتابا أن يواجهه بكتاب آخر ويحضض الشهادة بشهادة أقول هذا هو السبيل الذي لا سبيل غيره ليحصل الانسان على علومه ومعارفه .

اسرائيلية أخرى

وثبة أكذوبة يهودية أخرى تراها في كتب المستشرقين من اليهود أو يدسونها على غيرهم من المستشرقين وذلك لتحقيق هدفهم الثابت وهو التأثير على بعض ضعاف النفوس وهذه الاكذوبة هي أن اليهود اصطنعوا حكاية اسماعيل ليتقربوا الى العرب ويوجدوا علاقة بينهم وبين العرب وينسى أو بالاحرى يتناسى هؤلاء الكذابين أن حديث ابراهيم واسماعيل ورد في التوراة منذ قرون سابقة على اضطراب اليهود لسكنى شمال الحجاز ولم يكن يدور بخلداهم أن سيجيء يوم يشردون فيه ويحتاجون لاختراع هذه القصة .

وانما العلم والتحقيق التاريخي يقول ان أقدم كتاب يتداوله البشر وهو (العهد القديم) يتحدث عن مجيء ابراهيم وابنه الطفل وامه هاجر الى أرض « فاران » ثم يحدد هذه الأرض بأنها « المواجهة في شاطئ البحر الشرقي لبلاد مصر » . هذا ما يقوله كتاب العهد القديم واصفا موقع الحجاز بالذات فاذا وجد بالفعل اقوام في هذه المنطقة يتوارثون ان جدتهم الاعلى هو ابراهيم وأبوههم المباشر هو اسماعيل وانن فقد تأيدت رواية العهد القديم بالدليل المادى الحسى ، فاذا جاء القرآن الكريم بعد ذلك ليؤيد هذه الواقعة فهذا هو العلم غاية العلم ويصبح أنكاره لمجرد الاتكار بغير دليل أو شبهة دليل هو الجهل منتهى الجهل .

واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل

القواعد : جمع قاعدة أى الاساس والقواعد أى الاسس .
يرفع : أى يبنى عليها .
البيت : هو الكعبة .

دعوة سيدنا ابراهيم لسلالته في مكة بالرزق ، قول سيدنا ابراهيم في آية أخرى « انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع » الآية . وهذا تكمن المعجزة ، فان القرآن الكريم يتحدث عن واقعة مصت عليها عشرات القرون وما قد مضى على نزول القرآن أربعة عشر قرنا قامت فيها دول وزالت دول وتغير وجه البسيطة من اليمين الى الشمال ومن الابيض الى الاسود وبالعكس ، أربعة عشر قرنا اكتشفت فيها قارات واكتشفت قوتا البخار والكهرباء ونحن الآن في عصر الذرة والصعود الى الكواكب بكل ما ادى ذلك اليه من تطورات ومع ذلك فلا تزال منطقة مكة حيث كانت منذ ألوف السنين لا تعيش الا ببركة دعوة سيدنا ابراهيم على ما يرد لهم من الثمار من خارج مكة .

ضلال ادبي كبير في شيايه

وبحضرنا بمناسبة الحديث عن سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل وعلاقتهما بالعرب وذلك في القرآن ، أن ادبيا مصرياً منذ قرابة خمسين سنة ردد بعض اسرائيليات العصر الحديث التي يراد بها كما هي العادة زعزعة يقين المؤمنين ونحن اذ نناقش هذه الرواية التي حذفها قائلها هو نفسه من طبعة كتابه الثانية ، كما أنه بعد أن طال به العمر أصبح حصنا من حصون اللغة العربية وأصبح لا يطرب (حسب قوله) الا من سماع القرآن المرتل كان ذلك من شأنه أن يجعلنا نتجاوز عن هذه العبارة الطائشة لولا اننا على ثقة من أن اليهود سيظلون ابدًا يروجون هذه الاتاويل يغرون بها السذج وقليلى المعرفة فلزم أن نحسن الشباب ضد مقترياتهم .

للثورة والقرآن أن يحدثنا عن ابراهيم

قال بعض مستشرقى اليهود وتلقف قولهم هذا العالم المصرى المسلم ليشق طريقه الى الشهرة « للتوراة والقرآن أن يحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ولكن ذلك لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي » . كلمة طنانة رنانة يتصور بعض من يسمعها أنها لغة علم مع أنها اذا لم يقدم قائلها الدليل على دعواه تصبح آية جهل وحماقة ذلك ان الاثبات اذا كان في حاجة الى دليل فان النفي في حاجة الى دليل كذلك . وعندنا يقول انسان ان فلانا أبى فدليله المعروف والمشهور والامر الواقع وما يشهد عليه اصحاب الشأن من أقاربه فعلى من أراد أن ينفي هذا الامر الواقع المقرر أن يأتى بأدلتة سواء كانت عقلية أو نقلية كان يثبت على سبيل المثال استحالة هذه النسبة أو يأتى بشهود أو أقوال صادقة أو حتى كاذبة لتأييد دعواه ، أما أن يكتفى بمجرد أقواله دون أن يعززها بنقل أو عقل فهذا هو التخرص وهذه هي الرغبة في اشاعة البلبلة والشك لترويج افكار اليهود ، وبقي أن تعلم أن صاحبنا (غفر الله له) لم يقدم أى دليل على قوله حتى انه اكتفى برفع هذه الجملة فقط دون أن يكون مضطرا لحذف أى شيء آخر ومضى كتابه يتداول بل ويدرس ذلك أن هذه العبارة كانت مجرد عبارة مدسوسة لا يؤثر حذفها على صليب الكتاب .

اسماعيل : ابن ابراهيم من هاجر المصرية .
وقد ذكرنا من قبل ان « ايل » بلغة بنى اسرائيل
تعنى « الرب »
وذكر الماوردي على ما نقله عنه القرطبي ان
اسماعيل معناها اسمع يا رب .
بناء الكعبة

وتحدثنا هذه الاية عن ان ابراهيم هو الذى كان اول
من بنى الكعبة التى نعرفها وعرفها العرب قبل الاسلام
وفى كتب التفسير وفى الكتب التى تتحدث عن بناء
الكعبة وعلى رأسها كتاب « الازرقى » احاديث مطولة
عن اول من بنى الكعبة ويرجعون به الى آدم عليه
السلام ، بل وقبل آدم ثم عيد بناؤها بعد الطوفان الى
آخر ما قالوا .
ولنا المؤكد والثابت بنص القرآن من تحدثه عن
ابراهيم واسماعيل وانهما شرعا فى بناء الكعبة .
ريفا تقبل منا

ما أروع التقوى وما أجمل الادب الذى يتحلى به
الصالحون نبيان يقومان بعمل خالص كله لله اذ
يبنيان بيتا لعبادته ومع ذلك فهما يرجوان الله ان
يقبل منهما .
انك انت السميع العليم
اى انك يا رب تسمع دعائنا وتعلم ما فى قلوبنا
ونوايانا .

ريفا واجعلنا مسلمين لك .
اى قدر علينا وصبرنا منقادين مستسلمين لك
بالايمان والعمل الصالح .
ومن ذريتنا امة مسلمة لك

من : للتبويض ، اى بعض نسلنا ، ايماننا من
ابراهيم ان ارادة الله فى خلقه ان يكون منهم البار
والعاصي والشقي والسعيد .
امة مسلمة لك : اى جماعة مخلصه مستسلمة
منتقدة لاطاعة اوامر الله والانتها عن نواهيه ، ورأى
البعض انها تعنى امة محمد عليه الصلاة والسلام .
ومن رأى ابن جرير الطبرى ، ان « امة مسلمة »
تشمل العرب وغيرهم لان من ذرية ابراهيم بنى
اسرائيل وقد قال الله تعالى « ومن قوم موسى امة
يهودون بالحق وبه يعدلون » .
أما ابن كثير فيرى أنها فى العرب ودليله الاية
التالية « وابعث فيهم رسولا منهم » .
وارنا مناسكنا :

مناسك : جمع منسك ويقال ان أصل المنسك فى
اللغة الغسل فيقال نسل الرجل ثوبه اذا غسله .
ولكنها وردت فى القرآن بمعنى العبادة يقال رجل
ناسك اذا كان عابدا وقد اختلف العلماء فى المقصود
بالمناسك فى هذا الموضع فوسعها البعض بحيث تشمل
جميع المتعبدات وخصصها البعض بأنها تعنى المذابح
اى مواضع الذبح أما نحن فمن رأى الذين قالوا انها
تعنى مناسك الحج ومعاله ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مخاطبا من حوله فى حجة الوداع « خذوا
عنى مناسككم » وراح يعلمهم عن طريق القدوة كل

□ ٨ □

مناسك الحج وسنورد فى النهاية حديث رسول الله فى
حجة الوداع حيث يبين مناسك الحج .
وتب علينا انك انت التواب الرحيم

وان القلب ليخفق مع حقائق قلبى ابراهيم
واسماعيل وهما يدعوان ربهما ان يقبل منهما وان
يغفر لهما ما يكونا قد وقعاه فيه بحسن نية او عن
سهو ، وهما بالاكتر يستغفران لمن يخطىء من ذريتهما
شان اى والد رحيم وهو يتشفع فى ابنائه ويدلنا من ان
يستمتع بعض قدامى المفسرين بجمال هذه الصورة
وكمالها ، مضوا فى التشفيق والتفريع والتفتيت
فقالوا ان ابراهيم واسماعيل لم يطلبوا التوبة بمعناها
فهما نبيان معصومان وانما طلبا التثبيت والدوام
ولسنا نريد ان ندخل فى جدل او مناقشة وحسبنا ان
نذكر قوله سبحانه وتعالى لسيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام :

« اذا جاء نصر الله والفتح • ورايت الناس
يدخلون فى دين الله افواجا • فسيح بحمد ربك
واسعفه انه كان توابا • »

وكل كلام او قول يخاطب به الانبياء فهو للتعليم
والارشاد والهداية فالمؤمنون مأمورون فى مواقف
العزة والافتخار ان يتواضعوا لله وينزلوا له يكونوا
قدوة للناس فى سلوكهم وفى الاية التى نحن بصددنا
يعلم ابراهيم واسماعيل كل من جاء بعدهما ان ههنا
حول الكعبة مقام العائذ بالله والمستجير به وطالب
العفو والغفرة .

انك انت التواب الرحيم

انك انت (لا سواك) مانح التوبة والتواب اى كثير
التوبة والذى يظل يمنحها لمن يطلبها باخلاص وصدق
مهما عظم الذنب وتعدد . واقرأوا ان شئتم « قل يا
عبادى اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان
الله يغفر الذنوب جميعا » .

**ريفا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز
الحكيم .**
وابعث فيهم : اى فى ذرية سيدنا ابراهيم من ابنه
اسماعيل .

رسولا منهم : هو سيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام وعن النبى أنه قال عندما سئل عن بدء أمره :
« إنا دعوة أبى ابراهيم ويشرى عيسى بى ورايت
امى انه خرج منها نور أضاعت له قصور الشام » .

وهذه الاية التى نحن بصددنا هى دعوة ابراهيم ،
أما بشرى عيسى فقوله على ما جاء فى القرآن الكريم
« وميشرا برسول ياتى من بعدى اسمه أحمد » .
يتلو عليهم آياتك

يتلو : تلى ويتلو تلاوة اى يقرأ آيات الكتاب .
ويعلمهم الكتاب : الكتاب هو القرآن ، والتعليم
بمعنى التعريف بمعانى الآيات ومدلولها يأتى بعد
قراءة الفاظها ومن هنا كان التقليد المتبع (وأنعم به

من تقليد) أن يحفظ الصبي الصغير القرآن أولا ثم يتعلمه بعد أن يصبح رضيعا قادرا على الفهم .

والحكمة . فحين ان المراد بالحكمة هي السه ومعرفة السرائع وقيل هي معرفة الدين والفقه في الذوايل والفهم الذي هو منحة وبور من رب العالمين . وفى تفسير الوسيط : الحكمة هي وصي الامور فى مواضعها .

جاء فى القرآن الكريم : « ومن يؤت الحكمة فقد اؤنى خيرا كثيرا » .

ويذكهم : أى يطهرهم من دنس الشرك والمعاصى .
انك انت العزيز : أى الغالب الذى لا يقهر .

الحكيم : الذى تنطوى كل اعماله على الخير والمصلحة سواء أدركناها او عجزنا عن ادراكها بعقولنا القاصرة وقد استجاب الله كما قال سيدنا محمد لدعوة ابراهيم فبعثه رسولا يهدى البشر لما فيه صلاح الدنيا والاخرة مبتدئا اول ما بدا بتلاوة ما انزل اليه من ربه وهو آيات القرآن ثم راح يعلمها لمن آمن به ويعمقها فى نفوسهم وبالتالى يذكهم ويطهرهم ويعلمهم الحكمة وفصل الخطاب .

ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه

ومن يرغب : استفهام استنكارى بمعنى النفى أى « لا يرغب » .

عن : هي التى جعلت كلمة يرغب تتقلب الى ضدها فأصبحت بمعنى ينصرف للكراهية .

تقول رغبت فى معنى احب اما اذا قلت رغبت عنى أصبحت تعنى الضد على الفور فأصبح معناها يكره أو يزد أو ينصرف أو ينأى بنفسه ولها معانى تفيد عدم الاستحباب وقال بعض المفسرين ان المقصود بالتقريع والتوبيخ هنا لانصرافهم عن ملة ابراهيم (والملة هي الدين) هم اليهود والنصارى ولا ندري لماذا ابعدوا مشركى العرب وهم بدورهم لم يكونوا على دين ابراهيم .

الا من سفه نفسه

هذا هو الحكم الذى يفرقه الله على من يرغب عن ملة ابراهيم فقد ظلم نفسه واستخف بها وامتنعها . اذ عرضها فى الدنيا لارتكاب حماقات ما انزل الله بها من سلطان مثل عبادة الاصنام وعرضها فى الاخرة لعذاب النار هذه هي المعانى التى تشعها عبارة « سفه نفسه » تصل الى حد ما قاله البعض من انها بمعنى اهلك نفسه . اما المعنى اللغوى للكلمة فالاصل فى السفه الخفة والحركة يقال ثوب رخيف أى خفيف النسيج . وهذا يدلنا على ان موضع الكلمة وسياق ما قبلها وما بعدها هو الذى يحدد معناها .

ولقد اصطفىناه فى الدنيا

اصطفى : بمعنى اخترناه وصفيناه من كل دنس وانه فى الاخرة لمن الصالحين

أى ان الله سبحانه وتعالى قد اختار سيدنا ابراهيم ليكون قدوة للناس واماما وهو بالتالى من الفائزين

فى الاخرة شأن كل صالح فى الدنيا فكيف باسم الصالحين .
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين لايزال الحديث حول سيدنا ابراهيم والاية تبين لماذا اسحق ابراهيم ان يكون قدوة واماما وانه من الاخرة من الصالحين ذلك انه بمجرد ان دعى الى الطاعة والانقياد (اذ قال له ربه اسلم) لبى فى غير تردد ، قال « اسلمت لرب العالمين » .

ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ووصى بها : أى بملة ابراهيم وقيل بعبارة « اسلمت لرب العالمين » والمعنى واحد .

ابراهيم بنيه ويعقوب :

معلوم ان المصاحف الاولى كانت خالية من التتقيط وحركات الاعراب ومن هنا فقد قرأ البعض كلمة « يعقوب » على انها منصوبة بمعنى ابراهيم وصى يعقوب فى جملة ابنائه وقرأ البعض « يعقوب » بالرفع باعتبارها غاعلا أى ان كلا من ابراهيم ويعقوب وصى ابناؤه من بعده ، وطالما أكدنا ان الموعول هو على المصحف الموجود بين ايدينا ومنصوص فيه على « يعقوب » بالرفع فوجب الالتزام بذلك وقد كسان حفظ القرآن وانتقاله بالسماع والتلاوة سابقا على كتابته فمضى تضمن مصحف عثمان كلمة « يعقوب » بالرفع فيكون هذا هو المعتمد .

لماذا النص على يعقوب

والمعنى واحد فى كلتا الحالتين وهو السر فى اختصاص يعقوب بذكر اسمه فى النسبة للعرب الذين يعتبرون انفسهم من نسل اسماعيل فقد حدثتهم الايات السابقة عن اسلامه ، ولما كان اليهود يعتبرون انفسهم من سلالة يعقوب (اسرائيل) فالقرآن الكريم يذكر اليهود بان جدهم يعقوب بدوره قد طلب من سلالة ان يحرصوا حتى لحظة وفاتهم ان يكونون مسلمين « الا وانتم مسلمون » والاسلام هنا هو الدين ، يظهر ذلك من الفقرة السابقة « يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين » وقد قدمنا ان اصطفى بمعنى « اختار » لكم الدين وعندما يختم الكلام « فلا تموتن الا وانتم مسلمون » يكون الدين قد تحدد بأنه « الاسلام » .

أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لابنيه ماتعبدون من بعدى

كان اليهود يتخرون كما هو شأنهم دائما بشتى أنواع التخريصات كادعائهم ان اليهودية دين ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب مع ان اليهودية كشرية لم تات الا على يد سيدنا موسى الذى كان لا يزال فى عالم الغيب ولن يرسل الا بعد مئات من السنين ، وسيجبه القرآن اليهود بهذه الحقيقة فى آيات قادمة ، وفى هذه الاية يكشف عن زيف ما نسبوه ليعقوب ويبين لهم الدعوة الوحيدة التى لا يمكن ان يدعوا يعقوب الا بها ، وقد بسط القرآن الكريم هذه القضية بأكمل وأروع اساليب العرض وهو ان يحمل المعلم

تلميذه على تقرير ما يراد تعليمه له ، وهى طريقة السؤال والجواب :

يعقوب لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟
ابناء يعقوب : نعبد الهك واله اباك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا . ونحن له مسلمون .
وسكت يعقوب اقرارا منه بهذا الذى قالوا فهو الدين الحق دين التوحيد والاستسلام لله وطاعته والانقياد له فى كل ما يأمر به فعندما يرسل رسولا يدعو لمحاربة الاصنام وتوحيد الله فقد كان يتعين على اليهود أن يسمعوا له ويطيعوا لا أن يكفروا به ويحازوا لعبد الاصنام المشركين بالله .

تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم .
الامة : لها أكثر من معنى فى القرآن ولكنها هنا فى هذا الموضع تعنى الجماعة من الناس يجمعهم أمر واحد .

خلت : بمعنى مضت وانقضت .
لها ما كسبت : أى ما عملت وما تستحق عليه من أجر .

ولكم ما كسبتم : وواقع الحال ومفهوم السياق انه اذا كان اباؤكم قد استحقوا الخير بايمانهم وتوحيدهم فالامر على عكس ذلك بالنسبة لكم فلم تكسبوا الا الكفر والعصيان .

ولا تسألون عما كانوا يعملون
فى هذه اسلوب من اساليب القرآن البلاغية التى هزت سامعيه ، فهو هنا ينذر ويحذر لا بكلمات مباشرة ولكن بمفهوم العكس ، فبما دمت اباها اليهود لن تسألوا عن عمل اباؤكم الصالح فلم يبق لكم الا عملكم الطالح لتسألوا عنه .

هذا التفسير
من فضل الله على انه يرينى من حين لآخر احدى الاشارات التى تشجعنى وتقوينى على المضى فى هذا التفسير ما بقيت حيا ، وقد اشرت من قبل الى نقطة البدء فيه عقب هزيمتنا الساحقة عام ١٩٦٧ وما استولى على نفوسنا من ضياع فكان فى تفسير سورة « العصر » ما أعاد الى هدى وتوازنى ثم كان هذا التحول الى تفسير سورة البقرة وما صاحب ذلك من انتصارنا فى ٦ أكتوبر مما جعل الحديث عن اليهود والحوار معهم كما اشتهلت عليه سورة البقرة أكثر جلاء ووضوحا ، واليوم

آيات الحج
تجىء آيات الحج ونحن فى مطلع ذى الحجة ، ولو اننى تكلفت ذلك أو تعمده تعمدا لما جاز لى أن أشير لهذه المصادفة السعيدة ، ولكنى أنا نفسى فوجئت بهذا الترتيب ، وكما هو شأنى دائما اتفاهل بهذه الاشارات ، ومن هنا رأيت أن أعرض لموضوع الحج .
والحج باعتباره أحد أركان الاسلام الخمسة وضعت فيه كتابين : أولهما مشاهداته ، فى جزيرة العرب ثم مناسك الحج .

وأكتفى بأن أورد هنا نصين رئيسيين يجب أن يكونا تحت نظر أى حاج مثقف وأول هذين النصين حديث

ابن عباس عن كيفية بناء ابراهيم للكعبة وظروف ذلك وسر السعى بين الصفا والمروة أما النص الثانى فحديث جابر يصف فيه بدقة كيف حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ليستفيد به من تمكنه ظروفه أن يرسم خطوات رسول الله .
ثم أجىء ببعض نصوص فقهية موجزة ترد على بعض التساؤلات التى يكثر الحجاج من السؤال عنها وفى كتابى المشار اليهما كل التفاصيل الخاصة بموضوع الحج أما الآن فلنورد هذا القدر الذى حددناه .

— كيف بنيت الكعبة .

— حديث البخارى .

روى الامام البخارى بسنده عن ابن عباس انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « **يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أو قال أو لم تغرف من الماء لكابت زمزم عينا معينا** » .

وارضعت ولدها فقال لها الملك ، لا تخافوا الضيعة فان ما هنا بيت الله ، بينه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم (أو أهل بيت من جرهم) متبيلين من طريق كداء . فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طيرا عائفا فقلوا : ان هذا الطير ليدور على ماء . لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء . فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فاخبروهم بالماء فأقبلوا (قال) وأم اسماعيل عند الماء فقالوا : أتأذن لنا ان ننزل فقلنا : نعم ولكن لا حق لكم فى الماء . قالوا نعم . قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم « **فألقى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الانس** » . فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وثب الغلام [اسماعيل] وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما ادرك زوجته امرأة منهم .

وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل . فسأل امراته عنه . فقالت خرج يبتغى لنا ثم سألتها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر . نحن فى ضيق وشدة فشكت اليه . قال اذا جاء زوجك فاقضى عليه السلام وقولى له بغير عتية بابه — فلما جاء اسماعيل لكانه أنس شيئا فقال : هل جاءكم من احد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنى عنك فأخبرته . وسألنى كيف عيشتنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشئ ؟ قالت : نعم . أمرهم أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتية بابك .

قال ذلك أبى وقد أمرنى أن افارقك الحقى بأهلك . فطلقها وتزوج أخرى . فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده . فدخل على امراته فسألها عنه فقالت خرج يبتغى لنا . قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم . فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله . فقال ما طعناكم . قالت اللحم . قال فما

وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملنا به ، فأهل بالتوحيد ، ليكن اللهم ليكن ، ليكن لا شريك لك ليكن ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وأهل الناس بهذا الذي يهلون به ، فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم شيئا منه ، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تليته ، قال جابر رضى الله عنه : لسنا ننوي الا الحج ، لسنا نعرف العمرة ، حتى اذا أتينا البيت معه ، استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ، ثم نفذ الى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ : « **واخذوا من مقام إبراهيم مصلى** » فجعل المقام بينه وبين البيت وكان يقرأ في الركعتين : قل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون ، ثم رجع الى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب الى الصفا ، فلما دنا من الصفا قرأ : « **ان الصفا والمروة من شعائر الله** » أبدا بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا فرقى عليه ، حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلة ، فوحد الله وكبره وقال : **لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا اله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده** » ، ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل الى المروة حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى ، حتى اذا صدقنا مشى حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا ، حتى اذا كان آخر طوافه على المروة ، فقال : **لو انى استقبلت من أمرى ما استدبرت : لم أسق الهدى وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة** ، فقام سراقا بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله : العائنا هذا أم لا بد ؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى وقال : **دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لا بد أبد** . وقدم على من اليمن بيد النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فاطمة رضى الله عنها ممن حل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت فانكر ذلك عليها فقالت ان أبى أمرنى بهذا قال : فكان على يقول بالعراق فذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا على فاطمة للذى صنعت ، مستفتيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ذكرت عنه ، فأخبرته انى أنكرت ذلك عليها فقال : صدقت صدقت ، ماذا قلت حين فرضت الحج ، قال : قلت اللهم انى أهل بما أهل به رسولك ، قال فان معى الهدى فلا تحل قال : فكان جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمن ، والذى أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة ، قال : فحل الناس كلهم وتصوروا الا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى ، فلما كان يوم التروية توجهوا الى منى فاهلوا بالحج وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهلوا بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبلة من شعر له بنمرة فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام ، كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية

□ ١١ □

شرايكم . قالت الماء . قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء . [قال النبي صلى الله عليه وسلم ولو يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه . قال منهما لا يحلو عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه] قال فاذا جاء زوجك فاقترنى عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه . فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة - وأثنت عليه فسألنى عنك فأخبرته فسألنى كيف عيشتنا فأخبرته أنا بخير . قال ما أوصاك بشيء . قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال ذلك أبى وأنت العتبة أمرنى أن أمسك ثم لبث عنهم ما شاء الله - ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبصر نباله قريبا من زمزم . فلما رآه قام اليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال يا اسماعيل . ان الله أمرنى بأمر . قال فاصنع ما أمرك ربك . قال وتعيننى . قال وأعينك . قال فان الله أمرنى أن أبني ما هنا بيتا - وأشار على أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعنا القواعد من البيت .

فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر [يعنى المقام فوضعه له فقام عليه وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان « **ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم** » قال : فجعلا بينيما حتى يدورا حول البيت وهما يقولون « **ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم** » انتهى حديث البخارى .

كيف حج النبي حجة الوداع

عن جعفر بن محمد عن أبيه رضى الله عنهما قال : دخلنا على جابر بن عبد الله فسأل عنى القوم حتى انتهى الى ، فقلت : انا محمد بن على بن حسين ، فأهوى بيده الى رأسى فنزع زرى الاعلى ، ثم نزع زرى الاسفل ، ثم وضع كفه بين يدي ، وأنا يومئذ غلام شاب ، فقال : مرحبا بك يا ابن أخى سل عما شئت فسألته وهو أعمى وحضر وقت الصلاة فقام فى نساجه ملتحفا بها ، كلما وضعها على منكبيه رجع طرفاها اليه من صغرها ، ورداؤه الى جنبه على المشجب ، فصلى بنا فقلت : أخبرنى عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بيده ، فعقد تسعا فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن فى الناس فى العاشرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس ان يأتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله ، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبى بكر ، فأرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصنع ؟ قال : اغتسلى واستشفرى بثوب واحرمى ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ثم ركب القصواء ، حتى اذا استوت به ناقته على البرداء ، نظرت الى مد بصرى بين يديه من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا

كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلوا من
لحمها ، وشربوا من مرقها ثم ركب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قافاض الى البيت ، وصلى بمكة
الظهر ، فأتى بنى عبد المطلب يسألون على زمزم فقال
انزعوا بنى عبد المطلب ، فلو أن يخليكم الناس على
سقايتكم لنزعت معكم ، فناولوه دلوفا فشرب منه .
(رواه مسلم وأبو داود)

العمرة :

قال الله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله » .

روى البخاري عن ابن عمر : ليس أحد إلا عليه
حجة وعمرة وروى الترمذي وأحمد والبيهقي عن جابر
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة
أواجبة بى قال لا وإن تعتمروا هو أفضل .
شرط الطواف

روى الترمذي والحاكم عن ابن عباس عن النبي
صلوات الله عليه أنه قال : الطواف حول البيت مثل
الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه فمن يتكلم فلا يتكلمن إلا
بخير .

وقد جاء فى كتاب المغنى والشرح الكبير فى الجزء
الثالث صفحة ٢٢٢ ما يأتى بالحرف الواحد :

« مسألة » وهو مخير بين التمتع والافراد والقرآن .
لا خلاف بين أهل العلم فى جواز الاحرام بآى
الانسان الثلاثة شاء ، وقد دل على ذلك قول عائشة
رضى الله عنها : خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمنا من أهل بعمره ومنا من أهل حج وعمرة
ومنا من أهل حج . متفق عليه ، فذكرت التمتع والقرآن
والافراد . واختلف أهل العلم فى أفضلها فاختر أهلنا
[ابن عثيل] التمتع ثم الافراد ثم القرآن .

وقد جاء فى هذا المبحث أنه روى عن مروان بن
الحكم قال : كنت جالسا عند عثمان بن عفان فسمع عليا
يلبى بعمره وحج فأرسل اليه فقال ألم تكن نهينا عن هذا
قال بلى ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبى بهما جميعا فلم أكن أدع قول رسول الله لتقولك
رواه سعيد .

افعل ولا حرج

وآخر ما نختم به هذه الشذرات ان نورد حديث
رسول الله « افعل ولا حرج » ليهون كل حاج على
نفسه ، روى الخمسة عن ابن عباس قوله :
قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم زرت قبل ان
أرمى ، قال : لا حرج ، قال : حلقت قبل ان أذبح ،
قال : لا حرج ، قال : ذبحت قبل ان أرمى ، قال : لا
حرج .

وفى رواية ، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى حجة الوداع بمنى للناس يسألونه فقال رجل : لم
أشعر فحلقت قبل ان أذبح ، قال : أذبح ولا حرج
فجاء آخر فقال : لم أشعر فنحرت قبل ان أرمى ، قال :
أرم ولا حرج ، فما سئل يومئذ عن شىء قدم ولا أخر إلا
قال : افعل ولا حرج .

فأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة
فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، حتى إذا
زأغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن
الوادى ، فخطب الناس وقال : ان دماءكم وأموالكم
حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى
بلدكم هذا ، ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمي
موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم
أضع من دمائنا دم ربعة بن الحارث ، كان مسترضعا
فى بى سعد فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوع ،
وأول ربا أضع من ربانا ربا عباس بن عبد المطلب ،
فانه موضوع كله ، فاتقوا الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة
الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ،
فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن
عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما
لن تضلوا بعده ، إن اعتصمتم به كتاب الله ، وأنتم
تسألون عني ، فما أنتم قائلون » قالوا : نشهد أنك قد
بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها
الى السماء وينكتها الى الناس : اللهم أشهد ، اللهم
أشهد ، ثلاث مرات ، ثم أتى ثم أقام فصلى الظهر ، ثم
أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا ، ثم ركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف
فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات ، وجعل جبل
الشاة بين يديه ، واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفا حتى
غربت الشمس ، وزالت الصفرة قليلا حتى غاب
القرص ، وأردف اسامة خلفه ، ودفع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد شق للقصواء الزمام ، حتى أن
راسها ليصيب مدرك رحله ، ويقول بيده اليمنى أى
يشير بها : أبها الناس : السكينة السكينة كلها أتى
حبالا (١) من الحبال أرخى لها قليلا حتى تصعد حتى
أتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد
واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ، ثم اضطجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر وصلاه حين
تبين له الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتى
أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره
وهلله وحده ، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا ، فدفع
قبل ان تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس ،
وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما ، فلما دفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن
يجري ، فطفق الفضل ينظر اليهن ، فوضع النبي
صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل ، فحول
الفضل وجهه الى الشق الآخر ينظر ، فحول رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على
وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر حتى
أتى بطن محسر فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى
التي تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة
التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل
حصاة منها مثل حصى الخذف ، رمى من بطن الوادى
ثم انصرف الى المنحر : فنحر ثلاثا وستين بيده ، ثم
أعطى عليا فنحر ما نحر وأشركه فى هديه ، ثم أمر من

إِبْنَاتُخْن نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

بقية الكلام عن الرسل الذين ابلوا بلاء حسنا في مقاومة الشرك .
- ٩٦ -

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

صورة من صورته المتعددة ونعلم أيضا أن نبي الله إبراهيم عليه السلام ذكر في القرآن ٧٣ مرة أغلبها في السور المكية التي كان الصراع فيها على أشده بين إبراهيم عليه السلام وبين المشركين كما كان ذلك بين نبينا عليه السلام وبين المشركين أيضا .

أولا : سيمر بك بيان سبب أن الله سبحانه وتعالى جعل رسوله إبراهيم اماما للناس .

ثانيا : ما هو السبب في قوله تعالى أن إبراهيم كان امة .

ثالثا : ما سبب أمره تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم وأمه أن يتبعوا ملة إبراهيم ثم يوحى إلى رسولنا أيضا أن يتبع ملة إبراهيم كما في آية ١٢٣ من سورة النحل .

رابعا : ولم خص سبحانه مقام إبراهيم مصلى كما في آية ١٢٥ من سورة البقرة .

١ - منزلة إبراهيم عليه السلام عند ربه .

سبق أن تكلمنا في سياق الكلام عن غناية القرآن في توحيد الاله وما كان فيها من الحوار بين الرسل والمشركين من الامم السابقة وأن الحوار فيها بين الرسل والمشركين كان شديدا جدا خصوصا في السور المكية التي هي أغلب سور القرآن نزولا لأن عدد السور في القرآن ١١٤ سورة المكية منها [٢٦] والمكية منها [٨٨] وتكلمنا في العدد السابق عما حصل بين رسول الله نوح عليه السلام ورغم أنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فلم ينتبهوا الا قليل . قال تعالى « وما آمن معه الا قليل » آية ٤٠ هود، منهم هله الا ابنه الذي غرق وقليل جدا من غير أهله وهؤلاء انقرضوا جميعا فلم يبق معه الا نسله قال تعالى « وجعلنا ذريته هم الباقين » فجميع بني آدم من نسل نوح ولذلك يسميه بعض العلماء « آدم الصغير » .

واليوم نتكلم عن ابي الانبياء خليل الرحمن عليه السلام وما كان منه مع قومه فنقول اذا تأملنا ان المهمة العظمى لكل رسول من رسل الله كانت هي الدعوة الى توحيد الله تبارك وتعالى ومحاربة الشرك في كل

٢ - منزلة رسولنا عند جده ابراهيم عليهما السلام .

اولا منزلة ابراهيم عند ربه

قال تعالى : « وان ابنتي ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما » آية ١٢٤ البقرة « ابنتي ابراهيم » اى اختبره وامتحنه ليظهر للناس صدق ايمانه « بكلمات » المراد بأوامر ونواه .

ومن المخجل ان كثيرا من المفسرين أغرقوا فى ذكر الاراء الفاسدة فى تفسير هذه الكلمات التى ابتلى الله سبحانه وتعالى بها ابراهيم عليه السلام وأكثر هذه الاراء بعيدة عن الصواب ، مثل ما يروونه عن ابن عباس رضى الله عنه والله يعلم ان ابن عباس برىء منه وانما افتراه عليه صهيانة اليهود ليشوهوا كلام الله ويطمسوا نوره والله سبحانه مقيم نوره ولو كره ابناء صهيون .

يقول هؤلاء المفسرون ان الكلمات هنا مراد بها اعمال لا مشتقة فيها وهى التى يسميها العلماء [خصال الفطرة] وهى :

- ١ - قص الشارب ٢ - المضضة ٣ - الاستنشاق
- ٤ - السواك ٥ - غرق الرأس ٦ - تقليم الاظافر ٧ - حلق العانة ٨ - الختان ٩ - نفث الابط ١٠ - الاستحداد هو للمرأة كما يفعل الرجل فى رقم ٧ .

قال المرحوم الشيخ محمد عبده ان هذا جرة غريبة على كتاب الله سبحانه ولا شك عندي فى ان هذا مما ادخله الصيونيون على المسلمين ليتخذوا دين الله هزوا ولعبا . والاشد سخفا ، من ان يقال ان الله سبحانه ابتلى نبيا من اجل الانبياء بمثل هذه الامور واثنى عليه باتهامها وجعل ذلك سببا لاختياره اماما للناس ، واصلا لشجرة النبوة ، وان هذه الخصال لو كلف بها صبي مميز لسهل عليه اتمامها ولم يعد ذلك منه امرا عظيما .

والحق ان امامته للناس قد تحققت بهذه العزيمة القوية التكليف الشاقة والتى لم يكلف بها احد قبله وصبره على مداومة دعوة قومه الى التوحيد الخالص وكانت الوثنية قد مستهم واعمتهم عن الرشاد . ومن هذه الاوامر والنواهي

- ١ - وضع ولده الرضيع اسماعيل وابنه فى صحراء ليس فيها انيس وحيدان

□ ١٤ □

٢ - امره سبحانه وتعالى لابراهيم بذبح ولده اسماعيل بعدما بلغ الرشد انظر سورة الصافات آية ١٠٢ .

٣ - توفيقه لعدم المبالاة بتهديدهم له بطرحه فى النار فلم يبال بهم فنجاه الله قال تعالى « قالوا حرقوه وانصروا الهيتكم ان كنتم فاعلين قننا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » آية ٦٨ ، ٦٩ الانبياء .

فكان جزاؤه عند الله سبحانه ان قال له « انى جاعلك للناس اماما » والامام اسم للقوة الذى ياتم به المتصدرون للافتاء وهى هنا امامة خاصة كما ياتى فى مواقفه عليه السلام مع المشركين لذلك جعل سبحانه وتعالى امامته للناس كافة ولم يامر سبحانه أمة من الامم باتباع ملة ابراهيم الا أمة محمد عليه الصلاة والسلام فقال سبحانه [فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين] وقال سبحانه [ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا] آية ١٢٥ من سورة النساء .

بدا سبحانه وتعالى فى هذه السورة [الانعام] باقامة الحجج على المشركين وقال ، فى اولها « الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » الآية الاولى من سورة الانعام [يعدلون أى يسوون به سبحانه وتعالى والاصنام فى العبادة وطلب الحاجات مع انها لم تخلق شيئا واستمر معهم فى الحوار الى آية ٧٤ من نفس السورة وامر رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينبههم الى عبر تحيط بهم من كل جانب وقال له لفظ « قل .. قل .. قل » مكررا له ٢٥ مرة من آية ١١ الى ٧٣ وفى آية واحدة [١٩] كرر [قل] اربع مرات ، وبدأ بحاجة ابراهيم لهم فقال :

« وان قال ابراهيم لابيه ازر اتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين • وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين • فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما اقل قال لا احب الافلن • فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما اقل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين • فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما اقلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون • انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المتركين • وحاجة قومه

الجدل وكما فى آيات ٦٩ الى ٨٢ من سورة الشعراء

« سلطانا أى حجة قاطعة .

« ولم يلبسوا إيمانهم » أى يخلطوا

« بظلم » أى بكفر انظر قول لقمان لابنه « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » ١٢ لقمان .

أمر نبيه خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم بتذكير هؤلاء المشركين بدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام صاحب المكانة العليا عند العرب وأهل الكتاب فقال « واذ قال إبراهيم لأبيه .. الآية » أى واذكر لهم أيها النبي وقت قول إبراهيم - الذين يدعون انهم على ملته - موبخا لأبيه آزر « على عبادة الاصنام » اتخذ اصناما آلهة » ولحكمة عظمى كرر القرآن ذكر عابد الصنم الذى حاجه إبراهيم مفردا ذكره بوصف الاب انظر الايات . ١١٤ من سورة التوبة « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » .

والموعدة المشار إليها فى هذه الآية هى التى جاءت فى الآية السادسة بعد الايات المذكور فيها كلمة « يا ايت » والتى سبقت استغفار إبراهيم فى قوله « سلام عليك ساستغفر لك ربى » من آية ٤٧ سورة مريم .

٥٢ من سورة الانبياء « اذ قال لإبليس وقومه ما هذه التماثيل .. » .

١٧ من سورة الشعراء « اذ قال لإبليس وقومه ما تعبدون .. »

٨٥ من سورة الصافات « اذ قال لإبليس وقومه ماذا تعبدون .. »

٢٦ من الزخرف « واذ قال إبراهيم لأبيه وقومه ائبى براء مما تعبدون » .

٤ من سورة الممتحنة « الا قول إبراهيم لأبيه لاستعمرن لك .. »

والمعنى المراد لإبراهيم عليه السلام فى هذه الايات انه يقول لأبيه لا يصح أن تجعل لنفسك ولقومك آلهة من دون الله ائبى أراك وقومك بهذا العمل فى ضلال مبين واضح . وقد كان هؤلاء القوم يعبدون الاصنام والكواكب السيارة فحاجهم إبراهيم فى عبادة الاصنام فى سورة الانبياء من أول آية ٥١ الى آية ٦٧ .

قال اتحاجونى فى الله وقد هذان ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شيء عنهما اهلا تتذكرون • وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فدى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون • الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون • وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم • الايات من ٧٤ - ٨٢ من سورة الانعام .

المفردات :

الملوكوت : والملكوت هو الملك العظيم بوزن الرحيموت للرحمة الواسعة والرهبوت للرهبية الشديدة فهذا الوزن فى لغة العرب يفيد المبالغة فى مادته .

« جن عليه الليل » أى اظلم وستر جميع ما حوله .

« رأى كوكبا » أى لامعا ممتازا عما حوله . وقالوا وكان هو كوكب المشتري .

« فلما أقبل » أى ذهب واحتجب تحت الافق .

« بازغا » أى طالعا وراء الافق اول ظهوره من جهة المشرق .

« الضالين » الضلال يطلق على معان منها :

١ - الكفر ومنه قوله تعالى « فذلكم الله ربكم الحق فبماذا بعد الحق ألا الضلال فأتى تصرفون » ٢٢ يونس

٢ - عدم العلم ببعض ما يجب الايمان به من الغيبيات التى لا تصل العقول إليها الا من طريق مقطوع به كما فى الجنة من انواع النعيم وما فى النار من انواع العذاب ومنه قول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » آية ٥٢ الشورى

٣ - ومنه أيضا الانحراف عن بعض الصواب كقول اخوة يوسف فى شأن ابيهم « ان ابائنا لفى ضلال مبين » آية ٨ يوسف

٤ - مجرد الحيرة ومنه ما معنا .

« فطر السموات » ابتدا خلقها على غير مثال سابق .

« حنيفا » أى المتجنب للباطل المتحيز الى جهة الحق .

« وحاجه قومه » أى جادلوه وقد بين سبحانه فى آيات ٥١ الى ٧٠ من سورة الانبياء شيئا من هذا

التي جعلتموها أربابا مع الله ، أنى وجهت قصدى وجعلته خالصا للاله الحق الذى نطش السموات والارض حال كوى حنيفا بعيدا عن الباطل ، وما أنا من المشركون مثلكم

وجادل ابراهيم قومه وخوفوه أن تمسه آلهتهم بسوء كما يشعر بذلك الكلام الاتى ، كما خوفت عاد نبيهم هود عليه السلام بقولهم « ان نقول ألا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » آية ٥٤ هود .

ومما حاجوه به انهم يؤمنون به تعالى وانهم ما احسدوا الاصنام الا لتقربهم اليه وتشفع لهم عنده ، وفى هذا تعظيم له تعالى . لاكثر كما تزعم يا ابراهيم فرد عليهم كل هذه الحجج بقوله اتحاجونى ، أى هل يصح مجادلتم لى فى شأن وحدانيته تعالى وما يجب له والحال انه سبحانه قد هدانى الى الحق .

ولا أخاف ما تشركون به من الكواكب والاصنام ان نصيبى بسوء لانى اعلم انها لا تضر ولا تنفع ، لكن اذا شاء ربى القادر وقوع مكروه لى فانه يقع قطعا كما يشاء ، وسع علم ربى كل شىء ، فهو الذى أخاف منه لا من آلهتكم التى لا تعلم شيئا ، فهل بعد هذا تعرضون عن التأمل فى عجز آلهتكم وجهلها أفلا تسدرون انها غير قادرة على شىء وكيف أخاف من آلهتهم انى اشركتموها مع الله وهى لا تضر ولا تنفع ولا تخافون انتم من أنكم اشركتم بالله صاحب القوة والملك كله مخلوقات لم ينزل الله بشركها له ديلا مصدا ، والكلام كناية عن امتناع وجود دليل على شرهم ، فأى الفريقين منا ومنكم أحق بالامن واضمانيته فى الآخرة فريق الموحدين ، او فريق المشركين . ان كنتم على شىء من العلم الصحيح ادرهم ان نحن احق بالامن منكم . تم بين سبحانه من هم احق بعدم الخوف فقال الدين آمنوا بالله وحده ولم يخلصوا آيائهم بشرك كما يفعل المشركون الذين يزعمون انهم اتخذوا الاصنام شفعا . انظر آية ٢ سورة الزمر وآية ١٠٦ سورة يوسف وآية ١٢ سورة لقمان . أولئك الذين لم يخلطوا آيائهم بشرك لهم وحدهم يوم القيامة الامن من الخلود فى النار وهم المهتدون الى الحق وغيرهم على باطل « وتلك حجتنا » أى وتلك البراهين المذكورة من أول « فلما جن عليه اميل » الى قوله « مهتدون » هى حجتنا آيائنا ابراهيم اى ارشدها اليها ليقمها على قومه نرفع درجات من نشاء من عبادنا بالعلم والحجة كابراهيم . ان ربك ايها النبى حكيم فى كل فعلة علم بمن يستحق الرفع وقد فضلنا على ابراهيم فى اصله وفرعه .

يتبع

وفى هذه السورة « الانعام » حاجهم فى عبادة الحق سبحانه « وكذلك نرى ابراهيم مذبذوبا بين السماوات والارض » والمعنى كما اريناه الحق فى أمر أبيه وقومه نريه المرة بعد المرة ملكوت السموات . الخ ليرى ببصره ما يغير بصيرته والمراد نريه وجوه الافتداء بها ليعرف حكمتنا فى تدبير ملكنا ليقم الحججة على المشركين وليكون فى خاصة نفسه من الموقنين أى العالمين عن دليل . ثم ذكر سبحانه بعضا من كيفية امتداء ابراهيم الى أوجه الحججة فقال « فلما جن عليه الليل » نظر فى هذا الملكوت « رأى كوكبا » ففعل هذا الكوكب هو ربى . قال ذلك مجراه لهم تهيدا للانكار عليهم واستدراجا لهم الى سماع حجته وهذا أسلوب معهود فى القرآن يسميه العلماء ارخاء العنان للخصم حتى يلجئه الى التسليم ببطلان ما يقولون ومنه قوله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم عند محاجة المشركين « قل من يرزقهم من السموات والارض قل الله وانما اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » آية ٢٤ سورة سبأ . قال العلماء ان هذا ارق خطاب مع الكفار لعلهم يرجعون عن عادتهم . ونظير ذلك قوله تعالى فى محاجة بعض الطوائف . « ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلفه من قريب ثم قال له خن هيرون . الحق من ربك فلا تخن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فسن دع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وامهنا وانفسكم ثم نيتهل فنجعل لعنة الله على الاسديين » الايات ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ من سورة آل عمران .

« هما اهل قال لا أحب الاقلين » أى فلا يصح ان يجعلهم آلهة لان الاقل تغير والله لا يتغير وارب ليس كمثل شىء وهذا له امثال ياقلون مثله ، اشار الى ذلك بقوله « الاقلين » .

« فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى » على الطريقة السابقة فلما افل القمر وهو اكبر من الكوكب فى النظر واقوى نورا فى الارض ، قال على مسمع من قومه لئن لم يهدنى ربى الى الصواب لاكون من الضالين « فلما رأى الشمس بازغة قال » هذا الكوكب هو ربى لانه اكبر من سابقه واعظم ضياء فهو احق منهما بالربوبية . اذا كانت الربوبية بالمظاهر فلما افلت كما افل غيرها صرح عليه السلام بالنتيجة المرادة من كل ما تقدم فقال يا قوم انى برىء من تأليه هذه الكواكب



الإعجاز



لم يتكلم المسلمون الاوائل فى اعجاز القرآن ، بل فى القرآن قاطبة ، ذلك لانهم كانوا يؤمنون بانه كلام الله ، وما دام هو كذلك ، فهو معجز بطبيعة الامر ، لانه من صنع الخالق البارىء المصور « الذى اتقن كل شىء » والقدير العليم « الذى احسن كل شىء خلقه » فانفتحت الحاجة الى هذا الضرب من الكلام وقد كان لهم — فوق ايمانهم العميق بالله وبرسوله وبكتابه — من شواغل الجهاد الحق والرغبة الصادقة فى نشر دين الله ورفع لوائه ، ما يصرفهم عن هذا البحث واشباهه ، اما المشركون فقد كانت عقيدتهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب الذى معه هو ما قال الله تعالى على لسانهم : « ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين » ولذلك فقد كان القرآن عند معسكرى الايمان والشرك هو ما قاله الله تعالى ، ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر ، وهو عليهم عيم ، »

الأستاذ فتحى صنوان

فى ذلك حتى خالف بعضهم بعضا بمقدار ما يختلفون فى الذكاء وبعد النظر ففترقوا عشر فرق ، واختلفت بهذا آراؤهم فى وجه اعجاز القرآن ، اختلفا يقوم بعضه على بعض ، فبيدا غارغا ، وينتهى كما بدا .

ونكرر هنا ، ما سبق قوله ، من أن الحديث فى اعجاز القرآن ، بدأ بعد أن جدت للمسلمين أمور ، اظهرها ، واولاها بالتقديم ان عهدهم بعد عن صدر الاسلام حين كان الايمان بالعقيدة غضا ، وان ذكريات الجهاد الاول ، قد بهتت صورها ، وضعف ابحاؤها ، وطالت سلسلة الانية والتابعين ، وتابعيهم ، ثم كثر الداخلون فى الاسلام ، من امم شتى ، حملت معها — مع الايمان بالدين الجديد — اشياء مما ورثتها عن عقائدهم التى ولدوا عليها . أو ولد عليها آباؤهم واجدادهم ، ثم اندس فى وسط هؤلاء المؤمنين ، اقوام فهموا الاسلام ، فهما تأثر اما بمن اخذوه عنه ممن لم يكن فى صدق المجاهدين الاوائل ، ولا سلامة طبائعهم ، ولا ما افاءه ايمانهم على عقولهم ، من النور ، الذى تتبدد له الشبهات ، وتمتنع معه العثرات ، وما لغرض يخفونه ، أو مرض يشكونه ، واما أن يكون اتصال المسلمين بثقافات غيرهم من اليونان والرومان والسريان ، واليهود والمسيحيين والصابئة ، دعاهم

وبذلك لا يكون الفريقان فى حاجة الى الكلام فى اسرار اعجاز القرآن ، أو فى اعجازه اطلاقا ، ومن هنا فقد مضت حقب ، بعد البعثة ، ونزول القرآن ، وتعاقت اجيال ، حتى يبدو الكلام فى كونه معجزا ، أو الكلام غير معجز على أى وجه .

ويقول مصطفى صادق الرافعى ، رحمه الله ، فى كتابه الاعجاز : كان اول ما ظهر من الكلام فى القرآن مقالة تعزى الى رجل يهودى يسمى ليبيد بن الاعصم فكان يقول ان التوراة مخلوقة فالقرآن كذلك مخلوق ، ثم اخذها عنه طلوت ابن اخته واشاعها ، فقال بنان بن سميان الذى تنسب اليه اللبنانية ، وتلقاها عنه الجعد بن درهم ، مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية . وكان زنديقا فاحش الراى واللسان ، وهو اول من صرح بالانكار على القرآن والرد عليه وجحد اشياء فيه ، وازضاف الى القول بخلقه ان فصاحته غير معجزة وان الناس يتدرون على مثلها وعلى احسن منها .

ثم قال : « ثم لما نجمت آراء المعتزلة بعد ان اقبل جماعة من شياطينها على دراسة كتب الفلسفة مما وقع اليهم عن اليونان ، وغيرهم نبغت لهم شئون اخرى من الكلام فمزجوا بين تلك الفلسفة على كونها نظرا صرعا ، وبين الذين على كونه يقينا محضا وتغلغلوا

جلد وسجن ، لانه رفض أن يساير الخليفة
وزيره ، في الأخذ بهذه الدعوة ، أو حتى السكوت
عليها .

ويرى الراجعي في كتابه (الإعجاز) ان كتاب
الجاحظ اديب اسريه العظيم المتوفى سنة
٢٥٥ هـ وهو كتاب (نظم القرآن) هو اول ما
افرد (على ان اول كتاب وضع لتبرج الاعجاز هو
اعجاز امران لابي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي
المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، ويرى الراجعي ان هذه سلسلة
متصلة الحلقات فما بي الواسطي الا على ما قاله
الجاحظ ، وما جاء به عبد القاهر الجرجاني في
(دلائل الإعجاز) سوى بناء فوق ما أرساه
الواسطي . ثم جاء القاضي ابو بكر الباقلائي المتوفى
سنة ٤٠٣ هـ فوضع كتابه المشهور (اعجاز القرآن)
الذي اجمع المتأخرون على انه باب في الإعجاز على
حدة . ويأخذ الراجعي على الباقلائي انه لم يشر
فيه الى كتاب (الواسطي) كما لم يذكر معاصره
الخطيبى (المتوفى سنة ٢٨٨ هـ ، وان كان قد
جاء فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ وابن ابي
الاصبع المتوفى سنة ٦٥٤ هـ والزملكاني المتوفى سنة
٧٢٧ هـ وفي معجم الادباء ان لابي يزيد البلخي كتاب
(نظم القرآن) قال فيه ابو حيان التوحيدي نقلا عن
غيره لم ار كتابا في القرآن مثل كتاب ابي يزيد
البلخي .

جملة القول ان اعجاز القرآن كاد يكون علما قائما
براسه الى جانب التفسير ، ولا شك انه أفضى الى
علوم البلاغة العربية من البيان والبدیع ، ومهد لفقه
النثر والشعر ، وأعان على تذوق الأدب ، والوازنة
بين قول القائلين ، والتأمل في الالفاظ وعلاقتها
بالمعاني ، وقد باعد هذا آخر الامر بين الناس ،
وغيرتهم السليمة ، واصبح لما كان يجري على
السليقة ، قواعد ومبادئ ، تدرس وتحفظ ،
وتكتسب بالتلقين والمحكاة .

● ● ●
ولكن بقي ان نعرف كيف تكلم هؤلاء في اعجاز
القرآن ، ماذا انتهوا اليه . أحصى القرطبي في
تفسيره الجليل (الجامع لاحكام القرآن) وجوه
اعجاز القرآن الكريم فقال ما ننقله . رعوس الكلام
فيه مع قليل من شرحه ، لانه لا يخرج عما عرفه
الناس وسمعوه في اكثر من موضع قال :

وجوه اعجاز القرآن الكريم عشرة :
منها : النظم البديع المخالف لكل نظم مهود في
لسان العرب وفي غيرها ، لان نظمه ليس من نظم
الشعر في شيء .

ومنها الاسلوب المخالف لجميع اساليب العرب .
ومنها الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال ،
وتأمل في ذلك سورة « ق والقرآن المجيد » وقوله
سبحانه « والارض جميعا قبضته يوم القيامة ! الى
آخر السورة ، وكذلك قوله سبحانه « ولا تحسبن

لان يجروا معهم في حلقات التفلسف » وشاقهم أن
يكون لهم آثار في الأدب والفقه والتفسير ، مثل ما
كان لعلماء هذه الاجناس والملل ، فاختلط عليهم
الامر وخططوا الاسلام بالذنقة والايماص
بالزيف . ثم طابت لهم جلسات المناظرة ،
واستمتعوا بمجادلة الطلبة ، بالحجة ، ولو ضاعت
في هذه المعارك الاصول التي لا خلاف عليها ،
وإحفاق التي لا شبهة حولها .

ولما فتح باب القول في القرآن ، وكانت الفرق
التي نشأت أصلا سياسية ، أو تسترت بزي
الدين ، أو التي رأت فيها ذهب اليه اصحاب
المداهب ، ما يدعم دعواها السياسية أو يحقق
اغراضها الحزبية ، فشملت هذا المذهب الديني أو
ذلك بحمايتها ، وقربت علماءه ، وأفسحت صدر
السلطان لادبياته وشعرائه . فسمع لهم ضجيج
وعجيج ، وكثرت الاقاويل ، وتداخلت ، وأصبح
منها سخف ليس بعدها سخف ، تعجب ان يقول به
عاضل . قرأ القرآن وفهمه ، وواتاه الله بحظ غير
قليل من ذلقة اللسان ، وحسن البيان ، مع ورع
وزهد في بعض الاحيان لا تعرف كيف يجتمع مع هذا
الهزل البين ، والخلط الصراح .

فمن ذلك ما قاله بعضهم من أن معارضة القرآن
ممكنة ، وإذا كان الله تعالى قد قال فاتوا بسورة من
مثله قالوا : كل من قرا سورة من القرآن فقد أتى
بمثله ، لانه يتلوها كما هي في المصحف كلمة بكلمة
وسطرا بسطر . وقال بعض آخر ان في القرآن
سفها وكذبا وجنونا . . لان في الفاظ القرآن هذه
الالفاظ ينصها . ونحن بطبيعة الحال لن نتعقب هذه
الترهات لا بإيرادها حتى مجملتها ، ولا بالرد عليها ،
لان ذلك كله خارج عن نطاق بحثنا ، ولكن يجب ان
نشير الى ان واحدا من الآراء التي قيلت وراجت في
ذلك العهد ، هو القول بخلق القرآن ، وقد قال به
المعمره ونشأت من قولهم هذا فتنة في عهد المأمون
الخليفة العباسي الخامس ووزيره ووزير المعتصم
السوري احمد بن ابي داود (٢١٨ هـ) وقد
كانوا يبررون مذهبهم القائل بان القرآن مخلوق ،
بأنهم لا ييغون الا تنزيه الله سبحانه وتعالى عن
الشر ، والمحافظة على العقيدة التوحيد من كل
ثنائية ، لان القول بان القرآن قديم قدم الله
تعالى ، معناه وجود قديم الى جانب الاله الواحد
الاحد ، وهذا تنقيصة أو تعدد لا يتفق مع عقيدة
التوحيد وكانوا يقولون ان القرآن من حيث هو كلمات
وحروف واصوات ومداد ، هو مخلوق ، أو محدث ،
وان القرآن الذي نحكيه الان ، ليس هو ذات المحكى
عن الله سبحانه ، لان ما نحكيه هو صوت يصدر
عن جناسجرنا ، أو حروف تجري به لاقلام على
الأوراق ، بينما المحكى هو المعنى الذي أوحى به الله
الى رسوله ، فنقله الى العرب بلغتهم . ونحن نعلم
ان هذه الفتنة استفحل شرها ، وان بلاء كثيرا
أصاب المسلمين من ورائها ، وان الامام احمد بن
حنبل ، كان من أعظم من امتحن بهذا البلاء ، فقد

الله تعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

ثم قال القرطبي رحمه الله : فهذه عشرة أوجه ذكرها علماؤنا رحمة الله عليهم وأصاف ما قاله ابن عطية : وجه التحدى انما هو بنظيره وصيحة معانيه ، وتوالى فصاحة الفاظه ، ووجه إعجازه أن الله تعالى قد احاط بكل شيء علما ، واجاط بالكلام كله علما ، فعلم باحاطة أى لفظ تصلح أن تلى الأولى ، وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة أن بشرا لم يكن محيطا قط ، فبهذا جاء نظم القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة » .

وختم القرطبي رضى الله عنه كلامه بمقارنة بين فصاحة القرآن وفصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال :

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما أوتى من جوامع الكلم ، واختص به من غرائب الحكم ، إذا تأملت قوله صلى الله عليه وسلم فى صفة الجنات () ، وإن كان فى نهاية الاحسان ، وجدته منحطا عن رتبة القرآن ، وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : « فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ! فإين ذلك من قوله عز وجل : « وفيها ما تشتهيہ الانفس وتلذذ الأعين » . وقوله : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من سره أعين » . هذا اعدل وزنه واحسن تركيبا ، واغنى لفظا ، واقل حروفا ، على أنه لا يعتبر إلا فى مقدار سورة أو طول آية ، لأن الكلام كلما طال اتسع فيه مجال التصرف ، وضاق المجال على المتكلم » .

وقد أفرد جلال الدين السيوطى رحمه الله فى كتابه « الاتقان فى علوم القرآن » فصلا لأسباب إعجاز القرآن ، ننقله هنا موجزا عن « المختار من الاتقان » للاستاذ عامر بحيرى ، وهو فى جملة ما يعمد ما أورده القرطبي ، قال : « لما ثبت أن القرن معجزة نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، وجب الاهتمام بمعرفة وجه الإعجاز ، وقد خاض الناس كثيرا فى ذلك ، فبين محسن ومسيء » .

فزع قوم أن التحدى وقع بالكلام بالقديم الذى هو صفة الذات ، وأن العرب كلفت فى ذلك ما لا يطاق ، وبه وقع عجزها . ثم زعم النظام أن إعجازه بالصفة ، أى أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم ، وكان مقدورا لهم ، لكن عاقبتهم أمر خارجى ، فصار كسائر المعجزات . وقال قوم : وجه إعجازها فيه من الأخبار عن الغيوب المستقبلية ، ولم يكن ذلك من شأن العرب .

وقال آخرون : ما تضمنه من الأخبار عن قصص الأولين ، وسائر المتقدمين ، حكاية من شاهدها وحضرها » .

الله غافلا عما يعمل الظالمون ! إلى آخر السورة . قال ابن الحصار فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق ، علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح فى خطاب غيره ، ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول : لمن الملك اليوم ، ولا أن يقول « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » .

قال ابن الحصار : وهذه الثلاثة من النظم والأسلوب والجزالة ، لازمة كل سورة بل هى لازمة كل آية ، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر وبها وقع التحدى والتعجيز .

ومنها التعرف فى لسان العرب على وجه لا يستقل به عربى حتى يقع منه الاتفاق من جميعهم على أصابته فى وضع كل كلمة وحرف موضعه .

ومنها الأخبار عن الأمور التى تقدمت فى أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمى ما كان يتلو قبله من كتاب ، ولا يخطه بيمينه ، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها والقرون الخالية فى دهرها ، وذكر ما سألته أهل الكتاب عنه وتحذوه به من قصة أهل الكهف وشأن موسى والخضر عليهما السلام ، وحال ذى القرنين ، فجاءهم وهو أمى من أمة أمية ، ليس لها بذلك علم ، بما عرفوا من الكتب السالفة صحته ، فتحققوا صدقه .

ومنها الوفاء بالوعد ، المدرك بالحس فى العيان ، فى كل ما وعد الله سبحانه وينقسم إلى أخبار المملوكة ، كوعده بنصر رسوله عليه السلام ، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه ، وإلى وعد مقيد بشرط كقوله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » « أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » وشبه ذلك .

ومنها : الأخبار عن المعجزات فى المستقبل التى لا يطلع عليها إلا بالوحي فمن ذلك : ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » ففعل ذلك . وقال « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام أن شاء الله آمنين » وقال « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم » وقال : « ألم .. غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيقلبون ! فهذه كلها أخبار عن الغيوب التى لا يقف عليها إلا رب العالمين ، أو من أوقفه عليها رب العالمين » فدل على أن الله تعالى قد أوقف عليها رسوله لتكون دلالة على صدقه .

ومنها ما تضمنه القرآن من العلم الذى هو قوام جميع الأنام ، فى الحلال والحرام ، ومسائر الأحكام .

ومنها الحكم البالغة التى لم تجر العادة بأن تصدر فى كثرتها وشرعها من آدمى . ومنها التناسب فى جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف ، قال

الذي قطع عمره في تعلم ذلك . فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ، ويأتي به على نصه ، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب .

ثم أضاف السيوطي أنه اختلف في القدر المعجز من القرآن فذهب بعض المعتزلة إلى أنه متعلق بجميع القرآن ، وقيل يتعلق بسورة طويلة كانت أو قصيرة ، أو قدرها من الكلام ، بحيث يتبين فيه تفضل قوى البلاغة ، فإذا كان بآية بتدرج حروف سورة ، وإن كانت كسورة (الكوثر) فذلك معجز . وقال قوم : لا يحصل الاعجاز بآية بل يشترط الآيات الكثيرة وقال آخرون : يتعلق بقليل القرآن وكثيره .

ولم تعجب هذه الآراء كلها الأستاذ مصطفى الرافعي - رحمه الله - فقال في كتابه (اعجاز القرآن) :

أما الذي عندنا في وجه اعجاز القرآن وما حققناه بعد البحث ، وانتهينا إليه بالتأمل ونصمغ الآراء وإطاعة الفكر واضحا الروية ، وما استخرجناه من أسلوبيه ، ثم ما تعاطيناه لذلك من التظليل والمقابلة ، واستخدمنا الروح التاريخي ، في اوضاعه ، وأثاره ، وما نتج لنا من تتبع كلام البلاغة في أعراس التي يقصد إليها ، والجهات التي يعمل عليها ، وفي رد وجوه البلاغة إلى أسرار الوضع اللغوي التي مرجعها إلى الإبانة عن حياة المعنى بتركيب حتى من الالفاظ يطابق سنن الحياة في ذمة التأليف واحكام الوضع ، ومجال التصوير وشدة الملازمة حتى يكون أصغر شيء فيه كأكبر شيء فيه . نفوس ان ابدى ظهر لنا بعد ذلك ، واستقر معنا ، ان القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الاعجاز على اطلاقه ، حين ينفي الامكان بالعجز عن غير الممكن ، فهو امر لا تبلغ منه الفطرة الانسانية مبلغا وليس إلى ذلك مآتي ولا جهة ، وإنما هو اثر كفيره من الآثار الالهية يشاركها في اعجاز الصنعة وهيئة الوضع وينفرد عنها بأن له مادة من الالفاظ كأنها مفرغة افراغا من ذوب تلك المواد كلها ، وما نطن الا الصورة الروحية للانسان ، أيا كان الانسان في تركيبه هو الصورة الروحية للعالم . فقد قال الرافعي رحمه الله في آراء غيره في القرآن واعجازه « فكانوا فيها جميعا » يقول هذا الشاعر الظريف الذي يقول :

كاننا والماء من حواننا

قوم جلوس حولهم ماء »

واخشي أن نقول في رأي الرافعي نفسه ، بعد ان نهيا لإبدانه ، واستعان للوصول إليه والانتاع به ، بكل ما ذكره من الوسائل والادوات ، ما قتاله هو في رأي الآخرين . ولكن قد يحسن التريث والانتقاد حتى نأتي على رأيه كله في جملته وتنصيله . والحديث موصول بأذن الله .

وقال آخرون : ما تضمنته من الاخبار عن الضمائر ، من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل ، كقوله [اذ هبت طائفتان منكم ان تفشلا وقوله] ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول .

وتعال القاضي أبو بكر : وجه اعجازه ما فيه من النظم والتأليف والتصريف وأنه خارج عن جميع وجوه النظر المعتد في كلام العرب ، ومباين لأساليب حكايتهم

وقال الأمير فخر الدين : وجه الاعجاز . انيساحه . وغرابه الأسلوب ، وإسلامه من جميع العيوب .

وقال السكاكي : اعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامته الوزن تدرك ولا يحسن وصفها ، وكالملاحاة ، وكما يدرب طيب النغم العارض لهذا الصوت ، ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة الاباتقان على المعاني ، والبيان والتمهين فيها .

وسئل بندار الفارسي عن موضع الاعجاز من القرآن فقال : هذه مسألة فيها حيف على المعنى ، وذلك أنه شبيهه بقوله : ما موضع الانسان من الانسان . فليس للانسان موضع من الانسان ، بل متى اسرت إلى جملة فقد جعلته ، ودلت على ذاته ، كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء الا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاولة ، وهدي لقائله . وليس في كلامه ، وإسراره في كتابه ، فذلك باغراض الله في كلامه ، وإسراره في كتابه ، فذلك حاربت العقول ، وتاهت البصائر عنده .

وقال الخطابي : ولقد قلت في اعجاز القرآن وجهها ذهب عنه الناس ، وهو صنيعه في القلوب ، وتأثيره في النفوس . فأنك لا تسمع كلاما غير القرآن منطوقا ولا منثورا ، اذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة أو المهابة في حال آخر ، ما يخلص منه إليه . وقال الزركشي في البرهان : التحقيق على أن الاعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال ، لا بكل واحد على انفراده .

وقال القاضي عياض في الشفاء : اعلم أن القرآن منطوي على وجوه من الاعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في أربعة وجوه .

١ - حسن تأليفه والتأمام حكمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة .

٢ - صورة نظمه العجيب ، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ، ومنها نظمها ونثرها .

٣ - ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات ، وما لم يكن فوجد كما ورد .

٤ - ما أنبا به من أخبار القرون السالفة ، والامم البادية والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من الاخبار أهل الكتاب ،



ولقد أنبا القرآن الكريم في كثير من آياته بأن للناس مآلا ينتهون إليه بعد حياتهم الأولى ، إذ يبعثهم الله تعالى ويحاسبهم ويجزئهم على ما قدموا في دنياهم من خير ومن شر جزاء عادلا وفاقا ، فالذين آمنوا واتقوا وعملوا صالحا مثواهم الجنة ، والذين كفروا وكذبوا وعملوا سيئا مثواهم النار .

وان التفكير السديد الرشيد ليصدق هذا النبا الالهى الكريم ، ويطمئن اليه ، ويؤكد ويؤيده ، ويرى أن هذه الحياة القصيرة التي نعيشها ليست الا مقدمة لحياة أخرى خالدة [١] .

ولهذا الاقناء نذير هو النفخة الأولى في الصور ، يعقبها فناء سريع ذريع شامل لا يبقى ولا يذر .

قال تعالى : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله » .

وقال سبحانه : « فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الأرض والجال فكتنا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ، سورة الحاقة » .

— يا لهول هذا الاقناء ! —

ان يزلزل الكون كله ، سماءه وأرضه ، وانسانه وحيوانه ، وجماده ونباته ، يزلزله زلزلة لا تبقى ولا تذر .

فالشمس الواجبة تفتنى ، والنجوم المتلألئة تمحى ، والجال الراسية تزول ، ووسائل الانتاج تهمل وتعمل ، والوحوش على تعدد أنواعها تجمع ، ويوج بعضها في بعض .

ثم يلى ذلك شيء آخر متصل بالبعث هو جمع الناس المتناظرين في الصلاح والمتناظرين في الفساد ، وتهديد الوائدين للبنات ووعيدهم واعطاء كل انسان صحيفته بيمينه أو بيسراه ، وكشف السماء ، وايقاد النار ، وتقريب الجنة .

أسماء يوم القيامة في القرآن الكريم

أهوال الإقناء

هذه القيامة التي تعددت أسماؤها في القرآن الكريم لابد أن يسبقها اقناء العالم وتدميرته تمهيدا لخلقه من جديد ولبعثه من جديد ، كما يتبين من آيات كثيرة . وإذا كان للإيمان بالله تعالى أساس وطيد يقوم عليه هو أن يوقن الانسان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن يؤمن بأن الله يرا الكون كله على أيدع مثال ، ومنح الحياة كل حي ، ودبر شئون مخلوقاته كلها تدبيرا يبهر الفكر ، ويخلب العقل ، ويشده العلم ، فإن من دعائم هذا الأساس أن يؤمن الانسان بأن الله سبحانه وتعالى هو القدير على اقناء العالم ، والقدير على بعث الموتى من قبورهم واحيائهم وحسابهم .

الدكتور أحمد الوفي

وحيث يعلم كل انسان ما عمل في حياته ويمثل له عمله ويراه حاضرا .

قال سبحانه وتعالى : « اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدت ، واذا الجبال سيرت ، واذا العشار عطلت ، واذا الوحوش حشرت ، واذا البحار سجرت ، واذا النفوس زوجت ، واذا الموعودة سئلت باى ذنب قتلت ، واذا الصحف نشرت ، واذا السماء كسطت ، واذا الجحيم سعرت ، واذا الجنة ازلفت ، علمت نفس ما احضرت » [٢] .

فهذه الاحداث الاثنا عشر تقع من النفخة الاولى الى نهاية الحساب واعلان الجزاء .

وقال تعالى : « اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت ، واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت ، علمت نفس ما قدمت واخرت » [٣] .

وقال سبحانه : « اذا السماء انشقت ، واذنت لربها وحقت ، واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت ، واذنت لربها وحقت ، يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » [٤] .

وقال تعالى : « اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، اذا رجت الارض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا » [٥] .

وقال سبحانه : « يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن : ولا يسال حميم حميما » [٦] .

وهكذا تتردد في كتاب الله تعالى احداث ما بعد النفخة الاولى مثل قوله عز وجل : « فاذا النجوم طمست ، واذا السماء فرجت ، واذا الجبال نسفت ، واذا الرسل اقتت ، لاي يوم اجلت ، ليوم الفصل ، وما ادرك ما يوم الفصل ، ويل يومئذ للمكذبين » [٧] .

وقال سبحانه : « ويوم نسير الجبال ، وتري الارض بارزة ، وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا . وعرضوا على ربك صففا ، لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة ، بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا » [٨] .

وقوله تعالى : « ويسالونك عن الجبال فقل : ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا » [٩] .

البحث متصل

(١) ما بين الحياتين اسمها الحياة البرزخية قال تعالى « حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعوني لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » سورة المؤمنون ٩٩ - ١٠٠ . اى انهم يسالون الرجعية في حالات الاحتضار والشوش والمرض على الجبار والعرض على القار يريدون العمل الصالح ولكن هذه أمنية لا تتحقق ولا تستجاب - والبرزخ هو الحاجز ما بين الدنيا والاخرة او المبر ، ومعنى هذا : انهم بعد موتهم مقيمون الى يوم البعث وامامهم هذا الحال الذي يحول بينهم وبين الرجعة او بينهم وبين اهل الاخرة .

(٢) سورة التكوين ١ - ١٤ - كورت : جمع بعضها الى بعض ثم لفت فرمى بها غزلت وذهبت ضوؤها . انكدت : تناثرت وانقضت . الوحوش حشرت : اختلطت وجمعت العشار عطلت : سمرت نارا تتاجج او غاص ماؤها فذهب فلم يبق منه قطرة او فاضت . النفوس زوجت : جمع كل انسان الى نظيره في السلاح والذواب او في الفساد والعقاب . الموعودة : هي التي كان بعض الجاهليين ينسونها في التراب كراهية لها فتسأل يوم القيامة عن ذلك . والفرض من هذا تهديد الوائد ووعيده . الصحف نشرت : اعطى كل انسان صحيفته اعماله بيناه او ييسراه . السماء كسطت : كشفت وازيلت . سعرت : احميت واوقدت نارا . ازلفت : قربت لاهلها . ما احضرت : ما عملت مثل قوله تعالى : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا » سورة آل عمران سوقوله سبحانه وتعالى « ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر » سورة القيامة .

(٣) الانفطار ١ - ٥ انفطرت : انشقت : تساقطت . فجرت : فجر الله بعضها في بعض فاختلط عذبا بالحقا . بعثرت : تبعثرت فخرج من فيها .

(٤) سورة الانشقاق ١ - ١٦ انشقت : انشقت بالقيام وانشقت من المجرة : اذنت لربها : انقادت لله وأطاعته وخضعت لما يريده من الانشاق . حقت : كان عليها أن تنقاد ولا تمتنع . مدت : ازيلت جبالها واکامها وبسطت ووسعت . القت ما فيها : رمت بما في جوفها من موتى وكنوز . كادح : مسرع الى الموت والى لقاء ما بعده .

(٥) - سورة الواقعة ١ - ٦ . الواقعة القيامة . رجت ، حركت وزلزلت واضطربت . بست ، غثت حتى تصير كالسويق . هباء منبثا ، متفرقا مثل وهج القبار .

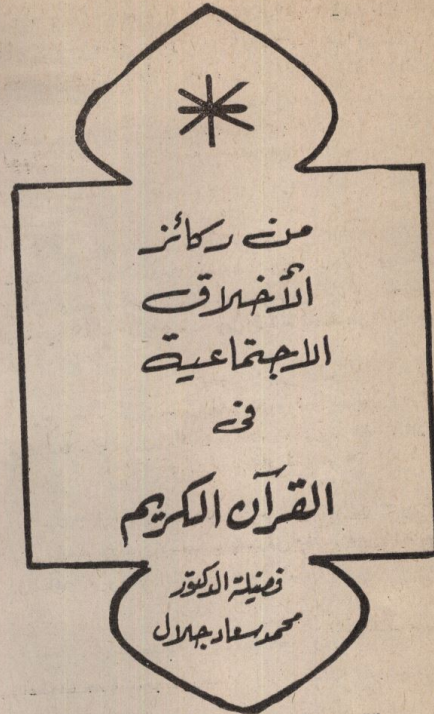
(٦) سورة المعارج ٨ - ١٠ المهل : ددرى الزيت . العين : الصوف الثقوش . اقتت : جمعت

(٧) سورة المرسلات ٨ - ١٥ طمست : محيت وذهب ضوؤها . فرجت : انشقت نسفت : زالت وامحت . اقتت : جمعت للشهادة على أمهم .

(٨) - سورة الكهف ٤٧ - ٤٨ بارزة : بادية ظاهرة ليس فيها حجر ولا بناء ولا شجر ولا معلم من المعالم بل الخلق لهم ظاهرون لا تخفى منهم خافية . لقد جئتمونا : ترفع لتكرى البيوت وتوبيخ لهم .

(٩) - سورة طه ١٠٧ ينسفها : يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها . فيذرها : فيترك أماكنها .

الإمت : الفتوة اليسير الصغير . الصفصف : المستوى من الأرض .



هذه الميزات الدنيوية التي تدفع أصحابها إلى الاعتزاز والمفاخرة، وأزدياء المحرومين منها، بل العدوان عليهم في أنفسهم، وفي حقوقهم المدنية والانسانية فيقع بسبب ظهورها في الأمة، الظلم والتباغض، والتقاتل الذريع والشحناء العاصفة المدمرة التي لا يرأب صدعها - لما انتهى القرآن لذكر هذه القارعة الحاطمة «الطبقية» والعنصرية - أعلن اسقاطها لاعماق العدم . وإلى الابد . بهذا الذداء العالى الصارخ المدوى على مسار التاريخ « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى : الآية ليقطع السبيل على كل قتال وخصومة بين الناس أفرادا ، وأما ليحقق بهذا الذداء اذا استجابت له الأمم واسترشدت بهديه ، سلام العالم مبتدأ من سلام القرية الصغيرة إلى السلام بين الأمم جميعا .

٢ - وكما قلنا لكم فليس من المتعين أن يكون لنزول الآية سبب واحد كما يظن ذلك بعض المفسرين ، ولكن الداعى المناسب لنزول الآية قد يكون ظاهرة اجتماعية تتمثل في أكثر من حادثة واحدة ، وذلك ما تجلّى بالقياس لهذه الآية الفذة التي تعنى مبدأ اجتماعيا وأخلاقيا ربما كان أعظم المبادئ الاجتماعية والإخلاقية على الإطلاق المحققة للسلام بين الأفراد ، وبين الأمم ومن أجل ذلك نسوق اليكم جملة ما ساقه المفسرون سببا لنزول الآية ، لتكتشفوا من خلال عرضة الصورة الاجتماعية للمجتمع المثالى التي قصدت الآية أن تنزل لخطابه بحكمها وحكمتها .

السبب الاول : قال ابن عباس نزلت الآية في « ثابت ابن قيس بن شماس » : كان حريصا على أن يجلس الى جانب الرسول في مجلسه ليستمع منه ، لانه كان يعانى ثقلا بأذنيه ، وكان الصحابة يعلمون ذلك فيفسحون لمجلسه الى جنب الرسول ، فأتى ذات مرة المجلس متأخرا ، وقد اتخذ كل واحد من الصحابة مكانه وعض عليه فلا يقبل أن يتحرك عنه فابتغى - شماس - قرب مجلسه من الرسول - كعادته وهم بأحد الجالسين طالبا منه أن يتفصح له فرفض الرجل ، وأشار له بأن يجلس حيث وجد من المكان ، فجلس ثابت مخضبا ، وقال : من هذا فقالوا « فلان » فقال « ابن فلانة » يعيره بأمه التي كانت في الجاهلية فاستحيا الرجل . فقال النهي عليه السلام - لما سمع من الذاكر فلانة ؟ قال « ثابت » أنا يا رسول الله - فقال عليه السلام - أنظر في وجوه القوم فنظر . فقال : ما رأيت . فقال ثابت رأيت أبيض . وأسود . وأحمر . فقال - عليه السلام - « فأنك لا تفضلهم الا بالتقوى فنزلت » .

٣ - سبب النزول الثانى أن الآية نزلت في قصة « أبى هند » : روى أبو داود عن الزهري قال : أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « بنى بياضة » - وكانوا من أشرف العرب - أن يزوجوا أبى هند امرأة

قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .

١ - أربط الآيات ببعضها وسأوق بين معانيها في هذا الجزء من السورة فسرى أن القرآن صب اهتمامه الاعظم بإيجاب الصلح على المؤمنين اذا اقتتل منهم فقتان ثم نيه بعد ذلك على الصفات الاجتماعية المفقودة كالسخرية بالأشخاص واللمز ، والتنايز بالالقباب ، وسوء الظن والتجسس التي من شأن وقوعها فيهم إثارة الضغائن والخصومات بينهم ، فكر عليها جميعا . بالتحريم المقاطع ، والتقييع الصادع ، حتى انتهى في هذه الآية إلى قمة الصفات الفوائى ، الاشد من سواها . صدعا لكيان المجتمع ، وإثارة لاسباب التقاتل والمنازعة بين أفراد ، الا وهى جريمة « الطبقية » والعنصرية وشعور بعض الانبياء باستغلالهم على بعض ، بأسباب علو النسب ، أو كثرة المال : أو زيادة الجمال ، أو عظم الجاه والسلطان .

أما البشر الادميون : فقد نصت الآية على أن خالقهم واحد هو الله تعالى وأن معدنهم واحد هو معدن آدم . وحواء . يثقى وجردهم نأنى تصح دعوى التفاضل بينهم . الا أن يكون ذلك بالصفات المكتسبة . ذلك ما سنعرضه للنظر فيه .

٥ - أثبتنا فى الفقرة السابقة - حكم العقل والشرع بامتناع التفاضل الجنبى بين أبناء آدم وحواء المخلوقين بصنعة صانع واحد . أن التفاضل بينهم دائما يكون بالصفات المعارضة . منها ما يصح أن يكون سببا لتفضيل مكتسب شرعا وعقلا ومنها ما لا يصلح لذلك وإن رسخ فى نفوس البشر التفاضل والتفاخر به .

وذلك فيما نرى - أربعة أشياء : النسب . المال . والسلطان . والجمال : وأقواها فى نفوس الناس مدعاة للشموخ والمفاخرة « النسب » فهو أعلى من المال والسلطان والجمال . لأن المال . والسلطان يمكن زوالهما ويمكن تحصيلهما لمن يفقدهما بالسعى والعمل . وأما الجمال فليس من أسباب التفاضل المطردة فتأخرت رتبته وأما النسب الرغيع فيعجز فاقده عى تحصيله بالسعى اليه والعمل له : فكان أصعب هذه العوامل مثلا وكان لذلك أشدها تمكينا لما لك من الفخر به والاستعلاء على الغير بسببه .

ولما كان التفاضل بالنسب هو الأقوى عنصرا واستعمالا فقد بادر القرآن لابطاله . فيبطل تبعاً لابطاله ما هو أقل منه شأنًا واستعمالا من العوامل الثلاثة المذكورة . فكانما قال « انا خلقناكم جميعا من ذكر وانثى فلا تفتخروا » ولا تستعجلوا على بعض بأسابكم فهذا نسبكم المستقر الجامع بينكم .

لا يقال أن المال والسلطان . والجمال « عملات » رائجة فى سوق الدنيا تكسب أصحابها من النفع ما هو ملحوظ . بعكس النسب فهو عملة قاصرة . فهى أعلى منه . لانا نقول : كلا فقد رسخ فى أوهام البشر بالاستقراء أن النسب أعظم « عملات » الفخر والاستعلاء . بين الناس .

٦ « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » : يقسم العرب فى لغاتهم الجماعات البشرية الى أقسام : الى شعوب . وقبائل . وبطون . وأقحاد . وفصائل . وكل قسم أعلى فهو أكثر عددا مما يليه .

والمفسرون يظنون « أن الله جعل البشرية كذلك جعلنا مباشرة » كما يجعل المعدن آتية بالفعل المباشر - ولكن هذا الجعل فيما يظهر لنا . جعل ارادى متعلق بالإرادة التكوينية . اقتضاه تكوين الكون على الوضع

منهم - وكان أبو هند رجلا حلاقا من طبقة « الموالى » - فقالوا لرسول الله . « تزوج بناتنا موالينا » ؟ .. يعنون رفضهم لتزويج « أبى هند » واحدة منهم . لنزول طبقته عن طبقتهم .

السبب الثالث : لما كان يوم فتح مكة أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - « بلالا » حتى علا ظهر الكعبة . فاذن فقال « عتاب بن أسيد بن أبى العيص » الحمد لله الذى قبض أبى حتى لا يرى هذا اليوم .

وقال « الحارث بن هشام » « ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا » فأتى جبريل النبى - صلى الله عليه وسلم - وأخبره بما قالوا . فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا . فأنزل الله هذه الآية .

وانا لنلاحظ فى هذه الاسباب التى سقناها . حيث هى حوادث اجتماعية شدة العنف فى الإيمان الطبقى والعنصرى الذى كان يسيطر على قلوب أولئك العرب الذين جاء الاسلام لينزع من أعماقهم هذه المخازى الانسانية حتى الذين دخلوا فى الاسلام منهم - لم يتلقوا عقيدة المساواة التى بشر بها الاسلام وجعلها من أركان بنائه الاجتماعى بأذعان قاطع .

نعود لشرح مادة الآية .

٤ - « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى » -

خطاب عام لجميع البشر على اختلاف أجناسهم . والوانهم والسننهم . وأماكنهم بأنهم مخلوقون أجمع من ذكر وانثى : هما آدم وحواء . فأصلهم واحد . ونسبهم واحد . ومعدتهم واحد . وهم شركاء فى خصائص هذا الخلق من كمال . ونقص . وعلو . أو نزول . بأصل الحيلة . والتكوين فلا يجوز لهم عقلا . أن يفخر بعضهم على بعض . ولا أن يعلو بعضهم على بعض . ولا أن يدعى واحد منهم نسبا أعلى من نسب الآخر . لأن مزية الانساب الرفيعة بالعوارض المكتسبة . وجوهر الانتساب واحد .

قد أبطل النص اعتبار هذه المعانى كلها بقوله « انا خلقناكم من ذكر وانثى » ذلك أن التفاضل بين الاشياء يكون بسببين .

أن يكون أحد الشئيين نفس معدنا من الآخر . كما يقول : خاتم الذهب . أفضل من خاتم النحاس لأن الذهب معدن أفضل من النحاس أفصح التفاضل بينهما أو يكون ذلك راجعا الى صانع الشئ نفسه . كما تقول : هذا « التمثال » من عمل « ميكائيل » أنجلو » . وهذا التمثال الآخر من عمل « مختار » فيصح أن يكون أحدهما أفضل من الآخر . استنادا لأفضلية صانعه (١٠:٥:١٠)

الذى هو قائم به الآن ، فهو أثر من آثار التنظيم الكلى للكون، المجهول لله ابتداء .

وتصنيف البشرية فى شعوب وقبائل ، وغير ذلك ، لا يجوز أن يؤدى بين الادييين ، الى الاختلاف والتناكر . واشتداد العصبية بينهم . الناشئ عن هذا التقسيم المفروض عليهم بحكم التكوين الكلى للعالم ، ولكن يتعين أن يكون سبيلا للتعارف ، والتألف ، وحسن الثقيل ، والتفاهم بين الاجناس والاشخاص ، وذلك بتفهم صريح ، وصحيح ، لاهداف الوجود الانسانى ، والغرض من بقاءه واجتماعه ، يبنى - هذا التفهم الصريح ، الصحيح ، على بنى الانسان ادراك مسئوليتهم العتيدة فى العمل المفروض عليهم لتحقيق العدل والسلام ، واجتناب فجيرة التخريب لصرح الكيان الاساسى ، بالخصائص ، والحروب ، ومن ثم فـ « اللام » فى قوله « لتعارفوا » هى لاعادة حكم المال ، والعاقبة ، ونيسست لـ « التعليل » كما يقول المفسرون اذ لا يصح بحسب الظاهر أن يكون تقسيم الناس اقسامها « علة » لتعارفهم « لان الانقسام ليس من شأنه أن يؤدى الى التعارف - لا التناكر » .

٧ - « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » - بينا فى الفقرات السابقة أن الناس متساوون فى المعدن وأصل الخلقة ، ويمتنع التفاضل بينهم من هذه الجهة ، فلم يبق من أسباب التفاضل والتمييز بينهم الا التفاضل بالصفات العارضة على الاصل المكتسبة بالعمل كالغنى والسلطة والعلم والتقوى وغير المكتسبة كالنسب والجمال .

كما بينا أن التمييز والمباهاة بهذه الصفات غير العلم والتقوى قد أبطله القرآن : ولماذا لا لان اثبات مشروعية التفاضل بين الناس بهذه الصفات الدنيوية المحضة يسوق المجتمعات الانسانية الى الشرور ، والمنازعات وسفك الدماء من حيث تزين هذه الصفات لاصحابها فى اعم الاغلب الاستكبار والعدوان على المحرومين منهما من بنى جنسهم واغتصاب حقوقهم المادية والانسانية ، بما يناقض الفطرة والحق .

واذا كانت الصفات العارضة ، الباغية على اقسام المجتمعات البشرية ، واخراجها على السواء ، والفطرة مرفوضة الاعتبار فى التمييز ، والتفاضل على الغير باحرازها . فذلك ارماس من الشرع بأن ما كان مكتسبا من الصفات وكان خادما لصلاح المجتمع ، وتحقيق سوائيته . وفطرته تعين أن يكون موضعاً للتمييز والتفضيل وارتفاع درجة صاحبه على غيره .

لماذا ؟ لان ما اكتملت به الانسانية فى صورتها الافضل لزم أن يكون بذاته كاملاً تشرع به الافضية لصاحبه .

٨ - « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » : قلنا أن الصفات التى يعتبر وجودها فى المتصف بها تكميل لبناء الانسانية فى الترقى لمستواها الارتفاع الذى يتحقق عنده سلام الناس وأمنهم ورغد معيشتهم هى التى يصح بها التفاضل بينهم كالعلم والرحمة والاحسان والعدل .

أما التقوى فانها اسم جامع لكل صفات الخير والحق فى الاعتقاد ، والعمل . فأساسها يقين المعرفة بالله وصدق الادعان بهذا اليقين . ومظهرها الانبعاث المطبق لعمل الخير واقامة الحق فى الناس فكل علم ، وكل حق وكل خير واحسان فهو صفة المتقين فاعظم صفات بناء صرح الانسانية وتقريب المجتمعات البشرية من بلوغ كمالها المطلوب لالهت سعيها ، انما هو فضيلة التقوى ، ذلك لان آثار التقوى - كما ترى - راجعة لخدمة الانسانية - فالكرم والتفاضل بها خير محض لان الزيادة فى المتنافسين فيها زيادة فى الخير العام .

أما الصفات الاخرى فمرددا زيادة الاثرة ، والانانية ، للمتصفين بها ، فهى شر يمود أثره على المجموع ويعوق من مسيرة كمال الانسان فامتنع عقلا وشرعا إمكان التناقص فى مجالها وامتنع صحة التفاضل بين الناس بها .



من أخلاق القرآن

التقدير

الدكتور
أحمد الشرباصي

ما يتعلق به ، ويهيئ له في نفسه ما يناسبه ، فذلك هو التقدير .

ونقول : قدر الله الأمور تقديرا ، أي دبرها ، أو أراد وقوعها بحسب تدبيره ومشيئته ، وجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما تقتضي الحكمة .

ومما يسمو بمكانة صفة « التقدير » أن الله تبارك وتعالى وصف ذاته القدسية بها ، وأشرف الأسماء والصفات ما كانت منسوبة إلى الله جل جلاله ، ومن فضله على عباده أن زانهم بطائفة من الصفات جاءت أسماؤها كأسماء طائفة من أسماء الله الحسنى ، وإن كانت معاني هذه الصفات بالنسبة إلى الله سبحانه تختلف اختلافا جوهريا عن صفات العباد ، كما يختلف الخالق عن المخلوق : « ليس كمثل شيء وهو السميع البصير » .

إن القرآن الكريم يقول في سورة الأعلى : « والذي قدر فهدى » أي أعطى الله كل شيء ما فيه مصلحته ، ووجه كل مخلوق إلى ما ينبغي له ، وهداية لما فيه خلاصه ، أما بالتسخير وأما بالتعليم ، كما قال : « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

التقدير في الأصل معرفة قدر الشيء وكميته ، وتقدير الأمر هو التمهّل فيه والتروى في إنجازته ، وفي مادة « التقدير » معنى الأحكام والانتقان ، كما يقول القرآن الكريم في سورة سبا : « إن أعمل سابقات وقدر في السرد » ، أي أحكم صنعتك في نسج الدروع . وفي المادة أيضا معنى الشرف والعلو في المكانة ، ولعل هذا بعض السر في تسمية القرآن ليلة نزوله العظيمة باسم ليلة القدر : « وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر » .

والتقدير من الإنسان على وجهين : أحدهما التفكير في الأمر بحسب العقل وبناء الأمر عليه ، وذلك أمر محمود ، وهو قريب من المعنى الأخلاقي الذي نريده ، حين نقول أن « التقدير » خلق من أخلاق القرآن الكريم ، وفضيلة من فضائل الإسلام العظيم ، وجانب من هدى الرسول عليه الصلاة والسلام .

والوجه الثاني أن يكون التقدير بحسب التبنّي والشهوة ، وذلك مذموم ، كقول القرآن في سورة المدثر : « أنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر » .

وقد قيل : إن التقدير يعقب التفكير ، لأن الإنسان ينظر في الأمر ويفكر فيه ويتدبره ، ثم يرتب في نفسه

□ آية □

ويقول التنزيل المجيد في سورة الرعد : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ، وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار » أى كل شيء عنده بقدر وحد لا يجاوز ولا ينقص عنه ، كقوله : « أنا كل شيء خلقناه بقدر » وقوله في الفرقان : « وخلق كل شيء فقدره تقديرا » أى دبر الأمور ، أو جعل كل شيء ينهج منهجا صالحا له في الحياة .

ويحتمل أن يكون المراد من قوله : « وكل شيء عنده بمقدار » أنه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفية على الوجه الفصل البين ، ويحتمل أن يكون المراد أن الله تعالى خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمشيئته الأزلية وإرادته السردية .

ويقول القرآن الحكيم في سورة يونس : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون » .

وهذه الآية الكريمة تتضمن الإشارة إلى مكانة التقدير في الأمور والتدبير للأشياء ، ولعل هذا يتضح لنا من عبارة الفخر الرازى حين يقول : « اعلم أن انتفاع الخلق بضوء الشمس ونور القمر عظيم ، فالشمس سلطان النهار ، والقمر سلطان الليل ، وبحركة الشمس تنفصل السنة إلى الفصول الأربعة ، وبالحركة القمر تحصل الشهور ، وباختلاف حاله في زيادة الضوء ونقصانه تختلف أحوال رطوبات هذا العالم وبسبب الحركة اليومية يحصل النهار والليل ، فالنهار يكون زمانا للتكسب والطلب ، والليل يكون زمانا للراحة ، وقد استقصينا منافع الشمس والقمر في تفسير الآيات اللاحقة بها فيما سلف ، وكل ذلك يدل على كثرة رحمة الله على الخلق وعظيم عنايته بهم .

فإننا قد دللنا على أن الأجسام متساوية ، ومتى كان كذلك كان اختصاص كل جسم بشكلة المعين ووضع المعين وحيزه المعين وصفته المعينة ، ليس إلا بتدبير مدبر حكيم رحيم ، قادر قاهر ، وذلك يدل على أن جميع المنافع الحاصلة في هذا العالم ، بسبب حركات الأفلاك ومسير الشمس والقمر والكواكب ، ما حصل إلا بتدبير المدبر المقدر الرحيم الحكيم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

ثم إنه تعالى لما قرر هذه الدلائل ختبتها بقوله : « ما خلق الله ذلك إلا بالحق » ومعناه أنه تعالى خلقه على وفق الحكمة ومطابقة المصلحة ، ونظيره قوله تعالى في آل عمران : « ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه » وقال في سورة أخرى : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا » . سورة ص ١٠١

وتقدير الله لمنازل القمر معناه أنه حدد سيره في منازل معينة ، بنظام معين ، ومواقف معينة ، يعلم ولحكمة ورحمة . ومن هذا يتعلم الإنسان العاقل أنه ينبغي له أن يتصرف في أموره المختلفة بتدبير وتقدير . وأن يصاحب التمثل والآناء ، حتى تثمر له فضيلة التقدير الخير الكثير في دينه ودنياه .

ويقول التنزيل المجيد في سورة الانعام : « فالحق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم » . واسم « العزيز » إشارة إلى كمال قدرته ، واسم « العليم » إشارة إلى كمال علمه . ولا شك أن تقدير أجرام الأفلاك بصفات المخصوصة وهيئاتها المحددة وحركاتها المقطرة بالمقادير المخصوصة في البطء والسرعة ، لا يمكن تحصيله إلا بقدرة كاملة متعلقة بجميع الممكنات ، وعلم نافذ في جميع المعلومات من الكليات ، والجزئيات .

فقوله : « ذلك تقدير العزيز العليم » يفيد أن ذلك الخلق المحكم مع ذلك التنسيق المتقن هو تقدير الله الخالق الذى وضع المقادير والأنظمة مما ارتضاه عليه الواسع ، فهو الفاعل لما يشاء ، على قدر ما تقتضى الحكمة ، لا زائدة عليه ، ولا ناقصة عنه : « فقدرنا فنعم القادرون » .

ويقول القرآن في سورة الحجر : « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » أى يصرف المخزون في خزائنه - كالمطر - إلى من يشاء حيث شاء . كما شاء ، في وقت مقدر ، في حين معين ، بصفات معينة : « قد جعل الله لكل شيء قدرا » .

وإذا كان الله جل جلاله قد وصف ذاته بالتقدير المقرون بالعلم والحكمة والرحمة والقدرة ، فإنه من فضله يعلم عباده ويدعوهم إلى فضيلة التقدير في مواطنها المناسبة ، فهو مثلا يدعو عباده إلى التقدير في الانفاق ، فيقول في سورة الأسراء : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ، أن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا » .

أى لا تجعل يدك كالمغلولة فهي تمسك عن الانفاق وتبخل به ، ولا تتوسع في الانفاق توسعا مفرطا ، بل سر في ذلك بتدبير وتقدير : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

• • •

والرسول صلى الله عليه وسلم يوجه أتباعه إلى فضيلة « التقدير » وهي القائمة على التبين والتجمل ، وعلى الحكمة والروية ، وعلى الاتقان والاحكام ،

❖ ❖ ❖

المسرع ، وأن مهبطك بها - لا محالة - على جنة أو
على نار .

فارتد لنفسك بل نزولك . ووطئ المنزل قبل
حلولك ، فليس بعد الموت مستعجب ، ولا إلى الدنيا
منصرف .

ما أروعها من كلمات عميقة دقيقة ، تصور فضيلة
التقدير كأنها الحلية الأساسية النفيسة للعقلاء . وما
أشد حاجة الناس إلى هذه الفضيلة النادرة . أن
الناس محتاجون إلى التقدير في التفكير ، حتى لا
يجمع بهم جامع من الحق أو الطيش أو سوء
النظر .

وما أشد حاجة الناس إلى التقدير في التعبير ،
حتى يجعلوا لسانهم من وراء عقولهم ، لأن يجعلوا
عقولهم خلف لسانهم . ولو لزموا التقدير في القول
والمنطق لما نددت عن أفواههم كلمات فيها ما هو أشد
من العورات ، ولما صدرت عن لسانهم جراح أنكى من
أصابة السلاح .

وما أشد حاجة الناس إلى التقدير في المعاملة ،
حتى يكون سلوكهم نقيا صافيا ، لا يؤذون ولا
يتطاولون ، ولا يحملون الناس على الضيق بهم
والفرار منهم .

وما أشد حاجة الناس إلى التقدير في الأكل
والشرب والثياب واللهو ، حتى لا يصيبهم وبس
الجموح والإسراف ، فيكونوا داعية الخراب
والدمار : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

ولله در القائل :

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها
فمن علا شرفا عن غرة زلجا

وقول الآخر :

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

اللهم أنا نسالك - وانت القادر - أن تهبنا
نعمة التقدير والتدبير : أنك على كل شيء قدير .

وعلى المسير قسى الحياة بساعتدال وتدبر
فيقول : « سيددوا وقاربوا » . ويقول - فيما يروى
الترمذي - : « الأناة من الله ، والعجلة من
الشیطان » . ويقول - فيما يروى أبو داود : « القودة
في كل شيء خير ، إلا في عمل الآخرة » .

ويقول أبو الدرداء : « حسن التقدير في المعيشة
أفضل من نصف الكسب » .

وقال خالد بن صفوان : « لا تطلبوا الحوائج في
غير حينها ، ولا تطلبوها إلى غير أهلها ، ولا تطلبوا
ما لستم له بأهل ، فتكونوا للمنع خلقاء » . ولا
يستطيع أن ينتفع بهذه النصيحة على وجهها إلا من
تحلى بفضيلة « التقدير » المستضيئة بعمق التفكير
وحسن التدبير .

وقال حكيم لابنه : « اجعل لاقتصادك سلطة على
اغرائك ، فأنك إذا قدرت الأمور على ذلك ، وزنتها
بميزان الحكمة ، وقومتها تقويم الثقف ، ولم تجعل
للندامة سلطانا على الحلم » .

ومن أجمل ما قرأت في الحث على فضيلة التقدير
للأمور ، والنظر إلى العواقب ، والموازنة بين الأشباه
والنظائر ، والتفت إلى مختلف جوانب الأمور ما
أوصى به أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله
عنه ابنه الحسن في وصيته المشهورة التي كتبها إليه
وهو منصرف من بلدة « حاضرين » ناحية صفين ،
حيث يقول له منها :

« وأعلم أن أمامك طريقا ذات مسافة بعيدة ،
ومشقة شديدة ، وأنه لا غنى لك فيه عن حسن
الارتداد . وقدر بلاغك من الزاد ، مع خفة الظهر ، فلا
تحمّل على ظهرك فوق طاقتك ، فيكون ثقل ذلك وبالا
عليك .

وإذا وجدت من أمل الفاقة (الفقر) من يحمل لك
زادك إلى يوم القيامة ، فبوافيك به غدا ، حيث تحتاج
إليه ، فاغتنمه وحمله إياه ، وأكثر من تزويده وأنت
قادر ، فلعلك تطلبه فلا تجده ، واغتنم من استقرضك
في حالة غناك ، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك .

وأعلم أن أمامك عقابة كثودا « صعبة » المخف فيها
أحسن حالا من المقل ، واليطيء عليها أقبح حالا من



الفاتحة

معجزة القرآن

فحة حقيقة المعرفة
والوجود والمصير

سبق في الاطار الذي تقدم
بين يدى اجتهادنا معا فسي
تفسير فاتحة الكتاب ، ان علمنا
ان اسمه تعالى الرحمن ، لا
يجوز ان يكون الا لله لان اسمه
تعالى الرحمن من أسماء الذات
الالهية .

وقد كان من لطف الله
بعباده ، ان علمهم كيف يكونون
رحماء بينهم ، فاذا اسمه تعالى
الرحمن ، من أسمائه التي
يجوز اذا جردت من ألف لام
التعريف ، ان تطلق على الناس
بإذن الله ، تفهيماً لهم ان الله
وهو الله يلطف بهم هكذا ، فما
بال بعضهم يتكبر على بعض .

• الأستاذ محمد العفيفي •

من هذا المنطلق نفسه يمكن ان نضيف شيئاً هاماً
الى مفرق الطرق بين الشكر والحمد .

وصيغ الحمد لله ، على اتساع علاقاتها ودلالاتها
فى القرآن العظيم ، ينبع نورها أساساً من اسمه
تعالى « الحميد » .

ونحن اذ نجد صفة رسولنا الاعظم ، صلوات الله
عليه ، فى القرآن الكريم ، ونحن نقرأ هذه الآية
الكريمة فى نهاية سورة التوبة .

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » التوبة الآية ١٢٨ .

فاننا نعلم ان الله تعالى قد وصف رسوله صلوات
الله عليه ، بأنه رءوف رحيم ، وهذان اسمان من
أسمائه تعالى ، جردا من ألف لام التخصيص
والتعريف .

والباحث فى الآيات الجامعة لأسماء الله تعالى
وصفاته فى القرآن العظيم ، يجد بعض أسماء الله
مجردا من ألف لام التخصيص والتعريف ، فى أمثال
ما نقرأ فى سورة التوبة كذلك .

« فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا
سبيلهم ان الله غفور رحيم » التوبة الآية ٥ .

وواضح لنا وضوحاً عظيماً ان المقام هنا ، مقام
حض للغائبين ، على الرفق بمن أسلم ورجع الى الله ،
ففى تجريد الاسمين من الألف واللام مثل اعلى ، من
القرب واللطف ضربه الله ليحثييه المؤمنين ، ولله
المثل الاعلى .

وعلى ذلك تقاس الآيات المتفقة مع الآيات السابقة ،
وان اختلفت تفصيلات الاسباب ، لتتفق مع النهج
الشامل لها جميعاً .

ولقد وسعنا معا الحديث فى هذه النقطة ، بصفة
خاصة ، لربط بين هذا اللطف الإلهي . وبين لطفه
تعالى بعباده ، فى شأن اسمه تعالى « الحميد »
واسمه تعالى « الشكور » فحيث لا يطلق اسمه تعالى
« الحميد » الا له سبحانه ، نجد اسمه « الشكور »
مؤدياً للغاية نفسها التى يؤديها اسمه تعالى
« الرحيم » فى ارتباطه باسمه تعالى « الرحمن » .

الرحمن اسم للذات ؟ والرحيم اسم للصفات .
والصفات لطف بالعباد .

والذات والصفات لا اختلاف فيها ، وانما يأتى
الاختلاف منا نحن المحدودين باختلاف فهمنا .

□□□

« فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة »
الأنعام الآية : ٥٤

وهذه رحمة الله التي وسعت كل شيء .

أن أحدا لن يجد اسم الله تعالى [الحميد] مباحا لأحد من خلق الله واسمه تعالى [الحميد] معناه المستحق للحمد بذاته ، الحقيق بالحمد بصفاته ، الذي جعل الحمد سر الجمال في لقاء أجزاء المادة بعضها ببعض ، وسر الاخلاق الفاضلة في حمد كل منها الله تعالى ، على أساس اجتماعها بالحمد ، وللحمد ، وتوحيدها بالحمد وللحمد .

وبذلك ترقى الاشياء ، فتدرك حقيقة وحدانية الله العزيز الحميد ، أي يتوفر لها الغير فيها بينها ، ويتحقق لها الحق بوجوهه جميعا .

ويستتر اللطف وتتصل الرحمة ، فإذا اسمه تعالى الشكور ، هو الاسم المقابل لاسمه تعالى [الحميد] على نحو ما سبق في اسمه تعالى الرحمن واسمه [الرحيم] .

يقول سبحانه وتعالى :

« ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا »
الاسراء الآية : ٢٠

هكذا يتم لطف الله بنا ورحمته ، فإذا أحد اسماؤه الله الحسنى ، وهو الحميد له صيغة أخرى قابلة بفضل من الله أن يسمى بها أحد أنبيائه ، حفزا لهمنا نحن العاديين في تصوراتنا وهمنا ، أن نرقى هذا المرتقى .

إن الحائدين ، هم العطر ، الذي لا تخلو منه الوان الورود جميعا ، وإن كان العطر هو روح الورود كلها ، والضرورة العملية لوجود كل منها ، بينها الورود ، مختلف بعضها عن بعض .

فالاعمال الصالحة ، كلها فيها بعض « الحمد لله » بالفعل أو القول ، بينها الحمد في ذاته ، أكبر من كل محاولة للحمد ، إلا ما هو معنى لاسمه تعالى [الحمد] فهو معنى مطلق شامل ، غاية الاطلاق والشمول ، بحيث لا نستطيع أن ندركه ادراكا شاملا أو نخرج من حدودنا المحدودة في تصور

إن الحمد لله ، هو الجوهر الذي يجمع تفصيلات العبادة جميعا ، حيث العبادة محاولات فقط للاقترب من مستوى الحمد لله .

الوفاء معنى من معاني الحمد العظمى ؟ التي يحويها اسمه تعالى « الحميد » !

فإذا كان للتبيين قرابة ، وكان لهؤلاء القرابة عمل غالب على النسب ، غلبة على العطر على أوراق الورود ، فقد تم لهذه القرابة الفضل ، كما يقول الله تعالى .

« رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد ! مود الآية : ٧٣ .

وهي آية يجتمع فيها الفضل والمجد من الله كما نفهم اسمه تعالى .. المجيد ..

والحمد المتضمن معنى الوفاء كما نفهم اسمه تعالى [الحميد] الى ما سبق ذلك في سياق الآية الكريمة من رحمة الله وبركاته ..

كما جعل الله تعالى لعبده ورسوله ، محمد صلوات الله عليه مقاما محمودا في آية واحدة ظاهرة من آيات الكتاب المجيد ، منها قوله تعالى :

« ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » الاسراء الآية : ٧٩ .

والمقام المحمود وهو الشفاعة الحسنة التي كرم الله بها رسولنا صلوات الله عليه وحمده ، قائم على أمر موضوعي عملي ، هو نافلة التهجد بالقرآن - من الليل - وهي فضيلة خص الله بها عبده ورسوله ، ليعتبه مقاما محمودا بفضله ورحمته .

ومحمد رسول الله ، محمد باسمه ، محمد بفعله ، وفعل من تبعه من المؤمنين الذين كانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم .

وهكذا تذكر الرحمة ، وتحقق ، كلما ذكر الحمد وتحقق .

وسواء كان الحمد لله هو الحمد الشامل ؟ الحمد لله رب العالمين « أو كان في أي صيغة من صيغ الحمد ، فلا بد أن تتبعه الرحمة ، ذكرنا وتحقيقا ، هكذا أمر في القرآن العظيم كله .

وقوله تعالى [محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم] الفتح الآية : ٢٩ .

فيه ذكر رحمة المؤمنين بينهم ، وليس للرحمة وجود في أي صورة أو حقيقة إلا بفضل الله ورحمته .

ومع ذلك فنحن ما زلنا أمام الكثير مما يمكن أن نجد في قوله تعالى [الحمد لله رب العالمين] . ولقد

أطلقنا القول في ما يمكن أن نفهمه من معاني هذه الآية المعجزة ذات الكلمات الأربع وذات الشمول ، الذي يسع المعرفة والوجود والمصير ، على نحو لم يتحقق أبداً لدى فكر انساني .

وهيهات أن يستطيع الانسان أن يهتدى سواء السبيل ، في قضايا المعرفة والوجود والمصير ، كما تحوى هذه الآية المعجزة ذلك كله ، لا باعتباره قضايا ، ومشكلات تزيد المفكرين حواراً واختلافاً ، ولكن باعتبارها حقائق جامعة لا يأتيتها الباطل من أى طريق .

لقد بحث أرسطو مثلاً عن الميتافيزيقا أو ما وراء الواقع ، فقال إنها دراسة المبادئ الأولى للأشياء ، أو أنها علم الوجود عامة ، أو أنها علم الوجود من حيث هو كذلك .

ولقد عمق هذا الشمول في آرائه ، حتى وسعت أطرافاً من الحقيقة منفصلة أو متصلة ، في قضايا المعرفة والوجود والتفسير ، كما يقول

غير أن هذه البداية الصحيحة قد تعثرت في بحوثه ، في قضية الزمان ، واتصاله بالتقدم والحدوث كما تقدم من قبل .

ولقد اختلف الناس على مدار تاريخ الفكر الانساني في قضايا الفكر جميعاً .

ولكن القرآن العظيم ، يبين لنا أن الفكر موحد ، في الوست نفسه الذي يبين فيه أن المادة مفرقة .

وحدث اختلافهم في الفكر ، حديث يحتاج كلاماً كثيراً لا يتسع له هذا السياق .

ومع ذلك فليس الاختلاف الفكري ، في دنيا الناس ، هو كل ما يعوق المسيرة الانسانية ، عن بلوغها الصراط المستقيم .

هناك قطع لطريق المسيرة الانسانية باختلاف الفكر ، وهناك قطع للمسيرة الانسانية بنتائج الخط ، بين تفريق المادة ، وتوحيد الفكر .

قالذين عبدوا الطواطم ، والاسلاف ، وسائر أنواع الاصنام ، والاولثان ، قديماً ، وعلى سبيل المثال ، نذكرهم معاً الآن ، هؤلاء جميعاً اختلفوا في الفكر حيث يجب أن يتفقوا ، فاختلّفوا في العمل كذلك ، حيث يجب أن يجتمعوا ، على كل عمل صالح ، وينقطعوا عن كل عمل فاسد .

ومرة أخرى يتحول العمل الفاسد ، في عبادة الاصنام على اختلافها ، كما كان الامر فيها سلف من عصور الجهالة الانسانية ، الى مذاهب وآراء مختلفة ، وداعية الى نبذ كل فكر ، لا يتفق مع التجربة المباشرة للحواس .

هذه المذاهب الفكرية جميعاً ، هي التجريد النظري لعبادة الطواطم ، والاسلاف والاصنام ، على اختلاف أشكالها والوانها واحجامها .

وليس هناك غرابة بعد ذلك ، أن يواجه هذا المذهب الالهادي أو ذاك ، مشكلات ضخمة في مجالات التقويم الفكري الصحيح ، كأن يدعى مذهب فكري مثلاً

أن الانسان هبة الطبيعة ، ويعترف أن في الطبيعة جبراً وضرورة ، ويقول أن الانسان ليس شيئاً أكثر من مثلث مادي من اللحم والدم والعظم ، فهو والطبيعة سواء ، يحكمه ما يحكمها من الجبر والضرورة ، ثم يغيب هذا الفكر فجأة على عقبيه قائلاً ، أن الانسان سيهزم الطبيعة ، وينتصر عليها ، ويغيرها من حال الى حال .

كيف ذلك . . والجبر والضرورة يحكمان الانسان كما يحكمان الطبيعة .

والامر هكذا أيضاً عندما تقول التجريبية الوضعية ، أن صحت هذه التسمية ، أن ما وراء الواقع ، لغو فارغ لا طائل وراءه .

ويستدرجها القرآن العظيم من حيث لا تحسب ، فيعلمها أن الغيب : ليس هو الميتافيزيقا أو المطلق وحسب ، كما يظن الفكر الفلسفي .

أن القرآن العظيم يخرج دعوى انكار الغيب احراجاً مسكتاً حين يقول :

« قل أن ربي يقذف بالحق علام الغيوب » سبا الاية : ٤٨ .

وذلك لاننا حين نقرأ هذا القول الكريم ، نعرف أن الغيب ، داخل في تجاربنا الجمالية ، والواقعية ، والعملية ، والفكرية ، من خلال دوراننا مع زوايا الليل والنهار المتداخل بعضها في بعض ، والارض دائبة الدوران بنا حول الشمس .

ان الغيب شيء تجريبي اذن . .

فلماذا انقطع المنطق الوضعي ، فطن التجربة ، هي تجارب العلوم المحدودة بطائر البحث العلمي التجريبي ، كما يعرفه عالمنا المعاصر وحسب .

الجواب هو أنهم لم يقرأوا في القرآن العظيم ، أمثال قوله تعالى :

« فلا أقسم بما تبصرون ، وما لا تبصرون ، انه لقول رسول كريم »

أن قضية الوجود ، وقضية المعرفة تتحول في هذه الكلمات العشر الى حقيقة للمعرفة لا قبل لنا بالمخالفة عن أمزها وحقيقة الوجود لا طاقة لنا بالخروج من صميمها .

ومرة ثالثة يتكرر ذكر هذه الايات من سسورة الحاقة ويتكرر الحديث عن الغيب وهذا كله ضرورة لامندوحة لنا عنها في هذا البحث لانه بحث في الواقع وفي الغيب جميعاً .

ان العلم نفسه ينتزع من صميمه وحقيقته الجامعة اذا علما للمراتب والمحسوسات دون ما يحجب عن الرؤية والحس وهو صميم الاشياء وكوامنها الداخلية العميقة .

وانه ليحل لنا جميعاً في هذه الفرصة الثمينة ان نعرف شيئاً هاماً عن قضية المعرفة عندما يحولها القرآن العظيم الى اتصال لا تنفصم عراة بين الانسان وبين الكون المحيط به .

والحوار بين الحق والباطل « في كل قول أو عمل »
لا بد أن ينتهي بانتصار الحق ، وهزيمة الباطل ، هذه
سنة الله في خلقه .

ان لحظة الانتصار ، شيء مستمر أبدا ، في عمليات
الوجود والتغير .

وإذا كانت الفلسفة القديمة قد تحدثت عن الكون
والفساد .

فانه لحقيق بنا أن نؤكد أن العقبة في هذا الصراع
أبدا هي للصلاح ، وأن الهزيمة أبدا للفساد ، ولكن
إطلاق الأحكام العامة على بعض ظواهر الصراع خطأ
غادح ، يقود الى سوء الظن بالحقيقة في أحوال
كثيرة .

وعن لحظة الانتصار الخالدة يقول القرآن الكريم :
« وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نبتوا من الجنة
حيث نشاء فنعم أجر العاملين ! » .

« وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون
بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب
العالمين ! الزمر الايتان : ٧٤ - ٧٥ .

ان أولى هاتين الايتين تنبئنا بما يقول الفائزون
برحمة الله يوم القيامة ، ولننظر في قوله تعالى
عنهم .

« وأورثنا الأرض نبتوا من الجنة حيث نشاء فنعم
أجر العاملين » .

أن الفعل « أورثنا » فعل ماض دال على ما كان من
أمرهم ، حيث انتصروا على شهواتهم ورفعوا ذكرهم ،
فكانوا يبتوون من الجنة حيث يشاءون .

والفعل المضارع تنبؤا في علاقته بالفعل الماضي
« أورثنا » يدل على اتصال بين ما كان من أمر
المؤمنين في حياتهم الأولى وما هو متصل من تبوؤهم
من الجنة حيث يشاءون على درجات في التبوؤ من
الجنة ، أدناها التبوؤ المعنوي ، حيث كانت نسبهم
أعمالهم فتحجز لهم ما يشتهون من الجنة ، وحيث
اتصل ذلك التبوؤ من الجنة حتى فتحت لهم أبوابها
ودخلوها على سبيل الحقيقة .

انه قمة شاهقة لانتصارات متصلة بين تجارب
الحياة الدنيا ، وبلوغ درجات الخالدين .
ويواجه انتصار المؤمنين هزيمة ساحقة للكافرين .
ويقول الله تعالى عنهم :

(البقية ص ٣٥)

فالقسم بما نبصر ، وما لا نبصر ، دليل على أن
الإنسان ، لكي يعرف عليه أن يجمع بين الوسيلتين
الأساسيتين للمعرفة ، وهما عالم الغيب ، وعالم
الشهادة ، يجمع بينهما وبين وجوده الشامل الذي
يتيح له أن يتصل بهما اتصالا جامعا .

أنا نقضى حياتنا في رحلة دائمة ، وسيلة
مواصلاتها هائلة ، على عجلتين ، أو طائرة
بجناحين .

هذان هما السمع والبصر ، وقد سبق أن القرآن
يفرد كلمة السمع إشارة لأن الفكر كالعندسة المجردة
واتجارب الواقعية كالعندسة المخرقة .

واستمرار البحث في حقيقة المعرفة القرآنية على
هذا النحو المعجز ، يحل مشكلة المتأففين أو ما وراء
الواقع ، خلا عليها تجريبا لا شك في نتائجه
وحقائقه ، ويحل مشكلات الخير ، والجهل ، والحق ،
ويجمع بين ما هو محسوس ، وما هو خارج عن
التجربة الحسية ، أي يجمع بين ما هو عند الباحثين
في المعرفة ، بعلوم ذاتية متصلة بعلم النفس ، وبين
ما هو عندهم بعلوم موضوعية ، متصلة بالعلوم
الطبيعية .

ثم يجمع الى ذلك ما هو موضوع للوجود والتغير .

واهم من ذلك كله ان هذه الكلمات القرآنية العشر ،
التي سبق ذكرها مسكتة لكل فكر الحادى في
العالم ، يعانى من النقاد العاديين ما يثرونه عادة عن
تضيق اللغة وقضية العلوم الرياضية ، وما فيها معا
من عناصر غيبية ، وما هي الأفكار الإلهادية تواجهه
في القرآن العظيم ربطا محكما ، بين كل شيء ، وكل
شيء ، لتأكيد وجود الله الحق .

وبالاه من انتصار للحق ، ما بعده انتصار .

والحمد لله رب العالمين ، وثيقة الصلة بالانتصار
ولقد قرأنا معا منذ قليل قوله تعالى :

« قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب ! » .

ونذكر من ذلك ، الى ما تقدم من حقائق هذه
الكلمات المعجزة ، ان الانتصار موجود دائما ، في كل
صراع فكري ، وعلى بين الحق والباطل .

الحق في صميم الضرورة الكونية ، وصميم جسد
الإنسان .

والباطل ، في بعض ما يخرج الناس في أعمالهم ،
عن سواء السبيل كافرين بنعمة الحرية ، التي منحهم
الله تعالى إياها .

□ □ □

نظرات في أم القرآن

الدكتور محمد عبد الحليم القيسي

تفاوتت الأساليب بلاغة وفصاحة ،
أجمالاً وتفصيلاً ، إيجازاً وإطناباً . .
وأبلغها أحكاماً وأقواماً على الاقتناع ما
تساوى في الهدف المجمل والمفصل
منها . . وفاتحة الكتاب الكريم فيها تلك
الميزة وغيرهما من محسنات الالتفات
ومزينات المعاني ودقائق الأسرار . .
فمقاصد القرآن الثلاثة التي هي :
التوحيد ، والتشريع ، والقصص - قد
أجملت في آياتها السبع ، والعلاقات بين
المخلوق والخالق قد تميزت فيها بشكل
واضح . فالآيات الثلاث الأولى لله .
والآية الرابعة [اياك نعبد] بين الله
وعباد . والآيات الثلاث الأخرى للعباد .
وعلى هذا النحو ورد الحديث القدسي :
[قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ،
فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين
قال الله : حمدني عبدي ، وإذا قال :
الرحمن الرحيم قال الله : اثنى علي
عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين قال :
مجدني عبدي ، وإذا قال : اياك نعبد ،
قال : وحدني عبدي ، وإذا قال : اياك
نستعين قال : هذا بيني وبين عبدي ، وإذا
قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين قال : هذا لعبدي ولعبدي
ما سأل] . .

الإسراء ، والحديد ، والصف ، والجمعة ، والتغابن ،
والاعلى - لأن من ثبتت له صفات الكمال اتفتت عنه
صفات النقص ضرورة . وقد ينجو الكائن من النقائص
ولم يبلغ أقصى درجات الكمال .

وسورة الفاتحة مبتدئة بالشمول والعموم . فالحمد لله فيها
رب العالمين . ومن هنا تم التناسق والانسجام وتحقق
أن ما في القرآن مجمل فيها . . أما السور الأربع
الأخرى فقد تعددت فيها أوصاف الله وهي أوصاف
خاصة . ففي الانعام : (خلق السموات والأرض)
وفي الكهف : [أنزل على عبده الكتاب] وفي سبأ :
[له ما في السموات وما في الأرض] وفي فاطر :
[فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى
أجنحة مثنى وثلاث ورباع] . .

وأنت ترى العموم في الفاتحة ، والخصوص فيها
سواها . وقد نص على الخلق والإيجاد تقديراً ومباشرة
للفعل ، وهما يتعلقان بالتكوين المادي . أما أنزل
الكتاب فيتعلق بالتربية الروحية ، وكل ما في الكون
من مادة وروح مملوك له سبحانه . وبذا تحقق
التوافق بين العموم والخصوص والإجمال والتفصيل

ولهذه السورة الكريمة أكثر من مائة اسم ، كل اسم
يعنى مدلوله . فهي : الشافية ، والكافية ، والوافية ،
والصلاة ، والكنز ، والفاتحة ، وأم القرآن وأم الكتاب ،
وغير ذلك مما ورد فيها .

قد ابتدأها الله بقوله : [الحمد لله] جملة تكونت
من ثمانية أحرف بعدد أبواب الجنة الثمانية .

وعليه ، فلا يستبعد أن يكون كل حرف مفتاحاً لباب
من أبواب الجنة ، ولا حرج على فضل الله . .

وآياتها السبع تأمل ونرجو لمن قرأهن أن تغلق في
وجهه أبواب النيران السبعة . . وبعدهد أحرف الركن
الأول من هذه الجملة افتتح الله سور القرآن بهذا
الافتتاح . . فالحمد خمسة أحرف وكذا السور
المفتتحة بهذا الافتتاح خمس . وهي : الفاتحة ،
والانعام ، والكهف ، وسبأ ، وفاطر .

ومن المعلوم أن الفناء قسمان : قسم لسلب صفات
النقص كالسبب ، وقسم لإثبات صفات الكمال كالحمد .
ولم يبدأ هذه السورة بالقسم الأول كما فعل في سورة

وحمد الخلق له محدود ببقائه وموقوت بحياتهم ، وكما قيل :

لقد كنت دهرًا قبل أن يكشف الغطا
أخالك أنى ذا كبر لك شاكر
فلما أضواء الليل أصبحت شاهدا
بانك مذكور وذكور وذاكور

وما هو سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ، يعلن
بعد التجائه لخالقه قائلا : [أعوذ برضائك من
سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا
أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك] ..

فثناء الخلق على ربهم لون من ألوان التكليف لو
لم يقوموا به لسد مسده ثناء الخالق على نفسه . ومن
رأفته بنا أن جعل الصيغة هكذا : [الحمد لله] ولم يجعلها
بصيغة الامر : (احمدا لله) لأن العبد لو قال :
الحمد لله وقلبه ذاهل عن تدبر معناها ، لم يكن كاذبا ،
لأنه ان ذهل عن كلمة قالها - فان مدلولها ثابت في
الواقع . قاله محمد بن نفسه قبل أن يحمده من خلقه .
أما لو ذهل العبد عن الكلمة والتكليف بها على صيغة
الامر - لكن العبد كاذبا في حالة ذهوله على حد قول
النبي صلى الله عليه وسلم : [ليس لك من صلاتك إلا
ما عقلت منها] . فحظ المأمور من الأوامر يكون بمقدار
فطنة قلبه وبقظة جوارحه . وأما حظ المأمور من الأوامر
التي وردت على صيغة الإخبار فيكون بمقدار موافقتها
للواقع . فعدم فطنة العبد عند قوله : [الحمد لله] لا
يحرمه من ثواب النطق ، لأن الله محمود وإن لم ينطق
بحمده مخلوق ..

وهذا سر من أسرار فضل الله على عباده ، أن يثيب
كل قارئ لكتابه سواء فهم المعنى أم لم يفهم ولا
شك ان تدبرا لمعاني فيه فضل لا يدانيه فضل [أقلا
يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها] ..

والحمد شامل للثناء والشكر والمدح ، ولذلك صدر
كتابه بأن حمد نفسه بالثناء في [لله] والشكر في [رب
العالمين] والمدح في [الرحمن الرحيم مالك يوم الدين]
.. ثم ليس للعبد أن يحمده بهذه الوجوه الثلاثة حقيقة ،
بل تقليدا ومجازا .. أما الاول : فلأن الثناء والمدح بوجه
يليق بذاته أو بصفاته فرع معرفة كنهها ، وقد قال
الله تعالى : [ولا يحيطون به علما] [وما قدروا الله
حق قدره] ..

وأما الثاني : فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم ،
لما خوطب ليلة المعراج بأن يثنى على ربه قال : [لا
أحصى ثناء عليك] وعلم أن لابد من امتثال الامر و اظهار

في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

والحمد فاتحة كل كلام ، وهي أول سورة نزلت
بكتابتها . فان سورة اقرأ لم تنزل كلها في ابتداء الوحي .
(الحمد لله) [الالف واللام فيه يحتمل أن تكون
للعهد أو للاستغراق أي الحمد الكامل وهو حمد الله
لله ، أو حمد الرسل لربهم . وإن كانت للاستغراق
فمعناه ان جميع المحامد له أصلا وحقيقة ، ولغيره
تبعا ومجازا . ولا يرخص فيها إلا باذن الشارع كما
جاء في الحديث :

[من لم يحمد الناس لم يحمد الله] ..

وقد ابتدأ الله بثنائه على نفسه ، ثم أمر الخلق بذلك
لأنهم لا يحصون ثناء عليه . إذ الحمد اظهار كمال
المحمود وهو سبحانه العليم بذاته .

والحمد اما قولي واما فعلي واما حالي .. أما
القولي : فحمد اللسان وثناؤه عليه بما أثنى به الحق
على نفسه على لسان أنبيائه عليهم السلام .. وأما
الفعلي فهو الاتيان بالأعمال البدنية من العبادات
والخيرات ابتغاء لوجه الله تعالى ، وتوجها إلى جنبه
الكريم ، لأن الحمد كما يجب على الإنسان باللسان -
كذلك يجب عليه بحسب كل عضو ، بل على كل عضو -
كالشكر ، وعند كل حال من الأحوال كما قال النبي عليه
السلام : [الحمد لله على كل حال] وذلك لا يمكن إلا
باستعمال كل عضو فيما خلق لأجله على الوجه
المشروع ، عبادة للحق تعالى وانقيادا لأمره لا طلبا
لحفظ النفس ومرضايتها ..

وأما الحمد الفعلي فهو اظهار كمالاته الجمالية
والقلب - كالاتصاف بالكمالات العلمية والعملية
والتخلق بالاخلاق الالهية ، لأن الناس مأمورون بالتخلق
بأخلاق الله تعالى حسب قدراتهم وما يتيسر لهم فهم
مطالبون بأن يكونوا رحماء أتقوا ، ملتزمين بالعدل
والصدق وكل خلق كريم .

وكل من هذه الجوانب الثلاثة للحمد التي وجبت
على العباد - نجدها ملحوظة في ذات الحق
سبحانه .

فأما حمده ذاته قولا فهو ما نطق به في كتبه وصحفه
من تعريفاته نفسه بالصفات الكمالية .

وأما الحمد الفعلي فهو اظهار كمالاته الجمالية
والجلالية من غيبه إلى شهادته ، ومن باطنه إلى
ظاهره ، ومن علمه إلى عينه .

وأما الحمد الحالي فهو تجلياته في ذاته بالفيض
الاقديس سبحانه . فهو في الازل والأبد - الصامد
والمحمود .

العبودية فقال : [أثبت كما أثبت على نفسك] فهو ثناء بالتقليد ، وقد أمرنا أيضا أن نحده بالتقليد بقوله [قل : الحمد لله] كما قال : (فاتقوا الله ما استطعتم) ..

والقيام بحقه ، فبدرك أن عليه ذنوبا لابد أن يتخلص منها بالتوبة . وتلك هي العقبة الثانية . فإذا أقام على الدوبة وأبى للعمل ، اعترته عقبة العوائق التي تتمتع في الاشرار من الخلق ووساوس الشيطان وهي العقبة السابعة . فإذا تغلب عليها بالالتجاء الى الله - اعترته العقبة الرابعة وهي عقبة العوارض ، المثلة في الانسحاب بالرزق والاختصار والتغلب على الشدائد والتصرف أمام القضاء المبرم ، فاحتجاج الى قطعها في موضع الخطر ، والصبر عند الشدائد ، والصبر بآربه : بالتوكل على الله في الرزق ، والتفويض اليه في موضع الخطر ، والصبر عند الشدائد ، والرضى بأحصاء . فإذا تغلب على تلك العقبة - اعترته عقبة أخرى وهي الكسل . فاحتجاج الى سائق يسوقه نحو الطاعة ، وزاجر يزجره عن المعصية . وكان الرجاء والخوف هما السائق والزاجر . اللذين يتغلب بهما على نيت العقبة التي تسمى بعقبة البواعث . فإذا تخطاها اعترته عقبة العوادح المثلة في العجب بنفسه والرياء . فإذا تغلب على ذلك بالاخلاص لله من الرياء وذكر المنة ليسلم من آفة العجب - وجد نفسه غريقا في النعم ، فوجب عليه الحمد والشكر ، وتلك آخر العقبات « وصلى الله على سيدنا محمد » .

وذكر الشيخ الامام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله ، في منهاج العابدين : أن الحمد والشكر آخر العقبات السبع التي لابد للسالك من عبورها ، ليظهر بميتغاه . فأول ما يتحرك العبد لسلوك طريق العبادة يكون بخطر سماوية وتوفيق خاص الهى ، وهو الذى أشار اليه صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم . بقوله : [ان النور اذا دخل قلب العبد انفتح وانشرح ، ف قيل : يا رسول الله : هل لذلك من علامة يعرف بها ؟ فقال : التجافى عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل بزوله] ..

ويضئ السالك في طريقه . فأول عقبة تعترضه - عفيه العلم والمعرفة التى يتغلب عليها بالاسدلال بالصنعة على الصانع . والاثر على المؤثر ، فيوقن بوجود الله مصدر كل شيء ، الذى يتحرك لعبادته

بقية مقال « الفاتحة معجزة القرآن »

ان الانتصار في الافعال كالحمد في الاقوال % كلاهما سبب بنتيجة الحوار الى الغاية المرجوة نضالا وانتصارا .

« وقفوا هم أنهم مسئولون ، مالك لا تناصرون . بل هم اليوم مسئولون » الصافات الايات : ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ .

ان هذا كله وثيق الصلة بقوله تعالى :

« الحمد لله رب العالمين ! »

فالحمد لله تعالى هو قمة الانتصار على مستوى المعرفة ، ومستوى الوجود ، ومستوى الحقيقة ، ومستوى الجمال والكمال ، ودليل ذلك من القرآن الكريم .

ان الله تعالى ذكر في نهاية سورة الشعراء موضوع الاخذ بأسباب الجمال ، في القول والعمل فقال تعالى :

« والشعراء يتبعهم الغاؤون ، انهم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ، الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب يعقبسون » . الشعراء الايات : ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ .

والعلاقات هنا واضحة بين ذكر الله . وبين الحمد ، الذى هو من صميم الذكر ، وبين الانتصار .

وإذا كان الشكر اخص من الحمد ، وكان الحمد أعز من الشكر .

فان في قوله تعالى :

« فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ! » البقرة الاية : ١٥٢ .

تنبأنا لما سبق كله ..

فليس من ست في ان ذكر الله ، للذين يذكرونه « اعنى سرجات الانتصار ، وان شكر الله تعالى ، اعلى درج من شكر النعمة ، وان كان الله تعالى قد امرنا بشكر نعمه ، توحيدها للصلة بين كل ذات وكل موسم .

ان الوردة مثلا حين تتفتح غاية تفتحها ، وتتسطر غاية يعطرها ، تسبح بحمد الله بحقيقتها الشاملة ، اى تؤدى واجبا الحقيقى ، اى تنتصر على عوامل الذبول والانقطاع عن الخير والجمال والحق .

وبمثل هذا الواقع يدرك بعض حقائق الحمد .

القرآن هو الكتاب الذي أنزله
الله على محمد صلى الله عليه وسلم
هاديا ونصيرا ونورا لبصائر البشر
وإبصارهم وهو دستور الإسلام
الذي يستمد منه حكمه ومبادئه
التي تقوم عليها وبها الشريعة
الإسلامية . وليس القرآن في
حاجة إلى تقديم أو تعريف فكفاه
شرفا أنه كلام الله ، وكفاه معرفة
أنه دستور الإسلام ، وكفاه منزلة
أنه معجزة محمد صلى الله عليه
وسلم .. وهو شفاء الصدور ،
والحكم العدل عند مشتهات
الأمور .

وهو الكلام الجزل ، والفصل الذي ليس بالهزل ،
سراج لا يخبو ضياؤه ، وشهاب لا يخدم نوره
وسنائه ، وبحر لا يدرك غوره ، بهرت بلاغته العقول ،
وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتضافر إيجازه
واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتصارنت في
الحسن مطالعه ومقاطعه ، وصورت كل البيان جوامعه
وبدائعه . وتعددت أسماؤه وكلها تدل على فوائده ،
قسماء الله كتابا فقال « حم والكتاب المبين » وسماه
قرآنا فقال « انه لقرآن كريم » وسماه كلاما فقال
« حتى يسمع كلام الله » وسماه نورا فقال « وأنزلنا
اليكم نورا مبينا » وسماه هدى فقال : « هدى ورحمة
للمحسنين » وسماه فرقانا فقال : « تبارك الذي نزل
الفرقان على عبده » وسماه شفاء فقال « وننزل من
القرآن ما هو شفاء » وسماه موعظة فقال « قد جاءكم
موعظة من ربكم » الخ مما قد يطول بنا المقام
فقد ورد فيه من أسمائه ثلاثة وخمسون اسما « راجع
البرهان في علوم القرآن للزركشي » ..

وقد نال القرآن منزلة لم يحظ بها كتاب سماوى قبله
فقد حفظ من التحريف والتبديل وبلغ درجة عظيمة في
نفوس أهله الذين تلقوه بالقبول وأحلوه من نفوسهم
أعظم منزلة ، وحرصوا عليه أكثر من حرصهم على
ولدهم وأهلهم وأموالهم بل وحياتهم ، وتعبدوا بتلاوته
وتقربوا بمعرفته وسموا بأحكامه وسعدوا بفهمه
وبيانه .

وهذه المنزلة العظيمة التي تفرد بها القرآن مستمدة
من أصل العظمة ومنبع كل هداية ومصدر كل عظمة
وهي :

القرآن

الدكتور عبد العزيز صالح رضوان

أولا : من مصدره وأصل نزوله .

ثانيا : من كونه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : من كونه المصدر الاساسى فى التشريع الاسلامى أو أحد مصدرين « هما القرآن والسنة » يحكمان الشريعة الاسلامية وتستمد منهما أحكامها ومبادئ العبادات فيها .

وتعرض لهذه الاسباب التى أكسبت القرآن هذه الدرجة الرفيعة ، كما كانت سببا لالامان الذى حفظه من أى تغيير وتحريف دون سواه من الكتب السماوية .

أولا - مصدره وأصل نزوله :

القرآن هو كلام الله المنزل باللفظ والمعنى على محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل « الروح الامين » وهو بهذه الصفة - باسناده لرب العزة - نال درجته العالية ومنزلته الرفيعة وسلم من التحريف الذى نال غيره من الكتب فقد قال الله تعالى « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » تعهد من الله سبحانه وتعالى بحفظه وسلامته من كل يد تمتد اليه بسوء . كذلك جاءت الفاظه وتراكيبه مترابطة بحيث يختل نظها اذا غير لفظ أو تركيب . كما أن سلامته وحسن نظمه وجمال معانيه ودقتها حببت اليه النفوس فسعى اليه المسلمون جاهدين للتزود بمعانيه والتعلى بآدابه والتقرب الى الله بحفظه وتلاوته وصدق الله ان يقول « **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مركر** » .

ثانيا : لكونه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن هو معجزة محمد صلى الله عليه وسلم وحجته الى قومه . ونبينا أولا بتعريف المعجزة والقاء الضوء عليها حتى نستطيع معرفة اهميتها بالنسبة لكل رسول وبالنسبة للقرآن بالذات .

ما المعجزة ؟

المعجزة : هى الشئ الخارق للعادة والذى لا يستطيع البشر أو غير البشر من الملائكة والجن وما كان من مخلوقات الله أن يأتوا بمثلها . فهى الدليل القطع والبرهان الساطع على أن هذا الرسول مأمور من الله ومؤيد من عنده بنيل قومه أو أى قوم آخرين بعبادة الله وترك ما هم عليه من كفر أو وثنية . وعليه فالمعجزة قد تكون عملا يؤثر فى الطبيعة ويخضعها لأمر الله كما حدث فى شق البحر وفوران الماء من القنور لموسى ونوح عليها السلام ، وقد تكون صفة فى الرسول كما هو الحال بالنسبة لسيدنا عيسى عليه السلام فى طريقة خلقه كأدم .

ولكل رسول أرسله الله معجزة تؤيد دعوته وتكون تحديا للمرسل اليهم تعجيزا للمنكر والمكابر منهم وإرشادا ودليلا للمصدق والمؤيد للرسالة ولهذا كان

لابد للمعجزة أن تكون موثقة لعصر الرسول صاحبها ولجنس ما برع فيه المعنيون بالرسالة ، فنرى مثلا موسى عليه السلام يبدأ بمعجرتين هما العصا وبياض يده من غير سوء بعد ادخالها فى جيبه واخراجها منه . لان المصريين برعوا فى عهده فى السحر كما لم يصل اليه غيرهم . من البشر فجاء الاعجاز موافقا ومبطلا لقدرة السحر والسحرة فكانوا أول من أسلم وصدق برسالة موسى . ثم نجد معجرات عيسى بعده وقد كانت فى كيفية خلقه أولا ثم حديثه للناس طفلا ثم اشفاؤه للمرض المستعصى والذى عجز الطب عن علاجه ثم احيائه للموتى قمة الاعجاز والتعجيز لقوم قطعوا شوطا عظيما فى الطب وفاخروا وتباهوا بعلمهم فكانت معجزة عيسى عليه السلام فوق قدرتهم وأعظم من تقدمهم .

القرآن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم :

لما كان العرب أهل لسان وبيان وفصاحة وبرعوا فى فنون الكلام شعرا ونثرا حتى فاقوا السحرة فى سحرهم وخضعت لهم الكلمات ودانت لهم الالفاظ والمعانى جاء القرآن اعجزا وتعجيزا فالالفاظ من الفاظهم والكلام كلامهم لكن التركيب والمعنى لا يستطيعون الوصول اليه أو حتى الاقتراب منه ، وجاء التحدى من جنس ما يجيدون ووقف أساطين البيان عاجزين أمام قمة البيان وأخذوا بروعته ودقة تراكيبه وحسن المعنى وجزائته حتى قال الوليد بن المغيرة اعنى عتاة الكفر فى وصف القرآن « ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمشر وان أسفله لغدق وان يعجزوا ولا يعلى عليه » ويتدرج القرآن فى التحدى لهؤلاء المنكرين فيقول « **قل لمن هذا القرآن لا ينطق بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » ثم تدرج فى التخفيف وتساعد فى الاعجاز فقول « **أم يقولون افترأه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين** » وان كان الانس والجن قد عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن ككل فقد عجزوا عن الاتيان بعشر سور أيضا وكان ذلك اعجزا فوق اعجاز فالقرآن بسوره الـ ١١٤ وبآية الـ ٦٢٢٥ لم يستطيعوا الاتيان بمثله فخفف فى التحدى بطلبه عشر سور من سوره ولم يحددها بالطول والقصر تاركا لهم حرية الاختيار فى الاتيان بالمثل ، ولكن الله يدرك قدرتهم ويعلم مسبقا عجزهم ولذا كن التحدى أخيرا بسورة ولكن كاقصر سورة من سوره فقال : « **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين** » وقال فى موضع آخر : « **أم يقولون افترأه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين** » وحتى التحدى لم يكن مقصورا عليهم بل شملهم وشمل غيرهم ممن يتصورون منهم مساعدة أو اتفاقا فى

الهدف : والالتزام بالافتراء مذهب ينحطه هذا التحذير والدليل عليه عجزهم الكامل في مجال الاتيان بالمثل في الكل والبيض والجزء .

من هنا كانت معجزة محمد صلى الله عليه وسلم مستمرة باستمرار الدعوة وباقية ببقاء الاسلام والمسلمين وحتى يرث الله الارض ومن عليها بعكس المعجزات الاخرى السابقة عليه فكلها وقتية يراها المشاهدون المعاصرون للرسول وتصبح بعد ذلك مجرد رواية قد يصدقها السامع وقد يكذبها .

ثالثا : كونه المصدر الاساسي في التشريع الاسلامي .

ولان القرآن هو المعجزة وهو مصدر العمل في الاسلام حفظه الله من التحريف بعكس غيره من الكتب السابقة التي لم تكن لها صفة المعجزة وأحكامها وقتية وأهم انبائها كان عن المستقبل الذي يأتي بعد وهو التبشير بالرسول الخاتم والرسالة العامة التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم . ولذا جاء القرآن مخبرا لأهم ما حوته هذه الكتب وما تضمنته هذه الرسالات أمرا للمسلمين بالايان بها ككل والايان بالرسول السابقين ككل موضحا أن ذلك مبدأ أساسي من مبادئ الاسلام لا يصح نقضه أو تبويضه فقبال تعالى « **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير** » .

طريقة نزول القرآن

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم منجما ولم ينزل جملة كسائر الكتب السماوية قبله وقد احتج الكفار على محمد بقولهم « **لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة** » يعنون : كما أنزل على من قبله من الرسل . فاجابهم الله بقوله « **كذلك** » أي أنزلناه كذلك مفرقا وليس جملة أو مرة واحدة « **لنثبت به فؤادك** » أي لنقوى به قلبك ، فان الوحي اذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب ، واشد عنساية بالمرسل اليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه ، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز ، فحدث له من السرور والبهجة ما تقصر عنه العبارة ويجل عنه الوصف .

وقيل : معنى « **لنثبت به فؤادك** » لنحفظه ، فانه عليه السلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ففرق عليه ليس عليه حفظه ، بخلاف غيره من الانبياء .

ومنذ اللحظة الاولى للوحي والطريقة التي بدأ بها تستطيع أن ندرك أن الرسول قد هيء تماما لتلقى الوحي وقد أعد اعدادا تاما يتناسب والدور العظيم الذي سيقوم به . فعملية غسيل القلب وتنظيئه له صغيرا كانت للتنقية التامة والاعلان أيضا امام الملا أن لهذا الطفل مستقبلا خاصا ، لان الله بيده كل شيء كان قادرا على أن تتم هذه العملية بعيدا عن أعين البشر

وخاصة الاطفال الذين سارعوا بإبلاغ أمه في الرضاع السيدة حليلة السعدية التي سارعت بدورها لارجاعه لاهله خوفا من حدوث مكروه له وهو عندها . ثم عملية ضم جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم في اللحظة الاولى للوحي مكررا لعملية الضم ثلاث مرات بعنف شعر خلالها النبي عليه السلام بأن روحه تكاد تزهر ، لم تكن هذه العملية لمجرد مضايقة النبي عليه السلام أو لمجرد اشعاره بالخوف . وانما كان الهدف الاسمي منها - والله أعلم - هو التصاق المبلغ - بفتح اللام - بالمبلغ بكسرهما حتى يزيل من نفسه كل خوف ورهبة وحتى تتم اللفة بين الانسان والملك هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان النبي عليه السلام كان في هذه اللحظات الثلاث يقترب من النورانية التامة وتسبب روحه استعدادا لتحمل الوحي الثقيل الذي لا تحتمله النفس الانسانية العادية . كل هذا كان تهيئة واعداد لتلقى كلام الله بقلب سليم وعقل واع وذاكرة لا تخطيء ولا تنسى ، لذا قال الله له « **سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله** » وليس هذا مجرد تحذير من الله وانما هو تعهد منه بعدم نسيان الرسول لشيء من الوحي الا اذا شاء الله ذلك . وقد كان صلى الله عليه وسلم يحفظ أولا بأول كل كلمة يلقيها عليه جبريل وكل آية موضعا ومعنى وحكما ، وبعد فترة قصيرة من البعثة بدأ النبي عليه السلام يتخذ كتابا للوحي وينتقيهم من بين صحابته ممن برعوا في الخط والحفظ وداوموا على ملازمته صلى الله عليه وسلم . ومن جهة أخرى حرص الصحابة رضوان الله عليهم على حفظ القرآن أولا بأول وكانوا يتسابقون الى حفظه ويحرص كل منهم على ألا تفوته كلمة أو آية أنزلت على الرسول عليه السلام .

من هنا ندرك أن الحفاظ على القرآن ضمنه الله وثبت به فؤاد نبيه ولذا لم ينس شيئا منه ولم يغب عنه معنى أو حكم من أحكامه . وقد كان جبريل يعارض النبي كل سنة مسترجعا معه ما نزل عليه قبلا . وفي أواخر أيامه عارضه جبريل مرتين كما يروى البخاري حيث قال « **قال صلى الله عليه وسلم أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه الا حضور أجلى** » وفي كل مرة كان يوضح له مواضع الايات وترتيبها وترتيب السور حتى وصلنا القرآن بصورته هذه .

جمع القرآن :

روى البخاري عن زيد بن ثابت قال : أرسل الى أبو بكر غداة استحر القتل بأهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : أن عمر أتاني فقال : أن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وأنى أخشى أن يستحر القتل بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وأنى أرى أن نأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر هو

والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك وقد رأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : وقال أبو بكر : انك رجل شاب عاقل لا تهتمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن وأجمعه . قال زيد : فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ، فتتبع القرآن أجمعه من العسب والخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر التوبة « لقد جاءكم » مع أبى خزيمة الأنصارى الذى جعل النبى صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ، لم أجدما مع أحد غيره فالحقها في سورتها ، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قبض ، ثم عند حفصة بنت عمر . وقول زيد هذا يوضح لنا مقدار احساسهم بعظم المسئولية وضخامة العمل الذى يخشى زيد القيام به لولا الحاح كل من عمر وأبى بكر وقد عمد زيد الى كل ما كتب فجمعه الى صدور الرجال يراجع المكتوب بالحفوظ ولذا نستطيع ان نقول باطمئنان المؤننين الحريصين على دينهم ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع - الذى نراه اليوم - زمن النبى عليه السلام ، وانما ترك جمعه في مصحف واحد ، لان النسخ كان يرد على بعض ، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لادى الى الاختلاف واختلاط الدين ، فحفظه الله في القلوب الى انقضاء زمان النسخ ثم وفق الخلفاء الراشدون بعد ذلك لجمعه .

نسخ القرآن في المصاحف

اشتهر بين الناس وأعتقد الكثير من العلماء أن أول من جمع المصاحف هو عثمان بن عفان وليس الامر كذلك بل أول من جمعها هذا الجمع هو الصديق كما أوضحنا حين خاف الاختلاف في القراءة بتحويله منها الى المصاحف كما نقله البيهقي .

والحق أنه كما روى عن زيد بن ثابت أن التأليف كان في زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، كما كان يخبره جبريل بوضع الاي والسور في كل عام من أعوام البعثة . كما كان الجمع في عهد أبى بكر والنسخ في المصاحف في زمن عثمان ، وقد كان ما يجمعون وينسخون معلوما لهم ، بما كان مثبتا في صدور الرجال ، وذلك كله بمشورة من حضره من الصحابة وارتضاء على بن أبى طالب ، وحيد أثره فيه . وقال القاضى أبو بكر في كتابه « الانتصار » لم يقصد عثمان قصد أبى بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ، وانما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى صلى الله عليه وسلم والغناء ما

ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ، وينسخ بتلاوة كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد .

وقد قام زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بنسخ المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم . ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف ورد عثمان الصحف ابى حفصة ، وأرسل في كل افق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

ومن هنا ندرك أن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولا نقص . والذي حملهم على جمعه هو خوفهم بذهاب بعضه بذهاب حفظه ، فجمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم ، من غير أن يقدموا أو يؤخروا شيئا . وهذا الترتيب كان منه صلى الله عليه وسلم بتوقيف لهم على ذلك ، وأن هذه الآية عقب تلك الآية ، فثبت أن سعى الصحابة كان في جمعه في موضع واحد ، لافى ترتيبه فان القرآن في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذى هو في مصحفنا الان .

والمشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان رضى الله عنه ، وليس كذلك ، انما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات والقرآن . وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المعلقة على الحروف السبعة التى نزل بها القرآن ، فأما السابق الى جمع الجيلة فهو الصديق ، روى عن على أنه قال : رحم الله أبى بكر هو أول من جمع بين اللوحين ، ولم يحتج الصحابة في أيام أبى بكر وعمر الى جمعه على وجه ما جمع عثمان ، لانه لم يحدث في أيامهما من الخلاف فيه ما حدث في زمن عثمان ، ولقد وفق لامر عظيم ، ورفع الاختلاف ، وجمع الكلمة وأراح الامة فرضوان الله عليه وعلى من شاركه من الصحابة في ذلك .

وأخيرا فانه من المستحيل أن نجد بعد ذلك في القرآن خطأ أو لحنا يمكن أن يتسرب اليه بعد كل هذه الجهود وقبلها الضمان الالهى لسلامة القرآن . فإذا جاء متحدث ليخبر بوقوع خطأ أو لحن بعد الاجماع الذى صارت عليه الامة فان حجته تكون ضعيفة مثل رأيه ، ولكنه من الخطأ أن نترك مثل هذا القول أو ذلك دون بحث أو تحليل أو دراسة توضح ضعف الضعيف وتلقى الضوء على أساس الخطأ فيه وهذا موضوعنا أن شاء الله في المقال القادم والله الموفق .

في العدد السابق عرفنا من تأملنا في الكلمة القرآنية ان هناك سرا يكمن في تلك الكلمة ، يسمو بها على كلام البشر ويظهرها كأنها غريبة عليهم ، مع أنها ذاتها مطروحة بين أيديهم . فاطمئنا ذلك في أن نقف على شيء من ذلك السر الذي تحويه الكلمة القرآنية . وقد وقفنا من ذلك على ما تلقاه تلك الكلمة في نفس متلقيها من الظلال والإبهارات التي تضمن لها الخلود والجدة والروعة والوفاء بحاجة كل زمان ومكان .



* الكلمة في البيان القرآني

على ما قدروا - لا يتطلب [من] ، فالفعل [ترى] يتعدى بنفسه ، ومن ثم فالتعبير - كما يستقيم على البناء النحوي - : ما ترى في خلق الرحمن تفاوتاً ، فارجع البصر هل ترى فطوراً ؟

ولكن ألق بما قرره النحاة جانباً ، وتجرد مما عرفت وما سمعت في هذا الصدد ، وعاود معي التأمل ثانية في هذا التعبير القرآني ، لنرى ماذا أحدثته [من] فيه .

وازن بين التعبير القرآني كما جاء به القرآن ، وبين مجرداً عن [من] ، تجسد العجب المدهش ، فالعبرة بدون [من] تعني أنك لا ترى في خلق الرحمن تفاوتاً .

ولو أمعنت النظر في ذلك لتبين أن نفى رؤية تفاوت ، لا يستلزم نفى رؤية أي تفاوت . بل يحتمل : أنك لا ترى في خلق الرحمن تفاوتاً واحداً ، بل ترى فيه أكثر من تفاوت .

ويحتمل : أنك لا ترى في خلق الرحمن تفاوتاً كبيراً ، بل ترى فيه تفاوتاً صغيراً .

ويحتمل : أنك لا تسمى في خلق الرحمن تفاوتاً صغيراً ، بل ترى فيه تفاوتاً كبيراً .

كما يحتمل : أنك لا ترى في خلق الرحمن تفاوتاً أي تفاوت .

ولا شك في أن هذا الاحتمال الأخير هو الذي يقتضيه السياق ، ولكن التعبير - كما ترى على تقدير

ونحن اليوم نواصل المسيرة ، بين طائفة من كلمات القرآن الكريم ظننا بعض الدارسين زائدة على بناء الجملة الطبيعي ، مطبقين عليها ما قرر علماء النحو والبلاغة من قواعد الصياغة والتعبير .

وبناء على ما قرر هؤلاء وأولئك ، تقرأ الكلمة في الجملة القرآنية فتتوهم أنها زائدة على الجملة ، فتحتال لها بالاعذار . ولكنك تعيد النظر فيها ، وتوجه التأمل إليها مرة أخرى فتؤمن بأن الجملة متسقة ، لا زيادة في بنائها ، ولا نقص يعوزها وخلل من أي لون يصيب بناءها ، وإنما هي - على ما جاءت - بناء كامل تام الكمال ، صحيح كل الصحة ، لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً .

اقرأ أن شئت قول الله الحكيم : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور » [الملك]

ثم تأمل معي في كلماتها من خلال ما قرره النحويون ، تجد أن كلمة (من) في قوله تعالى « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » ، وفي قوله تعالى : « هل ترى من فطور » محكوم عليها بالزيادة على بناء الجملة في تقدير علماء النحو ، إذ السياق -

الكتور إبراهيم عوض

النحويين - لم يسلم للمقتضى ، بل احتمله ، واحتمل غيره .

فإذا تأملنا التعبير القرآنى وجدنا أن كلمة [من] إنما جئ بها لتحصى العبارة من هذه الاحتمالات . وذلك لأنها تفيد الاستقصاء فى المنفى ، وشمول أفرادها . فالمنفى المسبوق بها هو الجنس الشامل لكل أفرادها أيا كانت صفات تلك الافراد . وعليه فقوله تعالى : « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » يعنى : ما ترى فى خلق الرحمن أهدا ولا شيئا مسن جنس التفاوت ، فهو يعنى : ما ترى فى خلق الرحمن أى تفاوت . فكلمة [من] وجهت النفى الى الجنس كله ، فانقطعت الاحتمالات الداخلة على التعبير بدونها .

تأمل كذلك فى الشق الثانى من التعبير القرآنى . « فارجع البصر هل ترى من فطور » نجد ما وجدت فى الشق الاول . بل تأمل آيات أخرى ، غير تلك الآية ، مما جاء فيه المنفى مسبوقا بمن ، تجد الغاية واحدة .

اقرأ من ذلك قوله تعالى : « ما لكم من اله غيره » (آل عمران) ، وقوله تعالى : « هل من خالق غير الله » (فاطر) ، وقوله تعالى : « وما من اله الا الله » (آل عمران) ، وقوله : « فما منكم من احد عنه حاجزين » الحاقة

● ● ●

أو اقرأ قوله تعالى : « وهزى اليك جذع النخلة تساء عليك رطبا جنيا » [مريم] .

ثم تأمل معنى فى كلماتها من خلال ما قرره النحويون الذين حكموا بزيادة [الباء] فى قوله تعالى « بجذع » تجد التعبير بعد اسقاط الحرف الزائد على ما يأتى : وهزى اليك جذع النخلة تساء عليك رطبا جنيا ، فإذا تأملنا فى المعنى على ذلك وجدنا المطلوب من السيدة مريم أن تهز جذع النخلة ، ولو نظرنا فى المطرب لوجدنا تحقيقه غير ممكن من الرجل القوى فى حال اعتداله ، فإذا كان موجها الى امرأة نعدم القدرة عليه أكد ، اما ان يوجه الى امرأة حين ألجأها المخاض الى جذع النخلة ، فهو التعجيز أو التكليل بما لا يمكن لمثلها أن تفعله ، أو قل : أنه احالة على مستحيل . فالتعبير لذلك غير مفيد ، إذ المخاطب لن يجنى من ورائه شيئا . أو بتعبير أدق : يكون هذا الكلام لا مكان له ، فهو تزيد فى الحديث ، أو خطأ فى التعبير . تعالى الله عن كل ذلك علوا كبيرا . وما ذلك الا لتقدير الباء زائدة على ما قدر النحويون .

فإذا عاودنا النظر مجردين من تقديرات النحويين ، متأملين فى النسق القرآنى ، من خلال الحدث المحيط

بمريم عليها السلام وجدنا التعبير القرآنى محكما كل الاحكام . يسمو على الزيادة ، كما يسمو على النقص . ويسمو على التزيد ، كما يسمو على الخطأ . فما من كلمة فيه الا وقد وضعت عن قصد ، لتؤدى فى مكانها ما لا يؤدى بدونها أو بغيرها .

فإذا كان العقل لا يتصور أن يكلف الرجل القوى الصحيح بأن يهز جذع النخلة طلبا لثمرتها ، ومن باب أولى هو لا يتصور أن تكلف من تعانى من آلام المخاض بذلك الفعل المعجز حتى تحصل على الجنى . . كان ذلك اشارة الى عجز التعبير عن الوفاء بالغرض منه . بعد اسقاط الباء أو تقديرها زائدة .

لكننا اذا وجهنا تأملنا الى التعبير القرآنى - كما أوحى به ربنا - وجدنا المطلوب لا يخرج عن دائرة الممكن من مثل صاحبة القصة - عليها السلام - فالطوب انما هو ان تستعين بجذع النخلة لتهز ما يسقط عليها الرطب الجنى . وبمعنى أوضح ، يكون المطلوب منها أن تتجه الى مباشرة صورة الهز ليسقط عليها الرطب ولو لم يكن فى الحقيقة هز - على ما يتفحصه العقل - إذ الهز الحقيقى مستحيل الوقوع . فالطوب ان تفعل الهز بواسطة الجذع ، أو ان تستعين بالجذع فى احداث الهز .

فالباء كلمة اصلية فى البيان القرآنى ، لا يمكن الاستغناء عنها ، إذ لا استقامة للتعبير بدونها ، ولا بدون اعتبارها .

اقرأ من ذلك قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » [البقرة] وقوله تعالى « فليهدد بسبب الى السماء » [الحج] .

● ● ●

أو اقرأ قوله تعالى : « فلما أن جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا » يوسف [

ثم تأمل فى معناها بعد أن تسقط [أن] التى قرر النحويون زيادتها ، ليلانوا بين ما وضعوا من قواعد . وبين بناء الجملة هنا ، وبذلك لا (د) ضرب زمان ، ومعناها وجود شيء لوجود غيره ، وظروف الزمان غير الممكنة لا تضاف الى المفرد ، و [أن] المفتوحة تجعل الفعل بعدها فى تأويل المفرد . فلم تبق لما مضافة الى الجمل ، فلذلك حكموا بزيادتها .

لو تأملنا فى التعبير بدون [أن] لاصبح : فلما جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا . ثم وجهنا تأملنا الى ما يحمله التعبير القرآنى والتعبير النحوى ، لوجدنا البون شاسعا ، والاختلاف كبيرا .

ان التعبير بدون (أن) يعنى أن القاء القميص على وجه الاب وقع بعد مجئ التبشير . لكن فى أى وقت

العالمين • أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أئتنا يعذاب الله إن كنت من الصادقين • قال رب انصرني على القوم المفسدين • ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين [العنكبوت]

فلايات تشير إلى أن لوطا عليه السلام يرجو ويرقب أمرا من ربه يضع حدا لهذه المفساد والانحرافات وتشير إلى أن إبراهيم عليه السلام يعلم أن شيئا سيحدث ، فهو مترقب بتوقع ما سيحدث بين لحظة وأخرى •

ومن ثم فصل بين [لما] وفعلها [أن] إيماء إلى ما كان عليه لوط وإبراهيم عليهما السلام من ترقب وانتظار •

هذا إلى أنها تومئ كذلك إلى أن جواب [لما] وقع مرتبا على فعلها معقبا له من غير فاصل ، أي أن المساءة والضيق بهؤلاء الزائرين أعقب مجيئهم مباشرة ولوط - مع ترقبه مجيء أمر من ربه - لا يعلم أن هؤلاء الزائرين هم ملائكة ربه ، جاءوا لما يرجو •

عاود قراءة الآية مرة ثانية :

« ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذمرا • وقالوا لا تخف ولا تحزن أنا منجوك وأهلك إلا أمرئك كانت من الغابرين »

ويؤكد هذا الذي تقول اسقاط (أن) في آية هود ، وذلك قوله تعالى : « ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذمرا وقال هذا يوم عصيب » • هود [•]

وذلك لاختلاف المناسبة ، فالتعبير في سورة العنكبوت يصور انفعالات لوط وإبراهيم عليهما السلام ، وموقفهما من هؤلاء المنحرفين ، وترقب نصر الله أوليائه •

أما التعبير في سورة هود فالتعبير يصور انهماك قوم لوط في الفاحشة ، وسيطرة الخطيئة والانحراف على تفكيرهم ومشاعرهم سيطرة يدون معها فاقدي الوعي ، مسلوبى التفكير ، فكل ما يعنيهم هو اشباع غريزتهم على ما كانوا يفعلون •

وهكذا نرى الدقة المعجزة في البيان القرآني ، تلك الدقة التي لا تغفل اعتبارا من اعتبارات التعبير ، بحيث تعطى لكل اعتبار من أدوات التعبير ما يفي بحاجته الوفاء كله ، فالذي أسقط [أن] من آية هود ، هو الذي وضعها في آية العنكبوت ، والذي وضعها في آية العنكبوت في قصة لوط ، هو ذاته الذي أسقطها قبل ذلك بآية واحدة في الحديث عن إبراهيم عليه السلام ، والذي من أجله أسقطت [أن] في الآيتين ، هو نفسه الذي من أجله وضعت [أن] في آية العنكبوت • دون أن يكون في الأولى نقص • ولا في الثانية زيادة ، وإنما التعبير المعجز ، والبيان الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » •

من تلك البعدية ؟ ! التعبير لا يتضمن تحديدا لذلك ، بل هو مطلق ، يفيد أن الالتقاء تراخى عن مجيء البشير ، كما يفيد أن الالتقاء وقع عقب مجيء البشير • وعلى أي الأحوال ، فالتعبير بذلك يوحي بأن هناك فاصلا كان بين المجيء والالتقاء •

أما التعبير - على ما جاء به القرآن - فإنه يوحي بترتب الالتقاء على المجيء كما يوحي بتعقبه آياه ، بحيث لا تكاد تحس فاصلا بين مجيء البشير والقائه القميص على وجه الأب •

وفي هذا إحياء بفرحة البشير الغامرة ، تلك التي أنسته مشاق الطريق ، ووعثاء السفر ، وغرابية ما يحمل من آثاء ، فلم يكن منه أي تراخ لا سبب - وما أكثر آثاء الأسباب - بل إنه جاء عامدا وجه الأب : ليحقق المعجزة التي كلف بها من يوسف عليه السلام • كما أنه فيه إحياء بطول السفر ، وبعد ما بين يوسف وأبيه ، فزمن المجيء ليس مستمرا ، ولكنه مقطوع لطوله ، فهو مراحل • • • قلما أن جاء البشير ، وكلمة [أن] هي التي تعطى هذا الإحياء ، ومن غيرها لا تجد هذا الإحياء ، ولا تحس به • فكلمة [أن] في التعبير القرآني هنا ضرورية لاعطاء متلقيها تصويرا للفعل الذي كان بين قيام البشير بقميص يوسف ، وبين مجيئه •

والى هذا وذاك ، فإن التعبير القرآني يوحي بأن هذا الحدث الغريب المعجز كان متوقعا « فلما أن جاء البشير » ، فقد كان هناك من ينتظر هذا المجيء ، فلما تحقق ذلك المنتظر ، ترتب عليه ما ترتب من لقاء البشير قميص يوسف على وجه أبيه •

ويرشح هذا الإحياء أن يعقوب عليه السلام كان يحس في داخله بشيء من ذلك ، فهو المتوقع المنتظر هذا المجيء ، وذلك في قوله لبنيه حين فصلت العير : « انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفقدون » فالتوقع كان موجودا • ولا يناسب ذلك الحال تعبير عما حدث بدون [أن] •

واقرا من ذلك قوله تعالى : « ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذمرا » [العنكبوت]

ثم تأمل في التعبير وقد تخللته [أن] ، وابحث عن وظيفتها في ذلك التعبير •

وتحقيقا لذلك أرجع إلى ما قبل هذه الآية ، حيث مفتتح قصة لوط مع قومه ، فستجد لوطا عليه السلام في مواجهته مع قومه ، يرجو من ورائها أن يعيدهم إلى طريق الجادة ، ويسمو بهم عما انهمكوا فيه من فواحش ولكنه ازاء اصرارهم وتحديدهم آياه لجأ إلى الله طالبا النصر عليهم « ولوطا إذ قال اقومه أنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من

السيرة في ضوء القرآن الكريم



الامة المسلمة نتيجة تلقائية لتربية القرآن الكريم ، وتامل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يوضح هذه الحقيقة وضوحا كاملا ، فمنذ بداية البعثة ، ومنذ الخطوات الاولى للمهد المكي ، تكونت جماعة مؤمنة قليلة العدد ، تعهدوا القرآن الكريم وسار معها صعدا خطوة خطوة ، ينشئ عقيدتها وتصورها الرباني للكون والحياة ، ويعمق الايمان في قلوبها ، ويروضها على الصبر وقوة الاحتمال والمغفرة ، ويمنحها اليقين في نصر الله .

الأستاذ محمد شريد

نشأنا مع ظروف الجماعة المسلمة في كل من العهدين .

ولما كانت القصة وسيلة أساسية من وسائل القرآن الكريم في التربية ، فقد جاءت متناسقة تماما مع ظروف الجماعة المسلمة في كل من العهدين ، وحتى تتضح هذه الحقيقة وضوحا كاملا فيحسن بيان ظروف كل من عهدي السيرة ومدى توافق القرآن الكريم وبالتالي توافق القصة القرآنية مع تلك الظروف .

بدأت الدعوة في مجتمع مكة الوثني ، ووقفت قريش منها موقف التآبي العنيد والمقاومة العنيفة ، وبدأت الجماعة المؤمنة في التكون منذ الليلة الاولى للبعثة ، ثم أخذت تزداد وتيدا في ظروف بالغة القسوة ، وكادت الدعوة أن تتجمد داخل مكة لا تجاوزها الا قليلا ، فقد كان من مقاومة قريش أنها اتفقت على البطش بالمؤمنين وتعذيب المستضعفين منهم ، وكان التعذيب في كثير من الاحيان يفوق طاقة البشر ، وكتب السيرة زاخرة بأحداث هذا التعذيب وصبر المؤمنين عليه ، واقتضت خطة الحركة في العهد المكي أن يكف المؤمنون أيديهم عن رد العدوان ، وأن يقابلوا اضطهاد قريش وأذاهم بالصبر والاحتمال والمغفرة .

وكان تعذيب المشركين للمستضعفين من المؤمنين من الضراوة والقسوة والكثرة بحيث يستفز أكثر

وفي أواخر العهد المكي كانت قد تكونت جماعة مؤمنة في يثرب - المدينة - وقد بعث اليها الرسول صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير داعيا ومربيا ، فكان يدعو في المدينة الى الله ، ويصلي بالمؤمنين ويقرئهم القرآن ويعلمهم مبادئ الاسلام ، وقد وفق في مهمته توفيقا عظيما ، وفي موسم الحج جاء الى مكة مع عدد كبير من مسلمي المدينة حيث قابلوا النبي الكريم وبايعوه بيعة العقبة الكبرى وهي البيعة التي تمت الهجرة من مكة الى المدينة على أساسها ، ومن الجماعة المؤمنة في مكة - المهاجرين - والجماعة المؤمنة في المدينة - الانصار - تكون المجتمع المسلم الجديد وبدأ العهد المدني .

وبهذا تكون السيرة قد مرت بمرحلتين كبيرتين : مرحلة العهد المكي ، وهو عهد الدعوة في مكة ومدته ثلاثة عشر عاما ، ومرحلة العهد المدني ، وهو عهد الدعوة في المدينة ومدته عشر سنين ، يفصل بينهما الهجرة من مكة الى المدينة ، ولكل من العهدين ظروفه وسماته وخصائصه وأحداثه وقرآنه الذي أنزل فيه .

ولم ينزل القرآن الكريم جملة واحدة ، ولا بالترتيب الذي نراه في المصحف الشريف ، إنما أنزل منجما في ثلاثة وعشرين عاما ، المكي منه في مكة ، والمدني في المدينة ، محددا لمنهج الدعوة ، موجها لخطوات الحركة ، ملبيا لحاجة التربية ، متوافقا

ونصر المؤمنين وهلاك المكذبين ؟ مع ابراز ان نصر الدعوة يتم دائما بيد القدرة لا بيد المؤمنين ، وبحيث يبدو واضحا من ابحاث كل قصة ان واجب المؤمنين في هذا العهد هو الصبر والاحتفال والنبات على العقيدة وانتظار نصر الله .

ونقلو مثلا كل حلقات قصة موسى عليه السلام وصراعه مع فرعون في قصص القرآن المكي ، فلا نجد فيها ذكرا للقتال ولا نصرا بجهد المؤمنين ، انها نجد معركة بين قوتين غير متكافئتين ، قوة طاغية ظالمة يدها السلطان وتملك كل اسباب البطش والاضطهاد ومجموعة من المؤمنين المستضعفين لا تملك الا ايمانها بالله وصبرها على الاذى وانتظارها لنصر الله ، وتسير أحداث القصة في كل حلقاتها في القرآن المكي في هذا الخط ، بحيث نلمس تدبير الله تعالى للأحداث وصنعه للمؤمنين دون ان يفرض عليهم قتالا أو يكلفهم سوى الصبر والاحتفال وانتظار النصر من عند الله . فاذا انتقلنا الى حلقات نفس القصة في القرآن المدني ، وجدنا انها تعالج من زاوية تتفق تماما مع ظروف الجماعة المسلمة في العهد المدني الذي اقيم فيه المجتمع وتكونت فيه الدولة وفرض فيه القتال . فمثلا في قصص القرآن المكي تبدأ القصة في سورة القصص بقوله تعالى :

« نلتو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . ان فرعون علا في الارض وجعل اهله شيعة يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحى نساءهم ، انه كان من المفسدين . ونريد ان نمي على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ! »

وبعد هذا التمهيد تستمر القصة في هذه السورة فنرى فيها كيف صنع الله لموسى عليه السلام ، وكيف دبر له منذ ولادته ، وكيف رياه في بيت عبده فرعون ، وكيف سارت الأحداث حتى خرج من مصر الى ارض مدين حيث بقي سنوات ، وكيف تلقى الرسالة في طريق عودته الى مصر ، ثم تختم القصة في هذه الحلقة بهذه الخاتمة الموحية :

« وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيرى فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى ، واني لاظنه من الكاذبين ، واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون . فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم . فانظر كيف كان عاقبة الظالمين »

وحلقة اخرى من حلقات نفس القصة في سورة طه ، حيث نرى تفصيلا أكثر في نشأة موسى وفي

الناس حلما ؟ فكان تحملا هذا الوقت صعبا على كثير من النفوس المؤمنة ، حتى ان بعض المؤمنين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يسمح لهم بقتال المشركين ورد عدوانهم على المستضعفين من المؤمنين (١٥)

روى الحافظ ابن كثير في تفسيره ان عبد الرحمن ابن عوف في جماعة من المؤمنين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : لقد كنا أعزة ونحن مشركون ، فلما اسلمنا صرنا اذلة !!

فقال لهم : اني امرت بالعرف ، فلا تقاتلوا القوم .

وقد ندرك بعض الحكمة في خطة الحركة في هذا العهد ، وقد يغيب عنا بعضها ، وقد يكون من حكمتها ان الله تعالى اراد ان يمحس المؤمنين بالحننة وأن يريهم في بوتقة الاضطهاد ، وأن يروض نفوسهم على الصبر والاحتفال والمغفرة ، وأن يظهرهم من نوازع الجاهلية وسلوكها ، وأن يجعل المعركة خالصة للايمان ، وألا يبدد طاقات المؤمنين في معارك واشتباكات جانبية لا جدوى منها ، وأن يتساقى بهم الى أفق عالية الدعوة ، فالمعركة ليست معركة مكة ولكنها معركة الجاهلية في العالم أجمع ، وأن الغاية في هذا العهد هي تكوين جماعة مؤمنة صلبة أعدادا للجمتمع المسلم الذي يقضى على الجاهلية في كل مكان .

واذا لاحظنا ان العربي بطبيعة تكوينه وظروف بيئته وعرف مجتمعه لا يقبل الظلم ولا يتحمل الضيم ، وأنه كان في جاهليته سرعان ما يثور ويستعمل سيفه لمظنة عدوان أو اهانة ، وأنه كان من أمثاله : انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، وأن حوادث تعذيب المؤمنين طوال العهد المكي كانت من الخسة والقسوة بحيث لا يمكن أن يصبر عليها أو يتحملها مثل هذا الانسان الذي نشأ في ذلك المجتمع ، وأن الجماعة المؤمنة كانت تضم عددا من ذوى العصية والقوة والحماس والانفعال ، وأن العهد المكي كله قد انتهى دون حادث واحد فردى أو جماعى استعمل فيه السلاح دفاعا أو ردا للعدوان ، اذا لاحظنا هذا أدركنا مدى القوة النفسية والطاعة والانضباط التي وصل اليها المؤمنون ، وأدركنا مدى قوة تأثير التربية القرآنية وصياغتها للنفوس المؤمنة ، ومدى حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في قيادة الجماعة المؤمنة .

ونتأمل سور القرآن المكي وما تضمنه من قصص ، فنرى انه يعالج هذا الموضوع علاجا تربويا عميقا من جميع جوانبه ، فقصص القرآن المكي يعرض دائما من زاوية العقيدة والدعوة والاضطهاد

عليهم أربعين سنة ، يتيهون في الأرض ، فلا تأس
على القوم الفاسقين .

[المائدة : ٢٠ - ٢٦]

ويمكن أن نخرج من هذه الحلقة من القصة بعدة
حقائق :

فلنوضح أن القصة تعالج موضوعا تتفق أحداثه
وظرومه مع أحداث وظروف الجماعة المسلمة في
العهد المدني ، من حيث الهجرة والتحرر من الحياة
في ظل سلطان مجتمع وثني ، وتكوين مجتمع جديد
خالص للإيمان .

الحقيقة الثانية أن القصة تقدم العبرة للجماعة
المسلمة في العهد المدني حتى لا يقعوا فيها وقع فيه
بنو إسرائيل من جبن وعصيان وتقايس عن القتال
في سبيل الله .

الحقيقة الثالثة : أن القصة تكشف حقيقة بني
إسرائيل حتى لا تخدع الجماعة المسلمة في مظاهر
قوة يهود المدينة الذين يادروا بالكيك للإسلام
والمسلمين منذ بداية العهد المدني .

الحقيقة الرابعة : أن القصة تبرز جزءا تقاعس
عن الجهاد في سبيل الله وهو النهي في سبيل
أربعين سنة حتى يفنى ذلك الجيل الذي مرد على
الذل والفساد بالمعجزة وتقاعس عن القتال ،
وهو تحذير مقصود للجماعة المسلمة وهي في بداية
العهد المدني ويعدها القرآن الكريم للقتال في سبيل
الله .

والراجح أن لم يكن من المؤكد أن هذه القصة
نزلت في أوائل العهد المدني أعدادا تربويا للجماعة
المسلمة ، وقد كان لها أثر عميق في قلوب المؤمنين
وسلوكلهم وأقدامهم على القتال ، ففي معركة بدر
وقبل المعركة شاور النبي صلى الله عليه وسلم في
أمر القتال ، قائلا : أشيروا على أيها الناس ، فقد
كانوا قد خرجوا من المدينة لاعتراض قافلة أبي
سفيان ولم يخرجوا لقتال ولا أعدوا له ، فأفلتت
القافلة وجاء جيش قريش ، ولم يقدم الرسول صلى
الله عليه وسلم على القتال إلا بعد مشورة
أصحابه ، فكان مما أجابوا به قول المقداد :

يا رسول الله ، أنا لا نقول لك كما قال بنو
إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا أنا ها هنا
قاعدون ، ولكن نقول لك : اذهب أنت وربك فقاتلا
أنا معكما مقاتلون .

وهو قول يدل على أن القصة نزلت فعلا في أوائل
العهد المدني وقبل معركة بدر ، كما يدل على مدى
تأثير القصة في قلوب المؤمنين .

□ ٤٥ □

أصول الرسالة وفي دعوة موسى لفرعون ونفى
مباراته للسحرة وانتصاره عليهم ثم إيمانهم وبطش
فرعون بهم ، وفي نهاية المطاف نرى هلاك فرعون
وجنوده ونجاة موسى والمؤمنين في قوله تعالى :

« ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبدى
فأضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا
تخشى . فاتبهم فرعون بجنوده ففشيهم من اليم ما
غشيهم . وأضل فرعون قومه وما هدى ! »

وفي سورة الشعراء حلقة أخرى من حلقات نفس
القصة ، فيها إبراز مقصود لنصر الله ، فهناك على
شاطئ البحر وقف بنو إسرائيل محصورين بين
البحر وبين جيش فرعون ، وتصور القصة هذا
المشهد تصويرا يبرز يد القدرة في صنعها للمؤمنين
في قوله تعالى :

« فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى أنا
لدركون . قال كلا ، ان معى ربى سيهدين .
فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر ، فانفلق
فكان كل فرق كالجود العظيم . وأزلفنا تم
الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم
أغرق الآخرين » [الشعراء]

وهكذا تسير حلقات القصة في هذا الخط في
سائر قصص القرآن الحكى ، معالجة لموضوعات
القرآن الحكى متفقة مع ظروف الجماعة المؤمنة في
هذا العهد ، أما في قصص القرآن المدني فنرى
نفس القصة معروضة من زوايا أخرى مستخدمة
أحداثا مختلفة متفقة تماما مع ظروف الجماعة
المسلمة في العهد المدني ، عهد المجتمع والدولة
والأذن بالقتال ولناخذ مثلا واحدا منها في سورة
المائدة في قوله تعالى :

« وإذ قال موسى لقومه : يا قوم اذكروا نعمة
الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم
ما لم يؤت أحدا من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض
القدس التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم
فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوما
جبارين وأنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن
يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين
يخافون أنعم الله عليهما ، ادخلوا عليهم الباب فإذا
دخلتموه فانكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين . قالوا يا موسى أنا لن ندخلها أبدا ما داموا
فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا أنا ها هنا
قاعدون . قال رب انى لا املك الا نفسى واخى ،
فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة

دعوة القرآن الكريم

إلى
المجتمع المثالي

الدكتور أحمد عمر هاشم

الحساب على مجرد شكل العمل وصورته ، بل وعلى روحه ونية فاعله ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » وقال عليه الصلاة والسلام : « إنما يبعث الناس على نياتهم » وهنا يتجلى ما يتضمنه الدين من بعث لقوى الخير الكامنة ، وإطفاء لنزعات الشر الطائشة في داخل النفس الانسانية .

ان قوانين الدنيا قد يفلت البعض منها بحيلة ما ، فلا يبع تحت طائلة العقاب إنما بالنسبة للقوانين الإلهية فمهما أخفى العبد جريمته : فلن تخفى على علام العيوب الذى يعلم السر وأخفى . ولهذا كان الإسلام في دعوته يجمع كل صفات الظاهر والباطن ويغرس في النفس الإنسانية روح المراقبة ومعانى الخير والحلم : وينقى القلب دائماً ويجعله على صلة وثيقة بالله وبالناس . . . وسنرى كيف نادى الكتاب العزيز بالسنة الشريفة الى كل هذا وكيف كانت تقوى الله تعالى هي أهم الركائز ، وعلى ضوءها تنبثق كل الفضائل والأخلاق .

فلقد أرسى الإسلام قاعدة المثالية ، بالنسبة للأفراد والجماعات ، والامم والشعوب ، وعلى ضوءها يقوم بناء المجتمع المثالي ، هذه انصاعده العرانيه هي قول الله تعالى : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

فالمجتمع المثالي : هو الذى أخذ التقوى شعاراً ، وطبقها سلوكاً ، فأتت ثمارها حقيقة . وقد وضع القرآن الكريم سمات هذا المجتمع الرفيع ، وبين أنه هو الذى يجعل القرآن هداه .

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالإحزنة هم يوقنون » .

ويرسم القرآن صورة هذا المجتمع المتكامل في مبادئه ، بأنه صحيح العقيدة في دينه ، متعاون في معاشرته ، مهذب النفس في سائر معاملاته وعلاقاته .

١ - أما صحه العقيدة : فتكون بالايان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبين .

٢ - وأما تعاونه في المعاشرة : فيكون بإتساء المال - مع حبه له - لأصحاب الحقوق والمحاجين ، فقد روى مسلم بسنده - عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجراً ؟ فقال : « أما وأبيك لتبأنه : ان تصدق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ، ولا تهمل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان » .

٣ - وأما تهذيب النفس في سائر المعاملات والعلاقات : فيكون بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والوفاء بالعهد ، والصبر في كل الأحوال وفي أوقات الشدائد ، وعند لقاء العدو

ان دعوة الاسلام الى بناء المجتمع المثالي ، لا تقتصر على ما فرضه من حدود على الجرائم والشور : لتتقى المجتمع منها فحسب ، ولا على التواهي والتحذيرات التي تحرم على المسلم ارتدب الرذيلة او فعل القبيح او الإهمال فيما يجب عليه فقط ، كما لا تقتصر على ما شرعه الله تعالى من عبادات ومعاملات وجهاد لا غير . . . ولا تقتصر كذلك على ما جاء في الكتاب والسنة من الفضائل او الأخلاق في نرونها كالإيثار ، والإحسان الى من أساء وغير ذلك . . . بل أن دعوة الاسلام تضمنت مع كل هذا وذلك « الاسوة الحسنة » التي تمثلت في رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وبلغ فيها أسمى الدرجات ، فلا يكفي للرائد والمعلم أن يلقي توجيهاته دون أن تكون أعماله وسلوكه مصبوغة على أعلى المستويات فيما يأمر أو ينهى عنه . . .

● والمعلوم ان في الانسان فطرة خيرة كريمة ، ونزعة بشرية مقابلة ، وكل واحدة من هاتين تحاول اجتذاب الانسان الى صفها ، فمن زكى نفسه فقد أفلح ، ومن أهملها فقد ضل ضللاً مبيناً

« نفس وما سواها قالهما فجورها وتقواها قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها ! »

ولكى يكون السلوك دائماً النقاء ، موصول الخير ، مأموناً عليه من الانزلاق في وحل المعصية ، والشور ، جاءت توجيهات الاسلام لتخاطب الظاهر والباطن ، ولتستحث في الانسان فطرته الطيبة وتحرك أشعتها مضيئة « صوب الحق والخير . ولا يجعل الاسلام

موطن آخر ، قول الله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطعناً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ! »

● وإذا كان القرآن الكريم قد بين جزاء قيام الليل بهذه الصورة : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين .. » فقد أكدت السنة الشريفة عظم هذا الجراء : عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قال أبو هريرة : أقرأوا ان شئتم : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » رواه البخارى .

● وأما جزاء الاستغفار وثمرته : فواضح فى قول الله تعالى : « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ! » ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب » رواه أبو داود .

● وأما فضل الإنفاق وجزاؤه : فقد قال تعالى : « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما » . وقال تعالى : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أن ملكاً يباب من أبواب السماء يقول : من يقرض اليوم بجزى غداً وملكاً يباب آخر يقول : اللهم اعط منقفاً خلفاً وعجل لمسك ثلثاً » رواه أحمد بإسناد صحيح وابن حبان فى صحيحه والطبرانى فى الأوسط .

هذه العناصر الثلاثة : من قيام الليل ، وعدم الاتكال على ذلك فيكثر من الاستغفار ، ثم إقامة البرهان على الصدق فى جميع الفضائل بالإنفاق ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « .. » . والصدقة برهان » هذه كلها تشكل عناصر الاحسان الذى هو عنوان المجتمع المثالى الذى أخذ نفسه بتقوى الله تعالى والاحسان فى عباداته ومعاملاته .

والناس فى نظريهم للمثالية يختلفون ، وينقسمون الى قسمين :

أحدهم : يراها فى حب الشهوات ، وهؤلاء هم حزب الشيطان وعشاق الدنيا الذين غرتهم الامانى وغرهم بالله الغرور .

والآخر : يراها فى تقوى الله تعالى ، وهؤلاء هم حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون .

□ ٤٧ □

أن من يجمع هذه الكلمات الانسانية فقد صار صادقاً فى دينه ، واتباعه للحق ، وطلبه للبر ، وهو بحق تقى .. والمجتمع الذى يتسم بها هو المجتمع المثالى الفاضل ويجمع هذه المبادئ كلها قول الله تعالى :

« ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى الباس والضراء وحين الباس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ! »

وفى موطن آخر من سورة « الذاريات » يصور القرآن الكريم صورة المجتمع المثالى بأنه مجتمع تقى بلغ فى رقيه وتقاه الى درجة الاحسان التى اشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك » . وقبل أن يذكر ملامح هذا المجتمع بين جزاء أصحابه ، وما أعده الله تعالى لهم من جنات وعيون . وما هم عليه من رضا تام ، وقبول حسن لما آتاهم ربهم ، فيقول الله تعالى : « ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبلا سحر هم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » .

ان درجة الاحسان التى اشارت اليها الايات السابقة ، لهى امان للمجتمع ، فوق مالها من منزلة ، وما لأصحابها من اجر موفور عند الله ، هى امان من الخوف والفرع والقلق النفسى ، وهى امان من الحزن الذى يصاحب به غير المحسنين فى أعمالهم وعباداتهم قال تعالى : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ، فله اجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وتفسر الايات الشريفة درجة الاحسان فى التقوى والعمل ، بأنها ترقى المجتمع الى الدرجات العلاء ...

١ - انهم يهجعون فى طائفة قليلة من الليل ، ويقضون سائر الليل فى العبادة .

٢ - ومع قلة هجوعهم ، وكثرة تهجدهم ينهضون فى الاسحار ويستغفرون ربهم وكانهم أسلفوا الليل فى الجرائم لا فى العبادات .. فهم يصلون فى الرقى بالعبادات من نوع الى آخر ، ولا يركنون لما قدموا من طاعة أو سهر وتهجد بل مع هذه الاجتهادات يكثر من الاستغفار وكانهم مذنبون .

٣ - ثم يقدمون بعد هذا الدليل على صدق الايمان ، واحسان الطاعة ، وذلك بالبدل والاتفاق ، ولا يقصرون البدل والعطاء على السائل الذى يسأل ، بل يبذلون وينفقون على من يسأل ومن لا يسأل ، كالمحروم وهو : المستجدى والمتعفف الذى يظنه بعض الناس غنياً ، لعدم سؤاله فيحرم الصدقة ومصدق ذلك فى

وقد أمر الله تعالى عباده بأسباب المغفرة والجنة ، ووجههم الى المسارعة فى ذلك ، ولكن الامر والتوجيه جاء بصيغة تقتضى تحقق هذا الجزاء العظيم الذى أعد لهم ، لانهم اتقوا ربهم حق ثقافته ، وقدموا الجزاء أولا ، ليبين أنه المتكفل به ، والضامن له ، ثم ذكر - بعد ذلك - سماتهم وأوصافهم .. ثم يختم ببيان الجزاء ، ليوضح انه انما جاء وفق إيمانهم وعملهم ، لانه لا يضع أجر من أحسن عملا ، وليوضح أيضا أنه مؤكد عند الله سبحانه وتعالى ..

وفى معرض تعداد أوصاف المتقين ، الذين سموا فى أعمالهم الى مراقى الفلاح ، والذين كونوا بمثاليهم الغدة أرقى مجتمع إنسانى على ظهر الأرض ، فى معرض تعداد الأوصاف ، ذكر نوعين من الأعمال ، عليهما تدور سعادة الأمة التى ينتمون اليها كالانفاق ، والسعادة النفسية للعامل ذاته هذان النوعان هما :

١ - العمل البدنى كالانفاق

٢ - والعمل النفسى كعدم الاضرار .

هذه الملامح السابقة يصورها قول الله تعالى :

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الى الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » .

وهكذا تطلعنا هذه الايات الكريمة على خمس سمات ، اذا تحققت تكاملت بها صورة المجتمع المثالى :

أولا : « الذين ينفقون فى السراء والضراء » أى فى حالة الرخاء ، وفى حالة الشدة ، والسراء ومن السور ، أى فى الحالة السارة التى يستشعر فيها الإنسان السعة واليسر و « الضراء » : من الضر أى فى الحالة الضارة التى يستشعر فيها الإنسان الضيق والعسر . وقد روى عن ابن عباس تفسيرهما باليسر والعسر .

وهنا لفظة الهية حكيمة ، حيث بدأ صفات المتقين بالانفاق ، وذلك لسببين :

١ [لمقابلته بالربا الذى نهى عنه فى الآية السابقة فى قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » ..

وقد بين القرآن الكريم أن القسم الثانى هو الذى على حق ، وهو الذى قد أعد له ربه جزاء عمله على نوعين :

الأول : جسمانى نفسى ، وهو الجنة والازواج المطهرة .

والثانى : روحانى عقلى ، وهو رضوان الله سبحانه وتعالى .

ويصور القرآن الكريم النوعين من المجتمعات فى قول الله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد » .

ثم تبرز لنا الايات الكريمة سمات هذا المجتمع العظيم : الذين يقولون ربنا اننا آمننا فأغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار .

أنهم رتبوا طلب المغفرة على الايمان ، وابتلوا الى الله بصدق إيمانهم ليغفر لهم .

كما أنهم صابرون ، والصبر ضياء ، وقد قال الله تعالى فى جزاء الصابرين :

« انما يؤفى الصابرون أجرهم بغير حساب » وقال تعالى : « ولئن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور » وقال صلى الله عليه وسلم :

« عجا لامر المؤمن ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له » رواه مسلم .

ثم يصفهم بعد ذلك بالصدق ، والصدق يكون فى القول والعمل ، وقد قال الله تعالى فى جزاء الصادقين : « والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثبرة الصدق ونتيجته ، وعاقبة الكذب ونهايته : « ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » متفق عليه .

وحين يصفهم بالعبادة يصفهم بالمداومة عليها ، والحرص على روحها وليبابها لا على الشكل والمظهر فحسب ، فيصفهم بـ « القانتين » .

وأما الصفتان التاليتان وهما : الانفاق ، والاستغفار بالاسحار فقد سبق بيانهما .. الا أن بعض المفسرين يرى أن المراد بالاستغفار هنا الصلاة وقت السحر .

فإذا كان الربا استغلالاً من الغنى للفقير ، وانتهاز حاجته وفاقته ، لكل ماله بغير وجه حق .. فإن في الصدقة مساعدة للفقير وعوناً له ، لا يبغي من الفقير جزاء ولا شكورا .

ب | الانفاق في جميع الحالات - اليسر والعسر - دلالة على صدق الايمان ، وبرهان على قوة اليقين .. وهذا هو شأن المتقين ، لا يجزمهم اليسر الى البطر ، ولا يوقعهم العسر في القنوط ، فهم لا يقتصرون في تعاونهم على حالة الرخاء والنعمة بل هم في الحالين سواء ، فلما كان الانفاق أدل على التقوى ، وأعظم نفعا للمجتمع الانساني من سائر الاعمال الاخرى استبهرت الآية الشريفة موكب المتقين بالانفاق .

ثانياً : « والكافرين الغيظ » ، وهم الذين يحبسون غيظ نفوسهم بالصبر عندما يهضم لهم حق من الحقوق مادية كانت أو معنوية ، وهذه الصفة تقتضى ضبط النفس وكبح جماحها ، حتى لا تنزلق في الشر فتكون فتنة .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم درجة كظم الغيظ وثمرته في قوله : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء » .

ثالثاً : « والعافين عن الناس » وهنا يرقى الاسلام بنفس المسلم ، فيعد أن أطفأ جذوة الشر التي تكاد تندلع بها النفس الانسانية ، وذلك بكظم الغيظ ، انتقل بالمسلم الى درجة أسمى ، فيها معالجة للنفس ، وانتقال الى مرتبة اسمى من السابقة ، فقد كظم الانسان غيظه ، ولا يزال في قلبه شيء من الضغينة ، أما العفو فيمسح ما بقي من شر حتى يعود القلب نقياً .

وعن عبادة بن الصامت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الا انبئكم بما يشرف الله به البنين ويرفع الدرجات ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك » رواه الطبراني .

رابعاً : « والله يحب المحسنين » ، وإذا كان العفو منزلة فوق العدل ، كان - عند بعض العلماء - احساناً ، وعلى هذا فمعنى : « والله يحب المحسنين » أي الذين أحسنوا في معاملتهم وعفواهم .

ولكنني أرى أن قوله تعالى : « والله يحب المحسنين » صفة رابعة ، زائدة على ماسبق ، وقد جاء في صيغة تبرزه بكونه محبوباً عند الله سبحانه ، فهي درجة زائدة بلغ أصحابها في مثاباتهم مدى عظيماً ، بحيث لا يكتفون بكظم الغيظ والعفو فحسب

بل انهم يحسنون الى من أساء اليهم ؟ روى أن بعض السلف الصالح غاظه غلام له غيظاً شديداً ، فهم بالانتقام منه ، فقال الغلام : « والكافرين الغيظ » فقال كظمت غيظي . قال الغلام : « والعافين عن الناس » قال : عفوت عنك . قال : « والله يحب المحسنين » قال : اذهب فانت حر لوجه الله .

خامساً : « والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » وهذه الصفة ، تكشف عن الطبيعة البشرية ، وأنها عرضة للخطا والزلل ، فالمسلم التقى اذا اقترف معصية - في حالة ضعف نفس - يبادر بالرجوع الى ربه مستغفراً تائباً .. وان سماحة الاسلام لا تدع أمثال هذا النمط في مؤخرة القافلة ، بل ترفعهم الى مصاف المتقين ما داموا قد ذكروا ربهم ، واستغفروه ، ولم يصروا على ما فعلوا .

ومما سبق يمكننا أن نبرز هنا سمات هذا المجتمع المثالي ، لتكون بمثابة الاضواء الكاشفة لسلامة الاسلامية ، حتى تترسوم الخطى الصحيحة التي أشار اليها الاسلام في القرآن والسنة ، وهذه السمات : ١ - منها ما يتعلق بصحة العقيدة : وهذا عن طريق الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر .. وما يستلزمه من عبادات ومعاملات .

ب - التعاون والتكافل الاجتماعي ، وهذا عن طريق التعاون والانفاق في جميع الاحوال .

ج - تهذيب النفس الانسانية ، وترويضها ، وكبح جماحها وفتح سبل الخير والحق لها .. وهذا عن طريق :

١ - الصلاة . ٢ - الزكاة . ٣ - الصوم . ٤ - الحج للمستطيع . ٥ - الوفاء بالعهد . ٦ - الصبر في جميع الاحوال . د - سموهم في العبادة والقرب من الله .. وهذا عن طريق :

١ - قيام الليل . ٢ - الاستغفار في الاسحار . ٣ - علاقتهم بالله وبالناس ، وسمو المجتمع بهم ، وهذا عن طريق :

١ - الصدق . ٢ - القنوت . ٣ - كظم الغيظ . ٤ - العفو عن الناس . ٥ - الاحسان الى من أساء اليهم . ٦ - الرجوع الى الله تعالى .

وهذه هي ختام الصفات الكريمة ، وهي تبين أنهم دانها يذكرون ربهم ولا ينسونه « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » .

أضواء من كتاب

الله

(يا أيها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً
وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند
الله اتقاكم ان الله عليم خبير)
لا مجال في الفكر الاسلامي
للبحث في ذات الله وصفاته جل
شأنه فانها فوق التصور
والادراك والحسن وهو الواحد
الاحد الصمد لم يلد ولم يولد
وليس له تد ولا شريك في الملك
لم ينبئ من شيء قبله ولم ينبئ
منه شيء (ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير) - (لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير) والفكر
الاسلامي بعد هذا الحصى
المصون منطلق الى ابعاد حدود
الانطلاق في جميع المجالات
للعلم والادراك والبحث عن
الحقيقة ايا كانت ولا يزال الفكر
العام تتفتح امامه كل يوم آفاق
جديدة يدرك فيها ما لم يكن
يستبينه فيما مضى مما كان
يحرمه بعض الذين استهانوا
بحرية العقل وجعلوه اسيراً
مقيداً بأغلال في مناطق لا
يتعداها

فخيلة الشيخ حسن صالح

□ ○ □

ولقد نعلم ما جرى لجاليلى وغيره من رواد العلم
وما اشتهر عن بعض العلماء من تحريم علم المنطق
والثورة العارمة التي وقعت للحيلولة بين الازهر وبين
ادخل العلوم الحديثة فيه ثم كان ان انتصرت حرية
العقل واثرت حصيلة البشرية بنتائج وكان اساتذة
العلماء في صدر الاسلام اول من نبغوا في شتى العلوم
من رياضيات وروحانيات وعمرت المكتبات بمؤلفاتهم
وتراثهم وكانت الاسس والركائز والمراجع للنهضات
المعاصرة واعترف كثير من المنصفين باستاديتهم
وفضلهم فيما قدموا للبشرية .

والفكر الاسلامي كذلك حذر حريص لا ينطلي عليه
زيف ولا يلتفت الى قصص منق وخيال موشى يؤمن
بالحق وحده من مصادره الحق في العقيدة والعبيبات
وبدء الخلق ومشاهد الساعة وما تحدث به كتاب
الحق وهو المرجع الاول وقد افاض سبحانه وتعالى في
وحدة البشريه ووحدة المنهاج وتنزيه الرسل عليهم
صلوات الله وتسليماته وهو يردها من حين لآخر الى
مهددها واصلاها وديارها ومبائتها الاولى وحققها من
طين الصلصال المسنون ويأمرها بالحج الى تلك
الاماكن المطهرة ايقاظا لها وجمعاً لشملها على معالم
لازلت هي اعظم تراثها واعلى مناراتها فدا حج
الناس اليها فهناك جبل الرحمة حين تلقى ادم من ربه
كلمات فتأب عليه وهناك رمز المعركة بين الحق
والباطل (الجحراث) وهناك اول بيت وضع للناس
وفيه الحجر الاسود من بقايا ما تهدم منه اذ يرفع
ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل واذا بوا له ربه
مكانه بعد ان اودع هاجر واسماعيل عنده ، وآثار
الاقدمين وما مر على البشرية عبر القرون في مسيرتها
من درجوا على ارض الجزيرة العربية وما حولها
منذ الانسان الاول والسلالة الادمية من طين ثم السلالة من
ماء مهين فمدارج عاد وثمود والذين من بعدهم لا
يعلمهم الا الله ونوح من قبلهم وابراهيم وموسى وعيسى
ومحمد من بعدهم وتبع واصحاب الايكة واصحاب
الرس وكل من سكنوا هذه الديار وتحدث عنهم سجل
البيهرية الخالد في كتب الوجود ، لاتزال تذكيراتها
ومعالم اقدامها تكاد تنطق بحضاراتها القديمة ثم
بالحضارة الاسلامية وهو فعخطى الانبياء ورسلى الله
واحداتهم ومجالات الرسول وصحبه صلى الله عليه
وعليه اجمعين وديارهم ولما استوت السفينة على
الجودي جبل جوديان في سلسلة جبال طوروس بعد
انطوفان الطبقى الذي شمل الجزيرة العربية كلها
وبدأت الحياة في تلك المنطقة من جديد بمن حملهم نوح
معه في السفينة فدرجت من هناك واتسعت آفاقها
وكانت حضارة الكلدانيين والاشوريين والبيزنطيين ثم
ما تلاها من حضارات وتتابع من هجرات ورحلات
وتناسل من سلالات وكان للامكن المقدسة حرمتها
ومكانتها في نفوس البشرية اذ توالت اضواء الهدى
تشع من بيت ابراهيم النبوى الكريم وما ترك فيها من
بصماته ونسله والذرية من بعد اسحق فكانت القبلة

الثانية وهم مع هذا كانوا يجمعون قى وقوفهم بمحاربيهم أمام الله فى صلواتهم بين القبلتين كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وما نعلم فى التاريخ منارا تجمع البشرية كلها على الاستضاءة به والاتجاه اليه الا هذين .

ويريد الله وهو أعلم بما يريد أن تكون وحدة البشرية عملية وعقيدية وقيادة ومجتمعاً نظيفاً نقياً من كل أسباب الضعف والخلف واختلاف الاهواء فليفتها لفتاً قويا الى أصلها ومنابتها بما شرع لها فى ممارساتها اليومية وحياتها الاجتماعية (انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) لا للتناكر والاحقاد والضغائن والتفانى بالحروب والتطاحن المذهبى والصراع على الشهوات ومتاع الدنيا « ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » فوجد القيادة [لا تقدّموا بين يدى الله ورسوله وأنقوا الله ان الله سميع عليم] حذر من الشائعات وما يشبهه طلاب الفتنة (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وأمر بحرب الخارجين على الوحدة بعد النصح ومحاوله الصلح بين المتخاصمين (فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفى الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) وأراد لها الاخوة والتراحم [انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون] وحرّم ما يوجب الفرقة والبغضاء من السخريه واللمز والتنازير وجعله مناقضا للايمان منافيا للاخوة فسوقا عن امر الله [يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنازروا بالاتقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون] ثم جعل الثقة ثانية دعائم الامن والطمانينة والراحة النفسية وتربية الضمير العام فأمر باجتتاب كثير من الظن والاثم والتجسس والغيبة كما اوجب تجنب كل هذه العيوب الهدامة التى تذهب بسمات المجتمع وتوهى العرى بين أفرادها .

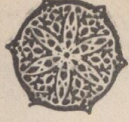
والفرد المؤمن محصن مزود بالالتزام السابع من القلب والشعور والوجدان وتقدير المسؤولية نحو نفسه وبيئته الخاصة ومجتمعه الذى هو جزء منه يعود عليه وعلى باقى أفرادها أثر سلوكه ان خيرا او شرا والمؤمنون كلهم يد على من عداهم ويسمى بذمتهم أدناهم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

ثم ان الزوجية من ذكر وأنثى سنة فى الوجود كله (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) والمشاهد الواقع أن الأزواج متعددة من بدء خلق كل سلالة من الحيوان والنبات والذرات والعناصر قائمة بذاتها

ونظرية داروين لا ظل لها من الحقيقة وانما هى تخمين يناقض العقل ونص كتاب الله (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا اثم أمثالكم) وانما ترقى الحياة على الارض سلم زمنى وليست طفرة من اجناس سبقت حتى كان ارقى انواعها الانسان فخلق نوعه من الطين (ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) - (والله انيكنم من الارض نباتا) ثم كان التناسل بالتزاوج والسلالة الثانية من ماء مهين [ألم يك نقطة من موى يعنى ثم كان علقه فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى] .

وقد كان للبشرية الاولى مناتها وعصيانها وشركها فحصل الله آدم امانة هدايتها واصطفاه عليها رسولا من عند الله كما اصطفى بعده كثيرا من رواد البشرية وهداتها [رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل] - [ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين] . وقد كان الذكور والاناث من السلالة الاولى قد ضلوا وعصوا ربهم وأشركوا بالله « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاهما حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاها صالحا جعل له شركاء فيما آتاها فتعالى الله عما يشركون » . فارسل اليهم من هداهم بنور رسالته الى الصراط المستقيم وأنار لهم الطريق السوى (آدم المصطفى) ونحن نعلم يقينا ان المصطفين الاخيار وهم رسل الله منزّهون عن المعصية فضلا عن الشرك قبل الرسالة وبعدها وانهم لا يجوز فى حقهم نسبة ذلك اليهم وانما قصص القرآن الكريم فى بدء خلق الانسان ونسبة ذلك الى آدم عليه السلام وزوجه [فذلاهما يغور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخضعا عن عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ؟ قالارينا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) - (وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباها ربه فقاب عليه وهدى [-] قلنا اميطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا آياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] فهو تصوير لحقيقة كامنة فى الانسان عامة (ونفس وما سواها فالههها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاهما . وقد خاب من دساها) ذكرنا كان أو انثى فطره خلقه كذلك ربه مستعدا للخير والشر فان استجاب لداعى الخير سما الى ما فوق الملا الاعلى الى منزلته التى اراد الله له أن يرقى اليها بجهاده نفسه وشيطانه واتباعه سبيل الرشاد وان أعرض عن ذكر

البقية ص ٥٤



تصوير العقيدة

في

القصص القرآني

في معنى القصص « التسابع » ،
وفي القصة أحداث متتابعة
مترابطة تدور حول « محور » تقوم
عليه حتى ينتهي الأمر إلى ما يراد
من السرد . والإنسان حين يصور
الأحداث يهدف إلى « عقدة »
يحاول حلها بمد الربط على أسلوب
يدخله التصوير بالخيال أو التقرير
في الواقع مع « الرمز » حين يراد
إخفاء المقصود .

الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

• إن المقام يطول حين تصور هذا التكرار ، ولقد
سميت سورة بأكثرها (القصص) مسمى عامها ، ثم
خصصت سور غيرها باسم معين كالبقرة ، وآل
عمران ، والمائدة ، ويونس ، وهود ، ويوسف ،
وابراهيم ، والاسراء ، والكهف ، والنحل ، ونوح .
وسور غيرها لها بضمائنها المشيرة باسمها إلى
الدلالة المراد اثباتها .

والمعروف أن القصص القرآني إنما أتى لأمور
جليلة منها تسليية الرسول - صلى الله عليه وسلم =
ثم اتخاذ العبرة التي أشرنا إليها صدر الكلام . ولقد
جاء قوله تعالى - آخر سورة يوسف : (حتى إذا
استقياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا
فنجى من نساء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين .
لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) الأيتان ١١٠ ،
١١١ . غنى الأيتين الكريمتين بيان واضح مشير إلى
السري في تكرار القصص من أن هناك دعوة قائمة
« مستمرة » يدعو إليها الأنبياء ثم « مصادرة » عنيدة
لهذه الدعوة حتى يقطع الأمل في الاستجابة لها بعد
مواصلة التكذيب واللاحاح عليه من المكذبين إلى أن
يقع النصر بعد وضوح الحق المبين - وقوله تعالى :
« عبادة لأولي الألباب » دار على أن المستجيبين هم
الذين أشرقت فطرتهم فصفت قلوبهم ، واستقرت
عقولهم حتى عرفوا الحقيقة ، ثم ارتبط هذا الاعتبار

• لكن القصص القرآني له أسلوب فريد لا يرقى
إليه الأداء البشري مهما يمتد أو يبدع في الاستبالة
والتشويق ، فالكتاب الخالد منزل « للعبارة » في جميع
اتجاهاته الدينية والدنيوية ، وهو يصور النوازع
البشرية التي تتحكم في السلوك تصويرا يراد منه
التفكير على تقويم هذا السلوك بحسب استقامة
النوازع أو انحرافها مع بيان المقومات لها . ولعل
قصة أبونا آدم وخواء تعطى الصورة للخروج على
الطاعة مع التوجيه إلى ما يجب أن يكون وحين وقع
العصيان كانت النتيجة في الهبوط بعد الصعود مما
يدل على أن الطامعين مرتفعون من حيث ينالون الرضا
بعد الامتثال .

• ولقد ارتبطت الحكمة العملية فيما وقع . لأن
الخالق الواحد ينبغي أن يطاع ويعبد ، فذراري
الآبوين قد اعترفوا بالوحدانية حين كانوا في عالم
الذر ، إذ سألهم بآرائهم : الست بربكم ؟ . قالوا : بلى
، . واختير الجواب بكلمة « بلى » لأنها في هذا المقام
تقرر غاية الاعتراف ، ومنتهى الخضوع .

• وتكرار القصة في القرآن الكريم يدل على
توكيد « المضمون » الدال عليها في أسلوبها الموجز
الرائع من دون سرد مستطرد ، أو اختلاط مجتذب . .
فالحقيقة الكبرى بارزة لا تحتاج إلى محاولة
« الامتناع » الظاهري بالخلابة اللفظية .

والوصف بقوله تعالى « مبارک » يدل على ما فيه من زيادة النفع والخير ، فلا يليق أن يكون موضع انكار .

● وتلا موسى وهارون سيدنا « ابراهيم » = عليه السلام ، لانه وجد من أقرب الناس اليه مصادرة لدعوته (ان قال لا يبيد وقومه : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟) - الآية ٥٢ .

وقد نص على العقيدة الضالة لانها مماثلة لعقيدة عابدي الاصنام الذين قالوا : انها عقيدة آبائهم ولن يرجعوا عنها ، وان سيدنا ابراهيم سجل عليهم جهالتهم بما جاء في هذه السورة (قال : لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين) - الآية ٥٤ ، وينتهي الامر بتخطيم الاصنام ، ثم التآمر عليه . (قالوا : حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين) - الآية ٦٨ . لكن الله تجلى عليه برحمته ، وتجلت عظمه قدرته (قلنا : يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) وبهذا ثبت الحق ، ويذهب الباطل .

● وتجيء قصة « لوط » عليه السلام - وقد أوتي الحكم السليم والتعليم المشرق وطهارة النفس والبدن حتى جفا من خالفوا أمر الله ، ومالوا الى الخبائث ، فرحمه الله منهم ، لانه من الصالحين ، وكان العقيدة متصلة بالحس مع نقاء النفس ، فتكون مطهرة سليمة نقية .

● وجاءت قصة « نوح » عليه السلام الذي نادى ربه داعيا على قومه الذين عاندوه ، وعارضوه ، وأذوه بعد أن سخروا من رسالته في أن يتركوا عقيدة الضلال الى الهدى والرشاد حتى أغرقهم ذو القدرة وأنجاه من الكرب العظيم ، وكان مكذبه فلذة كبده ولده لكن أعلمه الله أنه عمل غير صالح مما يدل على الأوساطة في الزيف عن العقيدة بطلب الغفران .

● وقصة « داود وسليمان » عليهما السلام فيها الاجتهاد في الحكم لتسلم العقيدة من الشك حتى أوتيا النبوة والعلم بأمور الدين .

ولقد حكم رسولنا سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - عند وضع الحجر الاسود لبناء الكعبة ، فكان تحكيمه دليلا على أنه مختار لأعظم رسالة في الوجود .

● وكان لسيدنا داود أمر التسبيح للجبال مع الطير ، فكانت المجاورة امرا عجيبا يؤكد العقيدة في أن ما يدعو اليه هو من صاحب القدرة العليا ، ولا تمنع دعوته صنعة الدروع لتقى في الحروب دفاعا عن الحق .

● أما سيدنا « سليمان » ، فقد سخر الخالق

بأن القرآن الكريم ليس حديثا مخترعا مبتدعا بل هو تأكيد لما جاء عن الانبياء السابقين مع توضيح كل ما يتصل بالدين والدنيا حتى كان ذلك الكتاب الخالد نورا يهدي الطائعين ورحمة تبعد المؤمنين عن الزيغ والضلال ، أو الانحراف عن الصراط المستقيم .

● ونود أن نفرد الكلام بعد هذا التبيان عن سورتي « الانبياء » و « الشعراء » فان من يتلو هاتين السورتين يجد « مواكبة » عجيبة في مواصلة دالة على الاعجاز مع الوجازة التي تأخذ بمجامع القلوب .

فقد جاء قوله تعالى : « وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسالوا اهل الذكر ان كنتم تعلمون » الآية ٧ - الانبياء .

فقوله تعالى : « نوحي اليهم » دلالة على أن الرسول الاعظم ما كان يصدر فيما يخبر عن ربه من نفسه « ان هو الا وحى يوحي » وفي هذا القول الكريم رد على المنكرين واثبات لصديق الرسالة المؤيدة بالوحى .

● ولقد سيقّت قصص الانبياء في هذه السورة بعد اثبات القدرة العظيمة للخالق ، وبيان تملكه ، وعدم مشاركة سواه في تنظيم الكون مع اثبات قدرته (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) - الآية ٢٢ .

وجاء تأكيد الرسالة بالوحى على أسلوب لا شك فيه بقوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) - الآية ٢٥ ، فالرسول = صلى الله عليه وسلم - قد دعا الى الوحدة ووجوب عبادة الله وحده ، وجاءت التسليّة لابعاد الجزع عن الرسول الاعظم للربط على قلبه برباط الاطمئنان في قوله تعالى : (ولقد استهزئ برسول من قبلك ، فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) ٤١ .

فجاءت العقوبة نازلة على الساخرين حتى يتجه الرسول الى دعوته مستمرا فيها غير مترجع عنها .

● تناولت سورة « الانبياء » عشر قصص لموسى وهارون ، و ابراهيم ، ولوط ، ونوح ، وداود وسليمان ، وايوب ، واسماعيل ، وادريس وذى الكفل ويونس ، وزكريا . ثم مريم وعيسى - صلى الله عليهم وسلم - ولقد ابتدئ بذكر « موسى وهارون » لانهما وجدا من العنت والشدة والمعاندة كثيرا ممن طبع الله على قلوبهم في عنادهم وتكبرهم مع أن التوراة فيها الضياء والهدى - ثم ارتبطت « العقيدة الواحدة » في التنويه بالقرآن الكريم بقوله تعالى : « وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ؟ »

يؤخذ الدرس في اللجوء الى الله وحده لسلامة العقيدة .

● وسيدنا « زكريا » كان حزينا لانقطاع الولد عنه وعقم زوجه فانعم الله عليه « يحيى » حتى تتجلى القدرة العلية من القدير الحي من يشاء والمعطى صدق اليقين بقوة الايمان .



ولقد بين المولى - عز وجل - هؤلاء الانبياء من انهم خالصون مخلصون بقوله تعالى : (انهم كانوا يسارعون في الخيرات . ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) الآية ٩٠ . فعمل الطاعات ، والخوف من الزلات ، والرجاء في الرحمت ، والتواضع عند أداء العبادات مظاهر العقيدة الثابتة - ومن رائع الربط بين دعاء سيدنا زكريا ذكر السيد مريم عليها السلام ، فيقول الخالق الواحد - الذي لم يلد ولم يولد : (والى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) فالقدرة التي جعلت سيدنا زكريا ينجب بعد انقطاع الانتاج هي التي أوجدت عيسى - عليه السلام - بالروح الامين .

● ويختم الاداء القصصى بخلاصة ما يراد من العقيدة بقوله تعالى :

(ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) فالمراد من الامة « الدين الواحد » الذي وحدته السلامة الى يوم القيامة .

والى حديث مقبل - بفتوح الله - لتصوير ما في سورة الشعراء والله ولي التوفيق .

الاعظم له الريح شديدة الهبوب أو خفيفته بأرض الشام - وهذا العلم يجعله معترفا بفضل ربه خاضعا لارادته شاكره على نعمائه ، فقد أخضع الله له من الشياطين من يقتحمون البحر لخراج نضائره ، ويوالون عبلهم في البناء والتعمير مما يدل على قدرة الخالق الواحد مدبر أمر هذا الكون كله .

● وسيدنا « ايوب » موقفه من الصبر (وهو نصف الايمان) ليعطى الصورة الواضحة عن قوة اليقين في العقيدة بعد فقد ماله وولده ، واصابة جسمه ، وضيق عيشه حتى تضرع الى ربه فاستجاب دعاءه مما يدل على أن المعتقد في قدرة ربه لا يعتمد على سواه - وكان قد هجره كل الناس ما عدا زوجه - وان في تفضل ربه عليه بعد صبره (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) ليقصدوا به حتى ينالوا بعد الصبر حسن الاجر .

اما السيدان اسماعيل وادريس فقد ارتبطا بالصبر على ترك المعاصي واخضاع الشيطان حتى تكون عقيدتهما سبيل الاقتداء .

اما ذو الكفل ، فقد كان يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويحلم عند القضاء فخلص قلبه ، وصفا فكره ، واعطى الصورة المشرقة للحكم العادل .

● وسيدنا « يونس » قد فر بعقيدته من قومه الذين آذوه من كل جانب ولم يأمره الله بالخروج حتى حبس في بطن الحوت فعاش في ظلمات ثلاث ثم سبح ربه مستغفرا مرددا الكلمات التي تقال في الكريات (لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين) وكان يرددها دائما رسولنا الاعظم الذي هو على خلق عظيم . ومنه

بقية مقال « اضواء من كتاب الله »

يتصور شيئا مما نسبته هؤلاء الفجرة اليهم وما نمقوه في قصص مغر وخيال جامع ينزل بالانبياء الى أحط دركات البهيمية ويخرجهم عن الادمية وكأنهم لا عقل لهم ولا نور من هدى الله لديهم وبعاذ الله ان يكون أحدهم ممن تستهويه الغواية أو يستمع الى قول شيطان رجيم اللهم أنر بصائرنا وفقهنا في دينك وعلما منه ما جهلنا وذكرنا منه ما نسينا وأشرح صدورنا بفيض الايمان بك وجميل التوكل عليك وأهـي قلوبنا بهدافتك وأمتنا على الشهادة في سبيلك وأنصرنا على أعدائك وأعداء رسالتك وأنتج مغاليق القلوب حتى يفقه الناس عنك وتتجلى ظلمات الجهالة بفورك الذي لا يخفى انك نعم المولى ونعم النصير .

الله وما جاءه من الهدى (فان له معيشة ضيكا ونحشره يوم القيامة أعمى) .

هكذا يقرر القرآن الكريم واضحا جليا [ان عبـادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكـيلا] - (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانـه على الذين يقولونه والذين هم به مشركون) فكيف يرسل الله وأدم منهم وهم قطعاً معصومون أما تجويز ذلك عليهم وتصويرهم صورا شوهاء فمن وضع أعداء الرسالات تنقيصا لأقدارهم كقادة للبشرية هداة مهديين مثلا عليا يترسم الناس وقع خطواتهم وعلى آثارهم ويستحيل على الفكر الاسلامى ان يصدق أو



□ •• □

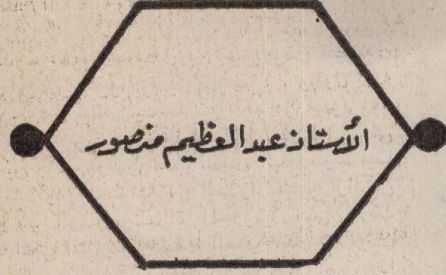
إسلاميات

على حين فترة من الرسل تدارك
الله البشرية بالاسلام من خارج
المحيط الأرضي ومن خارج النطاق
البشري بعد أن هانت على الإنسان
انسانيته لافساده فطرته حيث
القلوب أجديت فماتت في صدور
أصحابها والأرواح تأسنت فلفظت
ما يصلحها ويحييها وعصفت ريح
الحياة بكل الفضائل النفسية
وضربت في الأرض عميقا جذور
الزنازل الخلقية وتقطعت بين الناس
كل المعاني الإنسانية التي تملئها
وحدة الأصل والنشأة ووحدة المال
والمصير .

فلم يعد هناك أي مجال للتلاقى بين السادة والعبيد
ولا بين الأغنياء والفقراء ولا بين الحكام والمحكومين
ولا بين الأقوياء والضعفاء فالأولون في صلفهم
وغرورهم وكبرياتهم يعمهون وفي غيهم سادرون
والآخرون من وراء نلهم وأحزانهم وهمومهم
واستكانتهم يئنون بصوت خافت حزين وأما من بقى
من غير هؤلاء وهؤلاء من أصحاب الديانات التي
امتدت إليها الأيدي بالتحريف والتزييف فقد انطوا
على أنفسهم في البيع والاديرة والكنائس فرارا بالبقية
الباقية من دينهم . وعلى هذا الواقع المؤلم استقرت
كل أوضاع البشرية السياسية والاجتماعية
والاقتصادية والأخلاقية ولم تجد البشرية من هذه
الأوضاع خلاصا كما لم تنتظر البشرية خارقة من
الخوارق تعيد البشرية إلى رشدها وتهديها إلى
فطرتها وبصور الاسلام كل تلك الأوضاع أبلغ تصوير
وأصدق بما يغنى عن الاستمرار في العرض
والاسترسال في الحديث وذلك في قوله تعالى: **ظهر
الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس** .

□ ٥٦ □

وكان من الطبيعي رحمة بالبشرية ان تتدخل العناية
الالهية كما سبق أن تدخلت عبر القرون والأجيال
لتنهى عبودية البشر للبشر واستغلال الأقوياء للضعفاء
فكانت تلك الشريعة الكونية الخاتمة ، اختتم الله بها
جميع الرسالات وطوى بها سجل الرسل والأنبياء إلى
أن تقوم الساعة فلا شريعة بعدها ولا نبي ولا رسول
بعد حاملها ومبلغها فهي موجهة إلى النفس البشرية
والى الضمير الانساني في كل مكان وفي كل زمان
ومن هنا تعاضمت التبعات وثقلت المسؤوليات ، تبعات
إبلاغ البشرية كلها صوت السماء ومسؤوليات إقامة
أحكام الاسلام في الأرض ، في الأرض كلها وهذا ما
قدره النبي حق قدره لانه المسئول الأول عن القيام
بالتبعية والوفاء بالمسؤولية فانطلق وحده ، ثم انطلق
ومن آمن معه يدعون إلى اله واحد يدين له بالعبودية
كل مخلوق ويدعون إلى إسقاط ولاية البشر على
البشر ، ويقوضون دعائم الجاهلية الواهية وأسسها
المنهارة لاعادة بناء صرح للحياة يقوم على التوحيد
الخالص لله ، وما أن أحست الجاهلية وحاملو لوائها
بأن أشعة النور وضياء الفطرة نقية ظاهرة ابتدأت
تغزو قلوبا كانت تعيش بالأمس في ظلام حالك وأن
كلمة التوحيد ابتدأت تهز معازل الشرك والألحاد حتى
قامت قيامتها فانطلقت تعريد في سعار مجنون تارة
تعرض على النبي الملك والمال والسيادة عليهم ، وتارة
تلجأ إلى التعذيب والإيذاء وتارة تفكر في قتل النبي
وتارة أخرى تفرض الحصار القاتل والمقطعة القائمة
للنبي ومن آمن معه ، ولكن هيهات أن يحجب ضوء
الشمس غبار ثائر فقامت المعارك تتلوها المعارك بين الكفر
والإيمان ، بين الحق والباطل ، بين حياة البطالة
وموت الشهادة ، بين الشك واليقين ، بين العقيدة
الالهية والفلسفات الأرضية المحرفة والوثنية الضالعة
وبقايا الديانات المحرفة ، وفي كل معركة يتأكد الحق
ويعلو الإيمان ويتراجع الباطل وينحسر الشر إلى أن
جاء الوقت الذي قلص الاسلام فيه ظل الجاهلية ،
وانتقص أرضها من أطرافها ، وأصبح للاسلام سيف



فى الحكم والاجتماع

وللمسلمين على وجه الخصوص يتعالون به على مدعى المدنية وسادات الانظمة الوضعية . وكل ما أردت الاشارة اليه فى هذا المقال هو متفرقات عملية ونظرية اسميتها اسلاميات فى الحكم والاجتماع وغيرها بالقدر الذى يتحملة البحث ولا يطبق أكثر منه ، أشد بها الانتباه الى ماضينا العريق وتأخذ منها العظة والعبرة للحاضر ، وتنير لنا الطريق من أجل مستقبل مشرق وضاء للمسلمين ولل البشرية على حد سواء .

١ - فى الحكم : لعله من اقوى الاسباب التى تقلق أسس الدولة او الدول المختلفة هو خوف المحكومين على دينهم وديماهم وأعراضهم وأنفسهم وأموالهم لذا فان توفير الامن بالنسبة لها يعتبر من الضمانات الخالدة اذ ليس لخائف راحة ولا لحاذر ضمانينة لذا شرع الله العقوبات على الجرائم التى تقع بين الناس بعضهم على بعض زجرا وردعا لتتقطع الاطماع عن التظالم والعدوان ليستقر الامن وحيثما توفر الامن بالنسبة للفرد وللجماعة عن طريق التحرر من الخوف توفرت بالتالى ركيزة قوية للحفاظ على حقوق الناس وحرياتهم . ولم يخل تاريخ البشرية الرهيب من بدء الخلق ولن يخل الى قنائه من صنف من الناس على مستوى عالما الواسع العريض فسدت ضمائرهم وتسممت دماؤهم ، وتلبثت بهم روح الشر ومتمعة العدوان على غيرهم يغيرون على أديان الناس وأموالهم كما يغيرون على أعراضهم وأنفسهم وعقولهم ، ولكل فترة من تاريخ البشرية نصيب من الجريمة من حيث نوعها ومداها وكلها فى الخطورة والخطر سواء على الافراد أو على الجماعة الامر الذى يفرض علاجا حاسما وحازما بل قاصما مهما استبشعته بعض النفوس الضعيفة الغارقة فى الوحل والطين أو تلك التى استطاعت أن توفر الامن والحماية

يحميه بعد أن لم يكن له سيف يدافع به عن نفسه ولحق الرسول بالرفيق الاعلى بعد أن حمل الرسالة وأدى الامانة وقاد الامة ، وترك جيلا من خاصة الصحابة وعامتهم كانوا شموسا طلعت فى سماء الانسانية مرة ولا تطمع الانسانية ان تطلع فى سمائها شموسا من طرازهم وعلى شاكلتهم مرة أخرى ، كما ترك دولة اسلامية جمعت بين السلطان الدينى والديوى كانت فى غنى عن العالم ولم يكن العالم فى غنى عنها فعدل شامل وأمن عام وخصب دار ، ودين متبع ، وأمل فسيح اتسعت بسببه النفوس ، وخلفه من بعده الصديق الاعظم فنهج تهجه وسار على طريقته الى أن استأثره الله برحمته ، ثم من بعدهما كانت خلافة عمر رمزا للعدالة فى تاريخ الانسانية فمكن للدين والدولة على السواء بطريقة اتبع فيها ولم يبتدع ، عف ففف الناس ، وعدل فلم يجرأ احد من الولاة والرعية على ظلم ، يتحرى الحق ويذعن للانصاف فى كل امور الدولة فى سياسته للمحكومين ، وفى تعيين الولاة ، وفى قسمته للغنائم ، وفى توزيعه للنفى والصدقات ، وفى اقامته للحدود ، وفى فتوحاته الضخمة للممالك والبلدان وبالجملة فى كل ما يمس شئون المسلمين الدينية والدنيوية ثم أكرمهم الله بالشهادة فلهحق بالرفيق الاعلى بعد أن ملا الدنيا عدلا ونورا وأملا وضياء ، ليقوم على الخلافة من بعده عثمان ثم على رضى الله عنهما وتنتهى باستشهادهما فترة الخلافة الفذة وتبدأ فترة أخرى فى حياة الدولة الاسلامية فيقول الامويون مقاليد الحكم فينحسر الروح الاسلامى الفذ ويستمر المد الاسلامى ممثلا فى كثرة الفتوحات واتساع رقعة الدولة الاسلامية وينتهى الامويون لياتى من بعدهم غيرهم وهكذا على النحو المعروف تاريخيا الى يومنا هذا وفى كل فترة من تلك الفترات حتى فى أحلك الفترات التى عانت منها الدولة أو الدول الاسلامية نجد رصيدا من التجربة وزادا لا ينفد فى كل مناحى الحياة لازال فخرا للبشرية

لنفسها فلم يعد يعنيتها أو يضرها ضررا يقع أو يحل بعيرها . وتقديرا لاهية هذا العلاج الحاسم نرى النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« حد - عقوبة - يعمل به في الأرض خير لاهل الارس من ان يمشوا أربعين صباحا » . ويقول عليه السلام : « من حالت شفاعة دون حد من حدود الله فقد صيد الله في امره ... » . لذا أنكر النبي على اسمه بن زيد وهو من أحب الناس إليه دحونه فيما حرس به وهو الشفاعة في الحدود عندما أراد أن يسرع عند الرسول للمرأة المخزومية التي سرقت وصرب النبي المثل بسيدة نساء العالمين فقال : « لو أن هاتيه بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . وأصل هذا في قوله تعالى « من يشفع شفاعا حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعا سيئة يكن له كفل منها » . نعود فنقول ان الأرض لم ولن تخل من المفسدين فيها نجزيء بالذكر منهم اليوم بموقف الاسلام من المحاربين وقطاع الطريق الذين يعترضون الناس بالسلاح وغيره في الطرقات ليغصبوهم على ما ينكره الاسلام من أخذ المال وسطو العصابات وعصابات الخطف وعصابات جلب المخدرات وغير ذلك الكثير مما شاع أمره وازداد خطره بحيث أصبح يوجب استعمال القسوة في محاربتها وبتر القائمين عليها توفيراً لامن الفرد وامن الجماعة وفي أمثال هؤلاء هؤلاء يقول تعالى « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .

وتتفاوت مراتب العقوبات بتفاوت مراتب الجرائم وجعل الاسلام هذه العقوبات دائرة على ستة أصول : قتل ، وقطع ، وجلد ، ونفي ، وتغريم مال ، وتعزير . ونعود الى الحديث عن المحاربين وقطاع الطرق وأشبايهم من العصابات على اختلاف أهدافها وهم تلك الفئة أو الفئات التي عنتهم الايات السابقة وسبب نزول هذه الآية انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من البحرين فشكوا اليه ما لقوا من بطونهم فأمرهم عليه السلام « أن يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها حتى يصحوا » فلما رجعت اليهم أموالهم وهذات بطونهم وأنسوا من أنفسهم قدرة عمدوا الى الراعي فقتلوه واستاقوا الابل وأصابوا الفرج الحرام وارتدوا عن الاسلام فأرسل رسول الله في آثارهم فجاء بهم وقد حكم بقطع أيديهم وأرجلهم وثبل أعينهم كما ثملوا عين الراعي وتركهم حتى ماتوا جوعا وعطشا كما فعلوا بالراعي وهذه الواقعة قد أوردتها الامام ابن كثير في تفسيره للقرآن .

وقد اختلف الفقهاء في تفسير هذه الآية والرأي الذي نراه من اقوالهم هو ان الامام ومن استتابه على قتلهم من الولاة بالخيار بين أن يقتل ولا يصلب وبين

أن يقتل ويصلب وبين أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وبين أن ينفيهم من الأرض . ولقد استندت في التخيير أي أن يولى الامر الخيار بحسب اجتهاده في اتخاذ ما يراه دارئاً للبسدة محققا لمصلحة فيتخير من هذه العقوبات ما يراه مناسباً للجريمة التي تعتبر محاربة لله ولرسوله وسعي بالفساد في الأرض . وقد أشار الى مثل هذا الرأي الامام ابن تيمية في كتابه السياسة الشرعية بقوله ان للامام ان يجتهد فيقتل من رأى قتله مصلحة وان كان لم يقتل مثل أن يكون رئيسا مطاعا فيهم ويقطع من رأى قطعه مصلحة مثل أن يكون ذا جلد وقوة في أخذ المال ويمكن تأييد هذا الرأي بآيات وردت على التخيير مثل قوله تعالى في كفارة الفدية « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » وقوله تعالى في كفارة اليمين « اطعم عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » .

فإذا كانت هذه الايات قد وردت على التخيير ، فلتكن الايات الواردة في المحاربة لله ولرسوله والافساد في الأرض واردة في الأخرى على التخيير وحمل كلمة « أو » على التخيير وليس على التوزيع والتوزيع . ولست بعد هذا في حاجة الى المزيد من العرض ، لأنني انما هدفت الى القول أن حكام المسلمين في كل دولة اسلامية يجب كالإلتزام يقع عليه أو على من ينبيه أن يأخذ المحاربين لله ولرسوله والمفسدين في الأرض وقد تعددت جرائمهم وتنوع افسادهم أقول أن يأخذهم بآية عقوبة من العقوبات التي أوردتها الآية الكريمة بما يحفظ للدول الاسلامية هيبته ويصون لها سمعتها ، وإذا كنا قد ضربنا الامثال لعينات من المحاربة والافساد فانه لا يفوتنا أن نشير الى أمثال لها يأتيها الخارجون عن جماعة المسلمين أشد خطرا وأعظم ضررا على السلم الاجتماعي وأن كان من الصعب حصر تلك الجرائم إلا أنه من الميسور التمثيل لها كجماعة تسعى الى فرض مبادئ تتنافى وتتناقض مع المثل العليا للدين ومع الرسالة التي تحمل تبعاتها الجماعة الاسلامية وكحالات الشغب والفوضى العرضية التي تحمل لواءها جماعة من الناس بقصد تقويض أسس الدولة وتفريق وحدة الأمة يضاف اليهم المنافقون والمرجفون والذين في قلوبهم مرض الذين يوهنون العزائم ويشككون في قدرة الدولة على مجابهة الأعداء المتربصين بالاسلام والمسلمين ، لا شك عندي أن تلك الأفعال وأمثالها تعطى الامام أو الحاكم الحق وفقا للآية الكريمة في الاخذ على أيدي مرتكبيها مستعملا آية عقوبة من العقوبات المشار إليها حماية للمجتمع وحماية لوحدة الأمة وصيانة لحرمان الناس من أن تتحطم تحت أي مظهر من المظاهر المشار إليها ، وان لم نستجب لحكم الله وننزل حدوده منازلها فلننتحل عاقبة تقصيرنا عندما يتسع الخرق على الراقع وينقطع ذلك الخيط الرفيع الذي يربطنا بشريعتنا ثم

يكون مصيرنا كمنصير نقيوتنا من أمم ترست معالها وتقوضت حضارتها وطواها النسيان

٢ - وفي الحكم : جزئية أخرى أود الإشارة اليها وهي أن مسئولية كل حاكم مسلم تتعاضد في هذا الزمان وتزداد تبعاته في الداخل والخارج ، في الداخل بأن يضرب كل حاكم وكل مسئول عن أية ولاية من الولايات القدوة من نفسه ليتروسم خطاه غيره ، لأن كل من يتولى ولاية من الولايات هو في نفسه وفي سيرته أمام متبوع ، فإن ظلم لم يعدل أحد في حكم ، وأن عدل لم يجسر أحد على ظلم . وما أجمل ما قاله على بن أبي طالب رضي الله عنه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب « عفتت فعتت الرعية ولو رنعت رنعتوا » .

وبجانب ضرب القدوة فإن الحاكم مسئول عن الفقير الجائع والمسكين الضائع والعاري الجهود والشيخ الكبير وذو العيال الكثير وأشبابهم ونظارهم في أقطار الأرض وأطراف البلاد وإن لم يفعل فلن تقوم له يوم القيامة حجة أو يثبت له عذر وما أجمل ما قاله عمر بن الخطاب للمسلمين « انني بينكم وبين الله وليس بيني وبينه أحد فانها شكاكم أينا أو إلى من يبلغنا ما نأخذ له حقه غير متعنت » . وفي الداخل أيضا فإنه لا بديل للمسلمين عن الاسلام ولا عزة ولا كرامة ولا قوة ولا تمكين لهم الا في أحضان الاسلام ، وهذا ما قاله عمر بن الخطاب لابي عبيدة بن الجراح أمين الامة رضي الله عنها : « انكم كنتم أنل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالاسلام ، فمهما طلبوا العز بغيره يذلكم الله » .

وفي الخارج فإن العالم بأسره يشهد اليوم كيانات متناهية في التعاضد كما يشهد ميلاد كيانات أخرى كبيرة تشق طريقها على المسرح الدولي رغم اختلاف تلك الكيانات فلسفة وأوقعا ، ومن هنا فإن على كل حاكم مسلم أن يضع يده في يد شقيقه المسلم من بقية الحكام من أجل إقامة مجتمعات اسلامية هدفها واحد وطريقها واحد وموقفها من بقية مجتمعات الأرض الواقفة في المعسكر المعادي للاسلام واحد ، وحسبنا شرفا ومكانة أننا أجراء عند الله يسدد على الطريق خطانا وينصرنا ببياننا ويشهد لنا وعلينا الملائكة الأعلى ، وحسب غيرنا ضعفا مهما كانت قوتهم الظاهرة أنهم يحتكمون إلى الطاغوت ويسكنون في بيوت أوهى من بيوت العنكبوت ومن هنا يخاطب الله نبيه « لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد » وقوله تعالى « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » .

تلك جزئيات اعتبرتها من أظهر ما يمكن الحديث عنه في هذا المقال وكلها ترتبط بمسئوليات الحكم فأشرت إلى فكرة العقاب عند جرائم تشق طريقها إلى مجتمعاتنا كما أشرت إجمالا إلى مسئولية كل من

يتولى عملا من أعمال المسلمين بأن يضرب القدوة لمن هم دونه وسواه وأخيرا أشرت إلى مسئولية إقامة كيانات اسلامية كبيرة تقدر أن تجابه وتصمد لكيانات غير اسلامية تضم الشر والعداء للاسلام والمسلمين وحقائق الماضي لا زال الزمان يشير إليها بأصابع الاجيال ولا زال التاريخ يحفظها ويعيها ، وشواهد الحاضر ماثلة أمام أعيننا وما يخفيه المستقبل لن يكون الا غدرا بصورة وأشكاله المختلفة ما لم نلوذ بشريعتنا ونعبر الماضي والحاضر على جسر من التوضيحات بلا حدود إلى مستقبل مشرق وضاء .

وتحقيق تلك الجزئيات تحتاج إلى ضباط حية يقظة تعلم علم اليقين بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف فلا تخفى عليه سبحانه خافية ولا يغرب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض تحركت أو سكنت فسبحانه حيث يقول « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وأن كان مثقال حبة من خردل أثينا بها وكفى بنا حاسبين » . ويقول تعالى « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا » . فهل أن الأوان أن يراجع كل مسئول علا قدره أو تواضع منزلته مدى رقابة ضميره على قيامه بمسئوليته ووفائه بتبعاته إن كانت خيرا فليحمد الله وإن كانت شرا فليرجع عن غيه ويستجيب لشرع مولاه . قال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة ، فاسترحنا في بعض الطريق ، فأنحدر علينا راع من الجبل فقال له عمر بن الخطاب : يا راعي يعني شاة من هذا الغنم فقال الراعي اني مملوك - عبد - فقال له عمر : قل لسيدك أكلها الذئب . قال الراعي : فإين الله . فبكى عمر رضي الله عنه ، ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه . وقال للراعي : اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة . وهكذا تكون رقابة الضمير من الحاكم عندما اختبر المحكوم ليطيئن على سلامة حكمه ، وهكذا كانت رقابة الضمير من المحكوم عندما حافظ على الامانة وأدى حق سيده في ماله الذي ائتمنه عليه . انه لا شك عذري أن دولة يكون حاكمها هكذا ، ويكون المحكوم فيها هكذا ، خليفة بأن تصل إلى درجة من الرفعة الرفيعة يحسبها المتأمل في عزتها ومنعتها خواطر أفكار وسوانح أحلام ، ولكن ما تبواته الدولة الاسلامية في عهد عمر كان واقعا لا زال وسيظل إلى أن تقوم الساعة نورا يضيء للبشرية كلها الاصدقاء والاعداء ما أظلم من حياتها كلما اضطرب أمامها الطريق واشتبهت عليها معالم الجهات .

في الاجتماع : هناك حقيقة أولية بسيطة ونحن نقدم الاسلام للناس الذين يؤمنون به والذين لا يؤمنون به

يوم

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، فانطلقوا حتى إذا كان بين عسفان ومكة ذكروا لحى بن هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فقبعهم بقريب من مائة رام فاقتصبوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزله فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة ، فقالوا : هذا تمر يثرب فقبعوا حتى لحقوهم ، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجاوا إلى هذه . وجاء اليوم فاحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق أن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلا . فقال عاصم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك ، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصم في سبعة نفر بالنبل ، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر - رضي الله عنهم - فأعطوهم العهد والميثاق ، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم ، فلما استمكوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذي معهما : هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجردوه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة . فاشترى خبيب بنو الحارث بن عامر بن نوفل - وكان خبيب هو الذي قتل الحارث ابن عامر يوم بدر - فمكثا عندهم أسيرا حتى إذا أجمعوا قتله ، استعار موسى [من بعض بنات الحارث ليستد بها ، فأعارته . قالت : ففعلت عن صبي لي ندرج] حتى أتاه فوضعه على فخذه ، فلما رأيته فزعت فزعة ، عرف ذلك مني ، وفي يده الموس ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك - أن شاء الله تعالى - وكانت تقول : ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب لقد رايته يأكل من تطف عنب ، وما بمكة يومئذ ثمر ، وأنه

على حد سواء وهذه الحقيقة تنبثق عن الاسلام نفسه بشرائعه التعبدية وتصوراته الاعتقادية وشرائعه القانونية . وهذه الحقيقة ان الاسلام بكل ما جاء به من احكام تصور كامل للحياة لا تنفصل حلقاته ولهذا التصور خصائصه المتميزة ومنهجه المستقل من أجل اقامة اطار عالمي لبنى الانسان يجد الانسان في ظل هذا النظام الاجتماعي على مستوى الأفراد والأمم والجماعات والشعوب والدول الأمن والطمأنينة والسلام وهذا ما شهدته البشرية في ظل الخلافة الاسلامية القذة ، وما يمكن أن تشهد لو عاودها الحنين الى فطرتها مرة أخرى وجميع ما يمكن أن أسوقه في هذه الجزئية وخصوصا في هذه الزمان أن سبب فساد النظام الاجتماعي أو ما أسميته بالاجتماع البشري قد لخصه ابراهيم بن ادهم عندما قيل له : ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا ؟ وقد قال الله تعالى [ادعوني استجب لكم] . قال ابراهيم بن ادهم لأن قلوبكم ميتة . قيل وما الذي أماتها ؟ قال : ثمانى خصال : ١ - عرفتم حق الله ولم تقربوا بحقه ٢ - وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده ٣ - وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته ٤ - وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له ٥ - وقال تعالى « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » فوطأتوه على المعاصي ٦ - وقلتم نخاف النار وارهقتم إبدانكم فيها ٧ - وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها ٨ - وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم واقتربتم عيوب الناس أمامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم .

لاشك أنه إذا أريد للاسلام بعث جديد لتحقيق نظام اجتماعي رشيد فلا بد لهذا البعث من أن يقوم على التصور الاعتقادي الاسلامي وعلى شعائره التعبدية وعلى شرائعه القانونية دون أن نتلمس لاسلامنا المشابه أو المثل من الشرائع الوضعية والانظمة البشرية الارضية التي ان أصابت مرة فلن تسلم من الخطأ والنقص والقصور مرات وهذا ما شهدته البشرية في تاريخها الطويل من أنظمة وضعية تتابعته على البشرية منها ما أصبح مجرد ذكريات ومنها ما هو قائم مستحدث وغدا سيلحقه من الكلال والاعياء ما يصبح معه عاجزا عن الاستجابة لمطلوبات المستقبل وهكذا يضي كل نظام بشري الى مدها المقدور الذي قد يقصر أو يطول وسيظل النظام الاسلامي محفوظا من التبدل والتغيير وعدا من الله صادقا « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . فما أحوجنا اليوم الى اسلامنا وما أحوج البشرية كلها اليه يعيدها الى فطرتها في وثائق من عند الله لا من صنع البشر ليستنقذها من الهلكة والضلال لا تعرف لها وجهة عاشت قرونا بعد انسحاب المسلمين من الميدان تائهة حائرة في بيداء المهالك والضلالات لا تعرف لها وجهة ولا تهتدى الى طريق وهذا ما يجب أن يتدبره الدعاة الى الله في كل ارض وفي كل جيل والله هو الهادي الى سواء سبيل .



الرجيع

توثقت صلة هؤلاء الامجاد بربهم سبحانه وتعالى انهم لا يميز عليهم في الدنيا شيء الا ان تكون آخر انفسهم فيها ركعات مبرورة في اخلاص الى الله رب العالمين أما ما بعد ذلك فهم لا يخافون الموت ، ولا على أي جنب يكون المصراع ، لانهم على يقين انهم انما راجعون الى ربهم الذي آمنوا به ربا ، وبنييه فأخلصوا له ، وجاهدوا في سبيله جهادا كبيرا .

وأما موقف زيد بن الدثينة ، وأكرم من موقف ، فقد ابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، فبعثه مع مولى له يقال له نسطاس الى النخعيين ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان : — حين قدم ليقتل — انشدك بالله يا زيد اتحب ان مجهدا — صلى الله عليه وسلم — الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك ؟ قال : والله يا أحب ان محمدا — صلى الله عليه وسلم — الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانى جالس في اهلى قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس احدا يحب احدا كحب أصحاب محمد محمدا — صلى الله عليه وسلم — قال : ثم قتله نسطاس .

هذه النماذج الفريدة من الصدر الاول بمثابة الاضواء الخالدة في سماء التاريخ الاسلامي تهدي الحائرين وتغرس الشجاعة في نفوس المؤمنين ، وتبين كيف كان الحب الصادق وكيف كان الجهاد والفداء في اسبغ معانيه ، وفي أروع امثله . ولنا فيهم الاسوة الحسنة في جهادنا ، وفي حبنا لله ولرسوله ، لكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم « ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

لوثق في الحديد ، وما كان الا رزقا رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه . فقال : دعوني أصلي ركعتين ، ثم انصرف اليهم فقاتل : لولا ان تروا ان ما بي جزء من الموت لزدت فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو ، ثم قال : اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ثم قال : ولست أبالي حين أقتل مسلما

على أي شق كان لله مصرعي وذلك في ذات الله وان يشأ

يبارك على اوصال ثلثو مجزع ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله . وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه — وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر . فبعث الله عليه مثل الظلة من السدير فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء . وقد زاد ابن اسحاق في الابيات اربعة اخرى ذكرها في البداية :

وقد خيروني الكفر والموت دونه

وقد هببت عيناى من غير مجزع

وما بي حذار الموت ، انى لميت

ولكن حذارى حجم نار مفلع

فوالله ما أرجو اذا مت مسلما

على أي جنب كان في الله مضجعى

فلست بمبىد للمعدو تخشعا

ولا جزعا ، انى الى الله مرجعى

تلك هي قوة الايمان ، وقوة اليقين في الله تعالى ، ان سلفنا الصالح ، رضوان الله تعالى ضربوا امثلة في البطولات عز لها النظر ، وتلقوا من فيوضات ربهم الكثير والكثير والمشهد السابق يرينا كيف يرخص كل غال في سبيل العقيدة ؟ وكيف

القتل في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

المستشار عبد الستار آدم

[٥]

أوضحت في مقالات سابقة بهذه
المجلة الغراء أحكام القتل في
الشريعة الإسلامية - سواء أكان
قتلا عمدا أم شبه عمد أم خطأ أم
بالقسبيب .

واليوم اتحدث عن أحكام القتل
في القوانين الوضعية ، مع
التعقيب والمقارنة بين هذه وتلك .

والقتل في القوانين الوضعية كما في الشريعة
الإسلامية - من أبشع الجرائم وأشدّها عقابا .
والقتل منصوص عليه في الباب الأول من الكتاب
الثالث من قانون العقوبات المصري الصادر به القانون
رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ والقوانين المعدلة له في المواد من
٢٣٠ إلى ٢٥١ .

وهذه المواد نصت على :

القتل العمد مع سبق الإصرار أو التردد
القتل العمد من غير سبق إصرار ولا تردد
القتل الخطأ .

ضرب أفضى إلى موت .
القتل دفاعا عن النفس
الاشتراك في القتل .

وفيما يلي نتحدث على كل منها :

أولا - القتل العمد مع سبق الإصرار أو التردد :
والإصرار السابق هو - كما عرفته المادة ٢٢١ من
قانون العقوبات المشار إليه - القصد المصمم عليه قبل
الفعل لارتكاب جريمة أو جنائية يكون غرض المصمم منها
إيذاء شخص معين أو أي شخص غير معين وجده أو
مصادفه سواء أكان ذلك القصد معلقا على حدوث أمر
أو موقوفا على شرط .
والتردد - كما عرفته المادة ٢٢٢ - هو تريض
الإنسان لشخص في جهة أو جهات كثيرة مدة من

الزمن طويلة كانت أو قصيرة ليتوصل إلى قتل ذلك
الشخص أو إلى إيذائه .
وعقوبة القتل العمد مع سبق الإصرار أو التردد
في الإعدام طبقا للمادة ٢٢٠
والإعدام هو أشدّ العقوبات ، وهو ما تقضي به
الشريعة الإسلامية عن القتل العمد عموما ؛
والإعدام في جمهورية مصر العربية بالششيق
مادة ١٣

ثانيا - القتل العمد من غير سبق إصرار ولا تردد
وعقوبة هذا القتل - كما تنص المادة ٢٢٤ - هي
الاشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة .
والاشغال الشاقة هي التشغيل في أشق الاشغال
التي تعينها الحكومة مدة حياة المحكوم عليه أن كانت
العقوبة مؤبدة أو المدة المحكوم بها أن كانت مؤقتة -
مادة ١٤ - ١ .

ولا يجوز أن تنقص مدة العقوبة بالاشغال الشاقة
المؤقتة عن ثلاث سنين ولا أن تزيد على خمس عشرة
سنة - مادة ١٤ - ٢

أما إذا تقدم القتل العمد من غير سبق إصرار ولا
تردد أو اقترن أو تلاه جنائية أخرى فتكون العقوبة
الإعدام .

وتكون العقوبة أيضا الإعدام أو الاشغال الشاقة
المؤبدة إذا كان القصد من القتل التأهب لفعل جنحة أو
تسهيلها أو ارتكابها بالفعل أو مساعدة مرتكبها أو
شركائهم على الهرب أو التخلص من العقوبة .

دسنا - القتل الخطأ :

نصت المادة ٢٢٨ من قانون العقوبات سالف الذكر
على القتل الخطأ

والقتل الخطأ - تطبيقا لهذه المادة - هو الذي ينشأ
في الحالتين الآتيتين :

أحالة الأولى :

أن ينشأ القتل عن إهمال أو رعونة أو عدم احتراز

□ ١٢ □

أو عدم مراعاة القوانين أو القرارات أو الانظمة .
وهذه الحالة تشبه القتل الخطأ أو ما يجرى مجرى
الخطأ في الشريعة الإسلامية السابق شرحه في
المقالات السابقة .
والحالة الثانية :

أن يكون القتل نتيجة إخلال الجاني أخلاقاً جسيماً
بما يفرضه عليه أصول وظيفته أو مهنته أو حرفته أو
كان متعاطياً مسكراً أو مخدراً عند ارتكابه الخطأ
الذي نجم عنه الحادث أو نكل وقت الحادث عن
مساعدة من وقعت عليه الجريمة أو عن طلب المساعدة
به مع مكنه من ذلك .

وهذه الحالة تشبه من بعض الوجوه حالة القتل
بالإمتناع في الشريعة الإسلامية السابق التحدث عنها
في المقالات السابقة من هذه المجلة الغراء .
والعقوبة التي نصت عليها المادة آتفة الذكر هي في
الحالة الأولى الحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر
وبغرامة لا تجاوز مائتي جنيه أو إحدى هاتين
العقوبتين .

أما الحالة الثانية فالعقوبة - طبقاً للمادة
المذكورة - هي الحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد
على خمس سنين وبغرامة لا تقل عن مائة جنيه ولا
تجاوز خمسمائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين .
وتكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد
على سبع سنين إذا نشأ عن الفعل وفاة أكثر من ثلاثة
أشخاص ، فإذا توافر ظرف آخر من الظروف الواردة
في الحالة الثانية كانت العقوبة الحبس مدة لا تقل عن
سنة ولا تزيد على عشر سنين .

وأياً - الضرب الذي يفرض إلى الموت :
هذه الجريمة منصوص عليها في المادة ٢٣٦ من
قانون العقوبات المنوّه عنه ، وتكون إذا ضرب شخص
آخر أو جرحه عمداً أو أعطاه مواد ضارة ولم يقصد
من ذلك قتله ، ولكنه أفضى إلى موته .

والضرب الذي يفرض إلى الموت يشبه ، بل هو بعينه
القتل شسبه العمد في الشريعة الإسلامية السابق
التحدث عنه في المقال السابق .

وعقوبة هذه الجريمة في القانون الوضعي [المادة
٢٣٦ سالفه الذكر] هي الأشغال الشاقة أو السجن
من ثلاث سنوات إلى سبع سنين . أما إذا سبق
الضرب أو الجرح إصرار أو ترصد فتكون العقوبة
الأشغال الشاقة المؤقتة أو السجن .
وسبق أن عرفنا عقوبة الأشغال الشاقة كما عرفنا
الإصرار والترصد .

أما عقوبة السجن فهي وضع المحكوم عليه في أحد
السجون العمومية وتشغيله داخل السجن أو خارجه
في الأعمال التي تعينها الحكومة المدة المحكوم بها
عليه ولا يجوز أن تنقص تلك المدة عن ثلاث سنوات ولا
أن تزيد على خمس عشرة سنة . وذلك طبقاً للمادة ١٦
من قانون العقوبات المذكور .

خامساً - القتل دفاعاً عن النفس أو العرض أو المال :
القتل دفاعاً عن النفس أو العرض أو المال

منصوص عليه في المواد ٢٤٥ وما بعدها من قانون
العقوبات المذكور فنصت المادة ٢٤٥ على أنه : -
« لا تعوبة مطلقاً على من قتل غيره أو أصابه
بجراح أو ضربه أثناء استعماله حق الدفاع الشرعي
عن نفسه أو ماله أو عن نفس غيره أو ماله .. »
ونصت المادة ٢٤٦ على الآتي :

« حق الدفاع الشرعي عن النفس يبيح للشخص -
إلا في الأحوال الاستثنائية المبينة بعد - استعمال
القوة اللازمة لدفع كل فعل يعتبر جريمة على النفس
منصوصاً عليها في هذا القانون .

« وحق الدفاع الشرعي عن المال يبيح استعمال
القوة اللازمة لرد كل فعل يعتبر جريمة من الجرائم
المنصوص عليها في الأبواب الثاني والثامن والثالث
عشر والرابع عشر من هذا الكتاب وفي المادة ٢٨٧ فقرة
أولى والمادة ٢٨٩ فقرة أولى وثالثة » .

هذا الكتاب المشار إليه بالمادة ٢٤٦ المذكورة هو
الكتاب الثالث من قانون العقوبات .. والباب الثاني
منه خاص بالحرق العمد .. أما الباب الثامن فخاص
بالسرقة والاغتصاب .. والثالث عشر خاص
بالتخريب والتعيب والاتلاف .. أما الرابع عشر
فخاص بانتهاك حرمة ملك الغير .. والفقرة الأولى
من المادة ٢٨٧ خاصة بدخول أرض مملوكة لغيره بغير
حق .. أما الفقرة الأولى من المادة ٢٨٩ فخاصة
بتلف شيء من ممتلكات الغير .. والفقرة الثالثة منها
خاصة بترك مواشي ترعى في أرض للغير بها محصول
أو في بستان .

ثم نصت المادة ٢٤٧ من القانون المذكور على
الآتي :

« وليس لهذا الحق [حق الدفاع عن النفس أو
المال] وجود متى كان من الممكن الركوب في الوقت
المناسب إلى الاحتياط برجال السلطة العمومية » .
ونصت المادة ٢٤٨ على أنه :

« لا يبيح حق الدفاع الشرعي مقاومة أحد مأموري
الضبط أثناء قيامه بأمر بناء على واجبات وظيفته مع
حسن النية ولو تخطى هذا المأمور حدود وظيفته إلا
إذا خيف أن ينشأ عن أفعاله موت أو جروح بالغة
وكان لهذا الخوف سبب معقول » .
ثم نصت المادة ٢٤٩ على الآتي :

« حق الدفاع الشرعي عن النفس لا يجوز أن يبيح
القتل لعدم إلا إذا كان مقصوداً به دفع أحد الأمور
الآتية :

[أولاً] فعل يتخوف أن يحدث منه الموت أو جراح
بالغة إذا كان لهذا التخوف أسباب معقولة .
[ثانياً] إتيان امرأة كرها أو هتك عرض إنسان
بالقوة .

« ثالثاً » اختطاف إنسان .
ونصت المادة ٢٥٠ على أن :-

« حق الدفاع الشرعي عن المال لا يجوز أن يبيح

البقية ص ٦٦

الصلاة

في ميزان الإسلام

أستاذ إبراهيم هلال

والسياسة في الإسلام هي الحكم
الصالح الرشيد الذي يكون نتيجة
لصالح الحاكم والمحكوم . وتعاونهما
معا على إيجاد مجتمع منظم عامل
يتطلع دائما الى أعلى مكانة وأعز منزلة
كما قال الله تعالى : «ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين» .

وإذا كان الركن الأول من أركان
الإسلام ، وهو شهادة أن لا اله الا الله ،
وأن محمدا رسول الله ، قد عرف
الإنسان بالله وخالقه فإن الركن
الثاني ، وهو إقامة الصلاة يصل
الإنسان بخالقه ويمد اليه حبال الهداية
وأشعة النور من ذلك الإله الواحد
القهار فيسير في طريق الاستقامة ،
ويحيا حياة الطهارة والعفاف . وفي
ذلك تكوين للمجتمع المثالي الذي ينشده
الإسلام ، لأكرم أناس عند الله ، كي
تتحقق لهم أسعد حياة ، وأعز دنيا
وأكرمها ويتبوأون أعلى مكانة تليق بمن
ينتمون الى أعلى رسالة ، ويحملون
أرقى شريعة ويقتنون أسمى مبادئ ،
وأوفق نظم في صنع الوجود والحياة .

وقد مثل لنا صلى الله عليه
وسلم ذلك تمثيلا ماديا حسيا
يوضح به أثر الصلاة في الإنسان
فقال : « أرأيتم لو أن نهرا بباب
أحدكم يغتسل فيه كل يوم
خمسا ، ما تقولون أذلك يبقى من
درنه اى وسخه [؟ قالوا : لا
يبقى من درنه شيئا . قال : فذلك
مثل الصلوات الخمس يمحو الله
بها الخطايا » .

والامر ليس محو خطايا فقط %
وانما هو امر توحيد خالص %
وتجديد ايمان وكيونة دائمة مع
الله ، وهو ما يريده الله من
الإنسان لتصح له الحياة الدنيا
وتصح له أيضا الحياة الاخرى
فان الإنسان ليس وجوده الا بالله
وتوفيقه في عمله ، ووصوله الى
المستوى الاحسن الا بالله فلذلك
هدى الله سبحانه عباده المسلمين
الى الصلاة ، وغرضها عليهم من
باب غرض الحب على حبيبه ما
يجبه له وما هو نافع لشخصه

صغيره من الصفات التي لم
تعصم النفس البشرية من فعلها ،
فتأتي صلاة الظهر بزداد جديد قد
يمحو تلك الصفات وتحمل نفسه
على الاستغفار والتوبة منها
ويستأنف هذه المرحلة الثانية من
اليوم بنفس الطاقة ونفس الظهر
الذي بدأ به يومه وهكذا صلاة
العصر ثم صلاة المغرب ثم صلاة
العشاء فلا يأوى الى فراشه الا
وهو طاهر مطهر من الذنوب ،
قد ادى واجبه على الوجه الاكمل
وأرضى ربه فمضى اليوم كله في
عبادة واتصال بالله ونام قرير
العين مرتاحا تحرسه ملائكة
الرحمة ، وترعاه عناية السماء
ويأوكه النبيون والصديقون ثم
يستيقظ في اليوم التالي على هذا
الهدى وعلى تلك الحياة الملائكية .
وهكذا تكون الصلاة طهرة
للإنسان كما قال الرسول صلى
الله عليه وسلم : « الصلوات
الخميس كفارة لما بينها ، ما
اجتنب الكبائر » .

ذلك ان الإنسان المسلم يبدأ
يومه حين يستيقظ من نومه
بالاقبال على خالقه والتعرف اليه
والقرب له بصلاة الصبح التي
هي الفريضة الاولى من فرائض
الصلوات الخمس المفروضة في
اليوم والليلة فيبدأ يومه ويبدأ
همله بزداد ديني وطاقة روحية
يستند بها من هذه المناجاة
الخالصة بين يدي الله ، فيتصرف
الى عمله وقد اعد نفسه لفعل كل
ما هو خير ، ومهدا لان تقوم
بواجبها نحو نفسها ونحو
وطنها ونحو ربه خير قيام ، فلا
يأتى عليه الظهر الا وقد وجد
نفسه امام دفقة جديدة من هذه
الدفقات الروحية الخمس وهي
صلاة الظهر تأتي في حينها فقد
تكون الدفقة الاولى ، قد بدأ مدها
يضعف او يقف امام زحمة الحياة
المادية وقد تكون تلك الحياة
المادية قد قاربت أو كادت تنال
شيئا من ذلك الياج الروحي
الذي حصن نفسه به في الصباح
فتمت هذا أو لمز هذا أو نعل

عليه وسلم ﷺ [أتموا الأعمال بالنيات] بهذا. !!
أنا قصد الفعل عند مباشرته طيبى فأننى إذا قمت أمشى لا أقصد بمشيى الفعود . ولكن هؤلاء الفقهاء حرفوا نصوص الكتاب والسنة . المراد بالنية فى الحديث ، قصد المرء وغرضه من فعله وهو إما وجه الله وإبتغاء مرضاته [وهو النية الصحيحة] وأما غرض آخر كالرياء .

ثم يضرب مثلاً بصلاة رجل إنجليزى حديث الاسلام أخذ من الاسلام جوهرة ومن الصلاة حقيقتها فيقول : [أن صلاة المستر براون الإنجليزى عندى خير من صلاتهم . وهو رجل إنجليزى رأى ترجمة القرآن فأسلم وهو يحملها ويقرأ ما فيها دائماً عند الفراغ ويصلى بحسب ما يفهم من القرآن ويستقبل القبلة كما حرره بحسب معرفته للفلك ، فيطيل السجود فهذا وجد عنده روح الصلاة . وكان لا يعلم الاوقات وعدد الركعات قال لى : اننى أصلى عند الفراغ بحرارة وخشوع وعلمته كيفية الصلاة فى زمن قصير بالعمل فثبت له الصلاة بصورتها وروحها .

هذا من ناحية ذاتية الصلاة أما من ناحية شرط صحة الصلاة هو أن يكون اتجاه المصلى فيها الى الكعبة فأننا نقدم قسول المرحوم عباس محمود العقاد فى ذلك وهو [أن المسلم إذا صلى لا يغيب عنه شعوره بأصرة القربى بينه وبين الجماعة الاسلامية فى اقطار الأرض من شمال الى جنوب ومن مشرق الى مغرب لانه يعلم انه فى تلك اللحظة يتجه وجهة واحدة مع كل مسلم على ظهر الأرض وليستقبل معه قبلة واحدة وان تباعدت بينهم الديار .

وفى هذا التوحيد بين أبناء الاسلام وتآلف قلوبهم ما يجعلهم كالبنيان المرصوص وما يجعلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه

وهكذا نجد الاسلام سياسياً يقدم عن طريق فريضة الصلاة للوطن طاقات حية عاملة قد أعدوا الطهر والعفاف كى تنتج خير انتاج وأحسنه .
أن الامام محمد عبده قد رأى أن اتفاق العمل دائماً علامة من علامات الايمان وأن وراء الابتكار والعبقرية غالباً ايمان قوى وصلوة وطهر وعفاف .

فإذا كان هناك معنى سياسى فى الصلاة من هذا الجانب فهو تكوين الخلايا الحية فى جسم الوطن ، واشباع نفوس أبنائه بالايمان فلا نجد منهم الا عملاً ، وأمانة وانتاجاً ، وفى ذلك نماء ثروة الوطن وتقدمه : غنى واقتصاداً وجودة انتاج ، وهذا هو سر العظمة والعزة والتفوق . وما يبغي الزعماء والمصلحون السياسيون لاطوانهم مأرباً غير هذا المأرب ، ولا غاية ، ابعده من اعداد ابناء الوطن اعداد سليماً يجعلهم فى مستوى يمكنهم من النهضة به وخوض غمرات الجهاد والكناح من أجله ولذلك كان مجيء الامر بانتشار فى الأرض بعد قضاء الصلاة طيبياً فى قوله تعالى : [فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله] .

وإذا كانت الصلاة هى التى يقع عليها العبء الأكبر فى ذلك ، فلا بد من أن نعرف جيداً كيف تؤدى الصلاة التى وضعها الله سبحانه بآنها [تنهى عن الفحشاء والمنكر] . أن الشيخ محمد عبده يهاجم هؤلاء الذين يرون أن الصلاة شكل لا روح فيه وأن اداءها آلياً يسقط الفرض فيقول : [ومن العجيب أن جماعة من الفقهاء قالوا : أن الصلاة بلا حضور ولا خشوع يحصل بها اداء الفرض ويسقط الطلب ما هذا الكلام ؟ انه لباطل . كل آية تذكر الصلاة فى القرآن تبطله . قالوا : النية فى الصلاة أن يقصد الانسان فعل هذه الصلاة دون غيرها ، وغسروا قوله صلى الله

فالجهرز بالتكبير فى افتتاح الصلاة ثم قراءة البسملة . والفتاحة فى ركعاتها ، ان هو الا الايمان الخالص واعلان الوجدانية لله والتهادة له بالربوبية الكاملة فالحه اكبر وهى ما هى فى اعلان التوحيد وابطل الشرك ودحضه . ولذلك جعلت فتاحة الاذان والاقامة للصلاة وخاتمتها فى اليوم خمس مرات من بدء اليوم الى نهايته !!

والبسملة وفيها تمحيض التصرف الوجدانية لله الذى استحق هذا التوحيد هذا التوحيد برحمته الذاتية والتى لا تقارقه ، والتى فاضها بسعة وتجدد دائم لا منتهى لها .

والفتاحة التى تشتمل على الحمد لله وحده الذى رب العالمين جميعهم ، وقام على مختلف شئونهم من ايجاد رزق ومن رحمة وسعت كل شئ الى آخر ما هنالك من عناية لخصها سبحانه فى قوله : [أن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً] كما تشتمل على توكيد التوحيد بدله بصورة اخرى فيها الكمال المطلق لله وحده فى الدنيا والاخرة ، فهو الملك يوم الدين والمتحكم فى هذا اليوم الذى لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ولذلك كان هو الذى يقصد بالعبادة وحده فهو المعفو الغفور وما دام الملك لله فهو وحده الذى يلجأ اليه ويستعان به ولا بد حينئذ من طلب الهداية منه الى الصراط المستقيم .

فتوحيد وتعظيم وتهجد لله سبحانه فى القيام وتسبيح وتزنيه له فى الركوع والسجود ودعاء فيما بين ذلك وتكرار ذلك مرات فى صلاة الانسان فرضها ونفلها فى فترات عمله اليومى ، لابد وأن ينتج هذا كله الانسان الذى يصير خيراً كله أو الذى يغلب خيره شره ، وأن يكون هو المؤمن القوى الذى اراده الله لمجتمع الاسلام .

عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى [.

انه اذا كان الركن الاول من اركان الاسلام قد جمع المسلمين على اله واحد ووحد بينهم والف بين قلوبهم . تبعاً لهذا [التوحيد] فان الركن الثانى من اركان الاسلام ، قد جس من هذا التوحيد امراً عميقاً ، به اتجاه الى الكعبة فى كل صلاة نافلة ، او فريضة ، واحد من هذا التوحيد فى نفوس ابنائه كلها اتجه احدثهم الى الكعبة مصلياً . فليقل ذلك ابناء الاسلام فيصلوا على هذا التوحيد فى العقيدة ، والعبادة ، ووحدته الصف والهدف والتعاون على البر والتقوى ، وصالح الامة الاسلامية . وليقل ذلك غير الداخلين فى جماعة المسلمين ، فيعرفوا نالاسلام فضله فى بناء الامم وتكوين الجماعات وحفظها من التفكك والانحيار .

ان فى جعل قبلة للمسلمين

يتجهون اليها فى صلاتهم ، هى كعبة الله او بيته الحرام اشعر لكل مسلم وهو يصلى ، بانه انما يصلى حقيقة فى الكعبة او بجوارها وامامها مهما كان بعيداً عنها ، او تفصله عنها الفواصل المادية ، ولكنه حقيقة لا يرى لهذه الفواصل ولا لتلك المسافات وجوداً وانه انما يجتمع مع اخيه المسلم فى بيت واحد ، هو بيت الله الاول فى الارض ، وكان الله قد عوض البعيدين عن البيت الحرام ، بالاتجاه اليه من أماكنهم البعيدة . وكانهم اذا اتجهوا اليه ، وهم يناجون ربه وربهم فكانهم قد دخلوه وصلوا فيه ، وحينئذ يشعرون بانهم اهل بيت واحد ، وافراد أسرة واحدة ، وان الارض . على سعتها لا يمكن ان تفرق بينهم وانها لا تعدوا ان تكون مسجداً ، وبيتاً لله ، او امتداد ببيت الله الحرام . ومن هنا ، كان قوله صلى الله عليه وسلم : [جعلت

الى الارض مسجداً ، وطهوراً وايها . رجل من امنى اذركته الصلاة فليصل [. وكان هذا احد الامور الخمسة التى اعطيتها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعطها احد من الانبياء قبله ، وما ذلك ، الا لانه بعث الى الناس كافة وكان الانبياء قبله يبعثون الى اقوامهم خاصة ، فلا بد للوحدة فى الاسلام من ان تكتمل ، مادام قد جاء ديناً يوحد بين ابناء آدم وحواء جميعهم ويجمعهم على كلمة سواء ، ويردهم فى النهاية أسرة واحدة مع خاتم النبيين كما كانوا أسرة واحدة مع اول النبيين تتعارف ولا تتناكر وتتصارب ولا تتباغض ، وتتعاون على الخير لصالح الجميع . وبهذا فالوحدة فى الصلاة امر اوضح من شمس النهار ، وكانها نداء دائم من الله سبحانه فى هذه الفريضة ينادى على الامة الاسلامية ان تتحد ولا تتفرق .

بقية مقال « القتل فى الشريعة الإسلامية »

عن النفس او العرض او المال لا يعاقب عليه بشرط الا يكون هناك سبيل لدفع القتل الا بالقتل ، وان يكون الاعتداء حالاً وغير مشروع وان لا يتعدى الجانى حد الدفاع المشروع ، فان كان الاعتداء يندفع بالضرب او الجرح مثلاً ، ولكن المدافع قتل كان متجاوزاً عن الحد ويسأل فى الشريعة الاسلامية عن القتل . . اما فى القانون الوضعى فانه يسأل مسؤولية مخففة ان كان لذلك محل فقد نصت المادة ٢٥١ من قانون العقوبات على الاتى : « لا يعفى من العقوبات بالكلية من تعدى بنية سليمة حدود حق الدفاع الشرعى أثناء استعماله اياه دون ان يكون قاصداً احدث ضرر اشد مما يستلزمه هذا الدفاع . ومع ذلك يجوز للقاضى اذا كان الفعل جناية ان يعده معذوراً اذا رأى لذلك محلاً وان يحكم عليه بالحبس بدلاً من العقوبة المقررة فى القانون .

والى العدد القادم من هذه المجلة الغراء نتحدث - ان شاء الله جل ثناؤه وعلا شأنه - عن الاشتراك فى القتل وعلى قتل الجرحى أثناء الحرب ثم نتحدث عن الانتحار واحكام كل ذلك فى القانون الوضعى . والله تبارك وتعالى ولى التوفيق والسداد .

القتل العمد الا اذا كان مقصوداً به دفع احد الامور الاتية : -

[اولاً] فعل من الاعمال المبينة فى الباب الثانى من هذا الكتاب [وهو الخاص بالحريق العمد حسبما تقدم] .

[ثانياً] سرقة من السرقات المعدودة من الجنايات [وهى السرقات المنصوص عليها فى المواد من ٣١٢ الى ٣١٦ مكرراً من قانون العقوبات وهى السرقات مع ظروف مشددة كما اذا حصلت ليلاً من شخصين او اكثر وكان مع احدثهم اسلحة او بطريق الاكراه او فى الطرق العمومية او على اسلحة الجيش او ذخيرته . . الخ .

[ثالثاً] الدخول ليلاً فى منزل مسكون او فى احد ملحقاته .

[رابعاً] فعل يتخوف ان يحدث منه الموت او جراح بالعه اذا كان بهذا التخوف اسباب معقولة .

واحكام حق الدفاع الشرعى المشار اليها بالمواد السابقة تتفق فى معظمها - ومع شئ من التفصيل - واحكام الشريعة الاسلامية السمحة السابق طرحها فى المقال السابق فى هذه المجلة الغراء .

والمقرر فى القانون الوضعى [قانون العقوبات آنف الذكر] كما فى الشريعة الاسلامية ، ان القتل دفاعاً

الاستثمار

في الاقتصاد الإسلامي

استثمار رؤوس الأموال هو الدعامة الأساسية التي يقوم عليها الاقتصاد القومي لكل دولة ، وعلى قدر النجاح في الخطة الاستثمارية يكون النجاح في بلوغ حدود عالية من التنمية ، تؤدي إلى الرخاء ، وتدفع للحاق بركب الأمم المتقدمة والمتحضرة .

ولكن تكون البداية واضحة ينبغي أن نقول أن نجاح الاستثمار يتوقف على الفترة الإحصائية للامة قبل كل شيء - فإذا أخذنا ذلك مدخلا إلى دراسة الوضع الاقتصادي الإسلامي ، تساءلنا عن مكانة الادخار فيه .

المستشار أحمد بدیع وطنی

وهبه الله وأنعم به عليه - كلها لا تؤدي إلا إلى ذبوع العدل والبر والتراحم - وقد جمعت الآية الكريمة « أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » - جمعت أكثر من كل ما يمكن أن يقال من قائل في وسيلة الاسلام المثلى نحو تحقيق التوازن العادل بين ما يأمر به الاسلام ويؤدى إلى خير المسلمين وقوادهم ، وما ينهى عنه ويؤدى إلى التفكك والانحلال وضياع الانفس والأموال .

على أنه ينبغي أن تشير إلى أن المال لا يقصد لذاته ، فليست له في الاقتصاد الاسلامي بذات المعنى قيمة ، ولكن قيمته الحقيقية في أنه مساعد للإنسان العامل - للعمل - على أن يبلغ بوسيلة الاستثمار - في الصناعة

القرآن الكريم والحديث الشريف والعمل المتواتر المشاهد .

فالاسلام وان أبى البخل والشح المقوتين ، إلا أنه تهذبا للنفوس قد أوضح لها أين يكون الاتفاق الصحيح ، حتى تسلم الامة جميعها ، ويحل الوفاق والاحترام والعطف والاتحاد والاخوة محل التناقض والاستغلال والتناحر والشره .

فالانفاق للزكاة ، وفي سبيل الله ، وفي سبيل العيش الطيب المتزن الحلال ، وفي الصدقات ، وفي اغاثة المكروب والمهوف ، وفي أعوام الضنك والمجاعة ، وفي مواسم الخير والبركة والعبادة ، وإيتاء ذي القربى ، وغيرها - كل هذه المسالك التي حض الاسلام على سلوكها بالانفاق ، كل يحسب قدرته وما

والذي لاشك فيه أن الاسراف المتعارض مع الانفاق الواعي - وهو عنصر هدام كما سيلي - يمجبه الفكر الاقتصادي الاسلامي ويستبعده استنادا إلى الامر القرآني « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين » .

والادخار هو ما تسعى اليه الامم المتطلعة إلى الرفاهية ، وتعمل بمختلف الوسائل الاقتصادية والمالية ، الترغيبية والاجبارية ، التشريعية والتعليمية ، على زيادته هذا العنصر الادخاري الذي تقوم عليه في الاصل ركائز التمويل الداخلي للاقتصاد القومي وهو تمويل يفوق في الاهمية كل عناصر التمويل الخارجي مهما كان مصدرها - هذا العنصر قد تبناه الاقتصاد الاسلامي وأعطى له مكانة خاصة نجدها مفصلة في

وغيرها - أرقى مستويات العيش والرفاهية والتحضر .

المال هنا إنما يساعد العمالة القائمة في البلاد ، ويمهد لإمكان تزايد تلك العمالة وازدياد انتاجية القوة العاملة التي هي أساس رخاء الدول والشعوب .

وقد وصل الاقتصاد الدولي بعد مئات من السنين الى ذات النتيجة ، ولا تخرج الكتابات في موضوع « تكوين رؤوس الاموال » عن ذلك الذي نادى به الفكر الاسلامي عند البقعة المباركة .

عود الى الادخار ، العامل الاولى الهام - ويعبر عنه الاقتصاد الاسلامي بلفظة « الاقتصاد » - هنا يتجلى الاهتمام في احاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه « الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة » - هذا الحديث الشريف يوضح كيفية حث الاسلام على الادخار ليكون القاعدة للبناء الاستثماري اللازم لتنمية انتاج الامة وارتفاع شأنها .

ولكن لا يكون معنى الادخار هو الامتناع عن الاستهلاك مطلقا ، وهو امر له خطورته على الاقتصاد القومي ، اذ ان الاستهلاك ذاته امر واجب وضروري لخلق الاسواق امام المنتجات ولدوران عجلة الانتاج بالسرعة الواجبة ، فان حدود الادخار المطلوب قد عينتها التفاصيل الاقتصادية الاسلامية الاخرى التي تضمنها القرآن الكريم والسنة الشريفة . فالامر بالاستهلاك المتعقل المؤدى لخير الامة وارد في قوله تعالى « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » - والقيد المنصوص عليه في الآية وهو الاسراف ، يبين الى أي حد بلغت دقة البلاغة القرآنية المتضمنة اوامر الله

لعباده وهو الخبير بهم وبأنفسهم وبوسائل رفعتهم وطرائق خيرهم - فالاستهلاك مأمور به للزومه كي يسير اقتصاد الامة في طريق سوى ، ذلك ان نزوله عن القدر الواجب يؤدي الى الانكماش والركود ، والاسراف فيه - وهو المنهى عنه في الآية الكريمة - مدعاة للتضخم بآثاره السيئة على الانتاج والنقود والاقتصاد ككل .

واذا كان الاسلام يأمر بالاقتصاد [الادخار] لما سبقت الإشارة اليه من أهميته كمعصر حيوي في تنمية اقتصاديات الدولة ، واذا كان الاسلام يسلك في هذا السبيل أقوم الطرق وأكثرها فاعلية وهو حث الفرد المسلم بما تستريح له نفسه ويسلس معه قياده - ومجموع الافراد هم المجتمع الاسلامي الكبير - امرا وترغيبا او زجرا وترهيبا ، كقول الرسول الكريم « الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة » و « من اقتصد اغناه الله ، ومن بذر افقره الله ، ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله » - وفي هذا الحديث الأخير إشارة واضحة من الهدى النبوي الى الحدود الاسلامية بين الادخار والاستهلاك وهما دعائتا حركة الاقتصاد داخل الدولة - اذا كان هذا هو موقف الاسلام فان المقصود من الادخار في أوامره ليس الا الاستثمار لصالح المجموع ككل ، الامر الذي يعود على الفرد بدوره داخل ذاك المجموع .

آية ذلك القول ان الادخار من أجل كثر المال أمر منهى عنه ، فالادخار المأمور به غير الاكتناز . وتلك هي الحقيقة الجوهرية التي توصل اليها الاقتصاد الحديث بعد مئات من السنين ، من أن الاكتناز ضار بالدولة سبب لطاقتها .

أشار الاسلام اذن - وهو العارف بعنات الناس وأسباب الخير لهم وأسرار تقدمهم - منذ قرون عديدة الى المبادئ التي توصل اليها علم الاقتصاد بعد اجتهاد وبحث واستقصاء واستعمال لاحد وسائل التحليل الاحصائي والرياضي وغيرها - فتد أشار الى حضار الاكتناز برغم ما يحث عليه من ادخار الاموال وهو ما يفهم منه على وجه القطع أن الادخار لا يقصد به الا الاستئثار وحده دفعها للدولة على طريق التنمية والرخاء . والاكتناز المنهى عنه منصوص عليه بلفظه حتى لا يخط أحد مهما كان مبلغه من العلم بينه وبين الادخار [الاقتصاد] - يقول الله تعالى « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب أليم » .

ومن الأمثلة الاسلامية التي توضح الامور وتبينها للناس في هذا السبيل ، ما جاء به الاسلام من حث على الزهد ، واذا كانت النظرة المتعجلة تد تنظر الى الزهد بحسبانه الحرمان للنفس والاقبال في كل شيء ، وهو نفس ما قد يفهمه المتعجل ايضا من بعض الاقوال كقول ثابت بن قرة « راحة الانسان في أربع : راحة الجسم في قلة الطعام ، وراحة النفس في قلة الاثام ، وراحة القلب في قلة الاهتمام ، وراحة اللسان في قلة الكلام » - ولكن ذلك النظر المتعجل غير سديد تها ، والصحيح في الاسلام أن الزهد وان كان حراما للنفس العقيمة فهو اتفاق على الغير المحروم ، وفي السير الاسلامية الكثير عن اتفاق الزهاد وسخائهم وجودهم . وان منعوا النفس عن متع لها طبعها

البقية صفحة ٧١

ديوان المظالم

في الإسلام

- ٤ -

بمناسبة ما قرره الرئيس المؤمن محمد أنور السادات من انشاء ديوان للمظالم في مصر على طريق دولة العلم والايمان واحياء لهذا النظام الاسلامي العريق . فقد بدأنا سلسلة مقالات للتعريف بديوان المظالم الاسلامي استعرضنا في اولها (المنشورة بعدد شعبان) الاصل التاريخي والشرعي ولاية المظالم . وعرضنا في المقالة الثانية (المنشورة بعدد رمضان) للجهة سريعة لصور قمع الظلم في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وفي المقالة الثالثة (المنشورة بعدد ذي القعدة) تناولنا سياسة الفاروق عمر بن الخطاب كنهج لقمع الظلم في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اجمعين .

الدكتور محمد عبد المنعم

ونتناول في مقالة اليوم جوانب من تاريخ هذا الديوان في عهد بنى أمية .

سيرة عبد الملك بن مروان يستطيع ان يحصر هذا النوع من نظر المظالم في اضيق الدوائر . ويحصره كذلك في هوى عبد الملك ومشيئته لان عبد الملك هو صاحب الحجاج بن يوسف المشهور بايقاع المظالم حتى فسقه جمهور الأئمة من المسلمين .

وأوقع الحجاج المظالم والقتل في أئمة المسلمين اذا تقدموا الدولة وعبد الملك خاصة . وقتل الحجاج لسعيد بن جبير امر قفز منه النفوس .

ويبدو أن عبد الملك أنشأ ديوان المظالم لقضايا بذاتها يهيم أمرها أو ليوهم الناس انه يرد مظالمهم ويقضى حقوقهم . ولكنه نفسه أوقع مظالم وغصب غصبوا ووهب بنى أمية ما ليس لهم ، وقد قضى عمر بن عبد العزيز حين ولى الخلافة برد مظالم عبد الملك وتمزيق سجلاته (التنظيم القضائي في لبنان) .

وقد دافع عبد الملك بن مروان عن سياسته يوما فقال : انصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة

فبعد عصر الخلفاء الراشدين غلب الطابع الديني على الدولة العربية وبدأ الناس يتجهون بالظلم والعدوان ، ولم تعد تنفع فيهم العظلة والنصيحة ، فاحتاجوا في ردع الظالمين وانصاف المظلومين الى ما هو أكثر من زواجر العظلة . ومن هنا انتفضت الضرورة نشوء قضاء النظر في المظالم الذي يجمع فيه الناظر في المظالم بين سلطان الحاكم وحزمه وانصاف القاضي وعدله . فيذكر الماوردي ان اول من أفرد للظلمات يوما يتصفح فيه قصص المظالمين من غير مباينة للنظر هو عبد الملك بن مروان . فكان اذا وقف منها على مشكل او احتاج فيها الى حكم منفذ رده الى قاضيه ابي ادريس الخولاني فينفذ فيه احكامه . فكان أبو ادريس هو المباشر وعبد الملك هو الإبر (الاحكام السلطانية) .

ويقول الدكتور مصطفى الراعي ان من ينظر في

أبى بكر وعمر ولا تشيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبى بكر وعمر . نسأل الله أن يعين كلا على كل « كرد على الاسلام والحضارة العربية »

ثم زاد من جور الولا وظلم العتاة واغتصاب الاموال في دولة بنى أمية ما لم يكنهم عنه الا أقوى الايدي وانفذ الاوامر . فكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردما وراعى السنن العادلة واعادها . (النويرى نهاية الاربع) .

فقد بدا عمله في خلافته برد المظالم بادئا بنفسه فنظر الى ما في يديه من ارض أو متاع فخرج منه — حتى نظر الى فص في خاتم كان في يده قال — هذا عطائي الوليد من غير حقه مما جاء من ارض المغرب فرده .

وخرج مما كان في يده من القطائع ورده الى المسلمين . ولما ازمع ان يرد ما لديه امر فنودي في الناس الصلاة جامعة ، وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال (اما بعد فان هؤلاء القوم) يقصد الامويين (قد كانوا أعطونا عطايا ما كان ينبغي لهم ان يعطونها وان ذلك قد صار الى . ليس على فيه دون الله محاسب الا وانى قد رددتها وبدات بنفسى واهل بيتى [اقشرا يمازحهم — وقد جرى قبل ذلك يسقط فيه تلك الكتب — فجعل مزاحم يقرأ كتابا كتابا فيأخذه عمر ويبيده مقص فيقصه به ، حتى لم يبق فيه شيء الا شقه .

م ثنى بزوجه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، وكان عندها جوهر امر لها به ابوها لم ير مثله فقال لها اختارى اما ان تردى حليك الى بيت المال واما ان تأخذنى لى فى فراغك — فأتى اكره ان اكون انا وانت فى بيت واحد — قالت لا بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه وعلى أضعافه لو كان لى . فأمر به فحمل حتى وضع فى بيت مال المسلمين . فلما مات عمر واستخلف يزيد بن عبد الملك قال لاخته فاطمة ان شئت رددته اليك قلت فأتى لا أشأؤه . طبت عنه نفسا فى حياة عمر وأرجع فيه بعد موته — لا والله ابدا . فلما رأى ذلك قسمه بين اهله وولده .

ثم حمل عمر بن عبد العزيز بنى مروان على النزول عما كان فى أيديهم من الاموال بغير استحقاق وردا الى ذويها .

وقد روى انه لما منع قرابته بما كان يجرى عليهم من ارزاق الخاصة واخذ منهم القطائع التى كانت فى أيديهم شكوه الى عمته أم عمر فدخلت عليه فقالت ان قرابتك يشكونك ويزعمون انك اخذت منهم خبزاً

□ ٧٠ □

غيرك . فقال ما منعهم حقا أو شيئا كان لهم فقالوا انى رأيتهم يتكلمون وانى اخاف ان يهيجوا عليك يوما عصيبا . فقال كل يوم اخافه دون يوم القيامة لا وقانى الله شره .

فلما رجعت الى بنى أمية قالت لهم ذوقوا مغبة أمركم فى تزويجكم آل عمر بن الخطاب [عمر بن عبد العزيز — لاحمد زكى صفوت] .

وروى انه جاءه رجل ذمى من أهل حمص ، فقال يا أمير المؤمنين أسالك كتاب الله قال : وماذا ؟ قال العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني ارضى — والعباس جالس — فقال له يا عباس ما تقول : فقال اقطننيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لى بها سجلا . فقال ما تقول يا ذمى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أسالك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : نعم كتاب الله احق ان يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك . وأمر العباس بان يرد ضيعة الذمى عليه .

وقدم على عمر رجل من حلوان ادعى أن والده عبد العزيز لما كان واليا على مصر أقطعته عبد الملك بن مروان ارض حلوان فورثها عمر وأخوته . فقال عمر ان لى فيها شركاء أخوة وأخوات لا يرضون ان اقضى فيها بغير قضاء قاضى . وقام معه الى العاضى ففقد بين يديه . فتكلم عمر بحجته وتكلم المدعى فقضى القاضى له . فقال عمر ان عبد العزيز انفق عليها الف الف درهم . قال القاضى قد اكلمت من غلتها بقدر ذلك . فتلجت نفس عمر بحكم القاضى وقال وهل القضاء الا هذا تالله لو قضيت لى ما وليت لى عملا . وخرج الى الرجل عن حقه . كرد على الادارة الاسلامية .

وتتابع الناس فى رفع المظالم اليه ، فما رفعت اليه مظلمة الا ردّها سواء كانت فى يده أو فى يد غيره ، حتى أخذ اموال بنى مروان وغيرهم مما صار اليهم ظلما . وكان يرد المظالم الى أهلها بغير البيعة القاطعة وكان يكتفى باليسير . فاذا عرف وجهه مظلمة الرجل ردّها عليه ولم يكلفه تحقيق البيعة لما يعرف من ظلم الولا قبله للناس . وقد ذكروا انه انفذ بيت مال العراق فى رد المظالم حتى حمل اليها من الشام [سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم] .

وكان عمر بن عبد العزيز حريصا على سرعة البت فى المظالم وكان يعطى عماله وولاته حرية فى هذا الشأن حتى لا يضر تأخير البت فيها بمصالح أهالى ولاياتهم فقد كتب الى عامله على اليمن أما بعد فأتى اكتب اليك أمرك ان ترد على المسلمين مظالمهم

فتراجعني ولا تعرف مسافة ما بيني وبينك ولا تعرف أحداث الموت . حتى لو كتبت اليك ان اردد على مسلم مظلمة شاة لكتبت اردها عفراء او سوداء فانظر ان ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعي .

ولم يشهد مثل تحرى عمر في اختصار العمال وتعليمهم احسان العمل . وكان يرى كل مظلمة تقع في اقصى البلاد اذا لم يرد لها ولم يكشف ظلامه صاحبها كانه هو فاعلها او على الاقل المسئول عنها ، وادنا شك اليه عامل وتحقق ظلمه جاء به مقيدا ولا يخليه من ضرب يوجهه به . وكان لا يفتأ يبحث عن سيرة عماله ورضا الناس عنهم واذا عزلهم لا يستعين بهم بعدها ابدا . كتب الى احد عماله (اما بعد فاذا دعيتك قدرتك على الناس الى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك) . (كرد على المرجع السابق) .

وكان عمر بن عبد العزيز ينهى عن تعذيب الرعية عند تحصيل الخراج . فقد ذكر ابو يوسف قال حدثني عبد الرحمن بن ثوبان عن ابيه قال كتب عدى بن ارقاة (عامل كان لعمر بن عبد العزيز) اليه (اما بعد فان اناسا قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسهم شيء من العذاب) . فكتب اليه عمر (اما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك اياي في عذاب البشر كاني جنة لك من عذاب الله وكان رضاي ينجيك من سخط الله اذا اتاك كتابي هذا فمن اعطاك ما قبله والا فاحلفه فوالله لان يلقوا الله بجناياتهم احب الي من ان القاه بعذابهم والسلام) . (الخراج لابي يوسف) .

وقال ابن عباس قدم رجل الى عمر بن عبد العزيز شاخيا عامله عدى بن ارقاة لعدم تسليته ارض به فامر عمر ببرد ارضه اليه ثم قال له : كم انفقت في مجيئك الي لا فقال : يا امير المؤمنين تسالني عن نفقتي وانت قد رددت على ارضي وهو خير من مائة الف . فقال عمر : انها رددت عليك حقت فاخبرني كم انفقت لا فقال : ستين درهما . فامر له بها من بيت المال . (ابن عيسد الحكيم - المرجع السابق) .

ولم يكد عمر بن عبد العزيز يلحق بمولاه حتى عادت الدولة الى سابق عهدها الا قليلا وعزل يزيد بن عبد الملك عمال عمر بن عبد العزيز جميعا . واعاد سب على على المناير وكتب الى عمال عمر (اما بعد فان عمر كان مغرورا غرثوه انتم واصحابكم وقد رايت كتبكم اليه في انكسار الخراج والضريبة فاذا اتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده واعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى . اصحبوا ام اجذبوا احبوا ام كرهوا حيوا ام ماتوا والسلام) الاسلام الحضارة العربية - كرد على () .

ويتضح من العرض السابق ان عبد الملك بن مروان وان كان هو اول من جلس لنظر المظالم الا ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان أبرز خلفاء بني امية حرصا على ان يرد المظالم بنفسه حتى ملا الارض عدلا ثم عاد الحال الى ماكان عليه بعد وفاته رحمه الله رحمة واسعة . وسننوالى في المقالة القادمة انشاء الله تتبع تاريخ ديوان المظالم في العصر العباسي .

بقية مقال « الاستثمار في الاقتصاد الاسلامي »

وهكذا تسير دورة المال في الاقتصاد الاسلامي - ادخار للاستثمار ، وانفاق على النفس وعلى الغير حتى لا يبقى جائع ولا غار ، وتسير العجلة بافضل مما تسير اليوم بعد مئات السنين من البحث العلمى المضنى . ففى علوم النفس والاجتماع والاقتصاد ، فسبحان الله العلمى العظيم ، رب الاسلام والمسلمين ، ورب الخلق اجمعين .

والشح هو الذى يجر على الامة الولايات والكساد والازمات - والاسلام ايضا عدو الاكتناز وما يؤدى اليه من خزن المال وحرمان الامة من استثماره - والاسلام اخيرا يحض على الادخار الذى لا يقصد لذاته ، اى محبة جمع المال وحده ، ولكن من أجل المجموع ، اى استثماره فيما يفيد الاقتصاد القومى ، ويهيى للمجموع المسلمين سبيل التنمية والرخاء .

فيا هو افضل وأبقى . والرسول الكريم سيد الزهاد كان الجود من خلقه « وكان أجود ما يكون في رمضان ، فهو فيه أجود من الريح المرسلة » - وهذا ما يشير اليه شوقى رحمه الله

فاذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلت ما لا تفعل الانواء الاسلام اذن عدو الشح فى اى صورة كان واى لباس ليس ،

ملاح شخصية المؤمن

كما يحددها الرسول

صلى الله عليه وسلم



الأستاذ مصطفى عبد الحليم الجندى

شئمة منه فى مصاولة فهم
التمقيدات اللفظية لتعريفات
علماء النفس ، أو الوقوف عند
تراكيبها ، من أجل فهم أسرارها
أو الحكمة منها ، وذلك فى
الحقيقة : هو أكثر ما وجه اليه
عنايته جميع أصحاب هذه
التعريفات على اختلاف
مدارسهم ، وتباين مذاهبهم ..

فإذا كانت الشخصية
الانسانية فى رأى (علماء
النفس) هى شخصية تعتمد على
جانبين أساسيين أولهما : الجانب
الانسانى بكل خصائصه الفطرية أو
المكتسبة ، وبكل ما حباها الله به من
مميزات وصفات وثانيتها :
الجانب الاجتماعى بكل ما يتركه
الشخص من انطباع خاص فى
أفراده أو جماعته فى علاقته
بهم ، فإن شخصية الانسان
المؤمن فى تقدير الاسلام ، ونيته
عليه الصلاة والسلام ، هى
شخصية : تجمع فى ثناياها الى
جانب هذين الأساسين ، اللذين
هما محور التعاريف التى سقنا
شيئا منها ، جانبا جديدا رائعا
آخر أضافه اليها الاسلام : هو
أضواء الايمان ، وأنوار اليقين ،
التي تنعكس بكل جمالها وبهاثها
على أعطاف شخصية الانسان
المؤمن ، والتي يعم نورها جوانب
المجتمع ونواحيه حيث يزدان بها
ويزدهى ، وحيث يطيب العيش
للأفراد فى رحابه ، وينعمون
ببهجته فى جوانبه .
والحقيقة التى نود أن نؤكد
من الآن - والتي ستؤكد معنا
النصوص التى سنسوقها - هى :
أن شخصية الانسان ، المؤمن ،
التي عنى نبي الاسلام - صلى
الله عليه وسلم - بتحديد أبعادها
ووضع ألوانها ، وإبراز
خطوطها : هى شخصية انسانية
باهرة ، قوية فى ملامحها ، فريدة
فى خصائصها ، عميقة فى
أبعادها وأغوارها ، ثرية فى
ملكاتها ، متميزة عن غيرها
بصفات ، غنية وعظيمة بمقدار

انتهى اليه علماء النفس فى
تعريف الشخصية الانسانية ،
فإن نبي الاسلام - صلى الله
عليه وسلم - قد بنى الجميع ،
وسبقتهم الى ما تقتصر
امكانياتهم دون الوصول اليه ..
وهو تعريفه - صلى الله عليه
وسلم - لشخصية الانسان
المؤمن ، ورسم أبعادها وإبراز
ملامحها ، بحيث لا يخطئ فى
التعرف عليها أحد ، وبصورة
هى اكمل واشمل ، بل وأكثر
استيعابا مما ذكره وأشار اليه
أصحاب هذه التعاريف الكثيرة
التي سقنا طرفا منها . بل أن
التعريف النبوى لإبعاد الشخصية
الانسانية المؤمنة - التى زادت
قيد الايمان - لتمتاز على سائر
هذه التعريفات التى ذكرها علماء
النفس ، وتتفوق عليها بما
اشتملت عليه وعנית به من تجلية
الجانب العملى والتطبيقات الذى
يظهر أثره جليا وواضحا لكل ذى
بصر ، دون معاناة أو جهد ،
ودون مشقة أو نصب ، قد يبذل

إذا كان بعض (علماء
النفس) قد انتهى فى تعريفه
للشخصية الانسانية الى القول
بأنها : « الأثر الذى يتركه
الشخص فىمن حوله »

أو أنها : « كل المميزات ،
والخصائص التى تميز انسانا
عن انسان آخر »
أو هى : « مجموعة
الصفات العقلية ،
والاجتماعية ، والمزاجية ،
والخلقية التى تميز فردا عن
فرد » .

أو أنها : « الصورة المنظمة
المتكاملة لسلوك فرد ما بتمييزه
عن الغير »

أو هى : كما
يقول (بيرت) - فى
تعريفها : « النظام الكامل من
الميل والاستعدادات الجسمية
التي تعتبر مميزاتا خاصا للفرد ،
وبمقتضاها : يتحدد أساويه
الخاص للتكيف مع البيئة المادية
والاجتماعية » .

إذا كانت هذه هى بعض ما

مآلها من أثر عظيم فبين حولها ،
اذ أنه كآثر العافية للحياة ،
وضوء الشمس وأشمعتها
للاحياء .

أنتها بايجاز : شخصية مبينة
ومختلفة عن شخصية سائر أفراد
الناس وأشتاتهم في أى زمان
وفى أى مكان .

وانطباعها الذى تتركه فى
غيرها ، وعلى من سواها ، هو
انطباع متميز ، يكون من أول
ولهة ويتم منذ اللحظة الأولى ، لا
يحتاج من أجل التعرف عليه ، أو
الإحساس به الى أدنى جهد أو
عناء ، لانه انطباع تلقائى عفوى
وفورى ، يؤكد لكل من تلقاه ، أو
أحس بحرارته : أن صاحب هذه
الشخصية ، التى استطاعت أن
تترك مثل هذا الأثر على من
حولها من أول لحظة : هو شخص
بلا ريب : يتمتع بإيمان راسخ ،
ويقين كامل .

١ - أن أول ما يصادفك من
ملامح شخصية الإنسان المؤمن :
حسن سمته ، وكريم مظهره
وحسن معرفته لدينه ، وفقهه
لقضاياها ومسائله ، الى الحد
الذى يحول بينه وبين الحرام ، أو
ما فيه شبهة ، ذلك ما يؤكد قوله
صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه
القضاعى عن عبد الله بن سلام
« خصلتان : لا تكونان فى
متافق : حسن سمته ، وفقه فى
الدين »

٢ - فإذا عاشرته وخالطته ،
وعاملته واحتككت به : ظهر لك
من خصائصه : كرم طيب ، وخلق
جسناً . ذلك ما يشير اليه ما
أخرجه البخارى وأبو داود
والقضاعى عن أبى سعيد
الخدري من قوله صلى الله
عليه وسلم « خصلتان لا تجتمعان
فى مؤمن : البخل ، وسوء
الخلق »

٣ - فإذا أتحت لك فرصة

معاملته أخذاً وعطاءً ، أو بيعاً
وشراءً ، أو عقداً أو معاهدةً ،
صادفته أميناً فى معاملاته ،
صادقاً فى كلماته ، وفياً فيما
عقدته معه من عهد . .

ذلك ما يؤيده قول الرسول
صلى الله عليه وسلم : فيما
أخرجه البيهقى عن ابن عمر ،
والقضاعى عن مصعب بن سعد ،
عن أبيه « يطبع المؤمن على كل
خلق ليس الخيانة والكذب » .

وقوله فيما أخرجه الحاكم عن
عائشة : « أن حسن العهد من
الإيمان » .

٤ - فإذا عاشرته لفترة طويلة
أو قصيرة ، بان لك من ملامح
شخصيته : حبه لك ولسائره
الناس ، ومودته لك ولهم ، وتآلفه
السريع معك ومعهم . وذلك فيما
أخرجه الدار قطنى فى الأفراد ،
والقضاعى ، والضياء عن جابر
ابن عبد الله رضى الله عن قوله
صلى الله عليه وسلم - « المؤمن
الف مألوف ، ولا خير فيمن لا
يألف ولا يؤلف ، وخير الناس
أنفعهم للناس »

٥ - بل وبان لك من تعقله
وحكمته ، ونكائه وفطنته ، وبعد
نظره وصواب رأيه ، ما يبهرك ،
ويشدد بصرك ، ويستوقف
بصيرتك . . يقول صلى الله عليه
وسلم - فيما أخرجه القضاعى
عن أنس ، والديلمى عن
الفردوس ، والعسكرى عن
الامثال : « المؤمن كيس ، فطن ،
وقاف ، متثبت ، لا يعجل ، عالم ،
ورع » .

٦ - والمؤمن لانه كيس فطن
بعيد النظرة صائب الرأى ، فان
من أبرز ملامح شخصيته ، التى
يختص بها ، والتى بها يمتاز عن
سائر الناس ، اشراق أنوار
اليقين فى قلبه اشراقاً ينتهى به
الى أن يرى الدنيا بكل ما فيها
مكسوفة أنوارها ، لم يبد له منها

الا عوارها ، كما رآها حارثة
رضى الله تعالى عنه ، فلقد روى
فى الصحيح عن أنس قال : بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمشى ، اذ استقبله شاب من
الانصار ، فقال له النبى صلى
الله عليه وسلم : كيف أصبحت
ياحارثة قال : أصبحت مؤمناً
بالله حقاً ، فقال له : انظر ما
تقول ، فان لكل قول حقيقة .
فما حقيقة إيمانك ؟ فقال :
يارسول الله . . عزفت نفس عن
الدنيا ، (أى : أدبرت
وأعرضت) فأسبرت لبلى ،
واظلمات نهارى ، وكنى أنظر الى
عرش ربى بارزاً ، وكنى أنظر
الى أهل الجنة يتزاوون فيها ،
وكنى أنظر الى أهل النار
يتعاوون فيها ، فقال له صلى الله
عليه وسلم : - عرفت فالزم ، ثم
قال : من سره أن يرى عبداً نور
الله قلبه بالإيمان فلينظر الى
حارثة .

واشراق أنوار اليقين فى قلب
الإنسان المؤمن : هو الذى ينتهى
به حتماً الى نفس الموقف الذى
انتهى اليه أمام العلماء والمقدم
بين أيديهم يوم القيامة « معاذ بن
جبل » رضى الله عنه . . فقد ورد
فى الصحيح أن معاذ بن جبل
دخل على النبى صلى الله عليه
وسلم وهو يبكى ، فقال له
الرسول صلى الله عليه وسلم :
كيف أصبحت يا معاذ ؟ فقال :
أصبحت مؤمناً : فقال : ان لكل
قول مصدقاً ، ولكل حق حقيقة ،
فقال يارسول الله : ما أصبحت
صباحاً قط الا ظننت انى لا أمسى ،
وما أمسيت قط الا ظننت انى لا
أصبح ، ولاخطوت خطوة قط الا
ظننت انى لا اتبعها باخرى ،
وكنى أنظر الى كل أمة جاتية ،
كل امة تدعى الى كتابها مع نبياها
وأولائها التى كانت تعبد من دون
الله ، وكنى أنظر الى عقوبة أهل
النار ، وثواب أهل الجنة ، فقال
له صلى الله عليه وسلم : عرفت
فألزم بذر الله الإيمان فى
قلبك .

ومن هنا كانت أبرز ملامح المؤمن التي بها يمتاز عن غيره : عزوفه عن الدنيا وزهرتها وعدم اغتراره أو ركونه الى شيء منها ، وبقينه أنه مهما كان حظه منها فهي ظل زائل ، وعرض فان ، وأن أضواءها مهما تلالات فهي أضواء آتلة ومكبوفة حتما . أن لسان حال المؤمن هو ما يؤكد قول القائل :

الا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

كما أن من أبرز ما يمتاز به ، ويتجلى في وضوح من ملامحه ، اشراق قلبه ، وانفساح صدره ، حتى انه ليبصر ما كان آجلا ، مصداقه ما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » (الانعام) فقال : « أن النور اذا دخل الصدر انفسح » فقيل : يارسول الله : هل لذلك من علامة تعرف ؟ فقال : نعم ، التجافي عن دار القرور ، والانتابة الى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله » .

٧ - ومن ملامح شخصية الانسان المؤمن ، بل ومن أبرز ما تمتاز به عن غيرها ، أن أمر صاحبها وشأنه كله خير في السراء وفي الضراء ، وفي النعماء وفي البأساء جميعا ، ذلك ما عجب منه النبي صلى الله عليه وسلم - فيما أخرجه أحمد ، وأبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك رضي الله عنه « عجبت للمؤمن ، أن الله تعالى لم يقض له قضاء الا كان خيرا له » .

وفيما رواه مسلم عن صهيب ابن سنان قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : عجا لامر المؤمن : أن أمره كله له خير ، وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ، أن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وأن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » .

٨ - ومن أوضح ما تمتاز به شخصية الانسان المؤمن هذه القوة الفائقة التي يعيش صاحبها في رحابها ، والتي تمنح صاحبها حصانة لا حد لها تحميه من مفاجات الاقدار ، وتدعم من كيانه ليصمد امام عاديات الزمن ، وما ينزل به القضاء وذلك يعود في حقيقته الى أن الانسان المؤمن : يحفظ كل دساتير الايمان ، وقوانين اليقين . . ومنها هذا الدستور الايماني العجيب « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » ، واعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وان ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، واعلم أن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطيك لم يقدروا عليه ، أو يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يصيبك به لم يقدروا على ذلك ، فإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا ، واعلم ان القلم قد جرى بما هو كائن » (أخرجه القضاعي عن ابن عباس ، كما أخرجه الترمذي أيضا بقريب من هذا اللفظ عن ابن عباس نفسه) .

٩ - ولعل من أعظم ملامح شخصية الانسان المؤمن : موقف صاحبها القوي من مجتمعه : حيث يقف منه دائما موقف الناقد البصير ، المكافح ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، دون خوف من لومة لائم ، ودون خشية من بطشة جبار ، انه لا يرضى لنفسه ان يقف من مجتمعه

موقف الخانع المتغافل ، أو الذليل المستخزي ، أو وقفة الشيطان الذي يسكت عن الحق ويرضى بالمنكر ، بل انه في مجتمعه بمثابة القوة المحركة له الى الامام ، انه صمام الامان فيما يتعلق بضبط شئونه كلها ، بل وكشف عيوبه والمساهمة في علاج ادوائه . ذلك كله ما قد يشير اليه هذا الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » .

١٠ - ومن ملامح المؤمن المميزة له عن غيره من أشقات الناس الذين حرموا برد الايمان ونور اليقين ، انه انسان خير كله ، ولذلك فهو حريص على بذل النصيحة لكل مؤمن ، نصحا خالصا وصادقا ، لا غش فيه ولا خداع - حرصه على اقسام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، فذلك في واقع الامر ، هو جوهر ما كان يبائع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - نبيهم عليه ، ويماهدونه على الوفاء به . . يؤيد ذلك الذي قرناه : ما أخرجه البخاري ومسلم عن جرير ابن عبد الله رضي الله عنه - قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - على : اقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » .

(للحديث صلة)

الصلح في الجنایات

الدكتور ياسين محمد حجي

وبين أن يقتلوا « أي أن أهل القتييل بالخيار بين أن يطالبوا بنفاد القصاص في القاتل أو أن يصلحوا عن القصاص على مال أي يأخذوا الدية بدلا من القصاص .

٢ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كسرت الزبيع أخت أنس بن التضر ثنية امرأة فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم ففرض بكتاب الله القصاص فقال أنس بن التضر : والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيته اليوم قال : « يا أنس كتاب الله القصاص » فرفضوا بارش أخذه .

ووجه الاستدلال من الحديث جواز الصلح عن كسر السن عمدا على مال أي دية . وبعبارة أخرى جواز الصلح عن الجراحات وهي الجنایات دون النفس .

٣ - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل متعمدا دفع إلى أولياء المقتول فان شاءوا قتلوا وإن شاءوا أخذوا الدية ، وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأرسمون خلفه ، وذلك عقاب المقتول ، وما صلحوا عليه فهو لهم ، وذلك تشديد العقاب » - رواه أحمد وابن ماجه والترمذي . ووجه الاستدلال من الحديث جواز الصلح عن دم المقتول من الدية وأقل ، أي أن أولياء القتييل بالخيار بين أن يطالبوا القصاص وبين أن يقبلوا الدية أي يصلحوا مع القاتل على مال بدلا من القصاص .

ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الصلح عن الجنایات سواء في ذلك العمد أو الخطأ ، واستدلوا على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع ولكنهم لم يجزوا الصلح في الحدود ، ثم هم وضعوا أحكاما للصلح عن الجنایات . لذلك سوف نتناول بالبحث المسائل الآتية :

- ١ - الدليل على جواز الصلح عن الجنایات .
- ٢ - أحكام الصلح عن الجنایات .
- ٣ - عدم جواز الصلح عن الحدود .

١ - الدليل على جواز الصلح عن الجنایات .

الدليل من الكتاب الكريم :

استدل الفقهاء على جواز الصلح عن دعوى الجنابة على النفس وما دونها بقوله تعالى : « فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » [البقرة]

قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحك والحسن نزلت الآية في الصلح عن دم العمد ومعناها من بذل له بدل أخيه المقتول مالا بطريق الصلح « فاتباع » أي تولى القتييل اتباع المصالح ببدل الصلح بالمعروف أي على مجاملة وحسن معاملة « وأداء » أي وعلى المصالح أداء ذلك إلى ولي القتييل بإحسان في الأداء وهذا ظاهر على جواز الصلح عن جنابة القتل العمد . ولأن القصاص حق ثابت في المحل فجاء أخذ العوض عنه كملك التماس .

وفي تفسير الآية معنى آخر : فقد

روى عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم من عفى له وهو القاتل من أخيه في الدين وهو المقتول شيء من القصاص بأن كان للقتيل أولياء فعفى بعضهم فقد صار نصيب الباقين مالا وهو الدية على قدر حصصهم من الميراث فاتباع بالمعروف أي فليتبع الذين لم يعفوا القاتل بطلب حصصهم بالمعروف أي بقدر حقوقهم من غير زيادة عليه وأداء إليه بإحسان أي وليؤد القاتل إلى غير العافي حقه وأفيا غير ناقص .

الدليل من السنة الشريفة :

وردت بعض الأحاديث الشريفة التي تجيز الصلح عن الجنایات سواء كانت قتل نفس أو جراحة عمدا أو كسر سن عمدا أو غيرها أي الجنایات على النفس وما دونها ، ومن هذه الأحاديث :

١ - روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بعد فتح مكة : « ومن قتل له قتييل فهو خير النظرين إما أن يقدى وإما أن يقتل » .

وفي رواية أخرى : « من قتل له قتييل فأهله بين خيرتين بين أن يأخذوا المال

« — عن الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا جهم ابن حذيفة مصدقا فلوجه رجل في ضيقه فضربه أبو جهم فضحة فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوا : القود يارسول الله فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكم كذا وكذا فلم يرضوا فقال : لكم كذا وكذا فم يرضوا فقال : لوجه الاستدلال من الحديث جواز الصلح من الجراحات على مال قل أو كثر الدليل من الإجماع »

ذهب بعض الفقهاء إلى أن جواز الصلح من الجنائيات ثابت بالإجماع أيضا علاوة على ثبوته بالنص ، وذلك لما روي أن ديا بين شريكين عفا عنه أحدهما فاستشار عمر رضي الله عنه ابن مسعود رضي الله عنه فقال : أرى هذا قد أحياء فلا يملك الآخر أن يبيت ما أحياء . فاخذ عمر بقوله وكان ذلك بحضرة الصحابة من غير نكير أحد محل الإجماع .

٢ — أحكام الصلح من الجنائيات تبين لنا مما سبق جواز الصلح من دعوى الجنابة على النفس وما دونها بهذا كان أو خطأ سواء كان هذا الصلح عن أقرار أو انكار أو سكويت وذلك للأدلة التي سقتها ، والآن نستعرض أحكام الصلح من الجنائيات .

يحل الصلح من الجنائيات : كل ما جاز أن يكون مهورا جاز أن يكون بدلا للصلح من الجنائيات ، وذلك مثل الأموال المملوكة والخائض المملوكة وما لا يصلح مهورا لا يصلح بدلا عن القود مثل الخمر ولحم الخنزير ولكن في التكاثر يجب مهر المثل لأن البضع منقسم حالة الدخول ومهر المثل قيمة له لأنه هو الموجب الأصلي وفي الصفو عن القود لا يجب

شيء لأنه لا يتقوم إلا بالتقويم ولم يوجد وهذا لأن التقويم يكون بقيام غيره مقامه والقصاص لا يقوم غيره مقامه إذ لا يباثله غيره إلا أن الشرع أجاز أخذ عوضه عند انتقامها فجاز أخذه .

جواز الصلح من الجنابة العمد على أكثر أو أقل من الدية بخلاف الجنابة الخطأ :

الصلح من الجنابة العمد على النفس وما دونها جائز على أي مقدار من المال الذي يتفق عليه الطرفان سواء كان أكثر أو أقل من مقدار الدية المقدرة شرعا ، لأنه ليس فيه شيء مقدر وإنما مرده إلى رضا الطرفين فاشبه الخلع والسكتة والاعتاق على مال ، والحديث السالف الذكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل متعمدا دفع إلى أولياء القتل ، فإن شاءوا قتلوا ، وإن شاءوا أخفوا الدية . » فيه دلالة على جواز الصلح من دم العمد بأكثر من الدية وأقل لأنه حق ثابت لولى الدم يجري فيه العفو مجازا فكذا تمويهه .

ولقد عل بعض الفقهاء جواز الصلح من دم العمد على غير مقادير الدية كغيبا كان بانتفاء الربا إلا أنه يشترط التقبض في المجلس إذا كان ما وقع عليه الصلح دينيا في الذمة كالا سكون افتراقا عن كاليء بكاليء .

أما في حالة الصلح من الجنابة الخطأ على النفس وما دونها فلا تجوز الزيادة على قدر الدية إذا وقع الصلح على أحد مقادير الدية للربا ، ولأن قدر الدية بقدر شرعا فلا يجوز إبطاله بقرعة الزيادة بخلاف الصلح من القصاص حيث تجوز الزيادة على قدر الدية لأن القصاص ليس بهال وإنما يتقدم بالمقد وهذا إذا صالح على أحد مقادير الدية أما إذا صالح على

غير ذلك جاز لأنه مبادلة بها إلا أنه يشترط القبض في المجلس .

٣ — عدم جواز الصلح عن الحدود العد في الشرع عبارة عن عقوبة مقدرة وأجبة حقا لله تعالى جل شأنه — وكلمة « العقوبة » مقصود بها أن الحدود عقوبات مخففة ، وكونها مقدرة مقصود بها أن الشارع خذ مجراها وكيفية سلفا بخلاف التعزير ، وكونها « حقا لله » احترام عن القصاص الذي هو حق للمباد في غالب غناضه . والحد يطلق على الجبرية ذاتها ، كما يطلق على العقوبة عليها .

ويطلق الحد أيضا على الأحكام الشرعية من أمر ونهي فإن الحد في لسان الشارع أعم منه في اصطلاح الفقهاء فإنه يراد به هذه العقوبة تارة ويراد به نفس الجنابة تارة أخرى .

والغالب في اصطلاح الفقهاء إطلاق لفظ الحد على عقوبة جرائم محددة نص عليها الشارع على سبيل الحصر وقدر لها قدرا منضبطا لا يزيد ولا ينقص والحدود هي : السرقة وقطع الطريق أو الحرابة والزنا والتشذف وشرب الخمر والبغي والردة .

ولا يجوز الصلح عن دعوى حد لأنه حق لله تعالى لا حق للعبد فمسأله أن يصالح شخص زاننا أو سارقا أو شارب خمر على مبلغ من المال يدفعه له كي لا يبلغ عنه إل .هـ. الأبر قبذا الصلح باطل . ولئن دفع المثل أن يرجع على من أخذ منه لأن الاعتراض عن حق الفير لا يجوز وهو الصلح على تخريم الحلال أو تحليل الحرام وهذا الصلح مذهب غنه بنص الحديث الشريف لقول النبي صلى الله عليه وسلم « الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا » .



محاضرات القصاص في الشريعة الإسلامية

هدف الإسلام من القصاص أن يكون مظلة واقية تقى الضعفاء شرور الأقوياء وتحمي الأمنيين عدوان الباغين . وحماية للمجتمع من عبث العابثين وفساد المفسدين في الأرض ، وغاياته ردع الظالم والانتقام من الجاني وإنصاف المظلوم والتشفي من المعدي منها لانتشار الجرائم وشفاء لصدور أهل القتل إذا كانت الجناية قتلا عمدا . وراحة نفسية لمن اعتدى عليه بجراح أو ضرب أو إتلاف عضو من أعضاء جسده . لأن المجنى عليه حين يرى أن القضاء أخذ له حقه واقتص من الجاني ارتاح باله وهذا ضيقه ولا يفكر في الانتقام الذي يشيع الفوضى والجريمة في المجتمع .

أستاذ محو السعيد الطنطاوي

ما هو القصاص :

القصاص هو تأديب الجاني جزاء ما اكتسبه من جرائم . وذلك بأن يفعل به مثل ما فعل بالمجنى عليه من غير زيادة ولا نقصان ، لأنه يشترط التزام المماثلة .

فمن قطع يد رجل آخر فإن كانت اليمنى قطعت اليمنى ، وإن كانت اليسرى قطعت اليسرى . وبذلك يجتنب الناس عن ارتكاب الجرائم ويصبح المجتمع نظيفا . والله عز وجل يقول في سورة البقرة : « ونحكم في القصاص حياة » يعني حياة نظيفة خالية من الجرائم لأن من علم أنه إذا جنى جناية على غيره اقتص منه ونال جزاء عمله امتنع عن ذلك حفاظا على نفسه ، وبذلك يخيا الناس حياة خالية من الظلم وقائمة على العدل والحب والوفاء ، وهذا هو ما يرمى اليه الدين الإسلامي في أحكام القصاص .

اشتراط المماثلة في القصاص :

فرض الله عز وجل على العباد وجوب المماثلة في القصاص بالنص القرآني « وكنتنهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » سورة المائدة .

فمن قتل انسانا عمدا وثبتت عليه جريمة القتل ، قتل قصاصا كما ورد في القرآن الكريم . وما جاء في السنة النبوية عن أنس رضي الله عنه ، أن يهوديا رضى رأس جارية بين حجرين . فقبل لها من فعل هذا بك أفلان أفلان حتى سمي اليهودي فأومأت برأسها فجاء باليهودي فاعترف فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فريض رأسه بحجرين - متفق عليه . ومعنى رضى يعني شذخ رأسها بين حجرين . فالقصاص هنا اهدار نفس بنفس .

ومن جرح انسانا اقتص منه بمثل ما وقع على المجنى عليه ، كما ورد في البخارى ومسلم ، عن أنس رضى الله عنه أن أخت الربيع أم حارثة جرحت انسانا فاخصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال القصاص القصاص . فقالت أم الربيع : يارسول الله أيقص من ثلاثة والله لا يقص منها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سبحان الله ياأم الربيع القصاص كتاب الله . قالت : والله لا يقص منها أبدا . قال : فما زالت حتى قبلوا الدية . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره .

وقولها والله لا يقص منها أبدا ليس ردا لحكم النبي عليه السلام ، بل تسويق منها ومماثلة لرجاء أن يعفو الجاني عليه ويقبل شفاعة الشافعين . أو يأخذ الدية . وقد كان ، وقبل أهل من وقع عليه العدوان الدية .

وهكذا يجب القصاص في كل ما يمكن فيه المماثلة . لأن الله تعالى يقول في سورة المائدة موجبا التزام المماثلة : « والعين بالعين » .

حكم اذهاب منقعة بعض الاعضاء :

من اعتدى على انسان بالضرب على انفه فافقده حاسة الشم ، أو على آذنه فاصابه الصمم ، أو على رجله أو يده فاصابه الشلل ، فلا قصاص . ويجب الدية شفاء لصدر المجنى عليه وردعا للجاني ، لانه لا يمكن استيفاء القصاص لتعذر أن يضرب المجنى عليه حتى يصاب بفقدان الشم أو يصاب بالصمم أو الشلل . لانه قد يهلك اذا اقيم عليه القصاص بهذه الطريقة . وفي كتب الفقه الاسلامي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قضى لرجل اعتدى عليه رجل آخر ، وذلك بأن ضربه على راسه فافقده عقله وكلامه ، وبصره ، وأصبح غير قادر على الجوع ، فقضى له عمر بن الخطاب بأربع ديات ، لان الضارب أضاع على المضروب منافع هذه الاعضاء الاربعة وهى منافع منفردة ، فاستحق دية عن كل عضو فقد منفعته ، ولم يقتص منه لانه لا يمكن المائلة .

حكم الشجاج :

الشجاج جرح شجة ، وهى الجراح التى يصاب بها الانسان فى الرأس والوجه ، كما جاء فى كتب الفقه . وقد قسم الفقهاء الجروح الى عشرة أقسام وقالوا الشجاج عشرة . وهى الجراح التى تكون فى الرأس والوجه نتيجة عدوان انسان على غيره :
أولا : الخارصة . وهى التى تخرص الجلد أى تشقه أو تخرشه ولا يخرج منها الدم . وثانيا : الدامعة . وهى التى تخرج ما يشبه الدمع . وقيل التى تظهر الدم ولا تسيله كالدمع فى العين . وثالثا : الدامية . وهى التى تخرج الدم وتسيله . ورابعا : الباضعة . التى تبضع اللحم أى تقطعه وقيل تقطع الجلد . وخامسا : المتلاحمة التى تأخذ فى اللحم فتقطعه كله ثم يتلاحم أى يلتئم ويتلاصق . وسميت بذلك تفاؤلا على ما تؤول اليه . وسادسا : السحق . وهى جلدة رقيقة بين اللحم وعظم الرأس تصل اليها الشجة . وسابعا : الهاشبة . وهى التى تهشم العظم أى تكسره . وثامنا : المنقلة . التى تنقل العظم بعد الكسر . وتاسعا : الامة . وهى التى تصل الى أم الدماغ وهى جلدة تحت العظم تجمع الدماغ . وعاشرا : الموضحة . وهى التى توضح العظم أى تكشفه . ولا قصاص فى الشجاج الا فى الموضحة وعلى هذا جمهور العلماء . أما غير ذلك من الشجاج ففيه الدية لعدم امكن المائلة .

القصاص فى الجروح :

قال الله تعالى : « والجروح قصاص » . وقد أجمع العلماء أن من جرح غيره وأمكن القصاص منه مع التزام المائلة من غير ضرر وجب القصاص . وقسموا الجراح الى نوعين : أولا : الجائفة ، وهى التى تصل الى الجوف . فتصل الى البطن من الصدر . أو الظهر وهذا لا يمكن فيه المائلة بل تجب فيه الدية وهى ثلث دية الانسان . وثانيا غير الجائفة ، وهى التى لا تصل الى الجوف . واتفق

فمن فقا عيق انسان فقتت عييه قصاصا . وإذا ضربه على عينه فأذهب بصرها وبقيت العين على حالها ، أقتص منه بإذهاب بصره ، وذلك بأن تصبى مرآة ثم يوضع على العين الاخرى قطعة من القطن ثم تقرب المرآة المحمية من عين الجاني حتى يسيل انسانها فلا يرى عقابا له على ما فعل .

وإذا فقا صحيح العين عين الاعور التى لا يرى بها فلا قصاص وعليه الدية لعدم المائلة ولأن الاعور لا ينتفع بعينه العوراء ، كما أنه لا قصاص فى عين الاحول لان فى ذلك استيفاء الكامل بالنقص . ثم النقصان نوعان : نقص مشاهد كالشلل فيمنع من استيفاء الكامل بالنقص ، ونقص من طرفى الحكم كاليمين مع اليسار فيمتنع الاستيفاء ، وكذا الاصابع واليمين فلا بد من المائلة ، اليمين باليمين . ولا يجوز العكس وذلك لعدم تحقق المائلة .

ولو فقا أعور عين انسان صحيحة فلا قصاص لان فيه اذهاب بصر الاعور بأكمله . وقال الامام مالك اختلف الفقهاء وتعارضت الأدلة ولذلك يخبر المجنى عليه ان شاء فقا عينه وان شاء أخذ الدية .

« والانف بالانف »

فمن اعتدى على غيره بقطع انفه وجب القصاص كما ورد فى النص . وذلك اذا قطع المارن . وهو ما لان من الانف ونزل عن قصبه الانف لانه يمكن المائلة . أما اذا قطع قصبه الانف فلا قصاص . وعليه الدية لان استيفاء القصاص متعذر لعدم امكن المائلة فى العظم ولأن قطع العظم قد يأتى بضرر كبير .

« والاذن بالاذن »

فمن ضرب انسانا فقطع آذنه وجب القصاص . أما اذا قطع بعضها فقتل بعض العلاء لا يجب لعدم تحقق المائلة . وقالت الاحناف يجب القصاص اذا أمكن استيفاء المثل .

« واليمين باليمين »

يؤخذ من هذا النص القرآنى ان من قلع سن آخر قلعته سنه . وقال العلماء اذا كسر بعض السن ، يبرد من سنه بمقدار ما أتلفه لانه يمكن استيفاء المائلة مع عدم الضرر .

حكم القصاص فى العظام :

أجمع العلماء أنه لا قصاص فى العظام الا فيما يقطع من المفصل . مثل مفصل الزند ومفصل الكتف ومفصل الكعب ومفصل الركبة . أما غير ذلك من العظام فيمتنع القصاص . لان فوق العظم لحم وجلد ولا يمكن التصاوى فى القطع . ولا قصاص فى العظم الذى يخساف منه هلاك الانسان حين القصاص . الا الاسنان فانه يجب فيها القصاص لانها تنقل من غير ضرر وتغير وينبت مكانها عند الصغار ، وتستبدل عند الكبار بأسنان صناعية تؤدى نفس المنفعة .

عز وجل : « وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خیر للصابرين » سورة النحل . فدل هذا النص القرآنى على ضرورة التزام التماثل فى القصاص وأن من تمكن من ظالمه لا يقتص منه الا بقدر ظلامته من غير زيادة وبشرط عدم تسبب ضرر آخر مثل اذا كان القصاص فى مكان بخاف منه هلاك المقتص منه وجبت الدية ولا قصاص .

من له حق العفو :

يملك العفو فى القصاص ورثة المقتول ، اذا كانت الجناية قتلا عمدا مع سبق الاصرار ، لان ورثة المقتول هم الذين يرثون القصاص ايضا ولانهم وقع عليهم الضرر بموت قتلهم . وهم الذين اصاب صدورهم الهم والجزن . أو ولى الامر اذا لم يكن للقتيل ورثة . والله تعالى يقول فى سورة الاسراء : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا ! يعنى لا يقتل غير القاتل فقط .

اما اذا كانت الجناية جروحا ، أو قطعاً لعضو من الاعضاء كاليد والرجل ، فان المجنى عليه هو الذى له حق العفو مادام حيا .

هذه هى حكمة الاسلام من تشريع القصاص لى يشفى صدور قوم ظلموا بغير حق ، ويردع الذين يعبتون فى الارض عدوانا على خلق الله .

فاللهم اجعلنا من عبادك الصالحين المتمسكين بشريعه القرآن والسنة النبويه المتزمين طريق الحق والعدل والسلام .

العلماء على أن الجراح بنوعيتها جائفة وغير جائفة ان مات منها المجرع وجب القصاص اذا كانت عمدا لان الجراحة تسببت فى هلاك المجنى عليه .

ما يسقط القصاص :

يسقط القصاص بالعفو لان الله تعالى حث العباد على العفو حتى يشيع الحب والرحمة بين الناس . فقال تعالى : « وان تعفوا اقرب للثقوى » سورة البقرة .

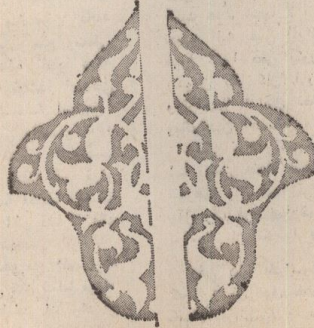
وقال جل شأنه : « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله » سورة الشورى .

وقال تعالى : « فمن تصدق به فهو كفارة له » سورة المائدة .

يعنى فمن تصدق بالقصاص فهو ثواب له عند الله وتكفير لذنوبه لان ذلك عامل هام على اصلاح المجتمع وبترا للمكراهية ، ومنع للعداوة بين الناس . وقد ورد فى تفسير القرطبى ، عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من مسلم يصاب بشيء من جسده فيهبه الارتفاعه الله به درجة وحط عنه خطيئة .

كما أنه لا بد أن يعفو صراحة أمام الحاكم بأن يقول عفوت أو أبرأت ذمة الجاني أو أسقطت القصاص ، لان كل ذلك بمعنى العفو .

ويسقط القصاص أيضا اذا فات محل القصاص ، بأن مات الجاني أو قطعت يد القاطع التى فيها القصاص فى جناية سابقة . وفى هذه الحالة تجب الدية . وكذلك يسقط القصاص وتجب الدية اذا لم تتحقق المماثلة فى القصاص . فى أى جناية لقول الله



بِرِّ الوالدين

الاباء هم الروضة الفناء التي يتفيا ظلالها الابناء حينما يشهد عليهم بأس الحياة . وهم الدوحة التي يجد فيها الولد راحته وسلامته حينما تموزه الراحة او يموزه الامان وهم ذوى القلوب الكبيرة التي يسطون بلا حدود او استعلاء .

وهم الذين يحسون بالوليد اذا بكى . ويكونه اذا اشتكى . قلبهم معه وفكرهم وفؤادهم هبة له . بل يؤرقهم سفره وتقلقهم غربته وبعباده . يهبون بلا قيود وهم مع ذلك لا يريدون جزاء ولا شكورا . يجودون بالمال وبالوقت ولا يضمنون وبالصحة ولا يمينون . كل آمالهم ان ينشأ الوليد فتى رائعا او شابا نافعا لامته ولوطنه .

ولعل ابرز الجنود تضحية وفداء هي الام . تلك الانسانة التي يسعدها ضحكة الوليد في مهده ويؤرقها بكأؤه او أنينه . وهي التي تمد وليدها بطعامه من دمها كي يعيش ويكون قرة عينها وغرسها الطيب ونبتها المحمود واناس مثل هؤلاء لا يد وان يستحقوا التقدير والثناء والتكريم والحمد والتبجيل . هم اولى الناس بالمعروف واحقهم بالانعام . ومن هنا كانت آيات القرآن الكريم تترى آية تلو آية تحت على اكرام الابوين واحترامهما .

الدكتور عبد الحميد أبو الحارث

قال تعالى : « واذا اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبوالدين احسانا الآية » وفي هذا يقول النيسابورى . لقد جعل الله تعالى الاحسان الى الوالدين تاليا لمبادئه لانهما كانا شبيها في وجود الولد وفي تربيته ولم يكن هناك انعام بعد انعام الله تعالى اعظم من انعام الوالدين . وايضا فان انعام الابوين اشبه بانعام الله تعالى على العبد حيث انها لا يطلبان بذلك نوابا ولا ثناء كما ان اى كمال تصبو اليه نفس الوالد فانه يريده لولده بل لا يطلب الانسان خيرا كثيرا حتى يكون المطلوب له افضل منه الا لولده . ومن هنا كان امر الله تعالى متعددا في الاحسان اليهما واكرامهما . قال تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبوالدين احسانا » الآية . وقال : « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبوالدين احسانا اما يظن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم اعلم بيما في نفسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للابوين عفورا » .

وفي هذا يقول الزجاج لا تقل لهما ما فيه ادنى ترم اذا كبرا . بل تول خدينتهما ولقد عبر بخصوص مادة التانيق مع انها ادنى شيء وارادها لانها كلمة كما قال اللغويون يقال لكل شيء مرفوض . الا ترى الى قول ابراهيم عليه السلام لقومه . « اف اكم ولما تعبدون من دون الله » . رافضا عبادتهم كارها ضميمهم منكر فعلهم ولهذا فقد اختصها الله تعالى بالذكر . اذ بها يكون رفض الطاعة وكفر التهمة وجحود التربية ورد الوصية التي اوصى الله تعالى بها في محكم آياته .

ومن عجب اننا لم نجد آية في القرآن الكريم تحت الابوين على العطف والرفق بأولادها لانها مفطوران على ذلك وذلك سنة الله وان تجد لسنة الله تبديلا . لكننا وجدنا كما قلت الايات توصي الابناء وتحضهم على اكرام الاباء والاحسان اليهم وتعظيم قدرها تقديسا لحقهم وتكريما لجهودهم . ولهذا فان الله تعالى قرن الاحسان اليهما بمبادئه وتوحيده في اكثر من موضع لما بين الامرين من مناسبة . فالله تعالى هو الواحد الاحد الفرد الصمد الذي يهب ويمنع ويعطي ويقتز ويرزق ويهب الحياة ويقدر للانسان في هذه الدنيا عمله واجله ورزقه لا شريك له في هذا ولا منازع ولهذا استحق التقديس والتنزيه عن كل المخلوقات والكائنات كما استحق العبادة والخضوع والخشوع من كل ما في الارض والسموات . والابوان كانا سببا في ايجاد الانسان قال تعالى « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا مضغة فخلقنا مضغة فخلقنا عظاما فكسونا العظام لحما . ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين » . كما كانا سببا في رعايته وحفظه من كل الجوائح السماوية والاير الذي تكون معه عظامه ضعيفة صغيرا حتى كان شابا قويا . قال تعالى « والوالدان يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها الآية » .

ومن هنا استحقا التقدير من الله عز وجل حتى انه قرن عبادته ووجدانيته باكرامهما . في اكثر من موضع من القرآن الكريم .

وقال أبو حيان في معنى الآية كذلك . لا تزجرهما عنهما
لا يعجبك مما يتعاطيان .

والمراد بالهجر في الآية في الجملة هو المعاملة الجافة المحقونة
التي تحدث بالنسبة للآباء حتى ولو كان حرجا في الصدر .

ولقد خص الله تعالى . حالة الكبر بالذكر لأنها الحالة التي
يحتاجون فيها إلى بر الأولاد لسوء حالهما وتغيره بالضعف والكبر
فالزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من
قبل ، لأنها في هذه الحالة قد صاروا كلا على الولد فيحتاجان
منه في كبرهما ما كانا منهما له في حال صغره من عطف ورعاية
وما إلى ذلك .

وأبضا فإن طول مكثهما بوجوب الاستئصال بهما عادة ويحصل
به اللل ويكثر الضجر ومن هنا كان الأمر بأكرامهما والإحسان
اليهما لأن حقهما أكد حرمة في البر ممن سواهما .

ولهذا فقد عنيت السنة الشريفة بإعلان برهما ووجوب الأكرام
اليهما حتى بلغ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدم أكرامهما
على الجهاد الذي هو فيه أجر عظيم وردع للأعداء ورفع لكلمة
الله تعالى . وفي هذا يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله عز
وجل . قال الصلاة لوقتها . قلت ثم أي . قال بر الوالدين .
قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله .

بل جعل رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط
الوالد . قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمر
« رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد .
وفي رواية أخرى . رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في
سخطهما . لأن في أكرامهما رفعا لشأنهما وتعظيما لقدرهما .
ولأنهما سببا في وجود الإنسان ولهذا يقول الرسول صلى
الله عليه وسلم . لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكا
فيستريه فيعتقه . ومن هنا نجد للآباء على الأبناء حقوقا في
حال حياتهما وبعد مماتهما . أما في حال حياتهما فما عليه
الأب أن يحسن إليهما ويكرمهما ويعظم قدرهما ويبرهما وأن
يعظيها من ماله ما به يعيشون ويتقوتون ولهذا يقول الرسول
صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس يد المعطى العليا أبدا بين
تعول . أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك .

والإحسان إليهما وصلتهما حتى ولو كانا كافرين . قال تعالى
« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين »

وقال : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن
وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديه إلى المصير وأن
جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما
وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من آتاك إلى ثم إلى
مرجعكم فأنتمكم بما كنتم تعملون » .

والقرآن في هذا يقضي علينا طرفا من واقعة حدثت في صدر
الاسلام . فقد روى أن أحد الصحابة قد أسلم . وظلت أمه
على الكفر إلا أنه كان يودها ويكرمها لكنها كانت تضغط عليه
بشنى الأساليب كي يرجع عن دين الله تعالى إلى دين آياته
وأجداده حتى أنها اضربت عن الطعام حتى يرق قلبه ويرجع
لكن أصراره كان أمضى وأقوم وأبواته كان أكبر وأعظم من هذه
الضغوط وتلك التهديدات . فقال لها يا أمي لو كانت لك
أرواحا وخرجت الواحدة نلو الأخرى على أن أترك دين محمد
فلن أفعل فنزلت هذه الآية تفره على بره وتفره على عزمه .

ومن حقوق الآباء على الأبناء أن ينزلهم المنزل اللاتقة بهما
بالأبني أمامهما أو يجلس ويظلاهما وأقفاً فإن ذلك يتنافى
والادب المطلوب والتكريم المرجو .

ولقد روى بأن مرض لعمر بن ذرة ولد فدخل عليه عمر وهو
يجود بأنفسه فقال يا بني أنه ما علينا من موتك غصاصة .

فلما قضى وصلى عليه وواراه التراب وقف على قبره فقال
يا بني أنه قد شغلنا الحزن لك على الحزن عليك لانا لا ندرى
ما قلت وما قيل لك . اللهم اني قد وهبت له ما قصر فيه من
حقك واجعل ثوابي عليه له وزدني من فضلك اني اليك من
الراغبين . فلما سئل عن بر ولده له . قال ما مثي معي بنهار
قط الا قدمني وما مثي معي بليل قط الا تفسدني ولا رقي
سطحا وأنا تحته . ولعل هذه الاداب كانت مركوزة في النفوس
واصبلة في القلوب . فقد روى أن أبا هريرة ابصر رجلا فقال
لأحدهما ما هذا منك فقال لأحدهما ما هذا منك فقال أبي .
فقال أبو هريرة لا تسمه ولا تمشي أمامه ولا تجلس قبله !! .
ولهذا فقد أجاب الفضيل حينما سئل عن بر الوالدين . فقال
الا تقوم إلى خدمتهما عن كسل والا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر
اليهما شذرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر او باطن وان نرحم
عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا .

ومن حقوقهما كذلك الا يبخل بماله عليهما منعقدا انهما
ليسا شركاء له في هذا المال لأن ذلك يؤذيها ويؤلهما . بل
عليه أن يجعل ماله ملكا لهما . لأن الولد وما ملكه يده لوالده
روى الطبراني والبيهقي أن رجلا أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال له أبي أخذ مالي . فقال له الرسول صلى
الله عليه وسلم اذهب فاني بابيك . وقيل ان يحضرا بيط
جبريل على الرسول الكريم قائلا له اذا جاء الشيخ فسله عن
شيء قاله في نفسه ولم تسمعه أذناه . فلما حضر الشيخ أمام
الرسول عليه السلام . قال له مال ابنك يشكوك لم أخذت
ماله فقال له الشيخ وهل أنفقته الا على عماته او خالاته او
على نفسي !!

فقال له الرسول عليه السلام أخبرني عن شيء قلته في نفسيك
ولم تسمعه أذناك . فقال الشيخ يا رسول الله يزيد نايك يقينا
اني قلت في نفسي كلاما ما سمعته أذناي فقال له قل وأنا اسمع
فقال الشيخ :

شذونك مولودا وعلنيك يا قعبا
تعمل بما أدنى اليك وتهمل
اذا ليلة نابتك بالشكوى لم آيت
لستفكك الا ساهرا أتملعل
كأنى أنا المظروق دونك بالذي
طهرت به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وأنها
لتفعل أن الموت حتم مؤجل
فلما بلغت السن والفاية التي
اليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظافة
كأنك أنت المتفصل
فلتفك اذ لم ترع حق أبوتي
فعلت كما فعل الجار المجاور بفعل

ومن حقوقهما أيضا أن يدعو لهما بالرحمة وبالمغفرة بسم
موتهما وأن يحسن إلى أصدقائهما وأن يبر قرائنهما قال تعالى
« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما
ربياني صغيرا . ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين
فانه كان للأوابين غفورا » .

ولقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بان الدعاء بعد
الموت هو من البر بالوالدين والإحسان اليهما . قال صلى الله
عليه وسلم . اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث .
صدقة جارية . وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له .

ولان الدعاء بعد الموت من صفات الانبياء والأتقاء والائقياء
والصالحين . قال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

« رب اغفر لي ولوالدي ولن دخل بيني مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا » .

ولقد روى أن رجلا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله هل بقي من بر والدي شيء أبرهما به

بعد موتها • قال نعم خصال أربع • الدعاء لهما والاستغفار لهما • وانتد عهديهما واكرام صديقيهما • وصلة الرحم التي لا رحم لك الا من قبلها •

ومن هنا نجد ان الحديث بحث على الدعاء للوالدين بعد الموت لانهما في حاجة الى الدعاء بالمغفرة اذ فيه طلب للرحمة وكذا الاستغفار لهما • كما ان فيه تنفيذ وصيتهما لان في هذا برا بهما وكذا اكرام اصديقيهما لان الود يورث كمالا سسواء يسوء وان يصل الانسان رحمه الذين لا رحم الا بالوالدين كالمم والعمة والخال والخالة لان في ذلك برا واحسانا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان البر ان يصل الرجل ودا ابية • لان في هذه الصلة برا بوالديه واكراما لهما • وخفاظا على علاقات الاسر واواصر المحبة والروابط بين ذوى الارحام ولهذا فاننا نجد الاسلام قد رغب في اكرام الوالدين وصلة الارحام • كي يكون المجتمع الاسلامى متحابا متحابين قوى الاركان ثابت الدعائم وطيد القوائم ولهذا يقول رسولنا صلوات الله وسلامه عليه « من سره ان يهد له في عمره ويزداد له في رزقه غلير والديه وليصل رحمه »

وكما ان بر الوالدين سبب في الرزق وفي بركة العمر فان الرسول صلى الله عليه وسلم جعل بر الوالدين كذلك طريقا الى الجنة •

فقد روى عن معاوية بن جاهمة رضى الله عنهما ان والده قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم استشير في الجهاد فقال لك والدان • قال نعم • قال الزمهما فان الجنة تحت ارجلهم • ولقد نص القرآن الكريم علينا قصصا البارين بوالديهما من الانبياء عليهما السلام قال تعالى « فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ورع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ايت هذا تاويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد احسن بى اذ اخرنى من السجن وجاء بكم من البدن من بعد ان زرع الشيطان بنى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو المعلم الحكيم » يوسف آية ٩٩ •

ولئن تركنا يوسف في قصته وآيامه وتكرمه لابويه عليهما السلام وذهينا الى يحيى عليه السلام • فاننا نجد القرآن يحمده ويحمده بقوله « يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناك الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرأ بوالديه ولم يكن جبارا عصيا » •

ولئن غدونا الى عيسى عليه السلام لوجدنا القرآن الكريم يذكره بقوله « قال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرأ بوالدى ولم يجعلنى جبارا شقيا » •

ولئن تركنا عيسى وغدونا الى ابراهيم عليه السلام وعشنا معه في قصته ودرسنا ملاقاة من قومه من صد ورد واعتداء لكنه مع ذلك كان كريما اربيا بارأ بوالده • بل كان كما قال القرآن الكريم عنه اواه حليم

قال تعالى « واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صدقا نبيا اذ قال لايه يا ايت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا يا ايت انى قد جامنى من العلم مالم ياتك فانبغنى اهدك صراطا سويا • يا ايت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا • يا ايت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال اراغب انت عن الهى يا ابراهيم لئن لم تنته لارجئك واهجرنى مليا • قال سلام عليك ساستغفر لك ربى انه كان بى حفا » •

ولئن كان استغفار ابراهيم لايه فان اسماعيل قد عرض عليه ابوه بان يذبحه تنفيذا لامر الله الذى جاءه مناما وكسان ذلك الامر امتحانا لعزم الشيوخ كما كان امتحانا لعزم الشباب لكن الشباب الفض البض الذى لا يزال في عمر الزهور لم يتردد لحظة في تنفيذ اوامر الله عز وجل بل قال لايه « يا ايت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » انه الوفاء واى وفاء • وانه البر واى بر ابر من اسماعيل الصغير لوالده

الكبير • قال تعالى حكاية عن ابراهيم « رب هب لى من الصالحين • فبشرناه بغلام • فلما بلغ معه السعى • قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك • فانظر ماذا ترى • قال يا ايت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما اسلمها ونله للجبين ونادينا ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الاخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين » •

ولئن كانت هذه اخبار القرآن الكريم عن السابقين من الانبياء والمرسلين فان بر الوالدين كان سببا في الخروج من الضيق وتفرج الكرب وتيسير الامور بعد العسر وتفرج الكرب بعد ضيق المسالك وانسداد الدروب •

فقد روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما • قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم حتى اواهم الميت الى غار فدخلوه فانعدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الفسار • فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم • قال رجل منهم اللهم كان لى ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغنيق قبليهما اهلا [اى لا اجعل اهلى يشربون اللبن قبليهما ليلا والاراد باهله زوجته واولاده] فغنى بى طلب الشجر يوما فلم ارج عليهما [اى ارجع اليهما] حتى ناما فغطيت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغيق اهلا ولا مالا فلبثت والقنح على يدى انتظر استياظهما حتى برق الفجر •

فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة • فانفرجت الصخرة [الحديث] ومن هنا نجد ان اكرام الوالدين وبرها سببا في تخرج الانسان من ضيقه وتفرج الكرب عليه •

ولئن كان الاكرام هكذا وبر الوالدين هكذا فان عقوق الوالدين من اكبر الكبائر واعظمها جرما واكبرها خطرا واعظمها اثما • حتى ان الرسول صلى الله عليه وسلم جعل عقوق الوالدين من اكبر الكبائر فقد روى ابو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

الا اتينكم باكر الكبائر قالها [ثلاثا] قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان منكبا فجلس وقال الا وقول الزور وشهادة الزور •

ولقد نص القرآن الكريم علينا صورة لولد هاق لوالديه يخالف لارهمها قال تعالى « والذى قال لوالديه اف لكما اعتدائى ان اخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيبان الله وبلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين • اولئك الذين حق عليهم القول فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين » •

ولئن كانت هذه صورة واضحة فى العقوق فان قصة ولسو نوح ليست غنا ببعيد فقد دعا نوح ولده الى الركوب معه فى السفينة بعد ان اتاه امر الله تعالى واخبره ان العذاب واقع بالكافرين • فما كان من ابنه الا ان عصى امره وجفاه وخالفه حقت عليه كلمة العذاب قال تعالى « وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرسها ان ربى لغفور رحيم وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى مزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المفرقين » •

وبعد فان اكرام الوالدين وبرهما من الامور التى دعى اليها الاسلام وارشد اليها وان عقوقهما امر كرهه الاسلام وحذر منه لما فيه من مجلبة للعقاب واستحقاق للعذاب ودافع من دوافع غضب الله تعالى الا فليكرم الابناء آباءهم فان فى هذا سعة للرزق وطولا للعمر وبلوغا للامل ومرضاة لله تعالى ونجاة من النار وسببا من الاسباب التى تدخل الجنة والنظر الى وجهه الكريم نساله تعالى حسن العون وحسن القبول انه سميع قريب •



الحج مؤتمر

أراد سبحانه من شوق وهمة وانبعثات « . ولا من ما شرع لمن يحبوه الله بشرف هذه الدعوة أن يحتفل لها بأدب التلبية وحسن الدعاء « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة والملك لا شريك لك » .
وقد جاء القرآن الكريم مبينا فرضية الحج ومن فرض عليه « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

فالحج ركن من أركان الاسلام ودعامة من دعائمه التي يقوم عليها شرعه الله جل شأنه وفرضه على القادر المستطيع وجعله في موسم دوري « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » . يلتقى المسلمون فيه كل عام على أصنى العلاقات وأفتاها وأكرم الصلات وأتقاسها ليشهدوا منافع لهم على أعظم بقعة شرفها الله بانطلاق دعوة الاسلام منها جهيرة الى العالم أجمع « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » . انطلقت دعوة الاسلام تهدف الى اسعاد البشرية بخير الدنيا وسعادة الآخرة ، تدعو الى المعروف وتطلبه وتنهى عن المنكر وتبغضه « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

هذا . وفي أداء مناسك الحج وشعائره في اخلاص المتقين وإيمان العارفين ما يملأ النفوس شفافية والقلوب نورا وصفاء فيلتقى الحجاج على المودة وتربط بينهم أواصر المحبة - ويعمر قلوبهم الايمان وتمتلئ جوارحهم بالقوى وهى خير زاد « وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى

أمر الله جل شأنه بالدعوة الى الحج والفداء به حتى يهرع اليه كل راكب وراجل من كل فج وقطر ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أداء مناسكهم وتقديم هديهم ، وقد تكفل سبحانه بأن يصل هذا الفداء بالحج الى المسامح والقلوب والنفوس فى شتى الانحاء ومختلف البقاع فتتهفو النفوس والافئدة فى حنان وشوق ملبية داعية مسرعة الى بيت الله وترى نداء ابراهيم قد تحقق ودعوته قد استجيبت فى أروع صورة وأبهى رواء .

« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا »

- موت اليهم الافئدة وهفت القلوب والارواح الى بيت الله وحرمه كما ارتفعت كلمة الله تشق عنان السماء وكان الامن والامان والسلام وأبدي الشرك وتحطمت الاصنام « واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبنى أن نعبد الاصنام »
وفى هذا الفضل الذى يغفر الله به عباده الاوابين فيتولاهم بطاقات من عنده وفى هذا الخير الذى ينفى الى حجاج بيت الله وحرمه « يقول بعض أهل المعارف الروحية :

- اذا كان الله سبحانه وتعالى هو الذى يتولى ابلاغ صوت الداعى بالحج الى من يشاء من عباده فكانه هو سبحانه الذى يدعو بنفسه الى زيارة بيته وان كل من انبعث الى زيارة البيت قد انبعث بإشارة خفية ودعوة الهية القيت اليه من الغيب فانشأت فى نفسه ما

إسلامي

قال الله تعالى وهو صدق
القائلين : « واذن في الناس
بالحج يأتوك رجالا وعلى كل
ضامر يأتين من كل فج عميق ،
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا
اسم الله في أيام معلومات .. »

ويقول سبحانه : « ان اول
بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا وهدى للعالمين . فيه
آيات بينات مقام ابراهيم ومن
دخله كان آمنا والله على الناس
حج البيت من استطاع اليه
سبيلا ومن كفر فان الله غني
عن العالمين » .

فضيلة الشيخ محمد فاطر

هذا ما يناله الحاج من رفد عظيم وخير عظيم في
هذه الرحلة المباركة الطيبة اذ يقول الرسول الكريم
صلوات الله وسلامه عليه « من حج فلم يرفث ولم
يقترب رجعت كيوم ولدته أمه » رواه البخاري ومسلم
وغريهما .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال « العمرة الى العمرة كفارة
لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة »
رواه البخاري وكما يمحى الحج الذنوب فانه يفتح
ابواب الرزق والبركة .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « تابعوا بين الحج
والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير
خشب الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة
ثواب الا الجنة » . رواه الترمذي وابن حبان .

كذلك قد وردت احاديث الرسول الكريم مبينة أن
الحجاج وفد الله واذا كانوا كذلك كانت لهم المنزلة
الطيبة عند الله سبحانه وتعالى باستجابة الدعوات
وقبول الاستغفار فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الحجاج
والعمار وفد الله ان دعوه اجابهم وان استغفروا
غفر لهم » . منزلة كبرى ودرجة عظيمة . اختص
بها وفد الله في مؤتمره الاسلامي الكبير ، وهم حين
يتعرضون لهذه النفحات الالهية والتجليات الربانية
بأرواح صادقة وعقيدة صحيحة يجأرون بالدعوات
لانفسهم وأمتهم الاسلامية بالوحدة الشاملة والقوة
الكاملة والنصر المبين ويستغفرون ربهم عما فرط
منهم يحقق الله لهم بفضلهم الحج المبرور ان شاء
الله .

واتقون يا أولى الابواب .

وهم حينذاك بقلوبهم المتصلة بأطبيب صلات الرحمة
ونفوسهم المتحابية في عقيدة الايمان وقد تقاربت
القلوب والمشاعر رغم تباعد الاقطار واختلاف الديار
- يكونون أنقى مجتمع في اكرم بقعة يصدر عنه اذا
ما صحت النيات وقويت العزائم وخاصت الضمانات
كل خير للامة الاسلامية في حاضرها ومستقبلها ذلك
لان رابطة العقيدة الخالصة في نقائها وصفائها أقوى
وشيجة من قرابة الدم الغريبة « يا أيها الناس انا
خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم
خبير » .

ولا ريب ان في اجتماع الحج السنوي على هذا
المستوى العام وفي هذه البقاع الطاهرة وبهذه النفوس
الطيبة - وفي جو من اشعاعات الصفاء والمودة
والمحبة - كفيل بأن يجمع الكلمة على وحدة الهدف
في هذا المؤتمر فيستدأرس فيه المسلمون شئونهم
ويتداولون فيما بينهم في جو تتوالى عليهم فيه
النفحات والبركات بتوفيق من الله لاداء الفريضة
واتمام المناسك وتجتمع كلمتهم على طريق الحق
وتقوى عزائمهم فيرهبهم الاعداء ويطلب مودتهم
الاصفياء .

كما أن الحجيج في هذا المؤتمر وفي تلك الاماكن ذات
التاريخ المجيد في الاسلام يلتمسون الاسوة من
الرواد العظام السابقين الذين تضمهم بين جناحيها
معالم هذه البقاع الطاهرة التي يرتادها الحجيج في
اداء مناسكهم ومشاعرهم فيشد العزم وتقوى الارادة
ويزداد الاصرار والصمود في رحاب الوحدة الاسلامية
الجامعة .

ومن هؤلاء الناس . الذين يكره بعضهم بعضا .. والذين يقتل بعضهم بعضا .. نشأت اصحح حضارة في التاريخ .. ومن هؤلاء البدو الرحل الذين لم يصلوا الى حضارات الامبراطوريات المجاورة لهم من الفرس والروم نشأت فوه هزمت هذه الامبراطوريات وزعزعتها .. ومحتنها .. من هذه المجموعه من البدو خرجت طلائع وصلت الى اوربا ..

كيف حدث ذلك ؟ .. حدث بقوة الدين الجديد .. الذي ولد هنا .. وماهو الدين الجديد .. هل هو صلاه ؟ .. هل هو تسبيح وتكبير ؟ .. نعم .. ولكن اكثر من ذلك هو حياة .. هو رسم لطريقة الحياة ؟ .. رسم من حيوط صلبه قوية تبني الانسان من الداخل .. تبني الانسان الذي يستطيع ان يسود الارض .. هو بناء داخلي صلب في قلب النفس البشرية ذاتها .. يصنع لها الخيوط ويفسرها لها ، ويوضحها امامها ليمحو الضعف ، ويضع بدله القوة ويمحو الخوف ، يملأ النفس بالشجاعة ويقضى على التردد ويضع بدلا منه الاقدام .. ويخلق من امة مستضعفة امة يدين لها العالم .. وفي رأبي وكما قلت ، انا انقل هنا تجربة شخصية وانفعالا ذاتيا - ان احد الاسباب الرئيسية التي فرض من اجلها الحج هو ان يذهب المسنون الى هناك مرة كل عام . ويتذكروا هذه المعجزة .. يتذكروا ماذا يفعل دينهم في طريق الحياة . التي رسمها .. وكيف استطاع ان يشي من سكان هذه التلال المجاورة الكمية .. وهذه الصحراء المترامية الاطراف . التي لا زرع فيها ولا ماء .. كيف استطاع ان يوجد هؤلاء ويجعل منهم امة تسود العالم كله .. انه يعطيهم الصبر ويدكرهم بهذا الذي في ايديهم مرة كل عام عليهم يتذكرون .

انطلقت السيارة الى مكة .. في الطريق الى بيت الله الحرام .. الطريق المزدحم بمسارات السيارات والأتوبيسات ، والناس كلهم يسرندون ملابس الاحرام .. فوطه بيضاء كبيرة تحيط بالوسط ، واخرى تغطي الكتف اليسرى وحيانا الكتفين وتحسن انك في عالم جديد ، وانت تنظر الى هذه المواقب المنطلقة باقصى قوتها .. تحسن ان هنا تقف حدود الدنيا ومميزاتها .. هنا وانت تدخل الى مكة تحسن باللمسة الاولى .. وتحسن بها كجزء منفصل عن الحياة . بنعيمها والقابها ودرجاتها .. هنا وانت داخل الى بيت الله الحرام تقف حدود الدنيا وتعطى لمسة تعيشها من حيث ينظر اليك الله وانت تدخل بيته ، ان الله يلغى حياتك ولقبك ومركزك في الدنيا لتكون هنا فقط ، عبدا من عباده ، كلهم سواء ، الغنى والفقير ، والعظيم والبسيط ، هنا لا يوجد اى فرق بين انسان وانسان ، بسبب ملابس من غناه او مركزه لا احد يرتدى ملابس مزركشة والثاني ملابس بسيطة

سنى



كلما جاء موسم الحج اثار في نفسى الذكريات .. ولا زلت اذكر تلك التجربة الكبرى التي لا ينساها انسان ابدا ...

لقد وصلت الى جدة وانا احس اننى ذاهب الى تلك الارض التي حدثت فيها المعجزة معجزة الدين الجديد .

ما الذى حدث اكانت هناك في هذا المكان بالذات قبائل عربية مختلفة متفرقة .. قبائل تشستد بينها الاحقاد ويقتل بعضها بعضا .. قبائل بسبب الخلافات بينها استضعفت فى الارض بجانب الامبراطوريات والحضارات التي جاورتها .. قبائل لم يمنع القزو عن ارضها الا انها صحراء جرداء فاحله .. سكانها بدو رحل .. ليس فيها مايطمع فيه الفزاة .. ولا ما يستطيع ان يحكموه

استاذ أحمد زينة

قبل أنقل تجربة شخصية ، وأحاسيس مرتت بي خلال تجربة الحج .. نكن قد تنطق أنت وانطق أنا بها دون أن نتعمق في معناها الكبير ، لأنها تصنع قانونا أساسيا في الحياة .

فأنت في كل يوم من أيام حين تدخل في امتحان مع هذه الكلمة .. إذا وجدت الفرصة سانحة أمامك لتأخذ مالا بغير حق وأخذته .. فقد رفعت المال إلى درجة أعلى من مرتبة الله ، ذلك أنك وجدت المال الحرام فعصيت من أجله الله .. أي أن المال أصبح لديك وفي نفسك أكثر تأثيرا من الله .. وإذا كنت تاجرا ووجدت أنك تستطيع أن تسرق الميزان وفعلت ذلك ، ارتكبت نفس الاثم وإذا وجدت أن شهادة الزور مثلا تعطيك من جاه الدنيا فاقدمت عليها فان جاء الدنيا أصبح عندك أكثر قوة من الله ، وإذا تقربت إلى الناس لتصل إلى منصب أو مركز بالزيف والخداع فقد أخذت هذا المركز لمرکز جلال معنى عبارة لا اله الا الله وإذا وجدت أي معصية أمامك وارتكبتها لفائدة لك .. فأنت بذلك تخرج عن المعنى العميق لهذه الكلمات .. بل أنك إذا كذبت أو سرت أو زورت لترضى انسانا فأنت بذلك أيضا تخرج على المعنى الكبير العميق لكلمة لا اله الا الله .. لأنه في رأيي أن المعنى الحقيقي لهذه الكلمات الأربع هو أنه لا قوة في الأرض والسماء لها مرتبة الالهية ، وبالتالي فإنه لا توجد أي قوة من مال أو بريق أو منصب أو نعيم في هذه الدنيا تستطيع أن تكبر وتكبر وتطغى على كلمة الله . فتجعلك تنسأها وتنسى الاسس التي وضعها لحياة الإنسان على الأرض .

ان الذي يحدث في نفسك حقيقة وأنت تمد يدك إلى مال حرام مثلا ، هو أن كلمة الله قد تضاعلت في نفسك ، والمتعة التي سيوفرها لك المال الحرام قد زادت وكبرت ، وأصبحت هي الغالبة واذكر هنا أن حكما اعطى لعدد من تلاميذه اعطى كل واحد منهم دينكا وسكينا وقال لهم : أريد أن يذهب كل واحد منكم إلى مكان لا يراه فيه أحد .. ويذهب هذا الديك ، ومضى التلاميذ ، وعاد كل منهم بديك مذبح وسكينة تقطر دما ماعدا واحدا .. ولما سأله الحكيم لماذا لم تذبح الديك ؟ .. قال أنني لم أجد مكانا لا يراني فيه الله .. هذه القصة تمثل أحد المعاني العديدة التي تعبر عنها كلمات « لا اله الا الله » وأنا أستطيع أن أمضي بلا نهاية في ضرب الأمثلة عما تعنيه هذه الكلمات في كل دقيقة من حياتنا .. وانما يجب إذا أردنا مثلا أن نعطيها معناها الحقيقي - أن تعيش معنا في كل لحظة من الحياة .

وقطع تفكيرى صوت يعلن أننا على وشك الدخول إلى مكة .. ووقفنا قليلا .. وبدأت سيارات الحجاج تمر تحمل أناسا من كل بلاد الدنيا .. من أواسط الغابات في إفريقيا .. من اقاصى الدول في أوروبا ، من أعلى الجبال ومن السهول .. من الصحراء ومن الغابة .. ومن مناطق الثلوج .. وكنت أسمع ، والسيارات تمر الدعاء إلى الله بجميع لغات العالم وبكل اللهجات .

والثالث ملابس رجل فقير ، كلهم متساوون في ملابس الاحرام .. هنا تختفى فروق الدنيا ، وتظهر مساواة الآخرة .. ان الله ينظر اليكم جميعا على انكم عباده لا يفرق بين الفنى والفقير .. ومن هنا وانت تدخل الى بيت الله الحرام فأنت تتجرد من مميزات الحياة الدنيا وزخرفها وتنتظر الى الجميع بملابسهم البتضاء .. لا تسكاد تميز أحد منهم .. حتى اصداؤك ومعارفك واقاربك ينهون وسط هذا الطوفان الارضى ، فلا تسكاد تتعريف عليهم .. ونحس ان كل الناس يتوحدون ، وتحس أن الدنيا بنعيمها وصراعاتها ومراكزها .. وأحدهما وانسابها وكل شيء فيها لا تدخل هنا .. ليس لها وجود في هذه اللحظات اختفت تماما ، تلاشت .. وتحس بلهسة من الآخرة تهزك .. ولكن لماذا الآخرة ؟ لماذا التذكرة بها بهذه اللمسة العلمية في موسم الحج وعند دخول بيت الله الحرام .. لأنها هي اساس كل شيء .. فإذا كنت موقنا بها ، بدأت تعمل حساب كل عمل تعله وتقيسه .. اما اذا كنت غير مؤمن فقد انتفى عنك كل شيء تقريبا .. وتستطيع أن تفعل ما تريد في الدنيا بلا وازع .. ومن هنا كان للتذكير بالآخرة اساس الايمان في كل خطوة .. وفي هذا حمل كبير كنت أراه خصوصا على وجوه الذين اعطاهم الله من نعيم الدنيا كثيرا .. بل أن بعضهم كان يضيق بأيام الاحرام وما يصاحبها من مشقة ، وما يصاحبها أيضا من ذوبان الشخصية والمركز وكل شيء حتى ان كل انسان يحس أنه لا شيء .. نقطة صغيرة لا تكاد تذكر في بحر رهيب من البشر ، ثم بعد ذلك لا شيء .. ولا تستطيع أي قوة بشرية أن تكون في موسم الحج شيئا .. بل أنها مهما علت بالنسبة لمراتب الدنيا .. فإنها تتلاشى هناك وسط مئات الآلاف من الحجاج .. لتصبح لا شيء .. وأنا لم أشهد شيئا مؤثرا في حياة البشر هناك الا الله .

هل تصل إلى القلوب ؟

ومتضى السيرة في الطريق الصحراوي بين جدة والمدينة .. ومهما تمضى الأفكار والتأملات تسمع كلمة لا اله الا الله ، تتردد في كل مكان ، وتقف أفكاري قليلا .. ان هذه الكلمة مع الشهادة بأن محمد رسول الله هي التي تفرق بين المسلم والكافر .. هي التي تدخل الانسان في الاسلام .. أربعة الفاظ .. لا اله الا الله ، تقولها اللسان جميعا ، جملة سهلة بسيطة ولكنها أصعب جملة في اللغة العربية كلها اذا أردتها أن تدخل قلبك .. هكذا أحسست أنها حمل ضخم أتمنى أن أصل يوما إلى أمماته .. ان كثيرا منا يقولون هذه الكلمات كل يوم .. ولكن هل تصل إلى القلوب .. بمعنى لا اله الا الله .. معناها أنه لا توجد قوة في هذه الأرض والسموات لها مرتبة الالهية الا الله سبحانه وتعالى .. كلنا يقول هذا مفهوم .. ولكن - وأنا هنا - كما قلت في هذه الخواطر من



تحت وابيل الرحمات

فضيلة الشيخ فارع أحمد دردير

سمع اقوام اختارهم الله الفيض من رحمته فوفدوا الى الاراضي المقدسة من شعاب الارض ، الداني والقاصي ، شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، رجلا وركبانا ، ركبوا متن الفضاء ، او حملتهم الراسيات المخرات تشق بهم عباب البحار ، او امتطوا الصامرات من الخيول والانعام ، يقطعون بها الوديان والقفار ، حبا في الوصول الى بيت الله الحرام ، في بلد الله الحرام . وفي قلب الاشهر الحرم ، ليقضوا مناسكهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق . وفيين الوصول الى القصد ، وعلى مسافات مرسومة ، وفي مواطن معلومة يخلعون ملابسهم ، ويظهرون ابدانهم ، ويلتفون في ثياب ما اشبهها بالاكفان ، لا محيط ولا مخطط ، فيطيقون حيث لا طيب بعد ذلك ، ولازالة شعث حتى يتم النكس ، فاذا مرغوا من سنة صلاة الاحرام توجهوا الى الله بخالص الدعوات والابتهالات ، وهدرت حناجرهم بالنية ، ليك اللهم ليك ، لا شريك له ليك ، ان الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك . اقبالا على الله ، واستجابة لامره ، فانه جل شأنه امر خليله ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج . وتمهد له بالبلاغ ، كما امر حبيبه محمدا بدعوة المؤمنين الى فريضة الحج على كل مستطيع ، والحاج حين يقول : « ليك » فانه يقول : اجابة لك يا ربى بعد اجابة ، وهكذا يكررون الاجابة ، ويتخذونها تحية فيما بينهم عزد كل لقاء ، ويعاودونها كلما تغير الحال الى قيام او جلوس ، او هبوط واد او ارتقاء ثنية ، ما اجملها من لحن ينبع من القلب ويصعده اللسان حتى تعج بها سماء الركب ، ويستجلب بها رضوان الرب .

البيت مكانا اقتضت حكمته ان يكون فيه لتوسطه بين بلاد الارض ، او ليكون سببا في جلب الرزق لانس سكنوا واديا غير ذي زرع ، او ليكون بازاء بيت العزة في السماء ليطوف سكان الارض مثلما يطوف الملائكة في السماء ، ولما اختاره ارشد اليه الخليل ليرفع قواعده بمعونة ابنه اسماعيل عليهما السلام ، وقد توحى كلمة « بوانا » بان البيت اقدم من ابراهيم وانه من بناء آدم عليه السلام او من صنع

وكلما قابضوا ام القرى استبد بهم الوجد ، واشتد بهم الحنين ليكحلوا عيونهم بالنظر الى بيت الله ، بيت طهره الله ، ورفع قواعده ، واعلى مكانته ، وهدى خليله ونبيه ابراهيم عليه السلام الى معرفة مكانه كما يقول سبحانه : « واذا بوانا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع والسجود » . فقد اختار الله لهذا

تراجع على الحزن فتؤذي الضعيف ؟ أن وجدت خلوة فاسقلمه ، والا فاستقبله وهلل وكبر »

ياؤى الحاج الى بيت الله يطوف ويسعى ، ويدعو بما شاء ، قد صفا قلبه ، وسمت روحه ، والرضوان مقبلا على ربه ، حريا على نزعات نفسه ، فاذا جاء يوم عرفة هرعوا جبيعا الى هذا المكان ، لا يتخلف منهم أحد ، ومن تخلف حتى طلع فجر العيد فقد فاتته الحج ، تراهم فى ملابس الاحرام ، قد ترفعوا عن الاستجابة الى دواعى الزينة ، قد شغوا بتزكية نفوسهم عن تجميل أبدانهم ينادون من اعماق قلوبهم رب السموات والارض ، ويتعرفون احوال اخوانهم المؤمنين على اختلاف الاوطان والانوان والاجناس واللغات ، فان رأوا خيرا حمدوا الله ، وان رأوا غير ذلك بذلوا من العيون ما استطاعوا ولو كلية طيبة قد اجتمع مؤتمرمهم فى هذه البقعة المباركة حاسرى الرؤوس طاهرى النفوس ، شعنا غبرا ، تلحظ عليهم سمات السفن فى رحلة الطاعات ، يرفعون أكف الضراعة ، ويعلمون السميع والطاعة ويسألون ربهم الرحمة ، والمغفرة ، وحق لهم أن يستجاب لهم ، وكان الكريم قد قال لهم : ارجعوا الى دياركم التى هجرتموها وأموالكم التى خلفتموها ، وأهلكم الذين فارقتموهم ، اطاعة لأمرى ، واجابة لندائى فقد غفرت لكم . ذكر الترمذى فى نواذر الاصول عن عباس بن مرداس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة والرحمة : وأكثر الدعاء : فأجابه : انى قد فعلت الا ظلم بعضهم بعضا ، قال : يارب ، انك قادر ان تنيب المظلوم خيرا من مظلمته ، تغفر لهذا الظالم ، فلم يجبه تلك العشية . فلما كان الغداة بالزلفة ، اجتهد فى الدعاء ، فأجابه ، انى قد غفرت لهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : تبسمت يا رسول الله فى ساعة لم تكن تبسم فيها ؟ فقال : تبسمت من عدو الله ابليس ، انه لما علم ان الله قد استجاب لى فى أمى ، أهوى يدعو بالويل والثبور ، ويحثى التراب على رأسه ، ويفر ، وهذا فضل الله الذى يتسع لكل شيء ، فان فضله واسع عظيم .

وقد جاء فى السنة المطهرة : أن الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ، وكل خير ينال بنى آدم ثقبيل على عدو الله وعدو الناس ابليس اللعين ، وقد روى الامام مالك عن عبد الله بن كريب رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصفر ، ولا أحقر ، ولا أدحر ، ولا أغيظ منه فى يوم عرفة ، وما ذاك الا ما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام . الا ما رؤى يوم بدر . هواطل الرحمة ، وسيل المغفرة تنساب فى هذا اليوم

□ ٨٩ □

الملائكة قبل آدم كما تقول بعض الروايات ، وخلال هذه الحقب المتطاولة عدت عليه عوادي الزمن ، من تعرية وتغيير حتى درست معاليه ، وجهل موضعه ، ثم هيا الله لبنيه وخليله التعرف على مكانه ليقومه من جديد مثابة للناس وأمنا ، وصدق ربى : « أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » كرم الله هذا البيت فجعله آمنا من دخل فيه ، وجعله قبلة الصلوات لكافة المؤمنين مهما اختلفت مواقعهم من الارض ، وضاعف الفكر على من حديثه فيه نفسه بمنكر : « ومن يرد فيه بإلحاد بضم نذقة من عذاب اليم » . كما ضاعف الاجر للطائعين فيه اضعاغا كثيرة لا يتسع لها الا كرم الكريم . فان الصلاة فيه يعو فضلها على مائة ألف صلاة منها فى غيرها من المساجد كما يحدثنا جمع من ثقات المحدثين رواية عن ابن الزبير رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيها سواه الا المسجد الحرام . وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من صلاة فى مسجدى بمائة صلاة ، البيت بيت الله العظيم ، وللبيت حرمت تبعد ونعظم وفق درجة أصحابها من العظمة ، والبيت الحرام له حرم يضرب فى الارض الى عشرات الاميال من حوله يامن فيه النبات فلا يخضد الا نباتا بدره ايديهم . أو استندت الحاجة اليه فى دورهم وقبورهم وهو الاذخر . اطمأن صيدها وحمامها فلا يخاف من القنص ، يدنو من الايدى والرماح يردع . ابتلاء لمقدار الاستجابة لأمر الله ، وليعلم الله من يخافه بالغيب ، ولقد شاء الرحيم بخلقه أن تكون فريضة الحج مرة واحدة فى العمر رفقا بالعبيد ، ولو شاء لجعلها تتكرر بتكرار الاعوام ، ولكنه أراد بنا اليسر ، فمن تذوق حلاوة هذه الرحاب ، واستعذب هواطل الرحمة وعرف سعادة الروح وأحب العود بعد الفريضة فهى سنة وهى طاعة . روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا . فقال رجل : اكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو قلت « نعم » لوجبت ، ولما استطعتم » هذه هى سباحة الاسلام ، ورحمة الرحيم الرحمن . لاتفسو فى التشريع . ترى أن رحلة الحج وما فيها من سفر وانتقال ، وتداول بين احوال قد يرهق الاعصاب ، ويثير الحساسية فتدعو الحاج الى العزوف عن الجدال ، وهو أول طريق العناد والخصام ، كما ترى ما يتعرض له الضعفة فى مواقف التجمع والتراجع ، فتدعوهم الى الترفق والتعاطف فقد روى الامام أحمد عن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له : يا عمر ، انك رجل قوى ، لا

كان العلماء متفقين على أن شهيد القتال لا يقتل ولا يكفن الا في ثيابه ، وفى الصلاة عليه خلاف ، فان شهيد الحج يكفن بثوبى احرامه كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما : ان رجلا أوقصته راحلته وهو محرم فمات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : غسلوه بماء وسدر ، وكفنوه في ثوبيه : ولا تخمروه ! فغطوا وجهه ولا رأسه ، فانه بيعت يوم القيامة مليا .

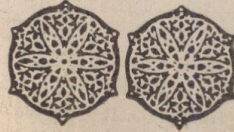
الحاج والشهيد يستويان في الحفاظ على ما كانا يليسان ، والتكفين فيهما ابقاء على ملابسات ما كانا فيه من طاعة ، وشهادة بما قدما في سبيل الله : وان زاد شهيد المعركة عدم الغسل ، ففعل ذلك ابقاء على وسام الدماء حتى تكون أطيب من المسك يوم الجزاء ، وليس لهذا الدماء وجود على جسم الحاج ، أما الصلاة فانهما يشتركان فيها على بعض الأقوال على ما ذهب اليه فريق من العلماء أن شهيد المعركة يصلى عليه .

المساجد بيوت الله ، آذن لها ان ترفع ، يؤمها ويمعمرها من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وأتى الزكاة ، ولم يخش إلا الله ، وفى طليعتها المساجد الثلاثة المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، وبيت المقدس ، والمسجد الحرام فضله على هذه وغيرها معروف ، وقد أشرنا آنفا الى بعض مزاياه ، فحق لمن يقصدها أن يعد نفسه لزيارة الله فى بيته ، عليه أن يخلص النية ، وأن يتجمل ظاهرا وباطنا ، يتطهر فيحسن الطهر ويتمه ، ويتخلى عن الفل والحسد ، اللغو والعبث ، يدخلها بقلب خاشع ، ولسان ذاك ، قد أدى حقوق الله والناس ، ملتجأ الى الله ، راجيا عفو الله ورحمته ، راغبا عن طريق الضلالة الى سبيل الهداية روى عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله قد أوحى الى : يا أخا المنذرين ، يا أخا المرسلين ، أنذر قومك ألا يدخلوا بيانا من بيوتى إلا بقلوب سليمة ، والسنة صادقة ، وأيد نقية ، وفروج ظاهرة . يدخلوا بيانا من بيوتى ما دام لأحد عندهم مظلمة ، فأنى العنة ما دام قائما بين يدي حتى يرد تلك الظلمة لاهلها ، فأكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

الكريم على عباد الله ، يفيضها عليهم ، ويصبها من حولهم فضلا ورضا بما يصنعون . وسعت رحمته كل شيء . روى عن جابر رضى الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من محرم يصحى للسجدة حتى تعرب الا عريت بذنوبه حتى يعود كما ولدته أمه . والمضجوة للشمس حتى الغروب يكون يوم عرفة . حيث سدون أبواب السموات لا يحول بينها وبين الشمس حائل الا فى ظل الحديام التى تحجب حينئذ وتبدي حبيب اخر . رحمه الله .

الحج حافله بالبر ، جامع للخير ، يساق فيها الهوى ، وتبدل فيها القديرة ، ويقدم فيها ما يحرم به من جزاء ، حتى تملأ بيوت المحتاجين بالنعاء والتقدير والتقدير أياما بعد أيام ، وناهيك بهذا البر العام الذى يملأ البطون ، ويسر العيون ويرضى رب العالمين ، فى هذه الرحلة أماكن عديدة ، وأوقات قيحية ، وساعات استجابة ممن يقول : « ادعوني استجب لكم » .

عند النظر الى البيت ، وفى اشواط الطواف حوله ، ومقام ابراهيم ، والوقوف فوق كل من اليها والمروة ، واثناء السعى بينهما كل تلك مواطن للدعاء ، يوم عرفة وليلة الاضحية وعدد جبل الرحمة كل ذلك موعد وموضع للدعاء جاء فيه ما رواه الامام احمد : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، فاذا افاض الحاج من عرفة ذكر الله وتوجه اليه بالدعاء عند المشعر الحرام ، وقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يدعو بعد الفراغ من رمى الحصى عند الجمرة الاولى ، والجمرة الثانية ويطلب الدعاء ، وقد ذلك بوقت تقرا فيه سورة البقرة فى كل من الموضعين ، ما أوسع رحمة الله ، وما أكثر عطائه ، وهل تبقى هذه الاوقات الرحبية ، وأماكن الاستجابة مطلبا من مطالب النفس من طيبات الدنيا ، ومن درجات الآخرة ؟ انها تلح عليك وتكرر الطلب لتسأل ربك من فضله ، وهو الكريم الوهاب ، واذا كان الجهاد سبيل الله من أعلى شعب الايمان ، فان الحج يليه فى الترية كما يقول حبيب الله محمد بن عبد الله عندما سئل : « أى الأعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله وبرسوله . قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم الجهاد فى سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور » . ولا عجب فى الحج جهاد ، والذى يموت فى الحج يشترك شهيد المعركة الذى بذل دمه وروحه اعزازا لكلمة الله عن سماحة ورضا ، وان



المؤمن المتجدد في حياة الإنسانية

« بسم الله الرحمن الرحيم »

على أطلال بقعة من بقاع الأرض
وفي أيام معلومات وقد تجردت
الإنسانية من أنانياتها وشهواتها
يلتقي المسلمون من مشارق
الأرض ومغاربها يتدارسون
مشاكلهم في جو يعمه الصفاء
تلاية لنداء أبيهم إبراهيم الذي
أذن فيهم بأمر الله بالحج ليؤمنوا
بيت الله الحرام الذي هو أول
بيت وضع في الأرض لعبادة
الواحد الديان . . من دخله كان
آمناً ومن تعلق به نجا . سواء
العاكف فيه والباد . وهذا ضمان
لحرمة البيت وصيانة لحقه
لتصان فيه حقوق الناس جميعاً
ومن تمرد فيه وطع يذاق العذاب
الاليم في الدنيا والآخرة . ومن
يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
اليم .

فضيلة الشيخ
منصور الرفاعي عبيد

وإذا كانت الإنسانية قد دعيت من قديم الأزل ليسعي
الفادر منها إلى التوجه إلى هذا المكان ليشهد ما يجري
هناك من خير وبركة للإنسانية جميعاً دون تعصب لجنس
أو لون وليس هناك للقوة أو الغلبة سبيل للسيطرة
على نفوس الضعفاء . . بل إن الطهر والنقاء هو الذي
يمسك بزمام النفس التي تراقب ربها وترفع وجهها
إلى السماء داعية مليية بنداء واحد ونشيد سماوي
يؤلف بين قلوب الناس جميعاً بنداء واحد ونشيد سماوي
ما يسيطر على النفس من فخر أو كبرياء أو عظمة هذا
النداء الذي تتطامن له الإنسانية وتحنى رأسها اجلالاً
واكباراً أمام هذا اللحن المميز الساري في الوجود
سريان الهواء في الكرة الأرضية واسمع إلى هذا النداء
الذي تردده اللسان في هذا الموقف [لييك اللهم لييك
لييك لا شريك لك لييك أن الحمد والنعمة لك والملك
لا شريك لك لييك] .

وهذه الجوع الوافدة هي صلة لجموع ماضية
توافدت من أزل يدفعها الحنين والشوق إلى هذا المكان
الذي نحن إليه الأرواح حنين الطفل إلى ثدي أمه وحنين
الحائف الوجع إلى الأمن والسلام وعندما نرى هذه
الجموع التي أقبلت إلى تلك البقعة المباركة التي هي
ملك للإنسانية جميعاً نلاحظ أنه ليس في ضميرها
ولا وجدانها إلا أن تقدم للإنسانية أمنها ورفاهيتها وأن
تخدم قضية السلام على وجه الأرض وهو ليس كلاماً
إنشائياً بل إنه واقع الأمر الذي أقره قائد هذه الأمة
ونبيهها حينما أعلن تلك الوثيقة الباقية الخالدة على من
السنين وتعاقب الأيام أعلن حقوق الإنسانية في صراحة
ووضوح وصدق فقد قال صلى الله عليه وسلم [في
حطبه البوداع بعد أن حمد الله وأثنى عليه] أوصيكم
عبد الله بتموى الله وأحتكم على طاعته واستفتح بي الذي
هو خير ثم قال بعد كلام يرفق الغيوب ويهذب النفوس
« أن دمانكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم
خبرتم يومئذ هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلا
هل بلغت اللهم فاشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى
من ائتمه إثم بدأ يتحدث عن الربا ومضاره وأنه نظام
وضع المستغلون الذين ماتت ضمانتهم وأصبحوا
بمعاملهم بالربا يجلبون الشر على الفرد الذي هو أخوهم
في الإنسانية وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه وقد أعلن
إليه الحرب على الذين يتعاملون بالربا فقال إيا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم
مؤمنين فإن لم تفعلوا فأنزبوا بحرب من الله ورسوله
وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون] .

هناك تفاضل بحسب أو تسبيل هناك شعائر واحد [الله أكبر ولا معبود بحق سواه] هذه الضمانات لا تحوج الإنسان الى حراسة تستوجب اعتمادات مالية ولا يمكن أن تكون الضمانات من صنع البشر كما أنه ليس هناك استعمال الفيتو لإنسان عظيم ضد انسان فقير بل هناك كل انسان يرفع صوته بلا خوف ولا وجل ولا تسمع الا حسمه خير تقال او كلبه حق تتردد او أمر بمعروف او نهى عن منكر لان هذا المؤتمر قام باسم الله وهناك يذبح الانسان اخاه ويجعل اقربهم الى الله أبرهم بعباده . فى هذا الجو الملىء بالطهر يتم الاعترافات بالنبوات السابقة التي لم تخالفها أهواء الناس ولم تنحرف بها شهواتهم فجميع الانبياء يذكرون بالتكريم والبيجيل لانهم بعثوا من عند الاله المعبود وجاءوا جميعا ليحرموا الشرك بالله فى أى مكان لان الشرك بالله هو الداء الوبيل الذى يفك بالاسانية ويحطم روابطها ويقطع صلتها بمصدر الخير ويذهب بها فى اودية سحيقة تتوزعها الاهواء وتاسرها الشهوة ولكن الايمان بالله هو الضمان الكامل لعصمة الانسانية وبرها وصيانتها وحفظها وحدثها وسلامتها وبعدها عن الاتانية والهوى والزور والبهتان فكلمنا اتجهت النفوس بصدق الى خالقها عظم اخاؤها وقويت صلتها اتلفت قلوبها وامتزجت ارواحها ومن هنا هالمعنى الذى تدور عليه احكام الحج وحدانية الله كما أن تعظيم البيت ليس لما فيه من طوب واحجار بل بما يحفظه من الذكرى وما يقرن به من معان ومثل لانه اول بيت وضع للناس ليعبادوه الله فى بلد حرام حرمت دماء الناس أن تسفك على رضه وهو يرمز الى وحدة الاتجاه الى الله والى المس والمعانى التى تفترن به وتتردد من حوله ليظل حبل الاسمية مستودا دائما الى رمز الوحدة وانطهر وانصاعا والله تبارك وتعالى يقول فيما تاتى به من اعمال هناك وما تقدم حوله من نسك وقربان [لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم] هابت ترى ان فريضة الحج بمؤتمرها العالمى تخدم قضية السلام العالمى وتفتح باب التفاهم فى جميع القضايا التى تخص المجتمع البشرى على اختلاف ألوانه دون أن يكون هناك تفرقة بين شعب وشعب او جنس وجنس فما اطهره من مؤتمر دعى الناس جميعا الى شهوده (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) ويايت قومى يعلمون ما فى هذا المؤتمر من خير فيسارعون اليه يحملون مشاكلهم ويطرحونها هناك ليتعاون الجميع على حلها فى بيت اذن الله أن ترفع أعمدته ويطهر الركع السجود الذين خشعت قلوبهم وسمت ارواحهم ونادت السننهم لبيك اللهم لبيك .

ثم تكلم عن النساء ومالهن من حقوق وما عليهن من واجبات ونهى عن ايذاءهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وأمر برزقهن وكسوتهن بالمعروف ووصى الرجال بالنساء خيرا ثم بين أن المؤمنين اخوة ولا يحل لامرأة مال أخيه الا عن طيب نفس ثم بين وحدة الانسانية وانسائهم لادم وتشعبهم منه . . . واذا كانت تلك المبادئ التى أعلنها الرسول فى هذا الموقف العظيم وفى هذا الجمع الحاشد من مختلف البقاع تعتبر وثيقة تاريخية فانه أعلن تلك الدعائم التى يبنى عليها المجتمع وتؤسس عليها الحضارة وتبنى بها كيان الامة . . . والانسانية فى مدارها عندما تفتد الى هناك فى هذا الاطار الالهى فان صوت تنبيها يرن فى آذانها يقوى فيها ما وهن من امر دينها ويوقظ فيها الهمم التى غثرت ويصهرها فى بوقنة الايمان لتعمل هناك على ازالة الخلاف وفض النزاع وطرخ الخصومة والعودة الى النظرة السليمة من نقاء القلب وصفاء النفس وإخلاص العمل لله رب العالمين . . . واذا كانت الانسانية قد فقدت تلك المعانى فانحرفت عن غايتها وضلت سعيها وتخطبت فى دياجير الظلام ظلام الحقد والحسد والكراهية والبغضاء فهى فى حاجة الى اصلاح سماوى . عندما بدأت عيونها تتفتح وجدت انها تردت فى واد عميق وخيم عليها غش المعاملة وطمع مشحون بالحق بدانه تتلفت يمينا وشمالا عليها نجد المخلص لنفسها لما ألم بها فوضعت لنفسها هيئة أمم متحدة تجتمع تحت قبعتها ولكن تلك الهيئة لم تحل مشاكل الانسانية كما حلها هذا المؤتمر الجامع ففحين نرى فى هيئة الامم المتحدة يرتفع الصوت بالسباب ويكون هناك خوف واضطراب وجو مشحون بالمؤامرات واللف والدوران حول بعض الالفاظ وشغشقتها ومع ذلك لا تحل المشاكل فهناك حيث توجد الهيئة تفترق عنصرية واعتصاب لحقوق بعض الافراد ودول شرذبة ابناءؤها واحتلت بأخرين . . . الخ ما هناك من امور تفقد الكبد وتصدع الفؤاد وتنشق الارض من هول ما يجرى عليها من حقد وكراهية وبغضاء تحت قبة برلمان المفروض منه ان يحل مشاكل العالم ولكن اذا ما ذهبنا بخيالنا الى هناك . . . أى فى المكان المحرم فإن الاسلام العظيم الذى جاء خاتما لرسالات ومهيما عليها جعل من مؤتمره العالمى خصائص حية ووسائله نظيفة وجعله قرية الى الله وتبادلا للمنافع وجعل المنطقة التى يتم التجمع فيها منطقة محرمة يحرم فيها الفسوق والجدال كما يحرم فيها التعرض لخلق باذى أو اثم أو قطيعة فهناك يلتقى الابيض مع الاسود والروسى مع الأمريكى والصينى مع المصرى فى مودة كريمة وعاطفة طيبة بل ان المكان يجد فيه الطير امانه وسلامته فليس



الحج

بيت التاريخ والتشريع

فضيلة الشيخ
محمد مصطفى أبو العلاء

وجميع مناسك الحج ، أى أعماله ، ومواقفه من طواف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة ، ووقوف بعرفة ، وغير هذا من بقية مناسكه - ترجع - فى قدم عهدها - الى شريعة أبى الانبياء ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ، وظلت معروفة فى ذريته ونسله من ولده ، اسماعيل ، أبى العرب عليه السلام ، حتى جاء رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فجدد دينه ، وأوجبته شريعته ، بعد أن نفت عنها من البدع ، والمستحدثات - ما علق بها خلال الاعصر الكثيرة المتطاولة ، فرجعت الى ما كانت عليه فى عهد ابراهيم ، واسماعيل عليهما السلام ، فغدا البيت الحرام لا يقربه مشرك ، ولا يطوف به عريان ، ونقى من كل ما كان مستحدثا لا يليق بشريعة الله تبارك وتعالى ، وصدق الله العظيم ان قال : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين » .

فليس ما أنتم عليه - اليوم - معاشر المسلمين - الا : « ملة أبىكم ابراهيم » ، فنعمت الملة ، بدايتها ابراهيم ، وخاتمتها محمد صلى الله عليه وسلم . نعم ، ان شرع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام - قد أربى على شرع ابيه من قبله ، فكان - فى مناهج هديه ، وتشريعه - أعظم اتساعا ، وأكثر أتباعا ، وهل ينتظر من شجرة طيبة ، فى مثل هذا المنبت الطيب - الا أن تتواشع أغصانها ، وتسمك الى السناء فروعها ، ويتفسمح على بسيط الارض وارف ظلالها ، ويفوح فى شتى الأرجاء ريح طيبها يمدحها بالكمال دائما يوم افضل من أمس ، وغد أنضر من

من فرائض الدين - حج البيت الحرام ، بمكة المكرمة : لاداء المناسك ، الواجب اداؤها ، عند الاستطاعة : على كل مسلم ، ومسلمة ، مرة واحدة فى العمر ، فمن تطوع بأكثر من مرة - زاد خيرا ، وكسب أجرا .

وقد قال الله تعالى . فى القرآن الكريم : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) ، وروى البخارى ومسلم ، عن أبى عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن الخطاب : رضى الله عنهما : قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة . وحج البيت ، وصوم رمضان . ومعنى بنى الإسلام على خمس : أسس على خمس قواعد ، فالإسلام كالخيمة : تقام على خمسة أعمدة ، أحدها أوسط ، والبقية أركان ، فشهادة أن لا اله الا الله كالعمود الأوسط ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، كالأركان ، وظاهر الحديث انه هدام الإسلام بترك شئ من هذه الأركان الأربعة ، ولكن أكثر أئمة الدين - حملوه على الزجر لقوله تعالى : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .



يوم ، حتى كان النماء الذي ليس بعده ثناء ، والكمال الذي يقصر - دونه - كل كمال ، وعندئذ - قامت الدوحة في مستقرها من العظيمة والمجد حيث قام رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، في عرفة ، في حجة الوداع يتلو على قومه قول ربه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

وقد أجمع العلماء على أن الوقوف بعرفة - هو ركن الحج الأعظم لما رواه الإمام أحمد ، وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن يعمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر منادياً ينادي الحج عرفة ، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر - فقد أدرك ، ومعنى (الحج عرفة أي الحج الصحيح حج من أدرك الوقوف يوم عرفة ، وليلة جمع هي ليلة المبيت بمنى ، وهي ليلة النحر ، وظاهر الحديث الشريف أنه يكفي الوقوف في أي جزء من عرفة ، ولو لحظة ، ويرى جمهور العلماء أن وقت الوقوف بها يبدأ من زوال اليوم التاسع من شهر ذي الحجة إلى طلوع فجر اليوم العاشر من ذلك الشهر ، وأنه يكفي الوقوف في أي جزء من هذا الوقت ، ليلاً ، أو نهاراً إلا أن من وقف بالنهار - وجب عليه مد الوقوف إلى ما بعد الغروب ، أما إذا وقف بالليل - فلا يجب عليه شيء ، ومذهب الشافعي أن مد الوقوف إلى الليل سنة ، ومذهب الحنابلة أن الوقوف يبتدئ من فجر يوم التاسع من ذي الحجة إلى فجر يوم النحر .

والقصد بالوقوف - الحضور ، والوجود - في أي جزء من عرفة ، ولو كان نائماً ، أو يظن ، أو راكباً ، أو قاعداً ، أو مضطجعا ، أو ماشياً ، وسواء طاهراً أم غير طاهر ، كالحائض ، والنفساء ، والجنب . وفي وقوف المغنى عليه ، ولم يفق ، حتى خرج من عرفات - قال أبو حنيفة ، ومالك : يصح ، وقال الشافعي ، وأحمد ، ومن قال مثل قولهما كالحسن ، وأصحاب : لا يصح لأنه ركن من أركان الحج ، فلم يصح من المغنى عليه كغيره من الأركان .

ويجزئ الوقوف في أي مكان من عرفة : لأن عرفة كلها موقف إلا بطن عرنه - وهو واد يقع في الجهة الغربية من عرفة - فإن الوقوف به - لا يجزئ بالاجتماع . ويستحب أن يكون الوقوف عند الصخرات ، أو قريباً منها حسب الامكان ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في هذا المكان ، وقال : « وقفت ما هنا ، وعرفات كلها موقف » رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود عن جابر رضي الله عنه ، والصعود إلى جبل الرحمة ، واعتقاد أن الوقوف به - أفضل - خطأ ، وليس بسنة .

وينبغي المحافظة على الطهارة الكاملة ، واستقبال القبلة ، والاكتثار من الاستغفار ، والذكر ، والدعاء لنفسه ، ولغيره بما يشاء من أمر الدين والدنيا ، مع الخشية ، وحضور القلب ، ورفع اليدين قال أسامة بن زيد : كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات ، فرفع يديه يدعو رواه النسائي ، وعن عمرو بن شعيب

عن أبيه ، عن جده قال : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير » رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، ولفظه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير الدعاء - دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » ، ويروى عن الحسين بن الحسن المروزي قال : سألت سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفة ، فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، فقلت له : هذا ثناء ، وليس بدعاء ، فقال أما تعرف حديث مالك بن الحارث لا هو تفسيره ، فقلت : حدثني أنت ، فقال : حدثنا منصور ، عن مالك بن الحارث قال : يقول الله عز وجل « إذا سئل عبيدي ثنائوه على عن مسألتني - أعطيته أفضل ما أعطي مسألتين » قال : وهذا تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال سفيان : أما علمت ما قال أمية بن أبي الصلت ، حين أتى عبد الله بن جعدان يطيب ثأله ؟ فقلت : لا ، فقال : قل أمية :

أذكر حاجتي أم قد كفاني
حياتك : أن شيمتك - الحياء
وعملك بالحقوق وأنت فرع
لك الحسب المهذب والسناء
إذا أتيت عليك المرء يوماً
كفاه - من تعرضه - الثناء

ثم قال يا حسين : هذا مخلوق يكفي بالثناء عليه ، دون مسألة ، فكيف الخالق ؟ وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه قال : أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في الموقف : « اللهم لك الحمد كالذي نقول ، وخير مما نقول ، اللهم لك صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي ، واليك مآبى ، ولك رب تراثي ، اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر ، اللهم اني أعوذ بك من شر ما تهب به الريح » .

والوقوف بعرفة موقف إبراهيم عليه السلام ، مبروثن عنه ، وسنة له : روى الترمذي ، وقال : حديث حسن عن مربع الانصاري رضي الله عنه قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كونوا على مشاعركم ، فإنكم على أرث من أرث إبراهيم » ، والمشاعر : مواضع النسك ، سميت بذلك لأنها معالم العبادات ، ومعنى على أرث من أرث إبراهيم : على موقف من مواقفه المبروثة عنه . وفي رمي الجمار روى البيهقي عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لما أتى إبراهيم عليه السلام - المناسك - عرض له الشيطان ، عند جمره العقبة ، فرماه بسبع حصيات ، حتى ساخ في الأرض ، ثم عرض له عند الجمره الثانية ، فرماه بسبع حصيات ، حتى ساخ في الأرض ، ثم عرض له عند الجمره الثالثة ، فرماه بسبع حصيات ، حتى ساخ في الأرض » قال ابن

عباس رضى الله عنه : الشيطان ترجمون ، وملة أبيكم تنعون ، والجدار التي ترمى - ثلاث - كلها بمنى ، وهي جمرة العقبة على يسار الداخل الى منى ، والوسطى بعدها ، وبينهما (١١٦٧٧) مقعر ، والصغرى وهي التي تلى . وأجمع المسلمون على أن طواف الافاضة - ركن من أركان الحج . وأن الحاج إذا لم يفعل بطل حجه لقول الله تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) ، ويرى الآية الثلاثة أن نية الحج تسرى عليه ، وأنه يصح من الحاج ويجزئه ، وإن لم ينوه نفسه ، وهو سبعة أشواط ، وعند الإمام أحمد - لا بد من تعيين النية له ، ويرى الإمام أبو حنيفة - أن ركن الحج من ذلك الطواف - أربعة أشواط لو تركها الحاج بطل حجه ، وأما الثلاثة الباقية فهي واجبة ، وليست بركن من تركها أو واحدا منها فقد ترك واجبا ، ولم يبطل حجه ، وعليه دم ، وأول وقته نصف الليل من ليلة النحر عند الشافعى وأحمد ، ولا حد لآخره ، وأفضل وقت يؤدى فيه ضحوة النهار يوم النحر ، ولا يجب بتأخيره عن أيام التشريق دم ، وإن كان يكره ذلك ، وعند أبى حنيفة ، ومالك - يدخل وقته بطول فجر يوم النحر ، ويلزم دم بتأخيره عن أيام النحر ، وهي يوم العيد ، والأيام الثلاثة بعده ، عند أبى حنيفة ، وقال مالك لا بأس بتأخيره الى آخر أيام التشريق ، وتجعله أفضل ، ويمتد وقته الى آخر شهر ذى الحجة ، ويلزم دم بتأخيره عن ذلك ، مع صحة الحج .

وكانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها - تأمر النساء بتعجيل الافاضة يوم النحر مخافة الحيض ، وروى سعيد بن منصور ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سئل عن المرأة تشتري الدواء ليرتفع حيضها لتتفر ، فلم ير به بأسا ، ونعت لهن ماء الأراك . وليس - من الجائز - أن يجهل المسلم أصل قومه ، وكيف كانت نشأة أمته ، وعلى الاخص : إذا توقف - على معرفة هذا - ادراك حقيقة ركن مهم من أركان الدين كالحج ، وهو ركن الدين ، الذى تشرق حركته - مع تعظيم الله - فى المحافظة على القومية ، والاعتزاز بها ، فإن جميع أعماله ، ومناسكه - ترجع بالذاكرة - الى أبعد نقطة من تاريخ الأمة العربية ، وهي الأمة التى ينتهى اليها المسلم ، ويعد من أبنائها ، ويدين بدينها ، ويتكلم بلغتها ، ويعتز بجنسيتها ، فيحرص على تقاليدها ، ويفخر بمآثرها ، وسابقتها ، ويدفع الى تقديرها ، وتعظيمها ، واحترامها ، والتعصب لجامعتها ، حتى يكون أعظم الخير فى نظره ما قوم الله به شأن هذه الأمة ، وسدد أمرها ، وإذا تم له كل هذا ، وتكونت صورته فى نفسه ، فدفعه فى النهاية الى أعظم ما يؤمل فيه من الاستمسك بالقومية ، والاعتصام بالحنيفة ، دين الاسلام ، الذى اجلاله جل علاه - فتلك اذا هى حكمة فريضة الحج فى الاسلام ، فليست أعمال الحج كلها سوى ذكريات ، وأمور تحمل النفوس الى هذه الغاية النبيلة .

فلنتنبه ، ولنستيقظ الى ما رواه امام المحدثين البخارى رضى الله عنه عن ابن عباس رضى الله عنهما قول : « أول ما اتخذ النساء المنطق - هو الحزام يشده به الوسط ليرفع الثياب عن الارض عند الشغل مثلا - من قبل - من جهة أم اسماعيل اسمها هاجر اتخذت منطقا لتعفى - لتمحو ، ولتخفى أثرها على سارة هي زوجة ابراهيم ، التى وهبته هاجر ، فحملت منه باسماعيل ، فلما ولدته غارت سارة منها فحلفت لتقطع منها ثلاثة أعضاء ، فاتخذت هاجر منطقا فشددت به وسطها وجرت ذيلها لتخفى عليها أثرها ويقال ان ابراهيم شفع فيها وقال : لسارة حللى يمينك بأن تقبلى أذنيتها ، وتختنيها - ثم جاء بها ابراهيم ، وبابنها اسماعيل ، وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت ، عند دوحه ، أى شجرة عظيمة - فوق زمزم - فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، ثم قفى - أى ولى راجعا - ابراهيم منطلقا ، فتبعته أم اسماعيل فقالت : يا ابراهيم ، أين تذهب ، وتركنا فى هذا الوادى ، الذى ليس فيه انس ، ولا شيء ، فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت اليها ، قالت له الله امرك بهذا ؟ قال : نعم قالت : اذا لا يضيعنا ، ثم رجعت - أى الى موضع الكعبة - فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثانية - أى أعلى مكة - حيث لا يرونها - استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه ، فقال : رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، حتى بلغ يشكرون ، وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء ، حتى اذا نفذ ما فى السقاء - عطشت ، وعطش ابنها ، وجعلت تنظر اليه يتلوى - أو قال : يتلبط ، فانطلقت كراهية أن تنظر اليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادى تنظر : هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا ، حتى اذا بغلت الوادى - رفعت طرف ذرعها - أى قميمها - ثم سعت سعى الانسان المجهود - أى الذى أصابته المشقة والتعب - حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها ، فنظرت هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ، ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك - سعى الناس بينهما ، فلما أشرفت على المروة - سمعت صوتا ، فقالت : صه : تريد نفسها ، ثم تسمعت ، فسمعت أيضا ، فقالت : قد أسمعت ان كان عندك غواث ، فاذا هى بالملك - أى جبريل عليه السلام - عند موضع زمزم ، فبحث أى مخفر بعقبه ، أو قال : بجناحه ، حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه ، وتقول بيدها : هكذا ، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها ، وهو يقور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل ، لو تركت زمزم ، أو قال لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عينا معيننا - أى فواره جارية على

وجه الارض لا تجف قال : فشربت ، وأرضعت ولدها ، فقال لها المالك : لا تخافوا الضيعة - اى الهلاك - فان ههنا بيت الله يبنى هذا الغلام وابوه ، وان الله لا يضيع اهلوه . وكان البيت مرتفعا من الارض خالوا به - اى كاتقطة المرتفعة من الارض . تأتبه السيول . فتأخذ - فتجرى عن يمينه وشماله - فكانت كذلك ، حتى مرت بهم رفقة من جرهم - جماعة من العرب - منهم تعلم اسماعيل العربية ، وكان يتكلم لغة ابيه العبرانية - او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء - اعلى مكة - فنزلوا فى أسفل مكة ، فزاروا طائرا عاتقا - اى حائما ، مترددا فقالوا : ان هذا الطائر - ليدور على ماء ، لنعهدنا بهذا الوادى ، وما فيه ماء ، فارسلوا جريا - رسولا يسرع فى مشيه او جريين ، فاذا هم بالماء ، فرجعوا ، فاخبروهم بهاء ، فاقبلوا قال : وام اسماعيل عند الماء ، فقالوا : اتادسين لنا : ان نزل عندك ؟ فقالت : نعم . ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا : نعم قال النبی صلى الله عليه وسلم فالتى فوجد ذلك اى استئذانهم - ام اسماعيل ، وهى تحب الانس ، فنزلوا ، وارسلوا الى اهلهم فسرروا معهم ، حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم ، وشب العلام اى اسماعيل عليه السلام ، وتعلم العربية منهم - اى من جرهم وانفسهم - اى صار لرفقته فيهم - موضع مناقستهم يتوددون اليه ، ويتقربون منه - واعجبهم حين شب ، فلما أدرك الحلم - زوجه امرأة منهم ، وماتت ام اسماعيل ، فجاء ابراهيم ، بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته - اى يتفقدما - فلم يجد اسماعيل ، فسأل امراته عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بشر ، نحن فى ضيق وشدة ، فشكت اليه قال : فاذا جاء زوجك فاقرئني عليه السلام ، وقولى له - بغير عتية يابه ، فلما جاء اسماعيل . . . كانه أنس - اى كانه وجد شيئا ، فقال هل جاءكم من احد ؟ فقالت : نعم جاءنا شيخ كذا ، وكذا ، فسألنا عنك ، فاخبرته ، وسألنى : كيف عيشنا ؟ فاخبرته انا فى جهد ، وشدة ، عن : هل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم . امرنى ان اقرا عليك السلام ، ويقول : غير عتية يابك : قال : ذاك ابنى . وقد امرنى ان افارقك ، الحق باهلك ، فطبقها ، ونروج منهم - اى من جرهم اخرى . فلبث عنهم ابراهيم عية الستم ماشاء الله ، ثم اتاهم بعد ، فلم يجدده ، فدخل على امراته ، فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا قال : كيف أنتم ، وسألها عن عيشهم وهيتهم ؟ فقالت

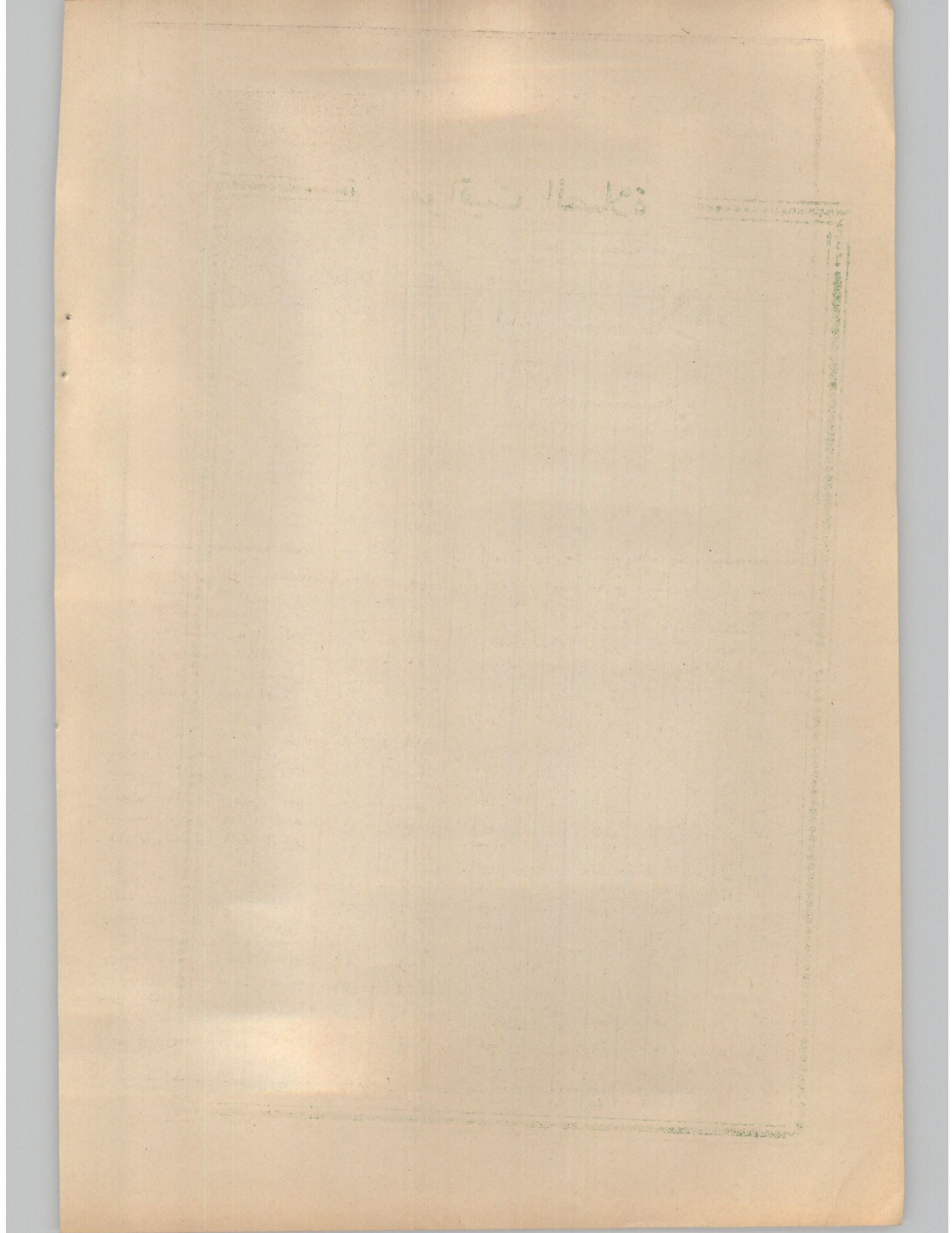
قال : فاذا جاء زوجك - فاقرئني عليه السلام ، ومريه - يثبت عتية يابه ، فلما جاء اسماعيل قال : هل انا من احد ؟ قالت : نعم . اتانا شيخ كبير حسن الهيئة . واتنت عليه ، فسألنى عنك ، فاخبرته ، فسألنى كيف عيشنا ؟ فاخبرته انا بخير قال : انا وصاك بشيء ؟ قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ، وأنت العتية امرنى ان عتية يابك قال : ذاك ابنى ، وأنت العتية امرنى ان اسلك ، ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا له ، تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه - قام اليه - فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالولد ، ثم قال : يا اسماعيل ان الله امرى بامر قال : فاصنع ما امرك ربك قال : وتعينى ؟ قال : واعينك قال : فان الله امرنى ان ابني ههنا بيتا ، وأتسار الى اكمة مرتفعة على ما حولها قال : فعند ذلك - رفعوا القواعد من البيت ، فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة ، وابراهيم يبنى ، حتى اذا ارتفع البناء - جاء اى اسماعيل - بهذا الحجر ، فوضعه له - اى لابه ابراهيم ، فقام عليه ، وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : « ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم » ، وفى القرآن الكريم - بقية هذا الدعاء : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسموعة تاربا مناسكنا ونب علينا انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » .

ولقد تجلى بهذا الحديث الشريف ما وقع لام اسماعيل ، هاجر ، مع ابنها اسماعيل عليه السلام ، ابن محنتهما الشديدة ، وبهذه الذكرى الكريمة ، وما كان بعدها الى نهاية ما قصه علينا ذلك الحديث الشريف - بهتل ذلك العصر البعيد برمتة فى اذهاننا ، فيفيض لنا نفحات تلك الاثار المجيدة التى كان لله سبحانه وتعالى فيها من الايات ، والمقاصد - ما يدل - مع عظيم القدرة - على بالغ الحكمة .



مواقيت الصلاة

أيام الاسبوع	ذوالحجّة ١٣٩٤	ديسمبر ١٩٧٤	فجر		ظهور		عصر		مغرب		عشاء	
			ت	ح	ت	ح	ت	ح	ت	ح	ت	ح
الاثنين	١	١٥	٥	١٠	١١	٥٠	٢	٣٩	٤	٥٧	٦	٩٠
الاثنين	٢	١٦		١١		٥٠		٣٩		٥٧		٩١
الثلاثاء	٣	١٧		١١		٥١		٣٩		٥٨		٩١
الأربعاء	٤	١٨		١٢		٥٢		٤٠		٥٨		٩١
الخميس	٥	١٩		١٢		٥٢		٤٠		٥٨		٩١
الجمعة	٦	٢٠		١٣		٥٢		٤٠		٥٩		٩٢
السبت	٧	٢١		١٤		٥٣		٤١		٥٩		٩٢
الأحد	٨	٢٢		١٤		٥٣		٤١	٥	--		٩٣
الاثنين	٩	٢٣		١٥		٥٤		٤٢		--		٩٣
الثلاثاء	١٠	٢٤		١٥		٥٤		٤٢		١		٩٤
الأربعاء	١١	٢٥		١٦		٥٥		٤٣		١		٩٤
الخميس	١٢	٢٦		١٦		٥٥		٤٣		٢		٩٥
الجمعة	١٣	٢٧		١٦		٥٦		٤٤		٣		٩٦
السبت	١٤	٢٨		١٧		٥٧		٤٥		٣		٩٦
الأحد	١٥	٢٩		١٧		٥٧		٤٥		٤		٩٧
الاثنين	١٦	٣٠		١٨		٥٨		٤٦		٤		٩٧
الثلاثاء	١٧	٣١		١٨		٥٨		٤٦		٤		٩٨
الأربعاء	١٨	١ يناير ١٩٧٥		١٨		٥٩		٤٦		٥		٩٩
الخميس	١٩	٢	١٢	١٩		--		٤٧		٦		٣٠
الجمعة	٢٠	٣		٢٠		--		٤٧		٦		٣١
السبت	٢١	٤		٢١		١		٤٨		٧		٣٢
الأحد	٢٢	٥		٢٢		٢		٤٩		٨		٣٣
الاثنين	٢٣	٦		٢٣		٣		٥٠		٩		٣٤
الثلاثاء	٢٤	٧		٢٤		٤		٥١		١٠		٣٥
الأربعاء	٢٥	٨		٢٥		٥		٥١		١١		٣٦
الخميس	٢٦	٩		٢٦		٥		٥٢		١٢		٣٧
الجمعة	٢٧	١٠		٢٧		٦		٥٢		١٣		٣٨
السبت	٢٨	١١		٢٨		٧		٥٣		١٤		٣٨
الأحد	٢٩	١٢		٢٩		٨		٥٤		١٥		٣٩
الاثنين	٣٠	١٣		٣٠		٩		٥٥		١٦		٤٠



الحج

مؤتمر الإسلام الأكبر

الأستاذ توفيق علي وهبة

اسم الله تعالى سبحانه : يشهدوا سافع بهم . تم
قال : « ويذكروا اسم الله » ومن المنافع العلية
للمسلمين حل مشاكلهم ومساعدة المستضعفين منهم
والعمل بالتجارة وكل ما أحله الله سبحانه وتعالى
فالمسلم الذي يقصد بيت الله اقامة لشعائر الحج لا
يحرم عليه الا ما حرمه الله سبحانه وتعالى أثناء
القيام بشعائر الحج ومناسكه ، ثم له بعد ذلك ان
يفعل كل ما أباحه الشرع الحكيم

قال القرطبي : رحمه الله : « لما فرغ ابراهيم
عليه السلام من بناء البيت ، وقيل له : اذن في
الناس بالحج ، قال : يا رب ومن يبلغ صوقي ؟
قال : اذن وعلى الابلاغ ، فصعد ابراهيم خليل الله
جبل ابي قبيس وصاح : يا ايها الناس ان الله قد
امركم بحج هذا البيت ليشيكم به الجنة ويجبركم من
عذاب النار ، فحجوا ، فأجابه من كان في أصلاب
الرجال وراحام النساء : لبيك اللهم لبيت . فمن
أجاب يومئذ حج على قدر الإجابة ، ان أجاب مرة
فمرة ، وان أجاب مرتين فمرتين ، وجرت التلبية
على ذلك » .

فالتلبية اذن هي اجابة على نداء سيدنا ابراهيم
عليه السلام بدعوة المسلمين الى اداء فريضة
الحج . « روى عن ابي الطفيل قال : قال لي ابن
عباس : أتدرى ما كان اصل التلبية ؟ قلت : لا .
قال : لما امر ابراهيم عليه السلام ان يؤذن في

مرض الله سبحانه وتعالى الحج على
المسلمين القادرين ، وهو ركن من أركان
الإسلام الخمسة ، شرعه الله سبحانه ليجمع
فيه المسلمون من كل بقاع الأرض فيكونون أكبر
مؤتمر يعرفه العالم ، اذ يقصد البيت الحرام
كل من لبى نداء الله على لسان سيدنا ابراهيم
عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

يقول الله جل وعلا : « واذن في الناس بالحج
يا أيها رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق
ليسهوا منافعهم ويذكروا اسم الله في أيام
معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها
وسسوا البئس البعير . ثم يفضوا نفقهم ويبوهوا
دورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

وفي هذا المؤتمر الإسلامي الجامع يتسارح
المسلمون شنوبهم ، ويتبادلون الرأي في مشاكلهم ،
ويبحثون ما يمن لهم من أمور الدين والدنيا . فيجب
على المسلمين ان يعتنوا فرصة هذا اللقاء السنوي
ليوحدوا كلمتهم ، وليبحثوا عن حل لآخوائهم الذين
يضطهدون في بلادهم من أجل تمسكهم بدينهم ، حيث
تفرق الحكومات في تلك الدول بين المسلمين وغيرهم
من أهل الديانات الأخرى ، وليمنعوا الاعتداءات
التي تقع عليهم .

لقد قدم الله في الإيتين السابقتين المنافع على ذكر

الناس بالحج تخففت الجبال رؤسها ورفعت له
القرى ، فنادى في الناس بالحج فأجابته كل شيء :
لبيك اللهم لبيك .

ولقد وعد الله سيدنا ابراهيم عليه السلام بأجابة
اذا نه لأنه سبحانه أبلغ هذا الاذان الى خلقه فلبوه ما
بين راكب وراجل ، يأتون الى بيت الله كل على قدر
استطاعته ، من استطاع الركوب ركب ، ومن
استطاع المشى جاء ماشيا على قدميه تعظيما لشعائر
الله .. وقدم الله الراجل على الراكب في الذكر
لزيادة تعبته من المشى ..

وفي تفسير قوله تعالى : « **ليشهدوا منافع لهم** »
يقول القرطبي رحمه الله : اي اذن بالحج يأتوك
رجالا وركبانا ليشهدوا اي ليحضروا . والشهود
الحضور . [منافع لهم] اي المناسك ، كعمرات
والمشعر الحرام . وقيل المفسرة وقيل التجارة .
وقيل هو عموم اي ليحضروا منافع لهم ، اي ما يرضى
الله تعالى من أمر الدنيا والآخرة ، قاله مجاهد
وعطاء واختاره ابن العربي ، فانه يجمع ذلك كله من
تسك وتجارة ومفطرة ومنفعة دنيا وأخرى ولا خلاف
في ان المراد بقوله « **ليس عليكم جناح أن تبتغوا**
فضلا من ربكم » التجارة . ويقول الطبري رحمه
الله : « **ليشهدوا منافع لهم** » اي أسواقهم
وتجاراتهم ، والأعمال الصالحة التي ترضى الله عز
وجل .

وجاء في المنتخب من تفسير القرآن : « ليحطوا
بمنافع دينية لهم بأداء فريضة الحج ومنافع دنيوية
بالتعارف مع اخوانهم المسلمين والتشاور معهم فيما
ينفعهم في دينهم ودنياهم » .

ويبدو المؤتمر الكبير في أجل صورة عند الوقوف
بغرفة حيث يجتمع الحاج جميعا في مكان واحد
متجهين الى الله سبحانه وتعالى سائلينه التوبة
والمفطرة ولذلك سمي الله سبحانه وتعالى يوم عرفة
ويوم الحج الاكبر فيقول جلا وعلا : « واذان من الله
ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برىء
من المشركين » .

ويقول عن يوم عرفة سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم « الحج عرفة » ويقول صلى الله عليه
وسلم عن فضل الحج فيما رواه عمرو بن عبسة رضى
الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ، ما
الاسلام ؟ قال : ان تسلم قلبك ، وان يسلم
المسلمون من لسانك ويدك . قال : فأى الاسلام
أفضل ؟ قال : الايمان . قال : وما الايمان ؟
قال : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث
بعد الموت . قال : فأى الايمان أفضل ؟ قال :
الهجرة . قال : وما الهجرة ؟ قال : أن تهجر
السوء . قال : فأى الهجرة أفضل ؟ قال :
الجهاد . قال : وما الجهاد ؟ قال : أن تقائل

□ ٩٨ □

الكفار اذا لقيتهم . قال : فأى الجهاد أفضل ؟
قال : من عقر جواده وأهريق دمه ، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ثم عسلان هما أفضل
الاعمال ، الا من عمل بمثلها : حجة مبرورة أو
عمرة » .

اي الحجة المبرورة والعمرة افضل الاعمال بعد
الجهاد السابق الاشارة اليه في الحديث الشريف
وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : سئل النبي
صلى الله عليه وسلم : اي الاعمال افضل ؟ قال :
ايمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا ؟ قال جهاد في
سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » .

جاء في المنتخب من السنة شرحا لهذا الحديث
الشريف : « الايمان هو التصديق الخالص المستتبع
للالعمال الصالحة ، والجهاد في سبيل الله : هو
قتال الكفار لاعلاء كلمة الله ، والعدل للدفاع عن
الاطوان والاهل والمال . الحج المبرور : هو الذى لا
يخالطه اثم ، ولا رياء فيه ، ومن علامته ان يرجع
صاحبه خيرا مما كان عليه قبل الحج » . اهـ .
ويضاعف الله سبحانه وتعالى حسنات النفقة في
الحج الى سبعمائة ضعف مثلها مثل المجاهد في
سبيل الله الذى يضاعف الله جل وعلاه أجره الى سبعمائة
ضعف أو يزيد لان كليهما في سبيل الله

يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :
النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة
ضعف . وعن عائشة رضى الله عنها أن سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها نسي
عمرتها : « انك من الاجر على قدر نصيبك
ونفقتك » وذلك مصداق لقول الله سبحانه وتعالى :
« **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة
أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله
يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** » .

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لامته يوم عرفة :

يستحب الدعاء من الحاج في يوم عرفة له ولاهله
ولاخوانه المسلمين ولن طلب منه الدعاء فقد ثبت أن
النبي صلى الله عليه وسلم طلب من عمر بن الخطاب
رضي الله عنه عندما استأذنه في العمرة أن يدعو
له ، فاعتداء بسيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يطلب المسلمون من اخوانهم القاصدين بيت
الله الحرام الدعاء لهم بالخير في الدين والدنيا .

ولقد دعا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لامته يوم عرفة فعن عبد الله بن كنانة بن عباس بن
مرداس السلمي ، أن أباه أخبره عن أبيه أن النبي
صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة
فأجيب : انى قد غفرت لهم ما خلا الظالم ، فانى آخذ
للظالم منه ، قال : اي رب ان شئت أعطيت

المظلوم من الجنة ، وغفرت للظالم ، فلم يجب عشية ، فلما أصبح بالزلفة ، أعاد الدعاء فأجيب الى ما سأل ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو قال تبسم - فقال له أبو بكر وعمر : بابي أنت وأمي ، ان هذه الساعة ما كنت تصحك فيها ، فما الذي اضحكك ؟ اضحك الله سنك - قال : ان عدو الله إبليس لما علم ان الله - عز وجل - قد استجاب دعائى وغفر لائمتى ، أخذ التراب ، فجعل يثوّه على رأسه ، ويدعو بالويل والثبور فاضحكى ما رأيت من جزعة » .

زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وما يستحب عنده من الدعاء :

بعد الانتهاء من مناسك الحج يستحب التوجه الى المدينة المنورة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده لقوله سبحانه وتعالى : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا ! » والنبي صلى الله عليه وسلم حى فى قبره يمجىء اليه بعد اموت خاتمىء اليه بنيه : سريه قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى رأى جمهور السدياء مشروعه ومستحبة يثاب فاعلها .

فزيارة قبر النبي كما يقول النووي رحمه الله - من اهم القربات ، وانجح المساعي فاذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة استحب لهم استحبابا متأكدا ان يتوجهوا الى المدينة لزيارته صلى الله عليه وسلم ويسوى الزائر مع الزيارة التقرب بزيارة مسجده وشد الرجل اليه والصلاة فيه واذا توجه فليكثر من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم فى طريقه . واذا وقع بصره على اشجار المدينة وحرمها وما يعترف زاد من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وسأل الله تعالى ان ينفعه بهذه الزيارة وأن يقبلها منه وليكن من أول قدومه الى أن يرجع مستشعرا التعظيمة مهتلى القلب من هيبته كأنه يراه صلى الله عليه وسلم . فاذا وصل باب مسجده صلوات الله وسلامه عليه فليقل الذكر المستحب فى دخول كل مسجد : « اللهم افتح لنا ابواب رحمتك » واذا خرج فليقل : « اللهم انى اسألك من فضلك » .. ما يستحب من الدعاء عند قبره صلى الله عليه وسلم :

جاء فى شرح المغنى لابن قدامة الحنبلى رحمه اله : « انه يستحب لمن أتى القبر للزيارة ان يولى ظهره القبلة ، ويستقبل وسطه ، ويقول : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه اشهد الا اله الا

الله ، وحده ، لا شريك له ، واشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، وصحت لامتك ، ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين ، فصلى الله عليك كثيرا كما يحب ربنا . ويرضى ، اللهم اجز عنا نبينا افضل ما جزيت احدا من النبيين والمرسلين ، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته ، يفيطه به الاولون والآخرين اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، انك حميد مجيد . وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد . اللهم انك قله وقولك الحق (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) وقد أتيتك مستغفرا من ذنوبى مستشفعا بك الى ربى ، فأسألك يا رب ان توجبلى المغفرة كما أوجبها لمن اتاه فى حياته . اللهم اجعله اول الشافعين ، وأنجح السائلين وأكرم الآخرين والاولين ، برحمتك يا ارحم الراحمين ثم يدعو لوالديه ولأخوانه وللمسلمين اجمعين ، ثم يتقدم قليلا ويقول : السلام عليك يا أبا بكر الصديق ، السلام عليك يا عمر الفاروق ، السلام عليك يا صاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعيه ووزيريه ، ورحمة الله وبركاته ، اللهم أجزهما عن نبيهما وعن الاسلام خيرا ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار . اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ، ومن حرم مسجدك يا ارحم الراحمين » .

واذا لم يستطع الحاج الدعاء بهذا الدعاء او غيره اقتصر على السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه كما كان يفعل ابن عمر والامام مالك رضى الله عنهما فكان الامام مالك يقول : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، وان كان احدا أوصاه بالسلام عليه قال : السلام عليك يا رسول الله من فلان ابن فلان أو قال : فلان ابن فلان يسلم عليك يا رسول الله أو نحو هذه العبارة . وعلى حجاج بيت الله ان يتوجهوا الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء بالنصر للاسلام وأن يحفظ هذا الدين من كيد الكائدين ويجعله قاهرا غالبا عزيزا ترفرف راياته فى كل مكان من الارض لينتشر العدل والسلام فى ربوع العالم وفقنا الله واياكم - الى حج بيته الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام .

والحمد لله أولا وآخيرا وصلى الله على سيدى رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه وأهل بيته ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .

أحكام الحج ومناسكه

فرض الحج في العمر مرة
على كل فرد ، ذكرًا كان أو
أنثى . لقوله تعالى « ولله على
الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلًا » وقوله عليه الصلاة
والسلام « بني الإسلام على
خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمدًا عبده ورسوله ،
وأقام الصلاة ، وأتباع الزكاة ،
وصوم رمضان : وحج البيت ،
وقوله عليه السلام « يا أيها
الناس فرض عليكم الحج
فحجوا » فقال رجل : أكل عام
يا رسول الله ؟ فسكت صلى
الله عليه وسلم حتى ثابها
ثلاثًا .. فقال عليه الصلاة
والسلام : لو قلت نعم لوجبت
ولما استطعتم ! .
والحج فرض على الفور .
فكل من توفرت فيه شروط
وجوبه ، ثم أخره عن أول عام
استطاع فيه ، يكون آثمًا
بالتأخير .

المستشار أحمد محمود خليل

أركان الحج : للحج أركان أربعة ، الأحرام وطواف
الزيارة ويسمى طواف الأفاضة ، والسعي بين الصفا
والمروة والوقوف بعرفة ، والركنين الأولين متسق
عليهما بين الفقهاء والآخرين مختلف عليهما بينهما ،
على تفصيل .

١ - **الأحرام :** هو نية الدخول في الحج والعمرة ،
بان ينوي ويلبى بلا فاضل ، ويطلب من مريد الأحرام
عدة أمور منها الاغتسال وهو سنة مؤكدة ، ويقوم
بمقامه الوضوء في تحصيل أصل السنة ، ولكن الغسل
أفضل . وهذا الغسل للنجافة لا للطهارة ولم يشرع
بدله التيمم ، إذ لا نظافة في التيمم . ومنها قص
الظافر وحلق الشعر المأذون في إزالته ، كشعر الرأس
والشارب إذا اعتاد حلق ذلك . ومنها جماع زوجته
إذا لم يكن بها مانع لئلا يطول عليه العهد فيقع فيها
يفسد الأحرام ، وهو مستحب أيضا . ومنها أيضا
لبس إزار ورداء .. والإزار هو ما يستتر به من سرته
إلى ركبته ، والرداء هو ما يكون على الظهر والصدر
والكتفين ويستحب أن يكون الإزار والرداء جديدين أو

شروط الحج : يشترط لوجوب الحج ١ - الإسلام ،
فلا يجب على الكافر ولو مرتدا ٢ - والبلوغ فلا يجب
على صبي وإن نعله صبح منه أن كان مميزا ولا يجزئه
من الفريضة بعد البلوغ لقوله عليه الصلاة والسلام
« أيما صبي حج عشر حجج ثم بلغ ، فعليه حجة
الإسلام » ٣ - والعقل ، فلا يجب على مجنون كما لا
يصح منه ٤ - الاستياعة ، وهي القدرة على الزاد
والراحلة بشرط أن يكونا زائدين عن حاجياته
الأصلية ، كالدين الذي عليه ، والمسكن والملبس ونفقة
من تلزمه نفقتهم مدة غيابه إلى أن يعود ، والقدرة
على الراحلة بالنسبة لمن كان بعيدا عن مكة بثلاثة أيام
فأكثر ، أما القريب منها فيجب عليه الحج ولو لم يتدر
على الراحلة ، متى قدر على المشي وعلى الزاد .

وقت الحج : الوقت الذي هو شرط لصحة الحج هو
وقت طواف الزيارة ووقت الوقوف . فأما وقت
الوقوف فهي من زوال شمس يوم عرفة إلى طلوع فجر
يوم النحر . وأما طواف الزيارة فوقته من فجر يوم
النحر إلى آخر العمر .. فيصح الطواف في أي زمن
بعد الوقوف بعرفة في زمنه المذكور .

مغسولين طاهرين وأن يكون أبيضين . ومنها أن يصلى بعد ذلك ركعتين إذا كان الوقت ليس وقت كراهة ، ولا فلا يصلى .

ويحرم على المحرم عقد النكاح ويقع باطلا . ويحرم عليه الجهاد ودواعيه ، كالقبلة المباشرة ، ويحرم الخروج عن طاعة الله تعالى بأى فعل محرم . وإن كان ذلك محرما فى غير الحج إلا أنه يتأكد فيه . وتحرم المخاصمة مع الرفقاء والخدم ونحوهم . لقوله تعالى « فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » ويحرم أيضا التعرض لصيد البر بالقتل أو السباح ، أما صيد البحر فهو حلال لقوله تعالى « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما » ويحرم على الرجل أن يلبس مخيطا أو محيطا يبدنه أو بعضه كالقميص والفسراويل والعمامة والخف إلا إذا لم يجد نعلين فيجوز لبس الخفين بعد أن يقطعهما أسفل من الكعبين وتغطية راسه ووجهه أو بعضه بأى ساتر . ويحرم على المرأة ستروجهما ويديها بأى ساتر ، إلا إذا قصدت بك الستر عن الاجانب ، فيجوز لها ذلك ، ويحرم لبس ثوب مصبوع بما له من رائحة طيبة ولا يجوز للمحرم أن يدهن شعره أو بدنه .

ويطلب من المحرم لدخول مكة أن يغتسل لدخولها ويستحب أن يدخلها نهارا وإن يكون دخوله من أعلاها ليحوز مستقبلا للبيت تعظيما له ، وإن يكون دخوله من بابها المعروف « بباب المصلى » وإذا دخلها بدا بالمسجد الحرام ويندب له أن يدخل المسجد من باب السلام نهارا ملبيا خاشعا وإن يرفع يديه عند رؤية البيت ويكبر ويهلل ويقول « اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبراً . اللهم أنت السلام ومنك السلام ، فحيناً ربنا بالسلام » ويدعو بعد ذلك بما يشاء وبعد ذلك يطوف .

٢ - والطواف : يبدأ من ركن الحجر الاسود فيحاذيه انطاف في مروره بجميع بدنه من اول شوط إلى آخره بأن يبدأ بحركة الطواف من الجهة التى فيها الركن اليماني بحيث يصير جميع الحجر عن يمينه أو حان مستقبلا له ، وبذلك يكون مارا بجميع بدنه عنى جميع أجزاء الحجر ، فإذا ترك جزءه الأيسر بدون محاذاة وأبدأ الطواف من محاذاة وسطه أو طرفه الأيمن من جهة الباب أو بدا من دون الركن خاضعا لم يحوز ذلك الشوط وإنما يحسب له افتائى فيصير أولا ، لأنه يحاذى فيه الحجر بجميع بدنه ، وإلى وجوب هذه الكيفية ذهب بعض الفقهاء غير أن الجمهور على عدم اشتراطها وإنما المدار على محاذاة الحجر ولو ببعض بدنه .

ويسن للطائف قبل الشروع فى الطواف تقبيل الحجر أو لمسه بيده أو يعود أن كان هناك زحمة يشق معها الوصول إليه ثم يطوف جاعلا البيت عن يساره ، وهكذا يفعل فى كل شوط . ويجب على الطائف أن يلاحظ أنه إذا انحنى لتقبيل الحجر أو لمسه أن لا يحرك قدمه بالطواف إلا بعد نصب قامته .

ويتبقي أن يلاحظ الطائف عظمة البيت ومهالته وإجلاله . وأن الدخول فى حرمت الطواف كالدخول فى حرمت الصلاة لأنه مشاهد من مشاهد الحق ومظهر من مظاهر العبودية كالصلاة . فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال « أن الطواف صلاة » وهو تحية بيت الله والمسجد الحرام ومن هنا شرعت الطهارة من الحدث والخبث وستر العورة كما شرعت فى الصلاة عند الأئمة الثلاثة مالك والشافعى وأبو حنبل .

٢ - السعى بين الصفا والمروة : يجب بدء السعى من الصفا ، فإذا بدا من المروة أو دون الصفا ، فلا يحسب به ويتمه إن كان عن قرب ولا بطل سعيه ، وهو سبعة أشواط يتعين الموااة بينها ، فلو فرق بينها تفريقا كثيرا استأنفه ، ويغتفر الفصل اليسير ، ويجب أن يكون بعد الطواف ، والطواف المقصود هنا هو طواف الانفاضة .

ومن سنن السعى : ١ - تقبيل الحجر الاسود قبل أن يخرج له وبعد الطواف وصلاة ركعتين . ٢ - واتصله بالطواف بأن يفعله عقب الفراغ من الطواف وركعتيه . ٣ - الصعود على كل من الصفا والمروة عند الوصول إليه فى كل شوط . ٤ - الدعاء عليها بلا حد .

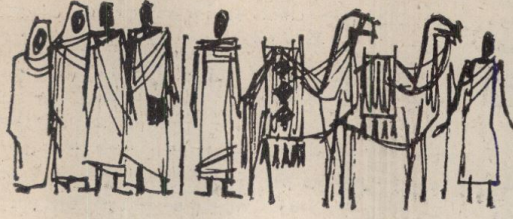
ومن مندوبات السعى ، الطهارة من الحدث الاصغر والاخر والخبث . وليس للسعى سوى واجب واحد هو المسى للقادر عليه .

٤ - الوقوف بعرفة : يبدأ الوقوف بعرفة من زوال شمس اليوم التاسع من ذى الحجة إلى فجر يوم النحر ، ويكفى الحضور من ذلك الوقت ولو لحظة . ومن سننه أن يقف الحاج فى موقف النبى صلى الله عليه وسلم عند الصخرات الكبار التى فى أسفل جبل الرحمة ، أن سهل عليه ذلك ، والا اكتفى بالقرب منها بحسب الامكان . وهذا للرجال أما النساء فيندب لهن الجلوس فى حاشية الموقف ، إلا أن يكون لهن هودج أو نحوه متولى لهن الركوب فيه .

ومن سننه أيضا الاكثار من الدعاء والذكر والتهليل كأن يقول « لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، اللهم أشرك لى صدري ويسر لى امرى . اللهم لك الحمد كالأذى نقول وخيرا مما نقول » . ويندب غير ذلك من الادعية المعروفة ويكرر كل دعاء ثلاث .

ومن السنن خلوص النية ومزيد من الخضوع والانحسار ، ورفع اليدين بما لا يجاوز بهما الراس . ويجب أن يكون منظرهما مستور المعورة مستقبل القبلة . ويقف بعرفة إلى الغروب ليحصل الجمع بين الليل والنهار .

مواطن الدعاء : الدعاء مخ العبادة ومظهر العبودية ، ويقول تعالى « ادعونى استجب لكم » « وإذا سألك عبادى عنى فالى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم البقية صفحة ١٠٦ »



الحكم الالهية

الله سبحانه وتعالى هو الحكيم
الخير ، لا يرم أمراً من الأمور ،
ولا يفرض فريضة من الفرائض ،
الا على مقتضى حكمته البالغة ..
وخبرته التي لا حد لها ..



ونحن الان في شهر ذي الحجة ، الذي هو من
الاشهر الحرم ، وله قداسته ومنزلته عند الله
تعالى .. وهو الذي يكون فيه الحج الى بيت الله
الحرام ، في كل عام .

لذلك رأينا من الخير أن نعرض لبعض الحكم
الالهية الرائعة ، التي من أجلها شرع الله فريضة
الحج ، وجعلها ركناً من أركان الاسلام ، لا يتم اسلام
المرء الا بأدائه ، فنقول وبالله التوفيق .

أركان الحج ستة - أولها الاحرام به ، أي نية
الدخول فيه . وللحج ميقتان : ميقات زمني ،
وميقات مكاني . فالميقات الزمني هو شهر شوال ،
وشهر ذي القعدة ، وعشر ليال من شهر ذي
الحجة - أي من ليلة عيد الفطر ، الى فجر عيد
النحر - فلا ينعد الحج الا في هذه الفترة الزمانية ،
لقوله تعالى « الحج أشهر معلومات » مع بيان النبي
صلى الله عليه وسلم لها ..

والميقات المكاني .. هو لكل أهل بلد بحسب موقع
بلدهم .. وحسب الطريق الذي يسلكونه الى مكة
المكرمة ، زادها الله تشريفا ..

فالميقات المتوجه من المدينة [ذو الحليفة] ومن
الشام ومصر والمغرب والجزائر وتونس
وليبيا [الجحفة] وقد درست ، فأبدلت [بربيع] ومن
تهامة اليمن [يلملم] ومن نجد الحجاز ونجد

في تشريع الحج

فضيلة الشيخ
أحمد كامل
الحضري

اليمن [قرن] ومن العراق [ذات عرق] ومن مكة
ولو من غير أهلها [نفس مكة] ومن كان مسكنه بين
مكة والميقات ، فيبقته نفس مسكنه . وذلك لقول ابن
عباس رضي الله عنهما [وقت رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاهل المدينة ذا الحليفة . ولاهل الشام
الحجفة . ولاهل نجد فرنا . ولاهل اليمن يلمم . وقال
من لهن ولن ابى عليهن من غير اهلن ، ممن اراد
الحج والعمرة . ممن كان دون ذلك فمن حيث انشأ ،
حتى اهل مكة من مكة] وهو حديث صحيح رواه
الشيخان البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى . وروى
أبو داود رحمه الله ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله
عنها ، أنها قالت : [ان النبي صلى الله عليه وسلم
وس لاهل العراق ذات عرق] .

فلا يجوز للمرء أن يجاوز الميقات ، إلا بعد احرامه
بالحج وتجرده من ثيابه العادية التي تحيط بالبدن .

فإذا كتب الله السعادة لعبد من عبادہ ، فعزم على
اداء الحج ، فعندما يريد الاحرام ، بدأ بإزالة شعته ،
فيتلثم اظفاره ، ويقص شعر رأسه وشاربه . ويرج
لحيته ، وينتف شعر ابطه ، ويحلق شعر عانته ،
ويغتسل حتى لو كانت المحرمة حائضاً او نفساء ،
فانها تغتسل بنية النظافة .

وبعد الاغتسال ، يصلي ركعتين ينوي بهما سنة
الاحرام ، ثم يتطيب ، لغون عانته رضي الله
عنها . [كنت اطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاحرامه قبل ان يحرم] رواه الشيخان البخاري
ومسلم رحمهما الله تعالى .

ويخلع الرجل ثيابه ، ويلبس ازاراً ورداء .
والنفس ان يكونا ابيض . وكذلك يخلع حذاءه ويلبس
نعلين . أما المراه فانها تبقى بثيابها العادية ،
والافضل ان تكون بيضاء ، ولا تلبس في يديها قفازاً ،
ولا تستر شيئاً من وجهها الا اذا خيفت الفتنة .

ثم ينوي الدخول في الحج ، قائلاً بقلبه ، أو بلسانه
مع قلبه : **نويت الحج وأحرمت به لله تعالى** [ويلبى
هاسداً لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ببيك ، ان
الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك] ويصلي بعدها
على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويسأل الله تعالى
الجسه ، ويستعيد به من النار .

وعندما يدنو من مكة ، يفتسل اعداداً لدخولها ،
والافضل ان يدخلها نهراً ، ومن باب المعلى ، ويدخل
المسجد من باب السلام .

ويكثر من التلبية . ولا سيما عند تغير الاحوال .
من قيام الى قعود . ومن سهل الى مرتفع . ويكررها
ثلاثاً . . . ويديها الا في ثلاثة مواطن . في الطواف .
وفي السعى . وفي رمى الجمرات . لانتشغاله
بأدعيتها . وبذكرها الخاص . . .

ويسن أن يدعو الله تعالى في كل موطن من
المواطن . وعند كل شعيرة من الشعائر . وذلك بأبي

صيغة من صيغ الدعاء . ولكن الدعاء بالدعاء
الماتوره الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل واكد . واكثر تواباً . . .

الركن الثاني من أركان الحج . الوقوف بعرفة ،
وهو اعظم اركان الحج . وهو الفارق بين الحج
والعمرة - ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [الحج
عره] رواه الامام أحمد . والامام البيهقي رحمهما
الله تعالى . . .

ووقته من زوال شمس اليوم التاسع من شهر ذي
الحجة الى فجر اليوم العاشر منه . . . وتكفي لحظة من
ذلك الزمن . لكن الافضل ان يجمع بين اللبس
والنهار خروجاً من خلاف من اوجب ذلك من الاسم
رحمهم الله . . .

وموقف عرفه موقف عظيم رائع . ومشهد رهيب
مهيّب . فيمرع العبد فيه الى ربه ومولاه ، بقلبه
وروحه وسائر جوارحه ، تائباً مستغفراً خاشعاً
خاضعاً . مستعرضاً دوابه . نادياً عليها . مستكراً
لها . لأجناً الى الله عز وجل في دسه وانكسار .
راجياً منه سبحانه ان يغفرها ملجأ في ذلك . بائياً
ضارعاً . معاهداً الحق تبارك وتعالى على ان لا يعود
انيه . داعياً الله . ذاكرًا بالدعاء امله ودويه . وكل
من احسن اليه . وكافه اخوانه المسلمين . وليقرأ
تسبيحاً من القرآن الكريم . ولا سيما سورة الحشر .
فيقرأها ثلاث مرات . وسوره الاخلاص . يقرأها ما
شاء الله له . ويكثر من الصلاة والسلام على سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليبرز للشمس في
تياب المسكنة . وليشعر بنفسه بذل العبودية لله الخالق
الاعظم . وليتأمل بفكره في عظمه الله القاهرة ، التي
جمعت هذه الجموع المحتشدة من كل فج عميق .
الواردة من كل صوب بعيد . فجاءوا صاعرين ملبين
ملك الملوك . صاحب القوة والجبروت ، قد بلغت
أصواتهم غنان السماء . . . وماج بهم الجبل . وزخر
بهم سفحه . فليغمر بينهم . وليكثر من التلبية
والدعاء والذكر في كل مكان . لا يفتر لسانه . ولا
يفغل جفانه . ولا يفرط في شيء من ذلك . في هذا
اليوم العظيم . فهو المقصود الاسمى من الحج . وهو
أجس مواطن الدعاء والضراعة الى الله تعالى . لقول
أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام [**خير الدعاء دعاء**
يوم عرفه] رواه الترمذي رحمه الله . . .

ويستحب أن يقف عند الصخرات . وأن يستقبل
القبله . وأن يرفع يديه عند الدعاء . وأن يذكر الله
تعالى بسائر أنواع الذكر - وأفضله أن يقول [لا اله
الا الله وحده . لا شريك له . له الملك وله الحمد .
وهو على كل شيء قدير] .

ويدعو بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم . وهو
[**اللهم لك الحمد كالأدى نقول . . . وخيراً مما نقول .**
اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي . واليك
مأبى . ولك رب قرأتى . اللهم انى اعوذ بك من عذاب

القبر . ووسوسة الصدر . وشتات الامر . اللهم آتني
أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح [رواه الترمذي
رحمه الله .

فإذا أفاض من عرفة الى مزدلفة قال [اللهم اليك
أرجو . وإليك أرجو . فتقبل نسكي . ووفقني
وارزقني فيه من الخير أكثر مما أطلب . ولا تخيبني
إني أنت الله الجواد الكريم] .

فإذا وصل الى المشعر الحرام ، وهو جبل صغير
هي آخر المزدلفة . . فليستقبل القبلة . وليذكر الله
تعالى قائلا [اللهم كما وقفنا فيه . وأرينا إياه .
فوقها لذكرك كما هديتنا . واغفر لنا وارحمنا كما
وعدتنا بقوك - وقولك الحق - فإذا أفضت من عرفات
فادعوا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم
وان دعتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث
أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم -
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار . . اللهم رب المشعر الحرام ابلغ روح
سيدنا محمد رسولك اذكى تحية وأفضل سلام .
واجمع بيننا وبينه في دار السلام . برحمتك يا ذا
الجلال والإكرام [الخ الدعوات الكثيرة الواردة في
هذا الموقف العظيم . . .

ويستمر في الدعاء والذكر الى الاسفار ، وعند
الدفع من المشعر الحرام يكثر من التلبية ، فهذا آخر
أوقافها . إذ بابتداء رمي الجمرات يأخذ في اسباب
التحلل من الاحرام .

فإذا وصل الى منى قال [الحمد لله الذي بلغتنا
سلاما معافى ، اللهم هده منى قد آتيتها وأنا عبدك وفي
قبضتك ، أسألك أن تمن علي بما مننت به علي
أوليائك ، اللهم اني أعوذ بك من الحرمان والمصيبة في
ديني يارحم الراحمين) .

وإذا شرع في رمي جمره العقبة ، قطع التلبية ،
واشتغل بالتكبير ، فيكبر الله مع كل رمي حصاة .

والركن الثالث من أركان الحج : الطواف بالبيت ،
لقوله تعالى « وليطوفوا بالبيت العتيق » ويسمى
طواف الإفاضة ، وطواف الركن .

ويدخل وقته من نصف ليلة عيد النحر ، ويجب أن
يكون الطائف طاهرا من الحدث والنجس ، ساترا
للمعورة ، كالصلاة في الثلاثة ، لقوله صلى الله عليه
وسلم [**الطواف بمنزلة الصلاة ، إلا أن الله قد أحل**
فيه النطق ، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير] .

ويدعو فيه بما يشاء ، فإن الطواف من مواطن القرب
والإجابة ، ويصلي ركعتين عند مقام إبراهيم الخليل
عليه الصلاة والسلام . . وهو الحجر الذي كان يقوم
ويقف عليه ، وهو بيني البيت .

وليطلبه اخواننا الحجاج الى ان واجب المرأة في
الطواف ، أن تستر جميع بدنها وشعرها ما عدا الوجه
والكفين ، شأنه في ذلك شأن الصلاة . وطالما رأينا
اخواتنا الطائفات يطفن وارجلهن وسيقانهن غير
مستورة . . وهذا مبطل للطواف . وقد نبهنا الى ذلك

□ ١٠٤ □

أكثر من مرة في الحرم الشريف . . نسأل الله تبارك
وتعالى حسن القبول .

والمروءة . لقوله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر
الله » وقوله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس
اسموا سن السعي قد كتب عليكم » .

ولا يقع السعي الا بعد طواف القدوم الى مكة ، أو
بعد طواف الركن ، ما لم يكن بعد الوقوف بعرفة ، فإنه
ينعین ان يكون بعد طواف الركن .

ويحسن للمرء أن يطيل الوقوف على كل من الصفا
والمروة . . وأن يكبر الله تعالى ، وأن يدعو سبحانه
بما يشاء من خيري الدنيا والآخرة .

والركن الخامس من أركان الحج : الحلق أو
التقصير . . لأمره صلى الله عليه وسلم أصحابه
بذلك . والمراد ازالة ثلاث شعرات أو بعضها من شعر
الرأس بحلق أو تقصير .

وعند الحلق أو التقصير ، يمسك ناصيته بيده حال
ذلك ، ويكبر ثلاثا ثم يقول : [**الحمد لله على ما**
هدانا ، الحمد لله على ما أنعم به علينا ، اللهم هذه
ناصيتي فتقبل مني ، واغفر ذنوبي ، اللهم اغفر لي
وللمحبتين والمقصرين يا واسع المغفرة آمين] .

والركن السادس : ترتيب معظم أركان الحج .
فيقدم الاحرام على الجميع ، ويقدم الوقوف على
الطواف والحلق . ويقدم الطواف على السعي . ان لم
يكن سعي بعد طواف القدوم . أما الطواف والحلق فلا
ترتيب بينهما .

هذه هي أركان الحج ، التي منها يتكون ، وبها
يتحقق . ومن الواجبات التي شرعها الله تعالى في
الحج رمي جمره العقبة يوم عيد النحر ، ورمي
الجمرات الثلاث في أيام التشريق الثلاثة ، والوجود
بالزدلفة ليلة عيد النحر ، ولو لفترة وجيزة ، من نصف
الليل الثاني ، والمبيت بمنى ليالي التشريق الثلاث
معظم الليل - ما لم يغادر منى قبل غروب شمس اليوم
الثاني - فإنه حينئذ لا يجب عليه المبيت بها ليلة
الثالث ، لقوله تعالى : **« فمن تعجل في يومين فلا أثم**
عليه » .

هذه هي شعائر الحج المقدس . . والتأمل فيها يجد
من الحكم الرائعة ما يأخذ بمجامع الالباب .

فلتعزى عن الثياب العادية ، والتلبية لله ،
والإغتسال والتنظف أعداد مادي وروحي للاحرام
بهذه الفريضة المقدسة . وهو مظهر من مظاهر
المساواة بين عباد الله تعالى أمامه سبحانه . . وفيه
تهذيب للنفس ، وإقرار بعبوديتها له عز وجل .

واجتماع المسلمين من مزارق الأرض ومغاريها ،
على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم ، حول البيت
المقدس ، وفي حرمة الامن ، في كل عام ، له أثر عظيم
في تقوية الروابط الاخوية بينهم ، وتدعيم عوامل
الائفة والمحبة ، وإقامة مظاهر التعارف والتعاون .

والوقوف بعرفة ، ذلك المكان الطاهر ؟ احياء
لذكرى أول مكان على الأرض ، التقى فيه ابونا آدم
عليه الصلاة والسلام ، مع امنا حواء رضى الله عنها ،
وتعارفا عليه ، ولذلك سمي عرفة . واجتماع الحجيج
عليه في كل عام ، انها هو تعارف بين المسلمين ،
الذين جاءوا تلبية لأمر الله الواحد ، في ظل شريعة
واحدة ، ودين واحد ، وفي زى واحد ، لا فرق بين
غنى وفقير ، وعظيم وفقير ، بل الكل أمام الله
سواء .

والطواف بالبيت الحرام ، والكعبة الشريفة ، احياء
لذكرى العبودية لله تعالى ، والتقديس له ، من بدء
الخليقة ، على ممر العصور والدمور . فان أول من
بنى هذا البيت ، هم الملائكة الكرام ، عليهم السلام ،
ثم بناه الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، بأمر
الله عز وجل بقوله سبحانه : « **واذ يوانا لإبراهيم
مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود** » الآية ٢٦ من سورة
الحج ..

وفي بنائه يقول رب العزة سبحانه وتعالى : « **واذ
يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل
مننا انك انت السميع العليم** » ربنا واجعلنا مسلمين لك
ومن دبرتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا
انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم ينلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزمهم انك انت العزيز الحكيم » . الايات من ١٢٧
الى ١٢٩ من سورة البقرة .

وقد ورد أن جميع الانبياء والمرسلين ، عليهم
الصلاة والسلام ، قد طافوا بهذا البيت الكريم .

وفيه الحجر الاسود العظيم ، الذي كان يستلمه
ويقبله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيد
الانبياء وخاتم المرسلين ، والذي ورد في التار انه
يمين الله تعالى في الأرض .

ففي استلامه وتقبله وتعظيمه ، مظهر من مظاهر
الطاعة لله عز وجل . وأثر من آثار الانصياع
والانقياد لأوامره سبحانه وتعالى ، وفيه ايضا اقتداء
بالمصطفى صلى الله عليه وسلم . وفي ذلك يقول أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، مخاطبا
الحجر الاسود ومقبلا له : **والله انك لحجر لا تضر ولا
تنفع . ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسم قبلت ما قبلتك** .

والسعى بين الصفا والمروة ، احياء لذكرى سعى
هاجر رضى الله عنها زوجة الخليل ابراهيم عليه
الصلاة والسلام ، وأم ولده اسماعيل عليه الصلاة
والسلام ، عندما اصاب الظهيا والعطش
وليدها - فأخذت تسعى بينهما بحثا عن الماء - وإذا
بالحق تبارك وتعالى يفجر من بين الصخور عينا
رائعة ذات ماء صاف عذب اكراما للوليد العزيز ، هي
عين زمزم المباركة .

وكانت هذه العين سببا في تجمع العرب حول
اسماعيل عليه الصلاة والسلام حيث دانوا له بالحب
والولاء والتقدير ..
وهكذا استجاب الله لدعاء الخليل ابراهيم عليه
الصلاة والسلام حيث قال : « **ربنا انى اسمكت من
دريتي بواد غير ذى زرع عند بيت المحرم ربنا ليقيموا
النصرة فاجعل أفئدة من الناس بهوى ايههم وارزهم
من الثمرات لعلهم يشكرون** » الآية ٢٧ من سورة
ابراهيم .

ورمى الجمرات ، احياء لذكرى رمى ابراهيم
الخبث عليه الصلاة والسلام ، لابليس اللعين ، حينما
حاول ان يصده عن تنفيذ أمر الله تعالى بديح ولده
اسماعيل . ورجم كل من هاجر رجبها الله ،
واسماعيل عليه الصلاة والسلام له حينما تعرض لهما
وحذرهما من تنفيذ الخليل ما اعزبه عليه من دبح ولده
اسماعيل .

هذه بعض الحكم الرائعة العظيمة ، التي من اجلها
شرح الله تعالى فريضه الحج المقدسة .

وبنتهاء موسم الحج في كل عام ، يعود الحجيج
الى بلادهم ، حاملين الى اخوانهم ومواطنيهم وأهلهم
الحاسيس الاخوة وعواطف المحبة ، والمعاملات النافعة
المفيدة في سائر نواحي الحياة ، التي استقوها من
زملائهم الحجاج . وبذلك يعم الخير سائر البلاد
الاسلاميه ، مهما تباعدت امكنهم ، ونشأت افافهم .

وكما أذن المؤذن للصلاة في أى بلد من البلاد
اسميه . وحبا دعا المقيم الى غامبها ، وضما وف
المصنون لاداء الفرائض المكتوبة .. فانهم يتجهون
بقلوبهم الى الله الواحد الاحد ، سبحانه وتعالى ،
وبوجوههم وصدورهم نحو كعبته المشرفة ، وبيته
المقدس ، فيتبر ذلك في نفوسهم خوامن الذكريت
اسعيره العاليه ، عن البيت العتيق ، والمسجد
الحرام ، والصفاء والمروة ، وزمزم والمقام ، ومواقف
عمره والمزدلفه ومضى ، واطياف التكريم التي سعدوا
بها في رحاب سيد الانبياء ، عليه افضل الصلاة واتم
السلام .

وقب ان اختتم مقالى هذا ، أرى من واجبى ان الفت
البحر الى امور يجب ان يتنبه لها احواننا حجاج بيت
الله الحرام وهى :

اولا : احتمس المشتقات التي تصادف المرء ،
والصبر عليها برضى واطمئنان وقبول ، وانقا من ان
الله يبارك وتعالى سيجازيه عليها ، ذاكرنا قول
المصطفى عليه الصلاة والسلام لعائشة أم المؤمنين
رمى الله عنها : **يا عائشة ، اجرك على قدر نصيبك** [**وسصب التعب والمشقة** .

ثانيا : التعامل مع الزملاء ، ومع الناس جميعا
بصدر رحب وسماحة كريمة ، مع التزام الحلم وعدم
العصب ، ذاكرنا قوله تعالى « **فلا رفث ولا فسوق ولا
جدس** » **الحج** » ونيجترس دائما من الشيطان
اللعين ، ومن وساوسه التي تكثر في طريق الحج ،
وليستمن عليه بذكر الله تعالى .

الثانية : التي يقول فيها صلى الله عليه وسلم [ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي] رواه الشيخان البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى . ولينزل الاعتكاف في مسجده صلى الله عليه وسلم كلما دخله ، ولو للحظات قليلة .

سابعة : أن لا ينسى زيارة أبي بكر وعمر وجميع صحابته صلى الله عليه وسلم وأن يزور البقيع . ويمتد نفسه بالسير على الأرض الطيبة المباركة التي كان يسير عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثامنة : أن يحرص على أن يتصدق على فقراء الحرمين الشريفين . وكلما لقيه من يعتقد أنه في حاجة إلى الصدقة والمعونة . فتوابع ذلك في هذه الأماكن الشريفة موفور ومضاعف .

تاسعة : أن يزور مسجد قباء ، وأن يصلي فيه ، وينوي الاعتكاف به ولو للحظات قليلة ، وأن يمتد نفسه بما يستطيع من المشاهد الكريمة المباركة .

عاشرة : أن يحمده الله تبارك وتعالى ويشكره على نعمته عليه وتوفيقه ، وأن يكثر من الدعاء في كل مكان طاهر أن يرد الله علينا المسجد الأقصى المبارك الشريف ، ثاني القبلتين ، وثالث المساجد الثلاثة . والذي جعل الله ثواب الصلاة فيه تعدل ثواب خمسين صلاة في غيره ، وأن نصرنا الله على أعدائنا الصهاينة الغادرين ، نصرنا مبينا تاما ، وأن يخذلهم ويرد كيدهم في نحرهم ، أنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

ثالثا : أن يطوف بالكعبة المكرمة ، كلما دخل المسجد الحرام ، ذاكرا أن تحية هذا المسجد ، هي الطواف ، بخلاف سائر المساجد ، فإن تحيتها صلاة ركعتين ، وليقف في المسجد أكبر وقت ممكن ، وينوي الاعتكاف كلما دخله ولو لحظات قليلة . وليعلم أن مجرد الوجود بالمسجد عبادة ، وليلال النظر إلى الحبة الشريفة ، فإن النظر إليها عبادة . وليكثر من الصلاة فيه ، فإن ثواب الصلاة فيه تعدل ثواب مائة ألف صلاة في غيره من المساجد .

رابعا : أن يتخلع من الشرب من ماء زمزم المبارك ، ناويا عند شربه ماشاء من خيرى الدنيا والآخرة . فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : [ماء زمزم لما شرب له] .

خامسا : أن يأتي بممرة كلما تيسر له ذلك . فتوابعها عظيم . وليجتهد في العبادة وقراءة القرآن ، وذكر الله ، والصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكثر رصيده من الحسنات عند الله تعالى .

سادسا : أن لا يحرم نفسه من زيارة الحبيب المصطفى ، صلوات الله وسلامه عليه . ففي من أجل القرب ، وأعظم الطاعات ، حتى لقد قال بعض العلماء بوجوبها . وليذكر أنه صلى الله عليه وسلم ، كان السبب في هدايته إلى الإسلام ، فليوف بهذه الزيارة بعض الحق عليه ، ليفوز بشفاعته ، فقد قال صلى الله عليه وسلم [من زار قبري وجبت له شفاعتي] . ولينعم بالصلاة في مسجده ، فإن ثوابها يعدل ثواب ألف صلاة في غيره ، كما روى ذلك الشيخان البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى . ولينمتد بالروضة

بقية مقال « احكام الحج ومناسكه »

إلى الحرم تقريبا إلى الله تعالى من نعم وغيرها من الأموال نذرا كان أو تطوعا لكنه عند الإطلاق ينصرف للابل والبقر والغنم ، ويطلق على دماء الجبر والشكر الشاملة للقدية وجزاء الصيد وهدي القرآن والقمتع والسنة في الهدى ابل فبقر فضان فماعز . ومحل ذبحه عند المالكية منى أو مكة

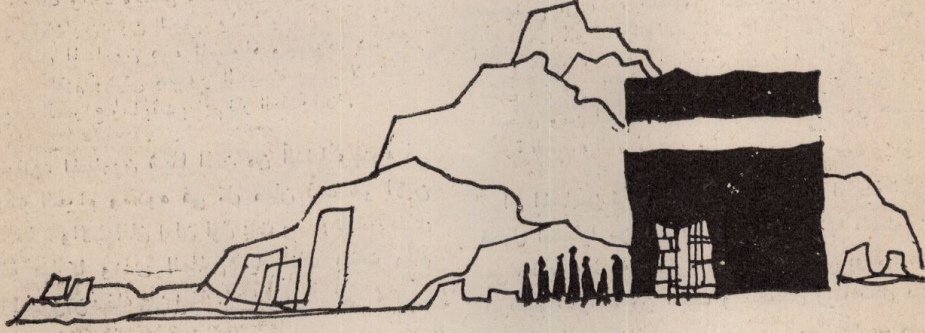
فان وقف به هو أو نائبه بعرفة جزءا من الليل وسبق في الاحرام بحج وكان ذبحه أيام النحر فمحل منى فان ذبحه بمكة مع توفر الشروط المذكورة صح وخالف الواجب

ومن لم يجد من لزمه الهدى هديا فصيام ثلاثة ايام في الحج آخرها يوم عرفة ، ولو فاتته صومها قبل أيام منى صام أيام منى الثلاثة بعد يوم النحر خلافا لراى الحنفية فإنه لا يجزيه الصوم ويتعين عليه الدم وفي هذا القدر كفاية والله الموفق لما فيه رضاه .

يرشدون » وقد حث سبحانه وتعالى على الإكثار من الدعاء في مواقف الحج والممرة فمنها عند إرادة الإحرام وعند دخول مكة وعند إتيانه باب السلام وعند رؤية الكعبة وعند شرب ماء زمزم وعند البداءة في الطواف من الحجر الأسود وبعد استلامه وعند باب الكعبة حال الطواف في كل شوط ، وبعد الفراغ من ركعتيه خلف مقام إبراهيم عليه السلام وعند خروجه من باب الصفا إلى السعى وعند قربه من الصفا وصعوده عليه وعند نزوله منه متجها إلى المروة وبين الميئين الأخضرين . وعند خروجه من مكة قاصدا عرفة وعند دخوله منى وخروجه إلى عرفات وعند وصوله عرفة وعند وقوع نظره على جبل الرحبة . . وعند زيارة المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يتأكد الدعاء والاستغفار والصدقة .

الهدى واتواعه : الهدى في الأصل اسم لما يساق

رحلة الحج



الدكتور محمد كامل الفتى

داموا شبابا اقوياء فشبابهم وقدرتهم انما يبعدهم عن هذه الرحلة الروحية الخالدة فاذا شابوا واكتهلوا وكادوا ان ينقضوا من الحياة ايديهم عرفوا سر الحج واصاخوا للاذان به مع ان مشقته ومناسكه انما يفقدوا عليها ، غيرهم الاصحاء الاتوياء منهم اكثر احتمالا للطواف حول الكعبة والسعى بين الصفا والمروة والهرولة فى السعى واقتحام امواج الناس فى رمى الجمرات وتقيل الحجر الاسود والصبر على المبيت بمزدلفة والنهوض بما يفاجيء من جو حار او بارد وما يتصدى له الحاج من اقتصار على غير محيط او محيط وهنالك من متاعب الحج بعد ذلك وعناء السفر ومشقة الطريق ما قد يتعرض له الحاج ان يضل عن مكانه الذى نزل به فيلهثوا من التعب طلبا له ويبحثا عنه فهل اخذ الناس عهدا على ربهم ان يعيشوا حتى يهرموا واذا ذلك يكون سعيهم وحجهم؟ وعلى اى حال يلقي المسلم ربه وقد كان اوثر ما يكون مالا واتم ما يكون عاقبة ثم اعرض عن ربه فليقيه وقد انهارت دعامة كبرى من دعائم اسلامه وماذا يصنع اذ ذاك حين لا ينفذ الظالمين معذرتهم ولا هم يستعقبون انى لا آتمنى ان اشهد كل قادر على الحج مبادرا اليه كما اتمنى ان تساعد الدول الاسلامية كل من رغب فيه على التمكن منه وكما تسهم فى احتمال الملايين من اجل الرغيف لا بأس فى ان تسهم فى احتمال الملايين من اجل الحج فاذا كان الاول زاد

الحج فريضة محكمة . . . ودعامة من دعائم الاسلام الخيمس التى بنى عليها وجعلت مقومات له واساسا وفريضة الحج على من استطاع اليه سبيلا ذات شأن مرموق وقد ملحوظ اذا هيست بليغات الاسلام الاخرى فهى اكثر نفقة واضخم مشقة واوسع تضحية ومن ثم كان لمن حج وبر جزاء عظيم وعطاء جزيل يتقاصر دونه كل عطاء وذلك هو الجنة ففي الاثر الكريم (الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) او من حج فلم يرهث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه) .

ان الذين يستطيعون الى الحج سبيلا ثم لا يهرعون اليه محرمون وهم فى الوقت ذاته قد وقعوا فى ضلال بعيد اذ شغلته اموالهم واهلهم وكل عرض زائل عن متعة روحية لا يقاربها شيء من متع الدنيا مهما لذ او حذر ان الله سبحانه وتعالى يقول فى الاثر العظيم بسج « ليشهدوا منافع لهم » ولعل فى ابهام هذه المنافع ما حصرها ؟ وما خطرهما ؟ ورعل فى التعبير الفراسى (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) اشارة دقيقة لبيان حال اولئك الذين لا يلبون دعوة الداعي اذا دعاهم .

وعجيب ان نشهد هذه الظاهرة فى المسلمين ظاهرة التقاعس عن الحج والتراخي فيه حتى يصيروا كهولا فما

فى مكان قفر لا يجدان من أحد أنس ولا رعاية
اطمئنا من ابراهيم لرعاية الله لهم ومضى وهو يقول
(ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند
بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس
تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)
هنالك يسترجع المسلمون من الذكرى موقف ابراهيم
حين امثل لأمر ربه فى مشهد رهيب خالده حيث مضى
الى منى ومعه ولده اسماعيل وقال له (يا بنى انى
أرى فى المنام انى أنضح فأنظر ماذا ترى) وفى طاعة
مذهلة قال له اسماعيل « يا أبت أفعل ما تؤمر
ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ». وكان ثمرة
العبد من الولد والولدان نجى الله اسماعيل وفداه
بذبح عظيم وبلغت المسلمون فى هذه المواطن الى
مكان من أمر الله حيث رزق ابراهيم بولد آخر هو
اسحاق ومن اينائهما نبتت شجرة النبوة التى حملت
دعوة السماء الى الارض (١٠)

ان المسلمين يرون فى حجهم مع ذلك الكعبة التى
تحمل أصفارا من التاريخ ويطوفوا حولها المسلمون
فى جنديّة وطاعة ويذكروا قول الله تعالى (واذ يرفع
ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك
أنت التواب الرحيم) ان الحج فريضة تجمع عبادات
مختلفة ويطوى تاريخا مشرقا حافلا بالذكرى لمن كان
له قلب أو القى السمع وهو شهيد ومن العجب ان
بعض الحجاج يصادفون الوانا من المتاعب ولكنهم فى
آخر الرحلة تنطوى جوانحهم على لهفة على الحج
وحنين اليه ورغبة فى أن تتاح لهم فرصة دائمة ومن
ذاق عرفه.

أما زيارة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه
وسلم فهى مجال عظيم يبدو فيه حب المسلمين
لقائدهم وحنينهم العظيم لأرائدهم وإيمانهم برسائته
وتمجيدهم لبطولته يسلمون عليه وعلى صاحبيه
ويشهدون الروضة بين قبره ومنبره ويرون أرضا
طيبة أنبتت الإنصار وكرمت المهاجرين وضربت للناس
أروع الأمثال فى العقيدة والبطولة والتضحية يرى
المسلمون هنالك أرضا جرت عليها دماء ذكية وترابا
دفن فيه من دفن من آل بيت النبى وصحابته ويشهدون
فى الحرم المدى آيات من طاعة المسلمين وحجهم
والسكينة التى تغشاهم فما أجدر المسلمين أن ينتهزوا
فرصة الحج اذا هيأت لهم أن يجعلوها طريق الجنة
وان يعودوا الى ديارهم فى سلوك ملائكى حتى لا يقال
ان فلانا حج وما تاب . والله يقول الحق وهو يهدى
السييل .

البطون فالثانى تغذاء الارواح والقلوب هنالك فى الحج
الاكبر يشهد المسلمون مظهر الجماعة والجماعة هى
المعنى الذى يقرب بين المسلمين وتكون لهم به دولة
ويبعدوا عنه المسلمون فتدول عليهم الدولة معنى
الجماعة فى الحج ظاهر فى صورة رهيبة هنالك
الملايين ما بين لون ولون ولغة ولغة لكن الله جمعهم
على التقوى وآلف بالاسلام بينهم وجعل بينهم من
المساواة ما هو تماثل وتطابق فى كل شئ فالمسلمون
يجعون فى وقت واحد ويؤدون مناسك واحدة ويتفقون
فى طواف واحد وسعى واحد ويرمون الجمرات فى
وقت واحد بعدد من الحصى واحد يلون تلبية واحدة
ولو تمثل المسلمون هذه المساواة وجعلوها شعارهم
فى معاملتهم وشتى صور الحياة بينهم لا تنقضت
أسباب الصراع وما بثت بينهم نار الفتنة أبدا .

ليشهد المسلمون شيئا أثمن من الدنيا وجدوه فى
البيت الحرام وفقدوه فى كل مكان ذلك هو الأمن
والسلام والاطمئنان [ان اول بيت وضع للناس للذى
بكة مياركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام
ابراهيم ومن دخله كان آمنا) .

ولما كانت الحكومة السعودية تقيم حدود الله فى
خير تهاون أو مهادنة فقد توفر الأمن لكل حاج فى
هريق أو صحراء أو بيت أو جبل والافراد والجماعات
يعيون فى بلادهم فى خوف وقلق ورعب وفزع لا
يأمن أحد على مال واحيانا على عرض والعصابات
والحروب تعمل جاهدة والناس والدول تحمل السلاح
وتتوقع السطو فكان فترة الحج اجازة من المخاوف
وكانها عبارة ترجمتها «من شغل بره آمن من
السوء» .

ان الحجاج تهيب لهم فرض الحج ان يعودوا الى
ذكريات غوال قلما أن يعودوا بغير الحج اليها
والذكرى تنفع المؤمنين انهم يذهبون الى مكة موطن
النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته وآل بيته
ويشهدون هنالك أرضا نبتت فيها الدعوة الاسلامية
وأريق فيها دماء ذكية بنصرة الحق وقهروا الشرك
هنالك حيث يعود المسلمون الى سيرة محمد وآله
فيرون كيف بعد الماضى عن الحاضر وكيف أثرت الدنيا
على الدين فما بقى لنا منها شئ هنالك يشهد المسلمون
كيف صبر النبى صلى الله عليه وسلم على أذى
المشركين وكيف هاجر النبى ومن معه الى المدينة
ليغرسوا فى قلوب أهلها الايمان والتوحيد حتى قويت
شوكتهم وعزت دولتهم وعادوا أعزة الى وطن انكرهم
وجالدهم فما كان من نبيهم الا أن عفى مع القدرة عنهم
وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء . هنالك يتذكر المسلمون أبا
الانبياء ابراهيم حينما ذهب بزوجه وطفله والقى بهم

فالحج عسرة والحج أشهر
معلومات كما قال رب العزة .

وكما يقول العلماء فالوقت أو
الأشهر المذكورة شوال وذو
القعدة وتسع من ذي الحجة إلى
طلوع الفجر من يوم النحر ، فمن
أحرم بالحج في غير هذه المدّة
فهو عمرة . و

ورحلة الحج من أعظم
العبادات .. لأنها تضع الإنسان
في اختبار عظيم للإيمان
وصدقه .. فهو ينخلع عن أهله
وولده وبنيته وراحته ولا يدري
أيعود أم لا .. والنفس بطبيعتها
تركن إلى الراحة وإلى ما اعتادت
عليه من مألوفات ومخزورات ..
وأما الجهاد الذي يلي ذلك أو
يسبقه حسب طبيعة كل نفس فهو
جهاد المال .. فالحج شرطه
الاستطاعة .. وكثيرون يتوسر
لديهم المال الذي يدخلهم في باب
الاستطاعة .. ولكن .. هل ينفق
هذا المال الكثير أم ينتظر إلى
العام القادم .. و « العام
القادم » عبارة يدخل منها
الشيطان .. فإن تأجيل الحج مع
توفر شروط الاستطاعة عمل لا
يقره الإسلام ولا يؤيده العقل
المؤمن .. إذ كيف يستطيع
الإنسان أن يضمن لنفسه حياة
إلى يوم آخر .. فكيف بسنة
مقبلة .. وهكذا يأخذ الإنسان في
جهاد نفسه ومحاربة شياطين
الهوى ، التسويف والتأجيل ،
حتى تغلب على كل ذلك جميعا
بفضل الله تبارك وتعالى ثم يبدأ
في طريقه المبارك الميمون إلى
أشرف بقعة مباركة .

وإذا كانت رحلة الحج يتوجه
بها المسلم إلى أشرف بقعة في
الأرض فإن الرحلة ذاتها تعتبر
أشرف وأقدس رحلة يقوم بها
الإنسان .. إذ الإنسان يزحل
عادة طلبا للمتعة والترفيه أو
الفائدة المادية .. وهو يحدد
سفره وطول الطريق والزنيق
ويستطيع أن أراد أن يقطع

رحلة إلى أشرف بقاع الأرض

الحج

الاستاذ إبراهيم مصباح

أو ينقص أو يقدم أو يؤخر ..
كذلك الصوم .. من الفجر إلى
الغروب .. في شهر معلوم وهو
شهر رمضان .. وحدث كذلك
عن الزكاة ذات القوانين الموحدة
في الموعد وكيفية اخراجها
ونصاها إلى آخر ذلك من
فرعيات ليس هذا مكانها ..
وانما إذا وقفنا وفحصنا لوجدنا
أن شعائر الإسلام وفرائض العبادات
تجمع المسلمين دائما على صعيد
واحد ليسعروا دماء الأخوة
والمشاركة ويحسوا بقوة التجمع
وينشأ من ذلك الإحساس بأنهم
أمة واحدة حيثما وجدوا في
أرض الله ..

كذلك القول في الحج ..
فالحج أشهر معروفة .. يقول
ربنا تبارك وتعالى : « الحج
أشهر معلومات فمن مرض فيهن
الحج فلا رفث ولا فسوق ولا
جدال في الحج ، وما تفعلوا من
خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير
الزاد التقوى واتقون يا أولي
الالباب » صدق الله العظيم .

من أجل ذلك تعظم شعيرة
الحج وتبارك لأنها تجمع
المسلمين على صعيد واحد وفي
وقت واحد .. وعلى نداء
واحد .. لبك اللهم لبيك ..

جعل الله سبحانه وتعالى البيت
العتيق مذابة للناس وأمانا ، وأكرمه
بالنسبة إلى نفسه فهو بيت الله
وهذا تشریف وتكريم .
والحج بالنسبة لباقي العبادات
عبادة العمر ، وختام الأمر ونهاج
الإسلام وكمال الدين .
وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « من مات ولم يحج فليمت
أن شاء يهوديا وأن شاء
نصرانيا » .

هذه منزلة الحج من الفرائض
الإسلامية .. هو عبادة يعبد
الدين بتركها الكمال والتسامح ،
ويساوى تاركها غيره من الذين
لم يتفياؤا نعمة الإسلام .. من
أجل ذلك ، ومنافع أخرى عديدة
بين روحية ودينية أسأحها
الشارع ، يشد المسلمون رجالهم
في رحلة هي رحلة العمر ، إلى
بيت الله الحرام ، والزيارة
المباركة للمدينة المنورة وقبر
الرسول صلى الله عليه وسلم ..

والحج شأنه شأن باقي
العبادات والفرائض الإسلامية
يجعل المسلمين جسدا واحدا
وروحا واحدة .. أن المسلمين
يصلون معا في أوقات معلومة
وبحركات معلومة .. وصلوات
معلومة ، ليس لأحد أن يزيد منها

الرحلة ويؤوب في أى وقت ..
وهو يختار رحلة الموعد الذى
يناسبه صيفا أو شتاء .

أما رحلة الحج فعلى
الإطلاق .. انها ليست كذلك ..
فساكن المغرب وساكن الحجاز
يقصدان مكة .. هذا من أقصى
بلاد المسلمين وهذا مجاور للبلد
الحرام .. وكذلك أهل اليمن
والشام ومصر والعراق وغيرها
من بلاد الاسلام .. انها رحلة من
مكان الى مكان محدد بالذات ..
هو مكة أم القرى ، حيث وضع
أول بيت للناس .. فلما كان القيام
من الرحلة متفرقة ولكن اللقاء
الروحى العظيم يتم فى نقطة
واحدة مضيئة بنور الله وبهاء
الإيمان .

ولقد بينا ان هذه الرحلة انما
هى رحلة روحية أولا وأخيرا ..
لا يبتغى بها قصدا الا وجه الله
ورضاه واتهام النعمة بكسال
الاركان من الشهادة المخرجة من
الظلمات الى نور الاسلام حتى
الحج الذى يرضى الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم ..

ثم لننظر الى اختيار
اوقات .. فلا يستطيع الانسان
أن يقول أحج فى الصيف أو فى
الشتاء .. أو غير ذلك من
الفصول أو الاوقات لان الحج
أشهر معلومات .. وهذه
الاشهر [شوال - ذو
القعدة - تسع من ذى الحجة]
تأتى أحيانا فى الصيف الشديد
الحر .. وأحيانا أخرى فى
الشتاء القارس البزد .. ومع
ذلك فمستان بين رحلة للمتعة
والترغية .. ورحلة الحج .. اذ
لا وجه للمقارنة ولا يصح
اجرائها .. ومع ذلك نقول ..
ان للانسان اذا خرج الى الحج
فانه يعود وقد استشعر عظمة
الاسلام وأمة الاسلام وأدرك يقينا
أن المسلمين جسد وروح اذا
اجتمعوا استطاعت أمة الاسلام أن

تنبؤا أعظم أماكن القيادة على
ظهر الأرض ..

ونعود الى ثواب الحاج ..
فنقول ان من اتم هذه الفريضة
على شروطها خرج من ذنوبه
كيوم ولدته أمه .. فلقد قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « حجة مبرورة خير من
الدنيا وما فيها ، وحجة مبرورة
ليس لها جزاء الا الجنة » .
صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم .. فان الله تعالى اكرم
الاکرمين .. والحجاج هم زوار
بيته .. انما يكرم المضيف
زواره .

ولما من خرج فى رحلة الحج
ولم يعد الى امله وانها توفاه الله
تعالى .. فقد فاز فوزا يقسره
رسولنا الكريم بقوله صلى الله
عليه وسلم : « من خرج من بيته
حاجا او معتمرا فمات ، أجرى له
أجر الحاج او المعتمر الى يوم
القيامة ومن مات فى إحدى
الحرمين لم يعرض ولم يحاسب
وقيل له ادخل الجنة » .

والان .. اذا أراد احدا رحلة
الى مكان ما .. فانه يجهز
أوراقه للسفر .. وثيقة السفر ثم
تأشيرة الى البلد المقصود
والتطعيم وتبديل العملة الى غير
ذلك .. ولكن رحلة الحاج تحتاج
الى ما احصينا وتتطلب امورا
أخرى أهم وأكثر ضرورة لنجاح
الرحلة المقدسة .. وهذه الامور
لا تتم فى الزارات والمصالح
والسفارات والمكاتب .. كلا ..
انها اجراءات تتم بين القلوب ..
اذ أن الذى يقصد وجه الله
وينوى السفر الى الحج لابد ان
يطهر نفسه من كل رجس واثم
وينخلع من كل ظلم اصاب به اخا
له فى الاسلام أو الوطن ..
ويتوب الى الله توبة نصوحا ،
ولا تكون التوبة نصوحا الا اذا
رد صاحبها المظالم واستغفر من

أساء اليه فقبل عذره وغفر له ..
وان كانت له أمانة عند أحد أئمان
اليها وان كان أحد قد استأمنه
فانه قبل أن يسافر الى الحج يعيد
اليه أمانته أو يشهد زوجه وأهله
أن كذا وكذا هو أمانة لفلان عندى
فان جاء أمر الله فلا يكلن احدكم
أموال الناس ظلما .. وينبغى
على الحاج أيضا أن يودع أهله
وجيرانه ويلتمس أدينتهم فان
الله تعالى جاعل فى أدينتهم
خيرا ، والسنة فى الوداع أن
يقول : أستودع الله دينك
وأمانتك وخواتيم عملك .. وكان
صلى الله عليه وسلم يقول لمن
أراد السفر : « فى حفظ الله
ونفقه ورعايته زدك الله التقوى
وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما
كنت » .

وفى دعاء الحاج اذا هم
للسفر : اللهم أنت صاحب فى
السفر والخليفة فى الأهل والمال
والولد والأصحاب .. احفظنا
اللهم وأياهم من كل آفة
وعاهة .. اللهم انا نسألك فى
مسيرنا هذا البر والتقوى ومن
العمل ما ترضى ، اللهم انا نسألك
أن تلوى لنا الأرض وتسهل لنا
السفر وأن ترزقنا فى سفرنا
سلامة البدن والدين والمال والولد
وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك
محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد .

فان رحلة الحج أجل وأعظم
من أن تقارن برحلة أخرى ..
انها طريق فى سبيل الله .. الى
أشرف بقعة فى أرض الله .. الى
مكة أم القرى .. الى الكعبة
المشرفة .. الى أرض سار عليها
المصطفى وارتفع فيها صوته
بالدعوة الى رب العالمين ..
رحلة الى المدينة المنورة .. الى
أرض ترابها حبات قلوب ..
وستظل رحلة الحج أعظم رحلة
يقوم بها الانسان على مدار
الافلاك ومرور الأزمان .

الحج

وبواعث الإصلاح النفسى والاجتماعى

فضيلة الشيخ عبد الفتاح اسماعيل زهير

المناجاة التى يشعر بها ويشهدها فى آفاق المشاعر والمجاهدات الاسلامية . والمواقف النورانية . وفى رحاب المضيف الكريم . وحصى الرب العظيم . وانما يظفر بهذه المواهب . وينعم بهذه العطايا من يقدم الدليل على مدى اخلاصه لربه وتجرده عما سواه . وعدم انشغاله بغيره ولا يتحقق ذلك ولا يتجلى الا فى مناجاته التى يتجلى بها تعبيره . ويدل عليها قوله : « نويت الحج واحرمت به لله تعالى اللهم يسره لى وتقبله منى » ويقرن هذه النية بالتلبية الحارة التى تخرج من القلب وتنبعث عن أعماق المشاعر وقرارة النفس فتدوى عالية فى ذلك الافق الروحى . فتتحرك عواطف وجدانات عندما تتحرك الالسنه مرددة : « لبيك اللهم لبيك . لبيك اللهم لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » اعترافا بجلال الاداعى ، واستجابة لدعوته . واقترافا صادقا بعظم الوهيته . وجلال ربوبيته . وما من شك فى أن لهذه الاستجابة أثرها فى توجيه النفس ورشادها الى سلوك المسالك الجميلة والتحلى بالفضائل الحميدة . والتجمل بالاخلاق النبوية .

والسعى بين الصفا والمروة ينطق بتلك الجهود المضنية . والمكابدات القيمة . والمرارة القاسية التى تحملتها السيدة هاجر وتجلى فيها فضل صبرها . وجهاد نفسها . فقد قاومت الشدائد . ووقفت فى مواجهة التيارات النفسية الاليمه . وما وهنت لما أصبها فى سبيل الله . وما ضعفت وما استكانت

إذا كان الحج دعامة من أهم دعائم الدين ، وآية من آيات الاسلام ، فإنه نور يهذى الى توثيق عرى الروابط الاسلامية ، ويحث على التفانى فى استدامة وتقوية الوحدة الدينية والاجتماعية ، ولا ينادى ببقاء هذه الآيه ، وتدعيم بنيانها الا القلوب العامرة بالايمان ولا يهذى اليها الا الذين استجابوا لله وللرسول ، قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم » .

والحج كذلك باعث من بواعث الإصلاح الاجتماعى والتهذيب القويم . فإن فيه من صفى النفوس واعداد القلوب وتهذيب المشاعر ما يضيف على حياة المسلمين من استقامة السلوك . ورفق التعامل ما تبتهج به الحياة وتوسع .

فالاحرام فى ابلغ معانيه وأسمى مقاصده يعبر تعبيرا صادقا . ويعلم فى روعة بالغة عن عجائب وآيات تتجلى فى الاعراب عن تجريد النفس وتخليها عن حظوظها . وعظم آمانيها ومتمنياتها . وتحررها من استعباد الشهوات لها . وسيطرة الهوى عليها . ليؤهلها ذلك الى الدخول فى الدائرة الروحية . ويحملها على الانتظام فى المملكة الربانية والحضرة القدسية ويعدهما للتمتع بمزايا التجليات وحلاوة

**الضيعة فان هاهنا بيت الله بينه هذا الغلام وابوه
وان الله لا يضع امله وذكر الحديث .**

وهناك اسرار اخرى تتفجر من ينابيع التردد بين
الصفاء والمروة وتنهمر من السعى بينهما . فقد جعل
سبعا ليسد عن العبد ابواب جهنم السبعة . والوقوف
بعرفة تلك الساحة الكبرى التي يتجلى الله فيها لعباده
والحمى العظمى التي تتناجى فيه الضمائر الى واسع
الاعاق الروحية والرحمات الالهية . وتتسابق القلوب
وتتفانى في التماس الرضى والصفح ممن يملك الرضى
والصفح . وكلما انتقل الحجاج من مشهد الى مشهد
او ارتحوا من موقف الى موقف من تلك المواقف
العظيمة أدركوا ما لهذه المواقف من نفحات تهذب
النفس وتقوى الروح . وتبعث في القلب اشراقا
الانوار في ليل الحياة الطويل .

ويرشد الى ذلك ما رواه ابن عمر رضى الله عنهما
حيث قال : « كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه
وسلم بمسجد منى . فأتاه رجل من الانصار . ورجل
من تفرق . فسما . ثم قال : يا رسول الله : جننا
نسائك . فقال : ان شئنا أخبرتكما بما جئتما تسألاني
عنه فعلت ، وان شئتما ان امسك وتسألاني فعلت .
فقالا : أخبرنا يا رسول الله فقال التقي للنصارى
سل فقال : أخبرني يا رسول الله . فقال : جئتنى
تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك
فيه . وعن ركعتك بعد الطواف وما لك فيهما . وعن
طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه . وعن وقوفك
عشية عرفة وما لك فيه . وعن رميك الجمار وما لك
فيه . وعن تحركك مع الاماضة . فقال والذي بعثك
بالحق نعن هذا جئت أسألك . قال : فانك اذا خرجت
من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا
نرفعه الا كتب الله لك به حسنة ومحا عنك خطيئة .
واما ركعتك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى اسماعيل
عليه السلام . واما طوافك بالصفا والمروة كعتق
سبعين رقبة . واما وقوفك عشية عرفة فان الله يهبط
الى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول : عبادي
جاءوني شعثا من كل فج عميق يرجون جنتي . فلو
كانت ذنوبهم كعدد الرمل او كقطر المطر أو كزبد البحر
لغفرتها . افيضوا عبادي مغفورا لكم ولن شفعتم
فيه .

واما رميك الجمار فلك بكل حصة رميتها تكفير
كبيرة من الموبقات . واما تحركك فمذخور لك عند
ربك . واما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقها حسنة
ويمحى عنك بها خطيئة . واما طوافك البيت بعد ذلك
فانك تطوف ولا ذنب يأتى لك حتى يضع يديه بين
كتفيك فيقول اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى .
رواه الطبراني والبخاري واللفظ له .

هذا . والله أسأل ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه .

والله يحب الصابرين . نعم كان امتحانها في غلظة
كيدها أشق ما يكون عليها . وأصعبها يحتمل
ويلاقي . واختبارها في مواجهة ما يعانیه طفلها من
عطش ويلقاه من تأثير على النفس والصحة . وكل ما
يتصل بجسمه وروحه والحنان منها لا يقف عند حد .
والشفقة لا توصف ولا تقاس بمقياس . ان لا يمكن
تصويرها ولا تصوير حال ولدها وحالها والوادي
موحش . والعزلة شديدة الوقع اليه الاثر . يعبر
عن ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله
عنهما : « أول ما اتخذ النساء المنطق «بكسر الميم
وفتح الطاء » من قبل اسماعيل اتخذت منطقا .
لتدق أثرها على سارة . ثم جاء بها ابراهيم وبانها
اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند
دوحة فوق زمزم في أعلى المسمى وليس بمكة يومئذ
أحد . وليس بها ماء . فوضعها هناك . ووضع
عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء . ثم قفى
ابراهيم منطلقا . فبعثته أم اسماعيل فقالت : يا
ابراهيم أين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس فيه
أنس ولا شيء ؟ قالت له ذلك مرارا . وجعل لا يلتفت
اليها . فقالت له : آله أمرك بهذا قال : نعم قالت : اذا
لا يضيعنا . ثم رجعت وانطلق ابراهيم حتى اذا كان
عند البيت حيث لا يروونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا
بهذه الدعوات ورفع يديه فقال :

**« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند
بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من
الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم
يشكرون » .**

وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من
ذلك الماء حتى اذا نفذ ما فى السقاء وعطش ابنها
وعطشت هي وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية
ان تنظر اليه . فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض
يليه فقامت عليه . ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى
أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت
الوادي رفعت طرف زراعها . ثم سفت سعى الانسان
المجهود ثم جاوزت الوادي . ثم أتت المروة فقامت
عليه . فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا . فعلت ذلك
سبع مرات قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه
وسلم : **فذلك سعى الناس بينهما** . فلما أشرفت على
المروة سمعت صوتا فقالت : حدثه تريد نفسها . ثم
تسمعت أيضا : فقالت : قد أسمعت ان كان عندك
غواث . فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فيبحث بعقبه
أو قال بجناحه حتى ظهر الماء . فجعلت تخوضه
وتنقله بيدها . وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو
يفور بعدما تغرف . قال ابن عباس : قال النبي صلى
الله عليه وسلم « رحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم
أو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عبثا معنا » قال :
فشربت وأرضعت ولدها . فقال لها الملك : لا تخافى

الحج تطهير وتكفير

ان الله في أيام دهره نفحات ، يستحث فيها عباده على مواصلة الخير ، ومضاعفة العمل الصالح ، خاصة في أيام الحج واداء المناسك فهي أيام الاقبال على الله والتجرد من كل زينة يجدر بالمسلم أن يتدارك فيها ما فاتته بالتوجه الى الله بقلب سليم ، ونية خالصة : حتى يفتح الله له أبواب رحمته .

فلله در أقوام دعاهم مولاهم لقربه ، فشدوا اليه الرحال ، وما استبعدوا بعيدا ولا استهولوا أهوالا ، فمنحهم برا وجودا ولم يترك منهم شقيا ولا محروما . روى أن محمد بن المنكر حج لله ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان آخر حجة حجها ، قال وهو بعرفات اللهم انك تعلم اني قد وقفت في موقعي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة ، فواحدة عن فرضي والثانية عن أبي والثالثة عن أمي ، وأشهدك يا رب اني قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقعي هذا ولم تتقبل منه ، فلما فرغ من عرفات ، ونزل بالمزدلفة نودي في المنام يا ابن المنكر ، أنتكرم على من خلق الكرم اتجود على من خلق الجود ، ان الله تعالى يقول لك ، وعزتي وجلالي لقد غفرت لمن وقف بعرفا تقبل ان أخلق عرفات بالفي عام .

الدكتور عبد العزيز محمد عزام

الكريم ، فك الحمد في السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، والمنشط والمكره : اللهم انك تسمع كلامي ، وترى مكاني ، وتعلم سرى وعلايتي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الموجل المشفق المغتفر بذنبه ، أسالك مسألة المسكين ، وأبتل اليك ابتهاج المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضريع ، دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته ، وأذل لك جبهته ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلني بدعائك ربي شقيا ، وكن بي رؤفا رحيمًا ، يا خير المستولين وأكرم المعطين .

فاذا قال هذا الدعاء ، يوم عرفه استجاب الله له .

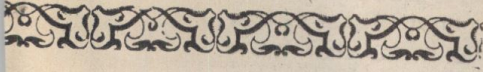
فهو يوم يستجاب فيه الدعاء ، وسمى عرفه لأن آدم وحواء تعارفا فيها بعد نزولهما من الجنة متفرقين آدم بالهند وحواء بجدة ، وحكمة الوقوف ، التشبيه والتذكير بوقوف الخلائق بين يدي الله تعالى يوم القيامة خفا عراة مكشوفى الرؤوس - يضحون بالبكاء والعميل ، ويدعون مولاهم دعاء عبد ذليل . وقد اختصت عرفه بهذا الشرف لان الله تعالى جعلها كالميدان على فناء حرمه ، وكان فيها أخذ الميثاق على الارواح حيث قال الله لهم الست بربكم قالوا بلى . قال صلى الله عليه وسلم أفضل الأيام يوم عرفه ، وإذا وافق يوم الجمعة فهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة .

يوم عرفه وما أدراك ما يوم عرفه انه مجمع الاعياد ، ومحفل الشعوب والأمم ، ورمز الوحدة

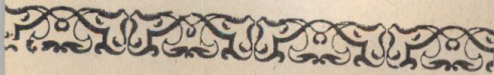
وكل منا أفضل وأعظم من أن يظفر المسلم برضوان الله ورحمته ورضاه فيرجع مغفور الذنب ، طاهرا من كل دنس ، ويفتح صفحة جديدة ببيضاء نقية ، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن طائفة من اليهن أقبلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، فذاك الإباء والأمهات ، أخذنا عن فضائل الحج قال بلى ، أي رجل خرج من بيته حاجا أو معتمرا فكما وضع قدما أو حط قدما فتأثرت الذنوب من بدنه كما يتأثر الورق من الشجر ، فإذا ورد المدينة ، وصافحني بالسلام صافحته الملائكة بالسلام ، فإذا ورد الحليفة واغتسل طهره الله من الذنوب ، فإذا لبس ثوبين جديدين ، جدد الله له الحسنات ، فإذا قال : لبيك اللهم لبيك ، أجاب الرب لبيك وسعديك ، أسمع كلامك وأنظر اليك ، فإذا حل مكة وطاف وسعى بين الصفا والمروة أكثر الله له الخيرات ، فإذا وقفوا بعرفات ، وضجت الأصوات بالحاجات ، يأمي الله بهم ملائكة السماء يقول : ياملائكتي وسكان سماواتي ، أما ترون الى عبادي جاموعي شعثا غبرا قد أنفقوا الأموال ، وأنعبوا الأبدان ، فوعزتي وجلالي وكرمي لاهين مسيئهم بمحسنهم ، ولاخرجنهم من جهنم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، فإذا رموا الجمرات ، وحلقوا الرؤوس نادى مناد من بطن العرش ارجعوا مغفورا لكم واستأنفوا العمل .

فسيحانك ربي ، ما أعظم فضلك وأجل نعمك ، فلقد جعلت لنا أياما مباركة سعيدة ، من أقبل فيها على طاعتك منحت برأ وجودا ، ولم تجعله شقيا ولا محروما ولا مطرودا ، لأنك البر الرحيم ، والجواد

عيد الأضحى



في تاريخ البشرية مواقف خالدة ، ينحني لها التاريخ اكبارا واجلالا - وأى موقف أجل من موقف التضحية الذي وقفه ابراهيم الخليل عليه السلام هو وابنه اسماعيل عليه السلام . ان ابراهيم يرى في المنام انه يقدم ولده الوحيد فداء لله . وعليه ان يريق دمه بيده : ورؤيا الانبياء وحى لا ينكر . . ماذا يفعل ؟ محنة تنوء بها الجبال الراسيات ، لقد رزق بولده اسماعيل بعد ان تقدم به السن ، وكان قررة عينه ، ومهوى فؤاده ، وانيسه في وحدته ، ثم يؤمر بأن يذبحه بيده ؟ لكن العظام كفؤها العظماء ، وعلى قدر اهل العزم تأتي العزائم . . والرجال الاخيار يتلقون تعاليم السماء بالرضا والتسليم : مهما تكن التعاليم شاقة وقاسية ، ويخبر ابنه بما رأى « يا بني انى ارى في المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى » ويرتفع اسماعيل الغلام الفتى الى الموقف الشامخ الذى ارتفع اليه أبوه ، انه يمثل لامر الله ، ويطيع إياه ، ولم يحاول أن يبدي أدنى اعتراض .



والاثلاثاء ، وعنوان المحبة والخلود : انه يوم أتم الله فيه على المسلمين دينهم ، حيث نزل فيه قوله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واسمعت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

لقد قالت اليهود لسيدنا عمر رضى الله عنه ، انكم تقرعون آية لو نزلت فينا لاتخذنا يومها عيداً ، فقال سيدنا عمر ، انى لاعلم اليوم الذى نزلت فيه على رسول الله ، وهو يوم عرفة .

ويندب للحاج ان يقول : اللهم اجعلنى من الذين استجابوا لك ورسولك وآمنوا بك ووثقوا بوعدك ، ووفوا بعهديك ، واتبعوا أمرك ، اللهم اجعلنى من وفدك الذين رضيت وارضيت ، وقبليت ، اللهم يسر لى أداء ما نويت ، وتقبل منى يا كريم ما أدبت ربنا آتينا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

وينبغى له ايضا مدة اقامته بمكة المشرفة ، ان يختم القرآن العظيم وينوى الاعتكاف بالمسجد الحرام كلما دخله ، ويكثر من الصلاة فيه والطواف به وان يكون متواضعا خاشعا ، وان لا يرفع بصره الى سقف الكعبة ، وان يشرب من ماء زمزم كثيرا ، لانه افضل المياه بعد الماء النابع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ويسن استقبال القبلة عند شربه والتضلع منه أى الامتلاء لما روى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتصلعون من زمزم . ويستحب ان يقول عند الشرب ، اللهم انه بلغنى عن نبيك صلى الله عليه وسلم انه قال ماء زمزم لما شرب له ، وأنا أشربه لسعادة الدنيا والآخرة ، اللهم فافعل ثم يسمى الله تعالى ويشرب ويتنفس ثلاثا . وكان ابن عباس اذا شربه يقول : اللهم انى أسألك علما نافعا ، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء .

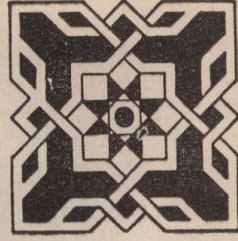
وعلى الحجاج والمعتمرين اذا أرادوا الانصراف من مكة شرفها الله وعظمها طلب منهم أن يتوجهوا الى مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للفوز بزيارته فاتها من أعظم القربات وأنجح المساعي وأجل الطاعات . والاكثرون على انها سنة مؤكدة وجرى بعضهم على انها واجبة وانتصر له بعض العلماء لخبر من وجد سعة ولم يزرنى فقد جفانى . وقد ذكر العلامة الشيخ الدحلان فى رسالة له فى هذا الشأن ان بين ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وترك زيارته مع القدرة عليها تساويا فى أن كلا منها جفاء له صلى الله عليه وسلم كما نص عليه ، وان جميع الاوصاف القبيحة الشنيعة التى تثبت تارك الصلاة عليه عند سماع اسمه ، يخشى أن يثبت نظيرها لتارك الزيارة ، فيخشى عليه أن يكون شقيا ، راغم الأنف ، مستحقا دخول النار ، بعيدا من الله ورسوله نسال الله تعالى أن يمن علينا بنعمة الاخلاص ، وان يوفقنا فى سعيينا اليه ، ويقرنا منه ، وان يختم لنا بالإيمان ، انه أكرم مسئول ، وأكرم مأمول .

والله عليم بذات الصدور [يعلم ما يلج في الأرض]
وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج
فيها [فينزل عليهم رحماته ، ويأخذ بأيديهم الى حياة
العزة والكرامة .. وبعد يوم عرفة يأتي يوم عيد
النحر ، اعلنا باتهام النعمة ، واحياء لذكرى الذبيح
اسماعيل ، ويذخرهم هذا التجمع ، بتجمعهم في ميدان
الجهاد ، وهم يرجعون الاعداء بشواظ من نار
وبدس ، كما يتجمع الحجاج في منى لرمي
الجمرات ، اشعارا بنبذ قوى الشر والعبدان ..
وهذا يبدأ الحج بالنية الصادقة ، وينتهي بالعزم
الصميم على محاربة قوى البغي ورجم الشياطين :
شياطين الجن وشياطين الانس ، الذين يفرقون بين
الصف الواحد المتجمع ، ويدخلون في وسط الامة
المحددة بعوامل الفرقة واثارة الخلاف ، مع ان الله
تعالى يقول [واعتصموا بحبل الله جميعا ولا
تفرقوا] .

وقد روى الامام القرطبي عن حذيفة رضى الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : [ان الله أوحى
إلى ، ياخا المنذرين ، ياخا المرسلين ، أنذر قومك ألا
يدخلوا بيتا من بيوتى إلا بطوبى سليمة والسنة
صادقه ، وأبد تقيّة ، وفروج طاهرة ، وألا يدخلوا بيتا
من بيوتى ، مادام لاحد عندهم مظلمة ، فأنى العتة
مادام قائما بين يدي ، حتى يرد تلك الظلمة الى
أهلها . فاكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى
يبصر به ، ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جارى
مع اسبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين] .
يبدأ نحتفل بعيد الأضحى ، ونحتفل بموسم الحج ،
اتحادا للامة العربية والإسلامية ، وتعاوننا بين
إبنائنا ، وبذلا وعطاء بلا حدود .. لاسيما وأمتنا
تعيش في مرحلتها الحاضرة ، وسط ذئاب تريد ان
تنهشها ، وأن تمزق أوصالها . ولا نجاه للامة من هذه
المكايد الا بتوحيو الصوف ، وتكتيل كل الجهود
واستلهاهم معنى التضحية والفداء من قصة الخليل
ابراهيم وولده اسماعيل . ومع ذلك كله العمل الدائب
الذى لا ينقطع من أجل البناء والتعمير ، حتى ننهش
وننتقم . وتكون لنا قوة نُدافع بها عن عقيدتنا
وأرضنا وكرامتنا .. والمؤمن التوى خين وأحب الى
الله من المؤمن الضعيف ، كما ورد في هدى سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

في موسم الحج يظهر المسلمون بمظهر القوة
والعزة ، فهم جميعا بلباس واحد ، بنداء واحد ، في
مكان واحد ، يدعون لها واحدا .. وكل هذا
يشعرهم بأنهم قوة يخشى بأسها ، ويحسب حسابها ،
أنهم كما وصفهم القرآن الكريم [محمد رسول الله
والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم
ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ..] وان
قوى الشر من شياطين الانس والجن لمتلئى قلوبها
غيفا من مشهد هذا التجمع الاسلامى الكبير ،
وتحاول شياطين الانس ان تكيد للمسلمين بهدف
إضعاف قوتها ، وزعزعة ثقتها بنفسها ، كما حاولت
يفرس اسرائيل في قلب الامة العربية ، لتكون مصدر
داء دائم للعرب ولا علاج لهذا الداء الا بالحسم ،
وأخر الدواء النكى .. والشاعر العربى يقول
والشبر ان تلقه بالخير ضقت به
ذرها وان تلقه بالشر يتحسم

أما شياطين الجن فيصور غيظهم ما روى عن أحد
الانتقاء الصالحين الصادقين حيث قال : ان الشيطان
تراءى له في صورة شخص ياكى العين ، ناكل
الجسم ، اصفر اللون مقصوف الظهر فقال له التقى :
ما الذى يبكيك ؟ قال الشيطان ؟ خروج الحبيب الى
الله بلا تجارة ، فقد قصدوه وأخاف الا يخيبهم ،
فيحزننى ذلك ، قال : فما الذى أنحل جسمك ؟ قال
الشيطان : سهيل الخيل في سبيل الله ، ولو كانت في
سبيلى كان أحب الى .. قال : فما الذى غير لونك ؟
قال : تعاون الجماعة على الطاعة .. ولو تعاونوا
على المعصية كان أحب الى .. قال : فما الذى قصف
ظهرك ؟ قال : قول العبد لربه : أسألك حسن الخاتمة
أقول : ياويلتى ، متى يعجب هذا بعمله ؟ أخاف ان
يكون قد فطن .. ان الحاج يعتبر في ضيافة الرحمن ،
فهو بعين الله التى لا تغفل ولا تنام ، يحوطه برعايته ،
ويلحظه بعنايته ، وينزل عليه سحائب رحمته ،
ويناديه : عبدى أقبل الى ساحتى ، فمن أقبل على
كفيتة أمره كله .. وأنعمت عليه بنعمى الظاهرة
والباطنة ، حتى يأتى اليوم الجامع العظيم يسوم
الوقوف بعرفة ، حيث يلتقى أبناء الاسلام كل عام في
هذا المؤتمر الاسلامى العالمى ، فيزدادون تعارفا فوق
التعارف ، ويضيفون تألفا الى التآلف ، ويزكون
أنفسهم ، ويطهرون قلوبهم ، ويستغفرون ربهم ،
وينادون خالق الأرض والسموات كل بلغاته ولهجاته ،



مت أسرار الحج وآداب الزيارة

الحج احدى القواعد التي
أقيم عليها بناء الاسلام ، لرغبة
قوية في ربط الامة الاسلامية
برباط أخوي متين .
وما أجمل حكمة الله تعالى
أن فرضه على من يستطيع اليه
سبيلا مرة واحدة في حياته ،
درءا لرحلة شاقة لا يطيقها من
يقيم في مجاهل العالم وأطراف
المعمورة كل عام ، ولأن « مكة »
لا تقسم لجموع تفوق الملايين ،
ولأن الدين يسر ، ما جعل الله
على المسلمين فيه من حرج .

استاذ عبدالمعطي اسماعيل عبادة

١- من أسرار الحج

وقد أودع الله أعماله أسراراً وحكماً ليس وراءها
مطمح لناظر ، ولا زيادة لمستزيد .

١- فالإحرام :

بمنزلة التكبير الأولى للصلاة ، به يطرح الحاج
زخارف الدنيا ومباهجها ، ومشاهي نفسه ، لأنها لا
تتفق وذل العبودية في مقام الابتهاال والضرعة .

٢- والتلبية :

اجابة لنداء رب العالمين الذي أمر خليله سيدنا
ابراهيم عليه السلام بقوله جل شأنه : « وأذن في
الناس بإحج يأتوك رجالاً ، وعلى كل ضامر يأتين من
كل فج عميق » .

٣- وطواف القدوم :

تعظيم لشأن البيت ، وتقويه به ، وتحية له . وليس
المراد بالطواف حركات الاجسام ، ولكنه طواف القلب
حول بيت الرب . وما أشبههم في ذلك بالملائكة
الحافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم .

٤- واستلام الحجر الأسود

، بمباينة المولى على الطاعة . وفي ذلك قوله صلى
الله عليه وسلم : « الحجر الأسود يمين الله عز وجل
في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل
أخاه » .

قال أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » - وقد
قبله : « انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا
أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما
قبلتك » ، وبكى حتى علا نحيبه . ثم التفت
فراى « علياً » كرم الله وجهه ، فقال : « يا أبا الحسن
ههنا تسكب العبرات ، وتستجاب الدعوات »
فقال « على » رضى الله عنه : « يا أمير المؤمنين ، بل

هو يضر وينفس قال « عمر » : « وكيف ؟ »
قال « علي » : « ان الله تعالى لما أخذ الميثاق على
الذرية كتب عليهم كتابا القيمه هذا الحجر ، فهو يشهد
للمؤمن بالوفاء ، ويشهد على الجاحد بالجدود » .
ومعنى هذا الدعاء عند استلامه يؤيد ما قيل : « اللهم
أيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعاً
لسنة نبيك » .

٥ - والسعي بين الصفا والمروة :

يضاهي ذهاب العبد وجيئته مرة بعد مرة بفناء
سيده ، مخلصاً له في خدمته ، راجياً رعايته بعين
رحمته . وفي هذا السعي تذكير بالسيدة « هاجر »
زوج الخليل « ابراهيم » عليه السلام ، فقد ظلت تسعى
بين « الصفا » و « المروة » وطفلها « اسماعيل » في
مكان « حجر اسماعيل » .

٦ - حتى منح الله آل « ابراهيم » « بئر زمزم » :

فكانت لهم بركة ، وللناس شفاء ، فقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « ماء زمزم لما شرب له »
وقال : « انها طيه مبركه ، انها صم - صم - من
تناوله ، وشفاء بقم : . الطعم : ما يشتهي . فاشرب
ايها الحاج من هذه البئر صباح مساء كما كان يفعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
تتضلع « تمطلى » قائلًا : « اللهم انى اشرب
ماء زمزم » لظما يوم القيامة ، اللهم فارونى ، اللهم
انى اشربه لتغفر لى ، اللهم فاغفر لى ، اللهم انى
اشربه مستشفيا به من مرضى ، اللهم فاشفنى » .

٧ - والوقوف بعرفات :

لاستنزال الرحمت ، فلاجتماع المسلمين من انحاء
المعمورة كافة في مكان واحد وزمان خاشعي القلوب ،
حاسري الرؤوس ، عراة الاجسام الا من رداء وازار
مناجين الله ، لاثنين بحماه ، مهللين ، مكبرين له اثره
الفعال في انتشار الروحانية واستجابة الدعاء ، فهو
أولى أيام الحج بالجلال ، وعظمة وقفته أفعال أثر في
النفس من أية عظمة .

ليس هو الذى نزل فيه قول الله الكريم : « اليوم
أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم
الاسلام ديناً » ؟
وقد قال فيه الرسول الجليل : « الحج عرفة » .
وفي أصيل هذا اليوم المشهود بجأر الحجيج الى الله
وحده في تضرع واستغاثة :

« اللهم اليك خرجنا ، وبفنائك انخنا ، واياك
املنسا وما عندك طلبنا ورحمتك رجونا ومن
عذابك أشفقنا ، وبأثقال ذنوبنا الى ساحة عفوك
لجأنا ، ولييتك الحرام من بلادنا النائية حججنا ،
ضجت اليك الاصوات بصنوف اللغات ، يامن يملك
حوائج السائلين ، ويعلم ضائير الصامتين ، ويحيب
دعاء المضطرين ، يامن لا يزداد على متابعة السؤال
الا جودا وتفضلا ، وعلى الإلحاح فى الدعوات الا

اجابة وتقبلا . ربنا أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا
ونحن فقراؤك فتصدق علينا ، ربنا أوصيتنا أن نعوذ
عن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا ، اللهم ان لكل
ضيف فرى ونحن ضيفك فاجعل قرانا منك الجنة ،
يامن لا يتغله شأن عن شأن ، ولا سمع عن سمع ، ولا
تشبه عليه اللغات ، ولا تختلف لديه الاصوات ارضنا
برد صفحك وأنقنا حلوة مناجاتك ، وأخرجنا من
ذل المعصية الى عز الطاعة ، ربنا لا تجعله آخر عهدنا
بهذا الموقف ، واكتب لنا سعادة اللقاء فيه ما أيقنتنا ،
ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » .

٨ - والوقوف بالمشعر الحرام :

لحمد الله تعالى بعد أن من علينا وأنعم ، وللشكر
له على ما هدى وكرم . قال تعالى : « فإذا أفضتكم
من « عرفات » فاذكروا الله عند « المشعر الحرام »
وانكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين » .

٩ - وفي المبيت بالمزدلفة :

رأفة بالحجاج بعد أن ظلوا يومهم متعبين ، ولما كان
الدين يسرا لم يكلفوا الذهاب الى « منى » ليلا ، لأن
ذلك يشق عليهم .

١٠ - والاقامة بمنى :

يومين أو ثلاثة ، لاعلاء شوكة الاسلام ، واطهار
عظمته ، اذ تتدفق جموع المسلمين الزاخرة الى هذا
البلد المشرق - وقد أدوا معظم أعمال الحج - ليقيموا
به أياما معدودات ذاكرين الله ، مرتلين القرآن
الكريم ، ناعمين بالعيد وبما نالوا ، قال
تعالى : « واذكروا الله فى أيام معدودات ، فمن تعجل
فى يومين فلا اثم عليه ، ومن تأخر فلا اثم عليه لمن
اتقى » .

فانه لما اشرف الاسلام استبدل المسلمون
باجتماعات العرب الاثمة كل عام اجتماعات طاهرة
يذكر فيها اسم الله ، ويسبح بحمده على ما أولى من
نعمة الحج ، وتوفيق ورضوان .

١١ - وفي رمى الجمار :

امتثال لأمر الله ، وتقصيم ظهر الشيطان بهذا
الامتثال وسلوك سنة سيدنا « ابراهيم » عليه
السلام ، فقد قيل : « انه رمى الشيطان بالحصىات فى
أمكنة الجمار ، طرداه ، وقطعا لاماله » .

١٢ - النحر :

وفي نحر الذبائح تقرب الى الله جل شأنه ،
وامتثال لأوامره بالعطف على الفقير والمسكين .
قال جل شأنه : « والبدن « الايل » جعلناها لكم من
شعائر الله : لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها
صواف ، فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها . وأطعموا
القانع والمعتز « السائل » كذلك سخرناها لكم لعلكم

تشكرون ، لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن
يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم ، لتكبروا الله
على ما هداكم وبشر المحسنين » .

١٣ - الحلق والتقصير :

في الحج كالسلام في الصلاة . وهو للخروج من
الاحرام بشيء محلل لا ينافي الوقار ، ولا لالة الشعث ،
والغبار ممن يريد الدخول على مولاه في :

١٤ - طواف الإفاضة :

لشكر الله على ما أفاض ، وللاستئذان في
الرحيل ، قال جل وعلا : « ثم ليقصوا تقههم ، وليوفوا
نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق » .

١٥ - طواف الوداع :

هو كتوديع الوفود ملكهم عند ازماعهم العودة .
وبه و « بطواف القدم » يتضح أن المراد إنما هو تكميم
البيت واكباره . وقد كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلما رأى البيت يرفع يديه قائلا : « اللهم زد هذا
البيت شريفا ، وتكريما ، وتعظيما ، ومهابة ، وزد من
شرفه ممن حجه واعتمره » زاره ، تشريفا ، وتكريما ،
وبرا » .

من آداب الزيارة

١ - زيارة مدينة الرسول المنورة :

وهي البقعة المطهرة المشرقة ، اختارها الله لرسوله
بديلا عن مقر نشأته ، وجعل اليها غاية هجرته ، ظلت
فترة من الزمان سعيدة بحياة نبوته ، يؤدي للحق
رسالته ، وينشر لاسعاد العالم سنته ، ويهبط اليه فيها
ملك كريم بمحكم التنزيل الحكيم ، يدخلها الحبيب
بسلام آمنين ، مترجلين ، متطيين ، مكثرين من ذكر
الله والصلاة والسلام على سيد الخلق الامين ،
قائلين : اللهم ان هذا حرم نبيك فاجعله لي وقاية من
النار ، اللهم اني اسالك الثبات في الامر ، وعزيمة
الرشد ، وشكر النعمة ، وحسن العباداة ، وأسألك
يامولاي من خير ما تعلم ، وأستغفر مما تعلم ، انك
أنت علام الغيوب » .

٢ - المسجد النبوي :

الذي قال في فضله رسولنا عليه أفضل الصلاة
والتسليم : « صلاة في مسجدي المدينة بعشرة آلاف
صلاة » .

فاقصد اليه الزائر السعيد في وقار وسكينة ،
مقدما رجلك اليمنى في الدخول قائلا : « باسم الله
وعلى ملة رسول الله ، رب أدخلني مدخل صدق ،
وأخرجني مخرج صدق ، اللهم صل على سيدنا محمد
وعلى آل سيدنا محمد ، واغفر ذنوبي ، وافتح لي
أبواب رحمتك » .

٣ - الروضة :

وهي ما بين منبره الشريف وقبره ، فصل فيها

ركعتين تحية المسجد ، وادع بعدهما بما تشاء .

٤ - حجرة الرسول الكريم :

ثم توجه في خشوع الى حجرة الرسول الكريم
الذي أتى عليه مولاه فقال :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

٥ - أمام المقصورة الشريفة :

قف هنا خاشعا امام عظمة خير خلق الله وأرج
من الله سبحانه عظيم شفاعته ، خافضا من طرفك ،
غاضا من صوتك ، ماثلا بين يديه ، مخاطبا روحه
الظاهر الشريف ، ذاكرا قول الله تعالى : « ان الذين
يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم » .
أقائلا : « السلام عليك أيها السيد الكريم ،
والرسول العظيم ، والرؤوف الرحيم ورحمة الله
وبركاته ، واسكت قليلا بمقدار الجواب منه صلوات
الله وسلامه عليه ، ثم أعد هذا السلام ثانية وثالثة ،
ثم قل : « السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك
ياصفوة الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام
عليك يا شفيع المؤمنين ، السلام عليك يا امام المتقين ،
السلام عليك يا رحمة العالمين ، أشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له ، وأنت عبده ورسوله ، وأنت قد
بلغت الرسالة ، وأديت الامانة ، ونصحت للامة ،
وكشفت الغمة ، ونظمت بالحكمة ، صلى الله عليك
وعلى آلك واصحابك ، اللهم آتة الوسيلة ، والمفضلة
والدرجة الرفيعة ، وابعثه اللهم المقام المحمود الذي
وعده ، اللهم صل على سيدنا « محمد » عبدك ونبيك
وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا « ابراهيم »
وعلى آل سيدنا « ابراهيم » في العالمين أنك حميد
مجيد ، ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع
الشاهدين » .

٦ - الميلا على رفيقي رسول الله :

ثم تحول الى اليمين قليلا حتى تحاذي رأس رفيق
رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه
وقل السلام عليك يا خليفة رسول الله السلام عليك
يا صاحبه في الغار ، السلام عليك يا أمينه على الأسرار ،
جزاك الله عن أمة محمد أوفى الجزاء » .

ثم تحول الى اليمين قليلا حتى تحاذي رأس أمير
المؤمنين « عمر الفاروق » وقل : « السلام عليك يا أمير
المؤمنين ، السلام عليك يا ثاني خلفائه الراشدين ،
السلام عليك يا من كفلت الايتام ، ووصلت الارحام ،
وقوى بك الاسلام ، جزاك الله عن أمة « محمد » خير
الجزاء ، ورضى الله عن بقية الخلفاء ، وعن الصحابة
أجمعين » .

ثم استقبل القبلة ، وادع الله تعالى بما تشاء لك
ولو اليك وآلك وسائر المسلمين .

لما قاربت الإنسانية أن تبلغ
رشدتها ، ويكتمل وعيها
وصار في استطاعة شعوب
مختلفة الاجتماع على التفاهم
والود والمحبة في صعيد واحد ،
أمر الله تبارك وتعالى خليله
إبراهيم - عليه السلام - ببناء
أول بيت مقدس يحج إليه الناس
جميعا ، فنفذ سيدنا إبراهيم
الأمر بمؤازرة ولده إسماعيل
عليهما السلام : « وإن يرفع
إبراهيم القواعد من البيت
وإسماعيل ، ربنا تقبل منا أنك
أنت السميع العليم » .

وعندما أثمرت طهارة القلوب ، وقداسة المبدأ ،
والإيثار ، والتطلع إلى الحياة الإنسانية المثلى في
الاجتماع على العقيدة الصحيحة ، أمر الله تبارك
وتعالى إبراهيم عليه السلام بتطهير الكعبة من رجس
الشرك والوثنية والأصنام التي كانت تعبد من دون الله
عز وجل ، وقد هاجر إلى « الجزيرة العربية » لهذا
الهدف « وإن بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي
شيئا ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع
السجود » .

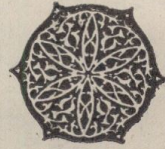
وبعد أن تم بناء البيت الحرام وتشيدته وأعداده
لجمع كلمة الناس على عبادة الله الإله الحق .
وتوحيد صفوفهم في ظل العقيدة الصحيحة أمر الله
تبارك وتعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام أن ينادى
الناس جميعا من كل جنس ولون ، معلنا دعوتهم
لزيارة هذا البيت : « وأذن في الناس بالحج ياتون
رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » قال
قتادة : لما أمر الله عز وجل إبراهيم أن يؤذن في
الناس بالحج نادى : يا أيها الناس : إن الله عز وجل
بنى بيتا فحجوا .

والاستجابة لهذا النداء الرباني لحضور هذا
المؤتمر العام واجبة على المسلمين : ليحل الاتحاد
محل الاختلاف ويتحول الحقد إلى ود وإخاء .

ولقد كان فرض الحج في السنة الخامسة أو
السادسة من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه
عليه ، ليكون مظهرا من مظاهر المساواة بين المسلمين
ورمزا خالدا لاتحادهم ، وملجا رجبا لمواساتهم
وتراحمهم ، وملذا قدسيا لتزكية نفوسهم ، وشعاعا
وضاء لانارة بصائرهم وضمائرهم ، ومتوجها خالصا

الحج

أظهر اجتماع
إنسان
مقدس



الإسلام محمد ربهما هنيئ عبيد المتجلى

وليس هناك شك في أن قيمة المنافع الروحية هي توجيه الناس جميعا إلى توحيد الله وعبادته دون سواه ، من الملائكة ، والأرواح ، والجن ، والشياطين ، والحيوانات ، والاصنام وغير ذلك . وهذا الاجتماع السنوي ضمان لأعظم وحدة اجتماعية ، وإخاء ومحبة وسلام ، فليس هناك سوى معبود واحد كلهم لبوا دعوته ، وأقروا له وحده بالنعمة ، ودانوا له وحده بالطاعة .

وفي مناسك الحج يندحر الشرك وتهزم الوثنية ، وتتطهر العقائد من الدنس ، ويعلم الجميع أنها شيء كلها ولا خير فيها .

وفي مناسك الحج تفحات وتجيلات من المولى تبارك وتعالى ، وغفران للذنوب ، وأجابة للدعاء ، ورفع للدرجات واستمطار لرحمة الله عز وجل .

وفي مناسك الحج ينتصر الإيمان على الكفر ، ويتغلب الخير على الشر ، والعلم على الجهل ، وتصفو النوايا وتتصافح القلوب .

ويتجلى انتصار الإيمان على الكفر بطريقة عملية في رجم الانصاب في « منى » وهذه سنة متبعة من أيام خليل الله إبراهيم عليه السلام ، فقد حطّمها في مدينة « أور » ثم رجمها في « منى » حين تراءى له الشيطان حولها ، ولا يزال الحجاج يرجمونها في « منى » إلى وقتنا هذا .

وقد لمس العرب بطلان عبادة الاصنام من قديم يوم رجمها إبراهيم عليه السلام في « منى » وهو يقول عند الرمي بكل حصاة : « الله أكبر » ، ويتضح حذره من الشرك والوثنية في دعائه الذي أخبر الله تبارك وتعالى عنه بقوله : « وأذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبنني وبني أن نعبد الاصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس . فحين تعينى فإنه منى ومن عصاني فأنت غفور رحيم » ولا يزال الناس يلმسون إلى اليوم بطلان عبادة الاصنام كلما رجمها الحجاج .

ولا شك أن الاحساس بتوحيد الله عز وجل ، ونيزد الاصنام وعبادتها يتجلى أكبر ما يتجلى من الناحية النفسية عند الحجاج حين يكفرون بها عمليا برجمها في « منى » ، هنا يستشعرون عظمة الله تبارك وتعالى في قلوبهم ، وأنه الخالق لكل شيء ، وليس كمثله شيء بعد أن تصغر في نظرهم الانصاب التي هي معاقل الشرك عندما يرجمونها وهم يهتفون « الله أكبر » ، ويتكرر هدم الوثنية بتكرار رجم الانصاب في كل عام ، ويوم النحر يرجم نصب « العقبة » أكبر الانصاب التي ترجم في الحج ، وهو النصب الوحيد الذي يرجم في ذلك اليوم ، أما بقية الانصاب فترجم في أيام التشريق الثلاثة ، ومن تعجل في يومين فلا حرج عليه ، ولا يشك انسان مثقف له دراية بعلم النفس في أن رجم

□ ١٢١ □

إلى بارئهم ورائقهم ، ليتجلى عليهم بنعمائه ، ويعمهم ببركاته وخيراته ، ويشملهم باحسانه وتجلياته ، ومثابة وأمانا يؤويون إليه كل عام لاداء مناسكهم والتحرر من ذنوبهم وآثامهم ، والتجرد من زخارف الحياة الدنيا ، وتطهير قلوبهم بذكر الله تبارك وتعالى الذي يذكره تطمئن القلوب ، ورفع نفوسهم عن اللغو والرفث والفسوق والجدل ، وليكبروا الله عز وجل ويشكروه على ما وفقهم إليه وهداهم ورزقهم وأولاهم ، وليشهدوا منافع لهم في دنياهم وآخرهم .

إن الحج ركن عظيم من أركان الاسلام ، ودعامة قوية من دعائمه ، فرضه المولى تبارك وتعالى على المكلف المستطيع تأديته ، وطلب أيضا من الشيخ الطلعن في السن ومن الطفل الرضيع ، قال سبحانه جل شأنه في كتابه الكريم : « أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » وقال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « يا أيها الناس : إن الله كتب عليكم الحج فحجوا » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لقي بالروحاء رجبا فقال : « من القوم ؟ » فقالوا « المسلمون » ، ثم قالوا : « من أنت ؟ » فقال : « رسول الله » فرفعت إليه امرأة صبيا فقالت : « ألهذا حج ؟ » قال : « نعم ولك أجر » .

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن الحج أفضل من الصلاة والزكاة والصوم ، مستدلين على ذلك بما روى عن ماعز التميمي أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أي الأعمال أفضل ؟ » قال : « إيمان بالله عز وجل وجهاد في سبيله » ، ثم أرعدت فخذ السائل ، ثم قال : « ثم مه ؟ » قال : « ثم عمل أفضل من سائر الأعمال إلا كمثل ، حجة بارة ، حجة بارة » وبما روى عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

إن الله تبارك وتعالى قد أوجب الحج مرة في العمر على التراخي لتعرض جماعات من الناس كل عام لنفحات الله عز وجل ورضوانه ، ولم يكن وجوب حج بيت الله الحرام عبثا ، بل هو لمنافع منشودة في كل النواحي المادية والروحية : « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات » .

وهذه المنافع عامة واسعة ، تتناول الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وسائر الجوانب التي تقدر وحدة المسلمين ، وتشعرهم بأنهم جميعا جسد واحد ، كل أمة أو جماعة تمثل عضوا فيه ، تستمد منه كيائها ويقوم وجودها عليه .

للملائكة يوم عرفة : « انظروا الى عبادى ، اتوبى شعثا
غيرا ضاحكين من كل فج عميق . أشهدكم انى قد غفرت
لهم » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم بمنى اذ اقبلت طائفة من
اليمن ، فقالوا : فداك الامهات والاياء ، اخبرنا
بفضائل الحج قال : بلى ، أى رجل خرج من منزله
حاجا أو معتمرا فكلما رفع قدما ووضع قدما تأثرت
الذنوب من بدنه كما يتناثر الورق من الشجر ، فاذا
ورد المدينة وصافحنى بالسلام صافحته الملائكة
بالسلام ، فاذا ورد ذا الحليفة واغتسل طهره الله من
الذنوب ، واذا لبس ثوبين جديدين جدد الله له من
الحسنات ، واذا قال لبيك اللهم لبيك أجابه الرب عز
وجل : لبيك وسعديك ، اسمع كلامك وانظر اليك .
فاذا حل مكة وطاف وسعى بين الصفا والمروة وصل
الله له الخيرات ، فاذا وقفوا بعرفات ، وضجت
الاصوات بالحاجات باهى الله بهم ملائكة سبع
سموات ، ويقول : ملائكتى وسكان سمواتى ، أما
ترون الى عبادى اتوبى من كل فج عميق ، شعفا غيرا
قد انفقوا الاموال ، واتعبوا الابدان ، فوعزتى وجلالى
وكرمى لاهبن مسيئهم بمحسنهم ، ولاخرجهم من
الذنوب كيوم ولدتهم امهاتهم . فاذا رموا الجمار
وحلقوا الرؤوس وزاروا البيت ، نادى مناد من تحت
بطن العرش ، أرجعوا مغفورا لكم واستأنفوا
العمل » .

ان الانسانية لن تشعر بسعادة وصفاء ونقاء مثل
ما تشعر به فى هذا الاجتماع السنوى العظيم الذى
يحقق المحبة واللفة والمودة بين الناس فى ظل العقيدة
الصحيحة .

ومن اسرار الحج العظيمة ومنافعه التى لا يحصىها
العد ، هذه الواجبات المشروعة فيه ، والتى تبنى
الانسان المسلم حقا ، قال المصطفى صلوات الله
وسلامه عليه : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من
ذنوبه كيوم ولدته امه » .

ان كل مولود يولد على الفطرة ، بعيدا عن الاحقاد
والخبائث والمنكرات ونزعات الشر الباطلة ، وهذا هو
ما يقصد غرضه فى النفوس بفريضة الحج ، لذا اوجب
الله تبارك وتعالى علينا الحج مرة فى العمر ليقم بيننا
الود والاخاء .

ان الحج تعويد للمسلم على الحياة الجادة ،
وتربية لقيمه المساواة ، وهو نوع من السلوك ولون من
الوان التدريب العملى على مجاهدة النفس من اجل
الوصول الى المثل العليا ، والقيم السامية التى
يتشدها الانسان الفاضل فى هذه الحياة .
فهنيئنا لمن وفقه الله عز وجل الى أداء هذه
الفريضة ، وهيا السبيل لكل مسلم وأعانه على القيام
بأداء هذه الفريضة الجليلة العظيمة .

الانصاف فى معالقتها هو تكدير بان الله تبارك وتعالى
واحد لا شريك له فى ملكه وسلطانه .

وقد قام وحى السماء منذ فجر التاريخ الى أن
بلغت البشرية رشدها على توجيه نفوس الناس الى
العقيدة الصحيحة ، وافراد الله عز وجل بالعبادة ،
والتضرع والتوجه اليه دون سواه بالدعاء ، ولا خلاف
بين الشرائع السماوية فى حقيقة الايمان ، ولكنها
تختلف فى اعمال الجوارح . وذلك راجع لاختلاف
البيئات والظروف البشرية ، ولا ضير فى ذلك ، فإله
تبارك وتعالى هو الذى أنزل الشرائع كلها وكلها
متجهة اليه ، وفى مناسك الحج شرع الله عز وجل لنا
جميع العبادات التى وردت فى الشرائع منذ عهد
ابراهيم عليه السلام الى عهد نبينا ورسولنا محمد
صلى الله عليه وسلم ، حتى يكون الحج جامعاً لأنواع
العبادات البدنية ومظهراً للاخاء والتواصل .

فنحن نجد فى مناسك الحج التجرد عن المخطط ،
والاكتفاء بالازار والرداء للرجال ، والطواف
بالكعبة ، والسعى بين الصفا والمروة . والاجتماع
الاكبر على عرفات الذى يضم جميع الحجاج ،
ولاهمية هذا الاجتماع العظيم يبطل حج من لم يدركه
قبل غروب شمس يوم عرفة ، ونجد فى الحج توحيد
وقت الافاضة من عرفات ، وتوحيد حدود الحرم ،
وقت ذبح الاضاحى وغير ذلك ، فالحج يعتبر عرضاً
لأنواع العبادات فى جميع الشرائع ، وتظهر فيه وحدة
الوحى السماوى الذى يدعو الى تقديس الله تبارك
وتعالى وحده وعبادته دون سواه . فيه قيام الناس
بين يدى الله خاشعين مخلصين له الدين ، وفيه منافع
لهم واجتماع على الخير ، قال الله تعالى : « ليس
عليكم جناح ان تبغوا فضلاً من ربكم ، فاذا افضتم من
عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه
كما هو لكم وان كنتم من الضالين . ثم افيضوا
من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور
رحيم » ، و « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى
ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا
منها واضعموا اليانس الفقير ، ثم ليقصوا نقبهم
وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

وليس هناك اجتماع على وجه الارض فى نقاء
اجتماع الحج وطهارته وصفائه ، انه اجتماع منزه عن
شوائب الحقد والبغضاء ، والاثرة والجدال والخصام
والنوايا السيئة : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض
فيه الحج فلا رفت ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما
تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد
التقوى ، واتقون يا اولى الالباب » .

والحج الذى يرجع منه الحجاج مغفورا لهم
كيوم ولدتهم امهاتهم ، والذى يباهى فيه الله عز وجل
الملائكة بمن لبوا دعوته وتحملوا ما تحملوا من مشاق
السفر لهو الحج المبرور ، يقول المولى تبارك وتعالى

بيت الله الحرام

مكة المكرمة :

اشتهرت البلد الحرام وموطن القبله ومولد الرسول بهذا الاسم
وفى التنزيل [وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم بيطان مكة
من بعد ان اظفركم عليهم] .. ومكة كما فى القاموس من مكة وامتكة
وتمكة وتمكة نصه جميعه .. ومكة اهكلم ونقصه ومنه مكة للبلد
الحرام او للحرم كله لانها تنقص الذنوب او تغنيها او تهلك من ظلم
فيها .. ! هـ ..

الأستاذ طه مبرور روف

مركز مكة الديني :

تضرب مكة فى القدم الى ابراهيم — صلوات الله
وسلامه عليه وهى قصة البلاد الحجازية ولم يكن
ياوى أحد قبل ابراهيم وابنه اسماعيل لانها واد غير
ذى زرع اللهم الا العماليق والهكسوس فقد كانوا
يسكنون الحبوب فى شمالى مكة ثم جاؤوا اسماعيل
وامه لما اتاح الله لهما بشرزمم وكان ابراهيم يختلف
اليهما من حين لآخر اذ كان يسكن فلسطين ثم أمره
الله ان يبنى البيت الحرام ويجعله [مصلى]
[وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى
للتعبد والى الكافرين والركع السجود]

[واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق
اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال
ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار
وبئس المصير واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت
واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا
مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا

□ ١٢٣ □

وتسمى أيضا بكة ومنه قوله تعالى [أن أول بيت
وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين] وفى
القاموس أيضا فى مادة « بك : ومنه بكة لمكة أو لما
بين جبلها أو للمطاف لدقتها أعناق الجبابرة أو
لأزدحام الناس بها قال : وتبارك تراكم والقوم —
أزدحموا وهذه كلها معان متقاربة وتسمى بالبلد من
غير وصف قال تعالى [لا أقسم بهذا البلد وأنت حل
بهذا البلد] أو بالوصف مثل قوله تعالى يقسم ببعض
الأمكن التاريخية التى لها أثر فى الأديان [والتين
والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا
الإنسان فى أحسن تقويم] .

وتوصف بأنها واد غير ذى زرع قال تعالى حاكيا
على لسان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه قال :
ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند
بيتك الحرّم] وهكذا تتعدد الاسماء وتعداد الاسماء
دليل على شرف المسمى كما يقال « وسى أيضا أم
القرى قال تعالى [وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا
لنتذّكر أم القرى ومن حولها]

ويتخطف الناس من حولهم [وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرماً آمناً]
يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لَدُنَّا]

وكانوا يحكم مركزهم الدينى محترمين لا يتعرض لهم أحد بسوء فى حلهم وترحالهم فزكت تجارتهم واتسعت مواردهم واشتدت بها عنايتهم .

أثر هذه الأحوال فى لغة قريش :

مركز مكة الدينى والسياسى والتجارى الذى رفعها الى مقام الزعامة فى الامة العربية جعل للفتى الزعامة على لغات العرب أيضا فالعرب الذين كانوا يؤمنون مكة فى المواسم ويختلطون بأهلها ثم ينقلون الى ديارهم والخائفون الذين كانوا يجلسون الى حمايتها فيكون لهم منها الملاذ الاعلى والحمى المنيع والتجسار الذين كانت تسبل باعناق مطيهم الاباطح غادين رانحين كل أولئك ما كانت مهنتهم لتقتصر على ما اليه قصدوا بل كانوا غوق ذلك يخرجون فى مدرسة مكة اللغوية فتتقف السننهم وتصفل لهجتهم وتنهدب لغتهم فاذا رجع أولئك البعوث الى أقوامهم رجعوا بفضل كبير وتجديد فى لغتهم عظيم ذلك أن لغة مكة كانت هى المثل الاعلى للغاتهم لما علمت من مكانتها الدينية والسياسية والتجارية تلك المنزلة التى مكنت لأهلها أن يختلطوا بكل القبائل فأخذوا احسن ما عندها من الفاظ فيها كثير من الحوشى أو المبتذل أو الغريب الذى يكد لغتهم ويجهد الخاطر . هذه العملية عملية المحو والاثبات فى لغة قريش أو عملية التهذيب والتصنيف المتكررة جعلتها سهلة المنطق خفيفة على السمع حسنة الجرس فكانت المثل الاعلى للغات العربية وكانت لها عليها فضل الاستاذية فلا عجب أن كانت هذه المنزلة فى الجاهلية مرشحة لها أن تكون سيده اللغات فى الاسلام نزل بها القرآن فجعلها لغة الدين والعلم الى اليوم .

هذه كلمة عن مكة قبل الاسلام نسوتها عن مولد فخر الكائنات محمد بن الله بن عبد المطلب الذى ولد ونشأ وبعث فيها حيث فضلها الله تعالى عن كل البلاد كما فضله على كل العباد والله سبحانه وتعالى ان يفضل من خلقه ما يشاء فيفضل بعض الأزمنة والامكنة والاشخاص على غيرها لمزايا يختص بها من يشاء وهو العليم الحكيم .

نسأله تعالى أن يجعلنا من خدام دينه الناشئين للوائه المجددين لشبابه الزائدين عن حماه المقتنين أثر رسوله الواقفين بأعتابه أن لا يرد من قصده ولا يغلق بابيه دون من لجأ اليه .

وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم أنك أنت العزيز الحكيم .

فلما أتيا بناءها أمر الله ابراهيم أن ينادى الناس ليخرجوا هذا البيت ويقصدوه بالعظيم [وأذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم] وبالبلاغة فى البشارة الموجزة الجامعة [ليشهدوا منافع لهم]

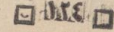
مركز مكة السياسى :

حان يحكم مكة اسراف مجاوروا البيت الحرام وكانوا يقولون خدمة البيت وقاصديه فكانوا يحكم مركزهم الدينى مهيئين فى عيون الناس لا تقطاول اليهم العميون ولا تنال منهم انظنون لا يحاربون ولا يحاربون من دخل بلدهم كان آمنا حتى لقد يلتقى الرجل قاتل ابيه أو ابنه أو اخيه وهو بالحرم فلا يرفع له راسا ولا يضر له شرا احتراما للبيت الحرام والبلد الحرام لهذا هرع الناس من كل فج الى مكة يطوفون حول الكعبة ويسعون بين الصفا والمروة ويبسوس الحجر الاسود حيث يمثلون الطاعة والاقرار بالعبودية لله ويؤدون مناسكهم آمنين مطمئنين وأمنها الوقوف بعرفات وهو أشبه بمؤتمر عام وهناك كانوا يختلطون ويتزاحمون على اختلاف لهجاتهم وتباين قبائلهم .

مركز مكة التجارى

لا عجب أن يكون بلد كمكة قبلة العرب ومغفرهم وملاذهم ومتابعتهم الحركة فيها لا تنقطع ورحلة اليها دائمة لا تمتنع تضرب اليها آباط الابل يستحثها السوق اليها وتساق اليها القوافل فلا يرثى لها من حزن أو كلاله حتى تصل الى غايتها لا عجب أن تكون سوق التجارة فيها نافعة وصفقتها رابحة غير خابرة وإذا كان رواج التجارة أو كسادها يرجع الى ما يسمى « بالعرض والطلب » فان تجارة مكة لا يتطرق اليها الكساد والبوار بل يفنم كل من يؤمها للحركة الدائبة فيها ولركزها الجغرافى الذى جعلها بحاجة دائمة الى مدد غيرها ناهيك بالالوف التى كانت تغد اليها من الرحلات المتعددة شتاء الى اليمن وصيفا الى بصرى وحوران وربما ضربوا الى الحبشة وفارس كل أولئك جعل لها مركزا تجاريا ممتازا . فكانت عنايتها بالتجارة تفوق كل عنائية وكان شرفائهم وذو المكانة فيهم يتقدمون صفوف القوافل الغادية والرائحة بين مكة والبلدان التى لها معها علاقة تجارية ولذا أنزل الله فيهم سورة أبانت عن حرصهم على التجارة وعنايتهم بها وسميت باسمهم :

[لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف] [أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً]



الوصية الدائمة والمسئولية الكبرى

أبرز آيات صلح عزام

في أيام الحج .. وفي ذكرى
تجمع مئات الألوف من مسلمي
العالم .. تبرز الوصية الدائمة
التي ضمنها سيد الخلق وهادي
البشر عليه الصلاة والسلام .. في
خطابه الأخير .. ومما جاء
فيها .. وكلها هامة ومهمة

وابلاغها .. وهم الذين تفقهوا في الدين .. والذين
عرفوا معالم القرآن الكريم .. واشتهروا بين العالمين
بأنهم من مسئولى الدعوة الإسلامية ..
هؤلاء .. كما سبق أن ذكرنا .. يجب أن يكونوا
نموذجاً وحده .. في القدوة .. يتأسون بالعلم
الإسلامي .. ويقتدون بسيد الخلق صلوات الله
عليه .. خلقاً ، وعملاً ..
وذلك سنة الحياة لتستقيم [قولوا نفر من كل فرقة
منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا
رجعوا اليهم لعلهم يحذرون] ..
● ولأن لهؤلاء مكانة كبرى عند الله .. فقد
تضاعفت مسئوليتهم إزاء الوصية المحمدية .. فهم
[.. والراسخون في العلم] .. وهم الذين عنيتهم
الآية الكريمة [أنها يخشى الله من عباده
العلماء] ..

● ولذلك فعليهم أن لا يخفوا شيئاً مما علمهم
الله .. وسيد الخلق صلوات الله عليه يقول [من
سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من
النار] ..

والحق تبارك وتعالى يقول في آياته « ان الذين
يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه
للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »
وقوله تعالى « أن الذين يكتُمون ما أنزل الله من
الكتاب ويشترُونَ به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في
بطونهم إلا النار »

● ويوم يؤدي كل دوره في الحفاظ على [شروط
الوصية] المحمدية .. صادقين مخلصين .. فستكون
بذلك أرجى للرحمة المحمدية .. والشفاعة المحمدية ..
وبالتالي نكون أمناء مع أنفسنا وأمام الله « فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » ..
و .. « ربنا لا تزعج قلوبنا بعد أن هديتنا وهب لنا
من لدنك رحمة أنت آت الوهاب » ..

أيها الناس إياكم وهذه الأهواء الضالة المضلة
البعيدة من الله تعالى والجنة والقريبة من النار .
وعليكم بالجماعة والاستقامة فانها قريبة من الجنة
بعيدة من النار .

● أيها الناس احفظوا سنتكم وابكوا عينكم ،
واخضعوا قلوبكم ، واتقوا أبدانكم ، وجاهدوا
أعداءكم ، وعمرؤا مساجدكم ، وخلصوا إيمانكم ،
وانصحوأخوانكم وقدموا لأنفسكم واحفظوا فروجكم
وتصدقوا من أموالكم ، ولا تحاسدوا فتذهب حسناتكم ،
ولا يغترب بعضكم بعضاً فتهلكوا .

● أيها الناس اسعوا في فكاك رقابكم واعملوا
الخير ليوم فقركم وفاقتكم .

● أيها الناس لا تظلموا فان الله هو الطالب لمن
جار وعليه حسابكم واليه إياكم . انه لا يرضى منكم
بالعصية .

و .. بعد ذلك .. قال سيدنا رسول الله عبارة
الوصية في ابلاغ كلامه ورسالته لمن يصله منها
شيئاً . ثم في محبة الانسان الكامل قال عبارته
الخالدة [انى قادم الى ربى وقد نعت الى نفسى
فاستودع الله دينكم وأمانتكم والسلام عليكم معشر
أصحابى وعلى جميع أمتى السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته] ..

و .. لتبدأ المسئولية الكبرى .. الملقاة على عاتق
المسلمين جميعاً كل بقدر مكانته من الدعوة المحمدية
ومدى حصيلته منها .. وذلك تأكيداً للوصية
المحمدية .. ونفاذاً لأمر الحق تبارك وتعالى .. بدليل
قوله تعالى [قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على
بصيرة أنا ومن اتبعننى] ..

وقوله تعالى [ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله
وعمل صالحاً وقال انننى من المسلمين : » .
ومن بعد ذلك الإيلاغ .. تكون طائفة من الامة
المحمدية .. مسئولة بالدرجة الأولى عن الدعوة



مكانة الحج والعمرة في الإسلام

فضيلة الشيخ عبد المنصف محمد عبد القناع

سم يرفعت ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه ، وروى أحمد والطبراني والبيهقي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » قيل : وما بره ؟ قال : اطعام الطعام وطيب الكلام ..

وسببه : البيت الحرام ، لانه يضاف اليه .. ولهذا لا يجب في العمر الا مرة واحدة ، لعدم تكرار السبب ، الا أن ينذر المرء فيجب عليه الوفاء بالنذر ، وما زاد فهو تطوع روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس كتب عليكم الحج فقام الاقرع ابن حابس فقال : أفى كل عام يا رسول الله ؟ قال : لو قلتها : لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولم تستطيعوا ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع رواه أبو داود والنسائي وأحمد ..

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله الحج في كل عام ؟ قال : لو قلت : نعم ، لوجبت ، ولو وجبت لم تقوموا بها ، ولو لم تقوموا بها لعذبتم » رواه ابن ماجه ..

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قيل : يا رسول الله الحج كل عام ؟ قال : لا .. بل حجة » قيل : فما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة ، رواه الدارقطني ..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلت : نعم ، لوجبت ولما استطعتم .. ثم قال ، ذروني ما تركتكم ، فإنما هتك من كان قبلكم ، بكترة سؤلهم واختلافهم على أنبيائهم .. فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه ، رواه مسلم في صحيحه ..

الحج لغة : القصد الى معظم ، وأصله من قولك : حجبت الشيء أحجه حجا : إذا قصدته : ويقال : حجبت فلانا أحجه : إذا عدت اليه مرة بعد أخرى .. ولذا قيل : حج البيت : لان الناس يأتونه كل سنة .. وشرعا : قصد البيت العتيق للزيارة والنسك على وجه التعظيم ، بأفعال مخصوصة ، في أشهر معلومة هي : شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة : استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته ، وطبعا في مغفرتة ، وحسن مثوبته .. قال الله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » آل عمران من الآية : ٩٧ .. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج لله

والامر متى قوله صلى الله عليه وسلم : « ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا » هل يقتضى التكرار أم لا ؟ اختلف الاصوليون فى ذلك على ثلاثة أقوال : ١ - لا يقتضيه ٢ - يقتضيه ٣ - يتوقف فيما زاد على مرة على البيان ، فلا يحكم باقتضائه ولا يمنعه ..

وهذا الحديث ، قد يستدل به من يقول بالتوقف ، لان الاقرع بن حابس سأل النبي صلى الله عليه وسلم مستفتيها مستوضحا فقال : اكل عام ولو كان مطلقة يقتضى التكرار أو عدمه ، لم يسأل ، ولاجابه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : لا حاجة الى هذا السؤال ، لان مطلق الامر محمول على كذا .. وقد يجيب القائلون بعدم الاقتضاء ، بأنه سأل استظهارا واحتياطاً ..

قال الماوردي : ويحتمل أنه انما احتمل التكرار عنده من وجه آخر ، لان الحج فى اللغة : قصد فيه تكراره فاحتمل عنده التكرار من جهة الاشتقاق لا من مطلق الامر ..

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ذرونى ما تركتكم » ظاهر فى أن الامر هنا لا يقتضى التكرار على سبيل الوجوب ..

حكمه : والحج فرض عين على كل مكلف حر مسلم مستطيع .. وهو أحد أركان الاسلام الخمسة التى بنى عليها ديننا الحنيف .. وفريضة محكمة : يكفر جاحداً ، وهى عبادة تنظم من الانسان قلبه ويده وماله ، وتعود عليه بخيرى الدنيا والاخرة ، حسبما قال الله تعالى : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » الحج : الآيات : ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ .. فقله تعالى « ليشهدوا منافع لهم » أى ليحضروا منافع لهم مختصة بهذه العبادة من أمور الدنيا والدين .. وقيل : المنافع : التجارة ، وقيل : العفو والمغفرة ، وعلى كل فهى عامة مطلقة تشمل كل ما ينفع الفرد والجماعة ، وما يصلح شأنهما ، لا سيما ، وأن الوقوف بعرفة : يعتبر اجتماعاً عالمياً .. ومؤتمراً دولياً ، للتعارف والتشاور ، وتبادل الخبرات والتجارب ..

واختلف فى وقت فرضيته فقيل : سنة ست بعد الهجرة ، لانه نزل فيها قوله تعالى : « وأنتموا الحج والمعرة لله ! البقرة من الآية : ١٩٦ .. وقيل : سنة تسع ..

وهل هو واجب بالنسبة للقادر المستطيع على الفور أو على التراخي ؟ قال أبو حنيفة ومالك وأحمد وأبو يوسف وبعض أصحاب الشافعى والمزنى : هو على الفور لحديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أراد الحج فليعجل ، فإنه يمرض المريض ، وتضل الراحلة ،

وتكون الحاجة » رواه ابن ماجة واحمد والبيهقى .. وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال : « تعجلوا الى الحج يعنى الفريضة ، فإن أحكمكم لا يدرى ما يعرض له » [أى ما يحدث له من مرض أو حاجة] رواه أحمد والبيهقى والاصبهائى ..

وقال الشافعى والثورى والاوزاعى وبعض المالكية ومحمد بن الحسن : انه على التراخي فيؤدى فى أى وقت من العمر ، ولا يأتى من وجب عليه بتأخير متى أراد قبل مماته .. وأن كان يستحب تعجيله والمبادرة اليه متى استطاع الانسان أدائه ، عملاً بقوله تعالى : « فاستنبوا الخيرات » البقرة : من الآية ١٤٨ .. فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحج سوى حجة واحدة : هى حجة الوداع وذلك فى السنة العاشرة من الهجرة ، وكان معه أزواجه ، وكثير من اصحابه ، مع أن ايجابه كان سنة ست أو تسع ، ولاجماع العلماء على ترك تفسير القادر على الحج اذا أخره عاماً أو أكثر ، وأنه اذا حج بعد مضي عدة أعوام من حين استطاعته : فقد أدى الحج الواجب عليه فى وقته .. وقد أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم : « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » انه يجوز أن يفوض الله تعالى الى الرسول صلى الله عليه وسلم : شرح بعض الاحكام عن طريق الاجتهاد ، ولا يشترط فى حكمه أن يكون بوحي عن الله تعالى ، وقيل : يشترط ذلك ..

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم » يدخل فيه ما لا يحصى من الاحكام على سبيل التخفيف والتيسير ورفع الحرج والمشقة ، وهذا الحديث موافق لقول الله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » التغابن : من الآية ١٦ .. وأما قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » آل عمران : من الآية : ١٠٢ .. فقيل : انها منسوخة بقوله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » وقيل : انها ليست منسوخة ، بل قوله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم مفسرة ومبينة للمراد منها ، قالوا : ويراد من قوله : « حق تقاته » امتثال أمره واجتناب نهيه ، ولم يأمر الله عز وجل إلا بالمستطاع ، قال تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » البقرة : من الآية : ٢٨٦ .. وقال جل شأنه : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » الحج : من الآية : ٧٨ .. وقال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ! البقرة : من الآية : ١٨٥ ..

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « وإذا نهيتكم عن شئ فدهوه » فهو على إطلاقه ، اللهم الا أن يوجد عذر يبيحه ، كاكل الميتة عند الضرورة ، أو شرب الخمر لازالة الغصة ، أو الظلم الشديد حيث لا يوجد ماء ، أو التلفظ بكلمة الكفر اذا اكراه عليها وقلبه مطمئن بالايمان ، ونحو ذلك ، وحينئذ فلا حرج ولا جناح ..

للمعرة : لغة الزيارة .. وغرعا : زيارة البيت

عندهم في كل السنة إلا يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق الثلاثة ، فأنها تترك في هذه الأيام الخمسة ..

وأفضل وقت لدائها : هو شهر رمضان ، لما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عمرة في رمضان تعدل حجة » وفي رواية للبخاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيرة من الانتصار سبها : « ما منك أن تحجي معنا » قالت : كان لنا ناصح فركبه أبو فلان وابنه [تريد زوجها وابنها] وترك ناصحا تنضح عليه ، قال : فإذا كان رمضان ، اعتبرى : فإن عمرة في رمضان : حجة أو نحوها ما قال « وفي رواية لمسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمرة في رمضان : تقضى حجة ، أو حجة هي » .

فالعمرة في رمضان وإن كان لها ثواب عظيم : يساوي ثواب حجة ، إلا أنها لا تسقط فريضة الحج عن وجبت عليه ، بل يتحتم عليه الاتيان بها .. ويجوز أدائها في موسم الحج ، وقد ثبت اعتباره صلى الله عليه وسلم في أشهر الحج وخاصة في شهر ذي القعدة ليكون ذلك منه ردا عمليا على ما كان يقصده المشركون ، من أن العمرة في أشهر الحج : من أجز الفجور .. روى عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتبر أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجة : عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة ، وعمرة مع العام المقبل في ذي القعدة ، وعمرة من جعرانة ، حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة مع حجة » .

النتج : هو أن يهل الشخص بالعمرة في أشهر الحج من الميقات ، ثم يأتي حتى يصل البيت ، فيطوف لعمرة ، ويسعى ويحلق أو يقصر ، ثم يحل بمكة .. ثم ينشئ الحج في هذه الأشهر بعينها ، وعليه هدى تبتع قال الله تعالى : « فمن تبتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى » البقرة : من الآية : ١٩٦ .

القران : هو أن يهل بالنسكين معا : الحج والعمرة لما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لبيك عمرة وحجة » وروى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بوادي العقيق : « أتاني الليلة آت من ربي » فقال : أهل في هذا الوادي المبارك ، وقل : عمرة في حجة » .

فضلها : عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله هل على النساء جهاد ؟ قال : نعم ، عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة » أخرجه أحمد وابن ماجه .. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير : خبث الحديد والذهب والفضة » وليس للحجة المبرورة : ثواب إلا الجنة » رواه أحمد وأبو داود والترمذي ..

حكمها : ذهب أحمد والشافعي في أحد قوليه : إلى أنها فرض عين على القادر المستطيع لقول الله تعالى : « وأنتموا الحج والعمرة لله » البقرة : من الآية : ١٩٦ .. وقد عطف على الحج وهو فرض ، فهي فرض كذلك .. وبما روى عن عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة أنه كان يحدث أنه لما نزلت : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » آل عمران : من الآية : ٩٧ .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأثنتين حجة وعمرة ، فمن قضاها ، فقد قضى الفريضة » وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحج والعمرة فريضتان ، لا يضرك بأيهما بدأت » ..

وذهب المالكية والحنفية : إلى أنها سنة مؤكدة في العمرة ، لما روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم عن العمرة أواجبة هي ؟ قال : لا ، ولأن تعتبر خير لك ، وما روى عن أبي صالح الحنفي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحج واجب والعمرة تطوع » رواه ابن ماجه .. وأما قوله تعالى : « وأنتموا الحج والعمرة لله » فهو أمر بالاتمام بعد الشروع والعبادة متى شرع فيها ، يجب اتمامها ، ولو كانت نفلا ، فلا يدل على الفرضية وهو الأرجح ..

شروطها : الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ..

أركانها : الاحرام والطواف ، والسعى بين الصفا والمروة ، والحلق أو التقصير .. زاد الشافعية : والترتيب بين هذه الأركان ..

وصفة الاحرام بالعمرة : كصفة الاحرام بالحج ، من حيث الغسل والاحرام والتطيب والتنظيف ، وما يلبسه المحرم .. وما يحرم عليه من اللباس والتطيب والمسد وغير ذلك ..

ويجب للعمرة ما يجب للحج : فهي كالحج في الاحرام ، والفرائض ، والواجبات ، والمحرمات والمكروهات والمفسدات ، والاحصار ..

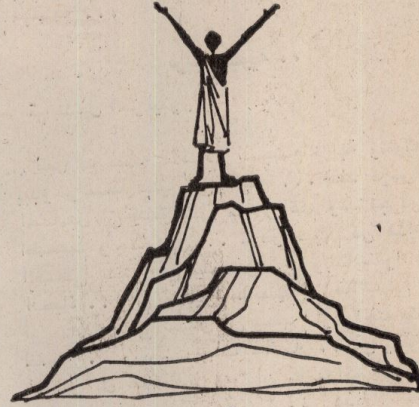
ولكن العمرة تخالف الحج في أمور : منها أنها ليس لها وقت معين ، ولا نفوت ، وليس لها وقوف يسرفة ، ولا نزول بمزدلفة ، وليس فيها رمي جمار ولا جمع بين صلاتين ، ولا طواف قدوم ، وليس لها طواف صدر [وداع] وان ميقاتها : الحل لجميع الناس ..

ميقاتها : للعمرة ميقات مكاني .. وميقات زمني ..

فاما المكاني : فانه كميات الحج .. وأفضل ميقات لها : التعيم وبينه وبين مكة عشرة كيلومترات ، وهو المعروف الآن بمسجد عائشة .. ثم الجعرانة [مكان بين مكة والطائف] ..

وأما الزماني : فان جميع السنة وقت للعمرة .. فيجوز للانسان الاحرام بها في أي وقت شاء ، وفي كل زمان أراد بلا كراهة .. خلافا للحنفية : فانها تجوز

دعاء فوق عرفات



ألا تبارك عبد الحكيم النجار

فينسى الانسان الاهل والولد .. ولا يتذكر الا ربه
القادر صانع كل شيء ومدير كل امر ... وخالق
كل كائن .. هنا ومع نسمات الحياة المتجددة ..
ومع تطويع النفس وتطلعها للطواف بالبيت العتيق
والسعى في امكان شعائر الحج ليضع الانسان امام
كل ركن .. رجاء ودعاء ..

أحاسيس الحياة

ثم يقف الانسان امام ربنا تبارك وتعالى .. فوق
عرفات الله فيجد هناك في عامه هذا أحاسيس
خريبه مضيئة تملك النفس والروح .. بعد ان اعاد
الله للنفوس ثقتها ويقينها وبعثها الجديد لامة الاسلام
والعروبة .. وبعد ان اعز خالق الكون الاسلام
والمسلمين في معارك العاشر من رمضان .. وبعد
ان دفن الظلم في الظلام ومهد للابطال فجرهم الجديد
المملوء بالعزة والكرامة الانسانية ..

فبماذا يستطيع الانسان ان يدعو ربه في موقفه
الخالد ؟ !!

يدعو خالقه ان يجمع العرب في صعيد واحد على
قلب رجل .. ويبارك وحدتهم لاعزاز الاسلام والدعوة
اليه ...

وفك أسرى مسجدهم الاقصى لتعود القدس عزيزة
شامخة ...

ويعيش الجميع بين آياته وعظمته وجبروته وكرمه
وبره وعطفه فيعطى الله من يشاء بغير حساب ..
تكريما وتعريزا ...

وهنا طرح سؤال ؟ !!

هل تتجه القلوب الى الله بنفس راضية في مقامه
الكريم ...

نعم تتجه الانفس بكل طاقاتها وبكل نقائنها لتجدد
القيم في النفس والمجتمع .. حتى تكون رسالة
الاسلام .. سلوكا ومنهاجا وواقع حياة .. وحتى
تعود أرض الرسالات للفلسطينيين .. نعم سوف تعود
ان شاء الله ...

وفد الله ..

واذا كانت فريضة الصلاة جذبت كل مسلم وكل
مؤمن الى الكعبة والبيت الحرام حينما اتجهوا اليها
في اثناء الصلاة ..

فان فريضة الحج ربطت المجتمع الاسلامي
وشعوبه ... بهذا المؤتمر الاسلامي الكبير فيتباون
لزيارته .. ويذهبون اليه .. في مظهر واحد لا فرق
بين رئيس ومردوس .. متجهين الى ربهم .. بنفس
صافية راضية ... وقد قال رسولنا الكريم [الحجاج
والعمار وفد الله ان دعوه أجابهم وان استغفروه غفر
لهم ...

كلما عاد موسم الحج ... اقبل معه
حنين المحبين والعاشقين .. الى لقاء
الله في واحة الامل والخير والسلام ..
التي تملك النفس والفؤاد فيتطلع
الانسان الى هذا الفيض والجلال
والجمال ... الذي يشع نوره على
ارحاء الدنيا فيضفى من جلاله عزة
وبركة ومنعة وسمو وشفافية تصل
بالانسان الى أسنى مراتب العظمة
والاعزاز للنفس البشرية ...
تلك النفس التي تقصد وتقف على
اعتاب المعرفة ملبية خالقها الكريم
لترتشف من ينابيع الايمان الصافي
نورها ومن الطمانينة اسعاده فيقف
الانسان بعد ان تجهز لهذه الرحلة
الروحية الخالدة خلود الزمن الباقي من
الزمن .. وقد أعد نفسه للالتقاء بهذا
الجو الروحي الساحر الواسع
الشاسع ... في ميسادين النقاء
والصفاء على أرض الدعوة ... التي
شهدت اعظم انتصارات الاسلام
ومعاركه الخالدة ... حتى اتم الله
نوره ... على ارجاء الدنيا ..

وقال « وفد الله ثلاثة .. الحجاج والمعتمر والغزى ... »

وقد كان من سؤال بعض الصحاب ...

لماذا نحج ... ؟ !!

.. التطوف بالبيت الحرام ؟

.. أم لنبيت فى مزدلفة ؟

.. أم لنقف فى عرفات ؟

.. أم لنرجم بالحصى الجمرات الثلاث ؟

.. أم لنقدم الاضحيات والفدى ؟

وغير ذلك من أعمال الحج ومناسكه ؟

وكان الجواب ..

هذه مظاهر الحج وشعائره .. ولكنها ليست جوهره .. بل وسائله وصوره ولكنها ليست غايته ...

انما فى كل عام نكرر الرحلة الروحية .. بحج من اجل مظاهر الحج ونتخذ وسائله وصوره ونرجس ببعض نعماته الكريمة ...

وللحج بركات لا ريب فيها .. لانها ثمرات للدعاء المخلص فى مواقف عظيمة جليلة الاثر فى رحاب المقدسات الخالدة ...

وهنا عاد وقال صاحبه ..

فيمتى نحج من اجل جوهر الحج ورسالته ... ؟

.. من اجل اصلاح المجتمع الاسلامى وتقويته ؟

.. من اجل تطهير ارضنا وتعميرها ؟

.. من اجل تحسرها من الاستعمار والصهيونية ؟

.. من اجل الوحدة العربية الخالصة وتكوين جامعة الشعوب الاسلامية ؟

.. من اجل القضاء على المجاعات القاتلة فى الشعوب الحرة .. والعمل على زيادة النماء فى ربوع اراضيها ؟

.. من اجل تدعيم دولة العلم والايمان ؟

ثم قال آخر ..

متى نحج حجا مبرورا ؟ !!

فقلت والامل يملأ النفس فى مستقبل العالم الاسلامى ...

ان الحج .. فرصة كبرى للاصلاح الفردى والاصلاح الجعاعى .. والفرصة سانحة امام القادة والزعماء .. ان يعملوا صادقين للانتفاع بنتائج هذا المؤتمر الاسلامى المتكرر كل عام مرة لتحقيق عزة عالمنا الاسلامى .. ووحدته .. وقوته .. وانتصاره على المتأمرين ...

□ ١٢ □

فلاسلام دين القوة والمزة والامل والتكريم .. وليس دين العبادات المجردة من المنافع للفرد والجماعة المسلمة ...

كل هذه المعانى الخوالد جدير بها ان يمتلىء بها قلب المسلم ليعود انسانا جديدا كله ايمان بربه وثقة بنفسه وغيرة على دينه واخلاص لوطنه وحب لجماعته ...

تربية وتقوية ..

ثم يتدخل آخر ليقول :

لعل ما نظمه الاسلام للمجتمع تربية وتقوية .. يبدو واضحا جلليا فى الحج ... فقد فرض على المسلمين ان يلتقوا فى مؤتمر عام وقد تجردوا من اطباعهم واحقادهم ... فرض عليهم فى هذا الجو الصافى النقى ان يتفاهموا .. ويتدارسوا شئون الحياة .. وان يعالجوا ما بينهم من خلاف فى الراى او الاتجاه على اساس ان يحب المرء لاهيه ما يحبه لنفسه .. ورسمت جلت حكمته .. ان يتكرر هذا المؤتمر كل عام ... ولو ان مؤتمرات الشعوب بل ومؤتمرات الامم التى تعقد بكثرة فى هذه الايام لا على مستوى ما تقوم به هيئة الامم .. لاتصلت البشرية المتجردة الامن انسانيتها العامة بفطرتها المطلقة الى معانيها ومثلها الحرة غير متأثرة بدوافع امجاد قادة ولا مسيرة بارجوفة طائفة ما ...

على منهج مؤتمر الشعوب الاسلامية بنوره الفياض وبروحانيته الربانية على المدى الاعلى الاخلد .. فى ساحة الله الواحد بلا غرض خاص .. ونازعة تنزل بالمجتمع عن مثله العليا .. لو انهم نهجوا منهج الاسلام فى حسن الدوافع وسليم الاهداف .. وطيب الوسائل وبيض الافكار .. لصح للسلام ان يعمر الارض وان يأخذ الركب الانسانى حظه من امن الحياة واستقرارها ...

لك الله يا قائد شعب مصر .. كم انه شاعر بالالام الانسانية وتخبطها وبما ينتاب المسلمين من قلق .. واضطراب مما ينفثه الدخلاء والمستعمرون والمنافقون من سموم ضارة لولا لطف الله ..

لقد أدت ولا زلت تؤدى إليها الرئيس الانسان ما عليك لرسالة الاسلام والسلام .. وللانسانية .. واضأت النور للركب الزاحف حتى يتجنب مهالك الضلال .. ويصل الركب الزاحف الى بر السلام بفضل وهدى الاسلام ...

ثم يعود الحجيح الى اوطانهم بعد ان تركوا فوق عرفات وفى هذا الجو المبلوء بالهدوء والخشوع ... تضرع .. ودعاء ...



أعظم مظاهر الوحدة الإسلامية

الأستاذ أحمد أبو طه

أوجب الله عز وجل على كل مكلف مستطيع أداء هذه الفريضة يقول عز وجل « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » قال بعض المفسرين في تفسير قوله عز وجل ومن (كفر) أى ومن لم يحج . فى ذلك نهى شديد وزجر بليغ لمن ترك المسير الى الحج بعد توفر أسبابه ولهذا رغب النبي عليه الصلاة والسلام في الذهاب الى بيت الله الحرام لاداء هذه الفريضة والاستطاعة امر نسبي يختلف باختلاف الناس وكل انسان اعرف بحاله .

والحج وان كانت فيه مشقة ومعاناة من حيث ترك الامل والولد وانفاق الاموال فهو يطهر النفس ويهذب القلب ويغرس فيه الحكمة والناة والصبر والتواضع والحلم ومكارم الاخلاق ويخلص الانسان من ذنوبه وهذا مصداق قول الله عز وجل [ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون] .

فما اعظم ان يلبي الانسان دعوة رب العزة سبحانه وتعالى بزيارته بيته الحرام وما اعظمه حينما يعود مغفورة ذنوبه كيوم ولدته أمه لننصوّر معا شعور أحد الناس وقد دعاه أحد أصحاب الجاه والنفوذ لزيارته فى مكتبته أو فى بيته انه يعود من هذه الزيارة فرحا مسرورا وما بالك لو اعطاه هذا الكبير هدية أو جائزة انه يعود الى أهله وعارفيه فخورا مرفوع الهامة معتزا.

واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير .

شرع الله عز وجل لعباده من فرائض الدين ما يكون سبيبا للتعارف بينهم واجتماع كلمتهم من هذه الفرائض فريضة الحج . وذلك ان فى الحج اعلانا لوحدة الهدف اذ تجتمع فيه الامة فى زمان معين فى أشهر معلومات وفى مكان معين عند بيت الله الحرام وفيما حوله من بقاع مباركة تعبد لها واحدا لم يلد ولم يولد وتطوف بببيت واحد من هذه الفرائض فريضة الحج تلك الفريضة التى تعطى الدروس العملية فى الوحدة بين المسلمين جميعا .

ينفسه بينهم ذلك مجرد دعوة هذا العظيم أو صاحب
الرجاء والتفوذ ..

ما بال هذا الانسان اذا ما كان الذي يدعو الى
زيارة بيته هو رب العزة سبحانه وتعالى « هو الله
الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن
الرحيم . هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » هو مالك
الملك ذو الجلال والاكرام .. لنسأل هذا الانسان عن
شعوره حينما يكون الداعي هو الله وحينما يعود من
زيارته بالهيئة التي هي فوق كل الهيئات هي ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة هي جنة عرضها السموات
والارض . هي مغفرة من الله ورضوان وصدق
الرسول الكريم القائل [الحج المبرور ليس له جزاء الا
الجنة] .. انه لا شك قد نال الثواب والاجر وهو
سعيد كل السعادة ..

ان الله سبحانه وتعالى قد دعا الناس لزيارة بيته
المبارك اقدس الامكنة في اظهر البلاد [ان اول بيت
وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين] ..

بالله ما أجمل هذا المشهد الاسلامي وما أروع
اجتماع المسلمين من جميع انحاء الارض . هنالك
يظهر الناس سواسية كاستنان المشط دون تفاضل أو
لا تجسد الا قلوبا تجار بالدعاء وتقضي
بالخوف والرجاء .. كل ما هنالك ناطق باسم الله
ومتشبع بعظمة الله لا يسمع المستمع الا اصواتا تهتف
بطاعة الله ولا يرى الرائي الا اعينا تفيض من الدمع
من خشية الله وجوها عليها علامات الرمية من هيبه
الله ونفوسا يملؤها الامل في رضوان الله . وما
أجملها كلية تجيش بها صدورهم وتنطلق بها السننهم
ترددوا السموات والارض وكل شيء حولهم [لبيك
اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك
والملك لا شريك لك لبيك] ..

.. هتد ذلك يياهي الله بهم ملائكته يقول : [انظروا

الى عبادي جاءوني شعثا غبرا يظلبون رحمتي
أشهدكم يا ملائكتي اني قد غفرت لهم] ..

نعم يغفر الله عز وجل لهم جزاء وفاقا لما ينفقونه
من أموالهم وما يتجشسونه من المتاعب وما يعانونه من
المشاق وفوق هذا وذاك تليبيتهم نداه طلبا لمرضاته
واحتسابا لثوابه .

فله هذه الفريضة المقدسة التي تصور لنا الآخرة
تصويرا محسوسا . فالحج اذا ما دخل البادية ومشى
في الصحراء لا يأكل الا من زاده ولا يعتمد الا على
نفسه كذلك الانسان اذا خرج من هذه الحياة الدنيا لا
ينفقه الا ما قدمت يداه .

واغتسال المحرم وتجرده من المخطط والمحيط يشبه
حائته وهو يغسل ويدرج في كفته . وحالة المحرم وهو
ايستأجر غير تشبه حالته حين يخرج من القبر .
ووقوف الحجاج بعرفة يشبه موقف يوم القيامة
والانفاضة الى المزدلفة في المساء يشبه السوق الى
فصل القضاء ودخول البيت الحرام يشبه دخول الجنة
دار السلام .

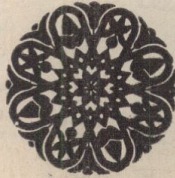
ان في ذلك لبعبرة لمن شاء ان يعتبر وعظة وذكرى
لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

فما أجدرك ايها الاخ المسلم ان تسارع بأداء هذه
الفريضة التي هي أحد أركان ديننا مادامت مستطيعا
الى ذلك سبيلا وذلك قبل أن يمنحك من ذلك مانع
والدهر بالناس قلب ..

وحيثن يندم الانسان ولات ساعة مندم لا يمنحك من
الحج شغلك بالاهل والولد ترعاهم أو بالاموال تنميها
من اجلهم فربك خير من يحفظ الاهل والولد وخير من
يعطي الجزيل ..

فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ..

وجعلنا ربنا من الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه ..



يـدى الحج

وفيلة الشيخ الطهطاوى عمر

وسلم : الحج والعمرة وفد الله عز وجل وزواره ان
سألوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا
استجيب لهم وان شفعوا شفعوا .

أمرنا الله تعالى بالحج لنذكره في أيام معلومات ،
نذكره بكرة واصبلا ، نذكره غدوة وعشيا ، نذكره
قياما وقعودا ، ليلا ونهارا ، فذكر الله ربيع القلوب
وبهجة النفوس وشفاء لما فى الصدور ، ألا يذكر الله
تطمئن القلوب ، وتتغفر الذنوب ويسعد الانسان فى
دنياه وأخراه ، فقد ورد أن النبي صلى الله عليه
وسلم ليلة الاسراء والمعراج رأى رجلا مغيبا فى أنوار
العرش فقال ما هذا يا أخى يا جبريل أهو ملك مقرب أو
نبي مرسل ؟ فقال جبريل ! ليس بملك مقرب ولا نبي
مرسل ، وإنما هو رجل من أمك مات ولسانه رطب
بذكر الله .

أمرنا الله بالحج لنشهد منافع دينية ودنيوية هي
خير مما طلعت عليه الشمس وغربت ، هي خير من
الدنيا وما فيها ، خير من القناطر المقنطرة من الذهب
والفضة ، لا يبغي بها بدلا ولا يوازي بها ملء الأرض
ذهبا . أمرنا الله تعالى بالحج لنطهر أنفسنا من دنس
المعاصي والاثام ونرتدى حلل الطاعة والعبادة فنحظى
بالرضى والرضوان من رب المشرقين ورب المغربين
الذى رفع السماء بلا عمد وسخر الشمس والقمر
ويسدل علينا ثوب صفحه وعفوه ، يسقينا كأسا
دهاقا من حظيرة قدسه ، كذا ورد أن الكعبة المشرفة
تأتى يوم القيامة تتلالا نورا وبهاء تزف الى الجنة
كالعروس وزوارها متعلقون بأستارها فيدخلون معها
الجنة يتبواون أعلا الدرجات وأسمى المنازل ، كما

قال تعالى : ان أول بيت وضع للناس للذى
بكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام
إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان
الله غنى عن العالمين .

وقال تعالى : وأذن فى الناس بالحج يأتوك
رجالا وعلى كل ضمير يأتين من كل فج عميق
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام
معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا
منها وأطعموا البائس الفقير .

فى هذه الايات الكريمة من كتاب الله تعالى يأمرنا
الله تعالى بالحج لتقوى فينا روح العطف والاحياء
والمساواة فنكون متحابين متوادين كالبنين المرصوصين
يشد بعضه بعضا ، لنكون كالجسد الواحد اذا اشتكى
منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالحمى والسهر .
فالمسلمون فى الحج يحشرون فى صعيد واحد
ويلبسون زيا واحدا استوى فى ذلك عزيزهم وذليلهم ،
غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم ، كبيرهم
وصغيرهم ، ويتجهون جميعا الى قبلة واحدة هي رمز
وحدتهم وسر قوتهم وعنوان مجدهم ودليل عظمتهم ،
رافعين أيديهم متضرعين يجارون بالدعاء والرجاء
فيستجيب الله دعاءهم ويقبل رجاءهم ويباهى بهم
ملائكته يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
أتى الله بقلب سليم ، ولا عجب فالله تعالى يقول :
يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان
منك ولا أبالى وقال من دعانا أجبناه ومن سألنا
أعطيناه ومن رجع الينا قبلناه . وقال صلى الله عليه

ورد أن رجلا كان جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت أن الله تعالى يقول : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » وقد جئتكم مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربى ثم أنشأ يقول :

**يا من دفنت بالقاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت مساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم**

ثم انصرف ، فأخذتني سنة من النوم ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لى الحق الاعرابى وبشره أن الله تعالى قد غفر له . وروى من جاء حاجا يريد وجه الله تعالى فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويشفع فيمن دعا له . وروى ابن حبان عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أن الحاج حيث يخرج من بيته لم يخط خطوة إلا كتب الله له بها حسنة وحط عنه خطيئته ، فإذا وقفوا بعرفات بياهى الله تعالى بهم ملائكته يقول انظروا إلى عبادى آتونى شعثا غبرا أتشهدكم أنى غفرت ذنوبهم وأن كانت عد قطرات السماء ورمى عالج . وإذا رمى الجمار لم يدر أحد ما له حتى يوفيه الله تعالى يوم القيامة وإذا حلق شعره قلّه بكل شعرة نور يوم القيامة ، وإذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

وفى الشفاء عن سعد الخولانى أن قوما أتوه (بالمستنير مكان بالقيروان فاعلموه أن كتابه قتلوا رجلا فأحزموا عليه النار فلم تعمل فيه وبقي أبيض اللون فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم . فقال هذا مصداق حديث الرسول من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثمانية دأين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار .

المشهور أن الحج فرض من السنة السادسة من الهجرة وهو بالكيفية المعهودة من خصائص هذه الأمة الإسلامية ولا يجب بأصل الشرع الامرة واحدة فى العمر وجوبه على التراخى عند الشافعية . وقال مالك وأحمد على الفور وليس لأبى حنيفة نص فى ذلك لهذا اختلف أصحابه ، فقال محمد على التراخى وقال أبو يوسف على الفور ، ولو تعارض الحج والنكاح فالحج أفضل لمن لم يخف العنت فإن خاف العنت فالنكاح أفضل . ويستحب للحاج أن يكون خاليا من التجارة فى رحلته إلى الله فان قصدتها مع الحج صح حجه أما الثواب فإن غلب الباعث الاخرى أثيب بقدره إلا فلا يثاب أصلا على المعتمد وقيل يثاب دون ثواب الخلى عن التجارة . قال جمع من العلماء تعلم كيفية الحج والمعبرة لمن أراد فعلهما فرض عين إذ لا

تصح العبادة ممن لا يعرفها لهذا أضع بين يدي من يريد الحج عناصر موجزة تنتظم ما يجب على الحاج فعله ليكون حجه مبرورا .

١ - يبادر بالتوبة من جميع المعاصى ويرد المظالم إلى آهاها ، فقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : رد دائق من حرام يعدل عند الله سبعين حجة فإن لم يقدر على ردها كتبها فى ذمته وأشهد على نفسه نوى التخلص منها متى قدر عليها . وأن يقضى ما أمكن من ديونه ويرد الودائع إلى أهلها . وأن يعد المؤونة لمن يجب عليه نفقتهم التى تكفيهم من وقت خروجه إلى وقت رجوعه حتى لا يدخل فيمن قال فيه عليه الصلاة والسلام كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت : وأن يجتهد فى ارضاء والديه ومن يلزمه برهم وأن يكثر من الزاد والنفقة ما استطاع حتى يواسى المحتاجين . قال عليه السلام النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف وقال لعائشة رضى الله عنها أجرك على قدر نفقتك .

٢ - أن تكون نفقته وامتعته من حلال خالص ، فإن خالف وحج بهال فيه شبهة صح حجه ولكن ليس مبرورا ويبعد قبوله وقال الامام أحمد لا يجزئه الحج بهال حرام .

قال العربى :

**إذا حججت بهال أصله سحت
فما حججت ولكن حجت العير**

وينبغى أن يلتصق رفيقا صالحا فإن كان قريبا أو صديقا كان أحسن لانه أعون له على مهماته وقد دعى الرسول إلى التماس الرفيق الصالح .

قال بعض الفضلاء :

**لا تصحب رفيقا لست تأمنه
لا تصحب رفيقا لست تأمنه**

٣ - يصلى ركعتين قبل خروجه من المنزل يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة الكافرون وفى الثانية الاخلاص ويقرأ بعدهما آية الكرسي . وأن يودع أهله وأقاربه قائلا أستودعكم الله الذى لا تضيع عنده الودائع ويستحب أن يكون ابتداء سفره يوم الخميس أو الاثنين أو السبت . يروى عن ابن مكتوم : لو سافر رجل يوم السبت من شرق إلى غرب لرده الله إلى موضعه ويتصدق بشئ قبل خروجه .

البقية ص ٢٧٨

إلى

بيت الله الحرام

الأستاذ أحمد داني

الله ، والفوز برحمته ورضوانه ؟ فهناك يتقبل الله الدعاء ويحوي بفضلته ذنوب المستغفرين الخائنين ، هذا الى ما لا بد أن يتحقق من منفعة كبرى أبقي وأعم وأبعد مدى في حياة المسلمين المرفقين في اوطان شتى ، وذلك بتعارفهم وترابطهم في الحج ، وبعد الحج ، باواصر الاخوة في الله والاسلام ، ومن هذه الناحية يتعارفون كذلك على مشاكلهم وتضائياتهم ويزداد شعورهم بالقوة والثقة وحق الناصر والتعاون في اعلاء كلمة الله ، والحفاظ على مقدساته .

وبعد ، فالحج الى بيت الله الحرام ، يحرك فيها ذكرى نشأته الاولى في هذا الوادي الذي كان حينذاك مقفرا موحشا ، لا حياة فيه ، وانها لذكرى احداث جارية ينبغي أن تتذكرها الاجيال المتعاقبة ، وخاصة في مناسباتها البارزة ، فان فيها عبرة الايمان والصبر والاقدام على التضحية الغالية في طاعة الله ، ونحن على هذا المعنى وذلك القصد ذكروها هنا بايجاز ؟

كان ابراهيم خليل الله ، اخا انتقال وارتحال ، يطلب الكلا لانعامه ، حيثما كان فحط رحاله بهجر زمنا ، وكان قد تجاوز المائة عام ، وبلغت زوجته سارة سن اليأس دون أن يرزقا ولدا ، ولم يشأ أن يدخل على زوجته هذه امرأة أخرى ، لانها فضلا عن قرباتها منه ، رفيقة حياته ومعاناته ، منذ هاجرا من ودهما « بابل » فرارا من المشركين الذين قروا قتله لانه حطم أصنامهم ، فلما كان بهجر أتاحت له ظروف خاصة أن يتزوج من فتاة مصرية اسمها « هاجر » ، وقد رضيت زوجته سارة بهذا الزواج وباركت له لعله يرزق منه بالولد الذي تعلم انه ظامئ اليه ، وتحققت أمنية خليل فولدت « هاجر » ولده اسماعيل ، فأسعده هذا وشكر الله على فضله ، وسخه بعد ذلك فوجيء بأمر الله أن يحمل الولد واهمه الى ذلك المكان القفر في الجنوب وأن يتركهما وحدهما هناك فصدع واطاع ، وحملها معه في الطريق الطويل دون أن يقول لهما شيئا ، وعندما بلغ المكان تركهما فيه مع قليل من الزاد والماء ، وانقلب عائدا وهو لا يزال على صمته ، ودهشت هاجر واخذتها رهبة الوحدة في مكان يخلو تهما من علامات الحياة والامان فلاحقت بزوجه ، تساله : كيف تفعل هذا ، ولما تتركنا هنا ؟ فلم يلتفت ولم يجب ، وكانت مؤمنة صادقة الايمان ، فقالت له : اتفعل هذا عن أمر الله ؟ ، فهنا فقط قال لها : نعم .. ولم يزد على ذلك ومضى راجعا وقلبه يتحرق اسى والتياغا ، فقالت هاجر : اذن . فالله لا يضيعنا ؟ وعادت الى ولدها اسماعيل ، وتنتظر يميننا وشمالا ، فلا تجد احدا من الناس ، ولا اثرا مسن النبات ، ولا بارقة من الماء ، فسى الارض أو السماء ، فكل ما حولها يؤذن بالهلكة لا محالة ، ونفذ ما لديها من الزاد والماء ، واستند بولدها الظبا

مواكب الحجيج في هذه الايام ، كالمهده بها في كل موسم الحج ، تتلاحق أفواجا اثر افواج ، وحشودا الى حشود ، لتتلاقى لقاءها الجامع الشامل في بلد الله الحرام ، منبع النور والهدى ، ومشرق الوحي والنبوة ، وخير أرض الله ، واجبتها الى الله ورسوله .

وهناك في غير غامر ، وفيض متدفق ، من صدق الايمان ، وصفاء الأرواح ، يؤدي الجميع فريضة الحج بمناسكها وشعائرها الحافلة بأسمى وأكرم معاني التوحيد والخشوع ، والتجرد ، والتراحم والاخاء والمساواة ، والانفاق السمع في سبيل الله ..

فليس أحب الى قلب المسلم المؤمن ، ولا ما هو أعظم في نفسه وعقيدته ، وأمانيه ، من أن يؤتي القدرة والتيسير للقيام بهذه الرحلة ، وأداء حق الله بهذه الفريضة ، فانها كمال الدين ، وخاتمة الفرائض ، وواحدة العمر ، وتهام النعمة ، وقد شرفها الله تبارك وتعالى بقوله الكريم ، منزلا على رسوله الامين في حجة الوداع ، ويوم وقوفه الاخير بعرفة : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

وفي كتاب الله وسنة رسوله ، الكثير من الايات والسنن الموضحة لحقها وفضلها ، فهي أصلا دعوة من الله لعباده . « واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا ، وعلى كل ضامر ، ياتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم » فثمة منافع لهم يدعوهم اليها ، ولاشك في ان هذه المنافع محققة على أكثر من وجه ، محققه بوفور الارزاق والصدقات ، والاخوة البارة المتعاطفة ، في هذا الملتقى الطهور الكبير ومحقة قبل هذا بإطمئنان النفس وسعادتها ، لتلبية دعوة

وكان الله جل شأنه قد أمر خليله عليه السلام في إحدى زياراته أن يطهر بيت هاجر وإسماعيل ويحمله مصلى للناس ، فقد كان إسماعيل ينفض هناك بحق النوة التي نضا عليها وأوتى فضلها ، فهو يدعو الناس إلى عبادة الله واحدا لا شريك له ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، والأمم يحتاج إلى مكان يجتمعهم للصلاة ، فمن هنا جاء أمر الله : « **وَأَجْعَلْنَا الْبَيْتَ مَقَابِلَ لِلنَّاسِ وَأَمَّا ، وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مَصَلًى ، وَوَعَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** » ثم أمرهما أيضا برفع قواعد قواعده فهدماه ورفعما قواعده : « **وَأَذِيعُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَأِسْمَاعِيلَ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ

واذن ، فقد انحسرت المحنة عن ذلك الفضل العظيم من الله وهما عبرة الصبر والايمان واحتمال التضحية في طاعة الله ، والمعاقبة للصابرين .
وكل عام والامة الاسلامية جميعها بخير حال ، مظلة بالحب والسلام ، معزة بالوحدة والقوة والنصر .

أعيادنا في القرآن والسنة

أعيادنا هي أجمل أيامنا الباسمة المشرقة . وأزهار حياتنا المتفتحة . وسط صحرائها الجرداء القاحلة . نرقبها وتخفق لها قلوبنا من بعيد . ونظّل نتجه وتجه إلينا . ونفوسنا تسعد لها . ومنتظر مقدمها لتقف مع موكب الحياة القاسية الجادة المتعبة . ساعات نستريح فيها من عناء السفر الشاق الطويل . وننصرف فيها بقلوبنا ومشاعرنا ومظاهرنا إلى حياة تشع أملا وسرورا وعظرا وسلاما . فيها تجدد القلوب نشاطها . وتنتهي لغد مشرق بامل وطيد وعزم صادق جديد على مرحلة جديدة من حياتها راحية أن يعود إليها . العيد . وهي أطيب نفسا . وأقوى عزما . وأكبر أملا . وأنضر وجهها وأغزر عملا وانتاجا .

المستشار اسماعيل الخطيب

العيد في الاسلام

العيد ما يعاود مرة بعد أخرى . وخص في الشريعة الاسلامية بيوم الفطر ويوم النحر . والتشريع الاسلامي هو الذي خصص العيد بهذين اليومين . وهو الذي سن فيهما الزكاتين . زكاة الفطر . وزكاة النحر .

القرآن الكريم

وكلمة عيد لم تجيء في القرآن الكريم الا مرة واحدة في قصة عيسى ابن مريم — عليه السلام . مع الحواريين لما طلبوا منه ان ينزل عليهم مائدة من السماء . وكانت نهاية الحوار ان خاطب عيسى ربه بقوله [اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا ...] [الآية لم تخصص عيداً بذاته . والمستفاد من الآية ان المائدة التي يؤكل منها هي عيد للكلين . وفي ذلك ابلغ اشارة الى ان أيام الاعياد هي التي يأكل فيها الفقراء والمحتسجون ما لا يجدونه من غيرها من الايام .

واما ملكية المال الذي يزكى فان القرآن الكريم أشار إليها في قوله تعالى « **وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » فالمال مال الله . اختص به قوما دون آخرين لا على سبيل الكلية المطلقة من كل قيد . وانما هي ملكية استخلاف فيه فمالكوه هم خلفاء الله فيه . وقد كلفهم بالانفاق فيها يملك هو سبحانه بالاصالة . ومن هذه الملكية على هذه الصورة وجبت الزكاة بأنواعها . اوجبها الله على المستخلفين في ماله لمن لم يكن لهم حظ في التملك . ومنه زكاة الفطر .

السنة

كان لاهل المدينة قبل ان يحل الاسلام بديارهم

عيدان يلعبون فيها ويفرحون . وكان من الطبيعي أن يظل الذين دخلوا في الاسلام على صلة بأعيادهم القديمة . يلعبون فيها ويرفون عن أنفسهم وكانت أعيادهم تتصل بمظاهر الطبيعة وهما كما قبل وجاء في الفتح الرباني يوما النيروز والمهرجان .

والنيروز : هو أول يوم تتحول فيه الشمس الى برج الحمل . ويكون عادة في شهر برمها من الأشهر القطبية .

والمهرجان : أول يوم تتحول فيه الشمس الى برج الميزان ويكون عادة في شهر توت وهما يومان معتدلان في الهواء والحرارة والبرودة يستوى فيهما الليل والنهار فهما اذن عيدان مأخوذان من المظاهر الطبيعية . سائر العرب فيهما غيرهم من الامم التي سنت الاحتفال بهما ابتهاجا بمظاهر الطبيعة . ويشبهان عندنا . شم النسيم .

ولكن حين هاجر محمد صلى الله عليه وسلم الى المدينة . بدأ المجتمع الاسلامي يتكون فيها . فالمسلمون بدأوا يتزايدون . ولهم سلطة غالبية فيها . ولهم كيان يجمعهم . ومسجد وشعائر خاصة بهم . وصاروا أحرارا فيما يأتون وما يدعون .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يخط لهم طريق الحياة الجديدة بكل مظاهرها . وكان يحرس . وهو يخطط لهم مظاهر هذه الحياة . ان تكون لهم شخصية مستقلة عن غيرهم . ولذا كان يكره ان يقلد المسلمون اليهود في المدينة حتى قالوا : ان محمدا يريد الا يدع أمرا من أمورنا الا خالفنا فيه .

وهذا أمر له أهميته وضرورته لجماعة جديدة . يريد لها الرسول شخصية خاصة بها . مستمدة من وحى دينها . ومن تعاليمه . حتى لا تذوب في غيرها .

التي اعتاد الناس أن يستقبلوا بها أعيادهم وفي هذا المجال : —

يقول النبي صلى الله عليه وسلم « من أحيا ليلة العيد أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب » .

وعن السيدة عائشة — رضى الله عنها — أن أبا بكر دخل عليها وعندها جارتان من جواري الانصار تفتيان فقال أبو بكر : ابزموز الشيطان وفي بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .؟؟؟ وذلك في يوم عيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا .

وقالت السيدة عائشة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يستترني بردائه وأنا أنظر الى الحشبة وهم يلعبون بالحرب وكان يوم عيد .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . ان سيدنا عمر ابن الخطاب رأى الحشبة يلعبون يوم العيد بالحرب فأهوى على الحصباء ليحصبهم بها . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم — دعمهم يا عمر .

كل ذلك يجعل الاعياد تحقق معنى كريماً يخرج بها عن القزمت والجهود الذي يقبض الروح في الجسد . فان ما روته عائشة رضوان الله عنها . من رضى النبي صلوات الله وسلامه عليه عن غناء الجوارى فرحاً بالعيد . ولعب بنى أرفدة بالرماح بالرماح والسيوف في ساحة المسجد ، وساحته — صلوات الله عليه . حيث وقف يستر زوجته بنفسه . حتى تمتع نفسه برؤية تلك المناظر المبهجة . دعاؤه إياهم الى الاستمرار في اللعب . كل ذلك يدل على أن النبي كان يوجه المجتمع الاسلامي . الى روح كريمة غير قائمة على التزمت والانكماش والتخرج مما لا شائبة فيه على الدين . بن انه استحسب ان يظهر الناس في ذلك اليوم بثياب خاصة يثمل فيها — بما لها من جدة وخصوصية بذلك اليوم — الاحتفاء والتكريم .

الاعياد ضرورة اجتماعية

والمألوف أن النفس ملول . وهى عن الحق نفور . لانه على خلاف طبيعتها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جهت وثار . وإذا روجت بالمتع الحلال بين وقت وآخر قويت ونشطت . وفي العيد راحة تزيل الكرب وتروح القلب . وينبغى لنفوس المتقين من استراحات بالمباحات . لا بد لها من اعياد تفرح فيها وتستريح عندها . وتجدد بها أملها . ولذلك كانت الاعياد ضرورة اجتماعية قبل أن تكون سنة دينية . تقود الأمة الى أمل جديد . . . ومستقبل جديد .

وفي هذا المجال يقول المرحوم مصطفى الراجعى : « ليس العيد الا تعليم الأمة كيف توجه بقوتها »

فانه اذا كان التقليد قساراً بالأمة في أدوار حياتها فهو اشد ضرراً وخطراً على الجماعة الناشئة . مثلها في ذلك مثل الانسان فهو في صغره لا بد أن نمسوده الاعتقاد على نفسه . ونساعده على إبراز شخصيته . حتى لا يشب فاقداً الشخصية . ضعيف الاستقلال والاعتداد على نفسه . . .

ولذلك حرص الرسول محمد صلوات الله عليه على أن يلغى في مجتمعه الجديد الاحتفال بالاعياد القديمة . ولم يترك مجتمعه بدون اعياد . بل سدد الفراغ بعيدين جديدين . يتصلان أوثق اتصال بحياة المسلم الروحية . وفرائضه التي يتقرب بها الى الله .

فأولها عيد الفطر .

وهو يأتي عقب شهر الصوم . الذي يؤديه الانسان مخلصاً لربه مجاهداً لنفسه وهواه وشهوة الطعام فيه . شجاعاً في معركة روحية يشمر بانتصاره فيها كل يوم عند الغروب وعند نهاية هذا الشهر المبارك صادقاً مع نفسه . صادقاً مع الله والناس .

أميناً . عفيفاً . سخيماً . عادلاً . كريماً . حليماً . راجياً من الله أن يشملهم بعفوه ومغفرته ورضاه . . . فكان من الحكمة الالهية بعد الجهاد والحرمان طوال هذا الشهر أن يكون أول يوم يتحلل فيه الانسان من هذا النظام . يوم عيد يفرح فيه وأسرته وأخوانه . وهي فرحة عاجلة . وفرحة أخرى مدخرة . . . ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان يفرحهما . اذا افطر فرح بفطره . واذا لقي ربه فرح بصومه » .

• وثاني العيدين : عيد الاضحى . أو عيد

النحر .

وهو عيد يعقب أداء أهم ركن من اركان الحج الذي جعله الله أحد الأركان الخمسة في الاسلام . فحين تجمع الاماكن المقدسة قصاصها . وبعد أن يقفوا بعرفات والحج عرفه — كما قال عليه الصلاة والسلام — ويفيضوا منها الى المزدلفة فمن حبث يأخذون في اتمام مناسك الحج يهل اليوم السعيد . يوم العيد . يفرح فيه الحاج والمسلمون جميعاً بما وفقهم اليه من أداء معظم شعائر الحج وببمسأ ياملون من فضل الله وغفرانه .

ويروى أنس بن مالك . رضى الله عنه . قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم . المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية فقتال : أن الله تبارك وتعالى قد أبدلكم خيراً منهما : يوم الفطر . ويوم النحر .

ويتسم العيد بالفرح والسرور . هكذا وضعه وهكذا يتخذ الناس . ومنذ شرع الاسلام لنا الاعياد وشرع لنا بجانبه أو أباح لنا بعض مظاهره السارة

حركة الزمن الى معنى واحد كلها شاعت . ففقد
وضع لها الدين هذه القاعدة لتخرج عليها الامثلة...
فتجعل للوطن عيداً مالياً اقتصادياً تتبسم فيه الدراهم
بعضها الى بعض وتختزع للصناعة عيدها . وتوجد
للعلم عيده . وتتدع للفن مجال زينته ... وبالحكمة
تنشئ لنفسها اياماً تعمل عمل القواد الصمغيين
في قيادة الشعب . يقوده كل يوم منها الى معنى من
معاني النصر .

أعياد . وأعياد

لكل أمة من الأمم أعياد رسمها لها دينها . وأعياد
 منبثقة من نضالها وكفاحها وأحداثها وتاريخها
 وقوميتها وظروفها وحضارتها ... وقد تشترك
 بعض الأمم مع بعض في أعيادها الدينية . ولكنها
 تختص بأعيادها المنبثقة من أحداثها وتاريخها .
 وانتصاراتها .

أعياد النصر

وإن حق لنا أن نحتفل بعيد الفطر المبارك بعد
 معركة روحية مع النفس طول شهر رمضان المبارك .
 فإنه لنا أن نحتفل بأعياد البطولات في معارك
 الاسلام في رمضان .

معركة بدر الكبرى .

لقد كانت أولى معارك الاسلام في شهر
 رمضان . في السابع عشر منه من السنة الثانية
 للهجرة . وهي معركة بدر الكبرى وسماها القرآن
 فرقانا لأنها كانت حداً فاصلاً بين الكفر والإيمان ،
 بين الوثنية والتوحيد . بين همجية الشرك المتجمعة
 خلف أبي جهل . ونور الحق والتوحيد الذي ينشره
 محمد بن عبد الله . النبي القوى الأمين . صلوات
 الله وسلامه عليه . وتم النصر بحمد الله . ولم يكن
 ثمرة من ثمار السلاح والكثرة . ولكنه كان ثمرة
 من ثمار الإيمان الصادق . وهو قوة من الله فيها
 القوة والروح وفيها الأمل بالباسم وفيها الحب والتعاون
 وسيظل اليوم السابع عشر من رمضان يوماً مشهوداً
 في تاريخ الأمة العربية والإسلامية بانتصار الحق
 وسيادة الإيمان وانتشار كلمة الله في العالمين
 سيظل عيداً ... من أعياد النصر ...

فتح مكة

وفي شهر رمضان وفي السنة الثامنة من هجرة
 رسول الله إلى المدينة تم فيها النصر الأكبر بفتح مكة
 وانتهاء كل مظهر من مظاهر الوثنية وإعلان كلمة
 التوحيد من فوق الكعبة المشرفة .
 لقد أخرج المسلمون من مكة . ومنعوا من عبادة
 ربهم في ظلال الكعبة المشرفة وجاء شهر رمضان
 فدخلها رسول الله وحطمت الأصنام وجاء الحق وزهق
 الباطل أن الباطل كان زهوقاً ...
 وصار هذا الفتح . تاريخاً مشرقاً وعيداً .
 وسيظل عيداً من أعياد النصر

انتصار ٦ أكتوبر العاشر من رمضان ١٣٩٣

وفي شهر رمضان أعلن الجهاد وانطلقت الطلقة
 الأولى واحتشدت الأمة العربية كلها مشحونة بما لاقت
 وناضلت وكافحت وما توارثته عبر الأجيال من
 طاقات واختزنته في ضميرها من قدرات . وكان
 زحف شباب مصر وجنودها . الذي دك حصون
 الأعداء وتم عبور القناة ونسف خط بارليف ورفع
 العلم المصري فوق سيناء . وتم النصر وبدأ العرب
 طريقهم إلى المستقبل المشرق . مستقبل الرفاهية .
 طاقات بشرية . تؤمن بالله . والوطن والشعب
 تدافع وتعمل . وتنتج . وتصنع وتبنى وتعمر ...

طاقات مادية . سلاح وبتروول . وارصدة .
 وزراعة . وصناعة . طاقات معنوية . ثقة . ونصر
 وانتصار . الكل يعمل والكل يدافع . والكل ينتج
 والكل يتجه بكل طاقاته إلى مستقبل الرفاهية تم لها
 وعد الله الذي لا يخلف .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
 ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم .
 وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم . وليبدلنهم من
 بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً »
 سورة التوبة .

لقد بعث الفجر خيوطه في الأفق . ونشر الويتسه
 على الكون . فبدد كتائب الظلام . وملا النفوس
 الخائفة أمناً والقلوب الواجفة هدوءاً وسلاماً ...
 وصار يوم ٦ أكتوبر العاشر من رمضان تاريخاً
 مشرقاً وعيداً ... وسيظل عيداً من أعياد النصر ...
 والله ولي التوفيق .



«وَأَنّ يجعلنا البيت مقابة للناس
وأهنا ، واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى ، وعهدنا الى ابراهيم
واسماعيل ان طهرا بيئنا للطائفين
والماكفين والركع السجود»

مع دنو العاشر من ذى الحجة من كل عام ، يتوجه
المسلمون - كل المسلمين - بمشاعرهم واحاسيسهم
الى البلد الطيب ، الذى شرفه الله برسالة الاسلام ،
وبالمسجد الحرام ، الذى يتجهون نحوه خمس مرات
فى اليوم على الأقل ، عند كل صلاة ، يتمنى كل منهم
أن يكون هناك فى هذه الايام مع الساعين الى الله ،
مهرولين اليه ، تأدية لركن من اركان الاسلام لا يتخلف
عن أدائه - مع القدرة - الا كافر بالله .

- « قل صدق الله ، فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما
كان من المشركين . ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة
مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم :
ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن
العالمين » [آل عمران] .

ومدار آيات الحج فى الاسلام امران ، هما الخليل
ابراهيم ، وبيت الله الحرام الذى أرسى دعائمه . ومن
أجلهما كانت رحلة الحج المقدسة ، التى كانت الركن
الخامس من اركان الاسلام .

وهما يستمدان قيمتهما من ذلك [الخير] الذى
يرمزان اليه .

والخير الذى يرمز اليه الخليل ابراهيم يتمثل فى
اتباع الفطرة الانسانية السليمة التى فطر الله الناس
عليها ، والتى تقضى باللجوء الى الله الواحد القادر ،
مدبر الامر كله ، والاعتراف بعبوديته ، والاعتزاز بتلك
العبودية لله ، واستعداد القوة كلها منها .

- « ومن أحسن ديننا ممن أسلم وجهه لله وهو
محسن » واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله
ابراهيم خليلا [النساء] .

- « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان
حنيفا مسلما » وما كان من المشركين » [آل
عمران] .

وتبدأ هذه [الفطرة] مع الخليل ابراهيم مع بداية
تفكيره ، الذى يرى به وبذلك الفطرة ضلال قومه
- ومن بيتهم أبوه - وهم يعبدون أصناما صنعوها
بأيديهم ، ومن ثم يبرأ منهم ومما يعبدون ويفكرون :
- « وان قال ابراهيم لابييه وقومه اننى براء مما
تعبدون » الزخرف .

مع

الخليل ابراهيم فى يقينه



الكتبة عبد الغنى عيود

قال : انا احبي واميت » قال ابراهيم : فان الله ياتي بانتمس من المشرق فات بها من المغرب ، فهبت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالين ! « البقرة »

ثم ينتقل الخليل ابراهيم بعد ذلك من مرحلة [الدعوة الفردية] الى ما يمكن تسميته [بالدعوة الجماعية] ، التي يشير بها [الراي العام] وينبئه ، فيحدث ما يسمى [بلغة العصر] [ثورة ثقافية] في المجتمع ، ومن ثم ينتج الى الاصنام ، التي تجتمع حولها القلوب ، ليدين زيف ما تجتمع عليه تلك القلوب . وهو واثق وهو يتجه وجهته الجديدة من ان الخطر الذي يترص به أشد ، ولكنه واثق أيضا من انه الثمن المتواضع لتلك الرسالة الكبرى ، التي شرفه الله سبحانه بحملها ، ولذلك اليقين العظيم الذي حصل عليه :

ويته الخليل ابراهيم الى تلك الاصنام فيحطمها ، ويحدث تلك [الثورة الثقافية] في الراي العام المعاف ، ويكون ما توقعه من شردهم ، وخطر جسيم ، ولكنه يقبل عليهما في ثقة تامة ، ويقين لا يتزعزع راضى النفس سعيدا ، لا ينحرف عما استيقنته نفسه قيد انملة :

« قالوا : من فعل هذا بالهتنا ، انه لمن الظالمين . قائلوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . » قال : افتعبدون من دون الله ما لا يسمع شيئا ولا يضركم ؟ اف لكم ولما تعبدون من دون الله ، افلا تعقلون ؟ قالوا : حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا : يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » [الانبياء] .

وهنا يصل اليقين بالله مداه ، في نفس جعلت اليقين مدارها في تلك الحياة ، وتتضح [الحقيقة] في تلك النفس الصافية المؤمنة اتضاها بيدد ظلمة أي شك ، فيكون [الاسلام] لله ، بمعنى التسليم التام له هو شرة تلك الحقيقة وذلك اليقين .

وقد أسلم ابراهيم عليه السلام نفسه الى ربه ساعة ألقيوا به في النار ، فنجح في ذلك الابتلاء العظيم الذي ابتلى الله سبحانه به يقينه - ولكنه كان ابتلاء يتعلق بالنفس على كل حال ، وللخليل ان يتصرف في نفسه كيف يشاء ، وعلى النحو الذي يختار ، وقد اختار عليه السلام طريق التضحية .

ولكن كيف يكون الوضع حين يتعلق ذلك الابتلاء بالنفس والغير ، وحين يكون هذا الغير - في حالة الخليل - أغلى من النفس ؟

وتستمر تلك [الفطرة] مع الخليل ابراهيم ، فلا يكتفى بمجرد البراءة كموقف سلبي ضد الضلال وصانعيه وضحاياهم .

- « واذ قال ابراهيم لآبيه آزر : اتخذ اصناما آلهة ابي ارات وموت في ضلال مبين . وكذلك راي ابراهيم ملذوت السموات والارض ، وليجون من موسىين . فلما اقل قال : لا احب الاهلين . فلما راي القمر برعا قال : هذا ربي ، فلما اقل قال : لنن لم يهدينى ربي لاكون من الموم الضالين . فلما راي الشمس برحاه قال : هذا ربي ، فلما اقلت قال : يا قوم ابي برىء مما تشركون . ابي وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا ، وما انا من المشركين » [الانعام] .

- « واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا . اذ قال لآبيه : يا ابيت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ؟ ... قال : ارأيت انت عن الهني يا ابراهيم ؟ لنن لم تنته لارجنك ، واهجرني مليا . قال : سلام عليك ، ساستغفر لك ربي ، انه كان بى حنيا » .

والخليل ابراهيم رجل ذو رسالة ، وصاحب دعوة ، ومن ثم فهو يجع بين دعوة يجب ان يبلغها ، وادب يجب ان يلتزم به ، فهو يدعو والده الى الحق الذي استيقنته نفسه ، واستراح اليه ضميره ، وبين بذلك الاب ، وادب في مخاطبته ، يفرض عليه ان يقابل صلفه وغروره ، واصرارته على الكفر والضلال ، بأدب جم ، يتمثل في ذلك الدعاء له ، وفي الاستغفار عما فرط في حق نفسه . وعندما يتأكد الخليل ابراهيم من ان اياه عدو لله ، يجد نفسه بين خيارين : ربه الذي آمن به ، واستيقنته نفسه ، وأبيه الذي تعهده ورباه ورعاه ، ويجب ان يكون به بارا ، فلا يتردد في ان يختار جوار الله على كل جوار :

- « وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه : ان ابراهيم لاواه حليم » [التوبة] .

وينتقل الخليل ابراهيم من [بيته] الى [مجتمعه] ، يؤدي الامانة ، التي عرضها الله سبحانه على السموات والارض ، فأشفقت منها وحملها الانسان ، مع ما في تاديتها من متاعب ومخاطر ، كان عليه السلام على وعى بها ، وكان مستعدا لها :

- « ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك ، اذ قال ابراهيم : ربي الذي يحيي ويميت ،

الحج

١ وهو سؤال يقترن نفسه على من يسألمون بمثل
الدنيا ، ولكنه سؤال لا يكون له وجود في حياة من
أسلموا لله ، كالخليل عليه السلام ، ومن ثم تكون
النتيجة واحدة ، وهي [التضحية] :

« وقال : اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي
من الصالحين . فيشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه
السعي قال : يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك ،
فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا ابي افع لما تؤمر . سجدتني
ان شاء الله من الصابرين . فلما اسلمها وتلته
للجبين . وناديناه ان : يا ابراهيم . قد صدقت
الرويا ، انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء
المبين . وفديناه بنبح عظيم ، [الصافات] . »

هذا هو الخبز الذي يرمز اليه الخليل ابراهيم في
قصة الحج ، وهو خير بمقدور اي انسان ان يحصل
عليه ، وهو الاسلام لله ، والتسليم التام له ، اسلما
وتسليما مبنيين على العقل والمنطق ، لا على مجرد
التقليد للآخرين ، مهما كان هؤلاء الآخرون على حق .
والاسلام والتسليم يعنيان الاستعداد للتضحية
والبذل ، بالنفس والنفس ، في سبيل الحق الذي
استيقنته نفس المسلم .»

أما الخير الذي يرمز اليه البيت الحرام في تلك
القصة ، فهو ذلك الحق ذاته ، الذي يجب ان يتجه اليه
قلب المسلم ، لا يتجه الى غيره ، والذي يجب ان تدور
حواله قلوب أبناء المجتمع المسلم ، من أجله تحب ، ومن
أجله تكره ، وعلى هداية تسير في طريق الحياة
الدنيا ، حتى تصل الى غايتها في الحياة الآخرة ،
الباقية .»

فمرحلة الحج ليست رحلة جسد ، وانما هي سياحة
روح ، وهي ليست شعائر مادية ظاهرية ، وانما هي
نبض قلب مؤمن ، خاض مع ابراهيم عليه السلام ،
ومع المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام من بعده ،
تجربة استشعار الحق ، وخرج من تلك التجربة
بالدرس العظيم - درس الاسلام لله ، واستشعار
قدرته وعظمته في كل خطوة وفي كل لحظة :

« واذا بوانا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي
شيئا ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع
السجود . واذا في الناس بالحج ياتوك رجالا ، وعلى
كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع
لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما
رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها واطعموا البائس
الفقير . ثم ليقيموا تفههم ، وليوفوا نذورهم :
وليطوفوا بالبيت العتيق » [الحج] .

□ ١٤٢ □

الصلاة والزكاة والصيام تلك
فرائض الاسلام وشعائره التي
جعلها الله اشعة هدى ، ومناهج
تقويم وتهذيب ، ووسائل تدريب
على حسن صلة بين الانسان
وخالقه وبين الانسان واخيه
الانسان ..

وهذه فريضة الحج جماع ذلك
كله ، فيها الرجوع بالصلاة الى
حقيقتها الطاهرة النقية والى
مكانها الذي نبئت فيه وانبتت من
جوارحه حيث القوم الذي رفعوا
منارتها للعالمين : « ربنا انسى
اسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع عند بيتك المحرم - ربنا -
ليقيموا الصلاة » .

وفي الحج تعويد على البذل والسخاء بما يقدمه
الحاج من هدى للفقراء وما ينفقه في سبيل الله ، وفيه
الصيام قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا
الصيد وانتم حرم ، ومن قتل منكم متعمدا فجزاء مثل
ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ
الجمعة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما
ليذوق وبال امره »

« واتموا الحج والعمرة لله ، فان احصرتكم فما
استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى
محله فمن كان منكم مريضا أو به اذى من رأسه ففدية من
صيام أو صدقة أو نسك ، فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة
الى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام
ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة
ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام . »

واذن فنحن أمام منارة هدى رباني جمعت ميادى

مناجاة الرزق الإلهي

الدكتور عبد الفتاح عاشور

أجل المال وجهه والاستئثار به ، ويوم أن ترتفع
الإنسانية بحسبها فلا تكون مستعبدة للمال فتجعل
وسيلة لا غاية ، وسيلة لتحقيق السعادة للمحرومين
والبائسين في أنحاء الأرض فإن السلام الذي تحاوله
سوف تجده بين يديها ، وهذا مجتمع الاسلام الاول
الذي رفع لواء الحرية والعدالة وجعل المال سندا
لحماية الحق استطاع أن يعطي العالم اطمئنانه
وراحته ، وأن يسكب في نفس الحائرين من بحار
الرضا كنوسا مفرقة ، عادوا بعدها اخوة أحبابا
وأنصارا لدين الحق وأمثلة فذة في تاريخ البشر .

ومفارقة الامل والولد والعشيرة : جهاد للنفس
ورياضة لها تتعلم بها كيف تمضي في سبيل ربها « قل
ان كان اباؤكم وابنائكم واخوانكم وتجاركم تخشون
عسداها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله
بأمره : والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

وما هو ذا المسلم قد خرج في شهر حرام الى بلد
حرام وعند ميقاته خلع ملابسه وليس ملابس الاحرام
وتساوى في مظهره مع اخوانه فشعر بالوحدة
الجامعة وتحرر من آثار المظاهر الكاذبة والتفاخر
الممقوت . وهذا الشعور بالزمان والمكان واللباس وأنه
كله بحرم فيه الاعتداء والظلم والتنافس على أعراض
الحياة والاقتراب من الشهوات تربية لم يصل اليها
منهج بشري على الاطلاق .

وما أن يبدو شعاع مكة ويقرب وقد الحجاج فزع
بيت الله الحرام حتى تنثور الاشجان وتهطل العبرات
وتعبق رائحة الذكرى العاطرة ويتلاشى الزمان
والمكان ، وتصفى الروح وتشف فترى رسولها أمامها
ومعه رهنه الطيب وأصحابه الابرار : هناصلي وهنا

التربية كلها ، وهي كفيلة بما تحمله من معاني الخير
والطهر أن تعيد للانسان انسانيته فيعود الى دياره
كما خلقه الله : نقاء في الفطرة ، واشراقا في
السريرة ، واخلاصا يملأ عليه حياته ويدفعه الى بذل
نفسه وماله في سبيل اسعاد أمته واخوانه : « من حج
فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه »

وهذه أول خطوات الطريق تبين مدى ما
يصنعه « الحج » في المجتمعات .

فالاستعداد للسفر ، ومفارقة المال والاهل والولد
وتحمل المشاق .. ذلك كله انما يحركه ايمان بالله
الذي امر ، وثقة في فضله الذي لا يتخلف ، وليس بعد
الايمان بالله والاعتقاد في الدار الآخرة مثير لفعل
الخير والابتعاد عن الشر والتمسك بالاخلاق
الكريمة ..

وفي السفر : تذكير للانسان أنه لا بد مرتحل من دار
الى دار ولابد ان يتزود لرحلته الطويلة بأكرم زاد يصل
بصاحبه الى نهاية السفر حيث يلتقى مع
خالقه : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من
خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى
واقفون يا أولى الابواب » .

ومفارقة المال والتضحية به والاتفاق منه في سبيل
الله ، تحرير للانسان من عبادة المال ، وفي ذلك
سعادة البشر ، فإن حب المال يطمس بصيرة الانسان
فلا يرى الخير أبدا ويحيا معذب القلب شارد الفكر فلا
يشبع من مال مهما بلغ ، فاذا ما تحرر من الارتباط
بهذا المال شعر بالسعادة تملأ حياته والاستقرار
يحيط به ، وما تنافست الامم وما قامت بينها الحروب
الطاغية ، وما اعتدى الاقوياء على الضعفاء الا من

أودى ؟ وهنا دعا الى ربه ، ومن هنا هاجر والى هنا جاء فاتحا مطهرا للبيت من دنس الشرك وأقدار الجاهلية .. وترى ابراهيم عليه السلام وابتلاء الله له بترك ولده اسماعيل فى هذا المكان الموحش القفر واختبار الله له بذبح هذا الولد : « يا بنى انى ارى فى المنام اتى اذبحك فانظر ماذا ترى ؟؟ قال : يا ايت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » .

وتلمحه وهو يرفع القواعد من البيت مع هذا الابن المبارك ومازال دعاؤهما يتجاوب صداه فى أرجاء الارض وهما يتقريان الى الله بهذا العمل العظيم ويرفغان اول بيت وضع للناس : « واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » .

وفى عبر تلك الذكريات التى لا يتسع المقام لعرضها ، ومع الجو الذى ملأه الطهر فى الظاهر والباطن فشعر فيه الطير والشجر بالامن والسلام فضلا عن الانسان ، فى هذا المقام العظيم يتربى مجتمع الاسلام : يطوف ويسعى ويقف بعرفات وينحر الهدى ويرمى الجمرات ، وفى كل همسة ولمسة ومع كل خفقة قلب يشد بكلتا يديه على جبل الله المتين ويتعلم كيف يصنع الخير عن حب وايمان .

وانه اللقاء المبارك فى جوار بيت مبارك : « ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين .. فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » . فى هذا اللقاء وذلك الجوار تجتمع عناصر القوة والرحمة وتبدو حقيقة الاسلام جليلة واضحة ويرى المؤمنون قيمة « المنافع » التى ندبهم الله لشهودها من يوم ان امر الله ابراهيم عليه السلام بقوله : « واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم » يقول الشيخ شلتوت - عليه رحمة الله - تعليقا على هذه

الاية : « واذا عرفنا ان كلمة « منافع لهم » لاتعنى فى هذا المقام خصوص المنافع الروحية التى يحققها أداء الافراد لمناسكهم وانما تعنى كل ما ينفع المسلمين افرادا وجماعات : روحيا وماديا ومعنويا وأخرويا عرفنا الاثر العظيم الذى يجب ان يحصل عليه المسلمون فى بناء مجتمعهم من عبادة الحج ، ولا ريب ان اول ما ينفعهم باعتبارهم امة واحدة ذات عقيدة واحدة ، وتشريع واحد ، وكيان واحد هو ما يحقق لهم - عمليا - وحدتهم ، ويسمو بمجتمعهم ويجعله فى مكانة تعلق به عن مواقع الاطماع ومساقط التيارات التى تمزق كتلتهم وتمكن الاعداء منهم » .

.. هذه امة الاسلام بدت فى هذا المظهر المهييب الخاشع .. ندائها واحد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك .. ها هى ذا تنتقل بين ربوع تلك البقاع الطاهرة مؤدية شعائر الحج حتى يوقر الكبير ويرحم الصغير ويعطف على المسكين ويواسى المحروم ويساعد الضعيف ويتخلق بأخلاق الله ، وليس بعد التخلق بالاخلاق الربانية منزلة تسعد بها البشرية مثل هذه المنزلة .

وهكذا يتعلم المسلم : كيف تكون وحدانية الله ، وكيف تؤدى الصلاة وكيف يطبق الاسلام عمليا وعملا حتى اذا ما رجع الى دياره عاد داعيا الى دين الله فاقها لاحكامه .

فهل يستطيع منهج ارضى بشرى ان يصنع امة كذلك التى لبث نداء الله ووقفت بعرفات وعظمت شعائر الله : « ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » .

وهل تتمكن اى فلسفة ان تغرس هذه الفضائل العالية فى نفوس البشر كما تغرسها فريضة الحج ؟؟ ألا ان فريضة الحج منارة الهدى الالهى .. وما أجدرنا ان نقف الى هذا الهدى ، وان نستنير بنور الاله الحق حتى لا نضل الطريق .. فطريق الله واضح لا عوج فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون .



تيسيرات

لحجاج بيت الله الحرام

الأستاذ وجدى حافظ

- تيسيرات عديدة لحجاج بيت الله الكريم
- زيادة لم تشهدها مصر من قبل فى أعداد الحجاج
- توفير الحياة الكريمة لكل حاج
- بطاقة لكل حاج توضح له أماكن البعثات الرسمية فى الأرض المقدسة

زيادة عدد الحجاج

لأول مرة منذ سبع سنوات تقرر أن يكون عدد حجاج بيت الله من حجاج القرعة ثمانية وثلاثين ألفا بعد أن كان أقصى عدد طوال السنوات السبع الماضية ٢٠ ألفا وفى هذا تحقيق لرغبة الآلاف من المواطنين فى أداء الفريضة ... هذا بالإضافة إلى الحج السياحى الذى جعل من عدد حجاج بيت الله هذا العام ما يزيد على ٦٠ ألفا .

زيادة البدل النقدي

ورعاية للحجاج وتوفيرا لسبل المعيشة الكريمة لهم قررت اللجنة برئاسة السيد ممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية زيادة البدل النقدي المسموح به للحجاج هذا العام إلى ألف ريال بدلا من ٨٠٠ ريال كما كان متبعاً فى العام الماضى .

فرصة أطول لتقديم الطلبات

ولأول مرة زيدت الفترة المسموح بها لتقديم طلبات الحج فبلغت خمسة عشر يوما من يوم العاشر من رمضان حتى اليوم الرابع والعشرين منه .

كان نصر الله المبين يوم العاشر من رمضان المعظم فاتحة خير لهذا الوطن مثلما كان نقطة انطلاق نحو آفاق جديدة ومستقبل مشرق لهذا الشعب العظيم .. الشعب الذى تحمل وصبر وكافح وجاهد طوال سنوات عديدة ليؤكد للدنيا صدق معضنه وأصالته وإذا كان الإنطلاق قد شمل العديد من الأفاق فلقد كان موضوع الحج على قمة الموضوعات التى شهدت تيسيرات عدة قدمتها الدولة هذا العام لضيوف الرحمن وحجاج بيته الكريم ...

لقد عقدت اللجنة العليا لتنظيم شؤون الحج عدة اجتماعات قبل بدء موسم الحج بوقت كاف استعرضت خلالها تقارير بعثة الحج الرسمية التى أوفدت للاراضى المقدسة فى العام الأسبق وناقشت كل المشكلات التى واجهت حجاج مصر واتخذت بعد كل هذه الاجتماعات عديدا من القرارات هدفها توفير كل سبل الراحة لزوار بيت الله ليس فقط خلال وجودهم بالأرض المقدسة .. بل منذ اللحظة الأولى التى يتقدمون فيها بطلبات الحج حتى لحظة العودة لأرض الوطن ... ولقد شهد هذا العام بحق طفرة كبرى فى هذه التيسيرات لم يشهدها موسم آخر للحج طوال السنوات السبع الماضية ..

حول حكمة الرضحية ومعنى الفداء

دكتور على صافى حسين

لذلك أرى لزما على والأمر على ما قد وصفت أن
انتبهز فرصة حلول يوم النحر وعيد النسك باراقة
الماء فاتحدث عن المعاني اللغوية والدينية لكلمة
الضحية والتضحية والفدية والفداء أو الافتداء وما
تطويان عليه من حكمة أو مغزى فاقول : ان أبناء
العروية والاسلام يستعملون فى هذه الايام كلمة
التضحية فى معنى بذل النفس والتفيس فى سبيل
تحرير الوطن والذود عن العرض والشرف والكرامة
والدين وقد رجعت الى كبريات كتب اللغة وأهيات
المعجمات فلم أجد لكلمة ضحى وما اشتق منها أى
معنى يشبه من قريب أو بعيد ذلك الذى ذكرناه اذ كل
ما ورد فى القواميس والمعجمات من معانى
واستعمالات لكلمة ضحى وأضحى وضحى لا يخرج
بحال من الاحوال عن الاحداث والافعال أو الامور
والاعمال التى تقع للانسان أو تحدث منه وقت الضحى
أو وضح النهار . اللهم الا لكلمة ضحية فقد استعملها
الحرب الاقدمون للدلالة على الشاة التى تذبح وقت
الضحى وقد روى فى هذا المعنى ان رجلا جاء عمر بن
الخطاب يسأله جواز النسك يوم النحر بغير الشاة
فقال : (مارأيك فيمى ظحى بظبى يريد من ذبح
غزالا عوضا عن الشاة) . فقال عمر ما منعك أن
تقول ضحى [بالضار] وكان الرجل قد نطقها بالطاء
فقال الرجل أنها لغة - بكسر اللام - قالوا فكانت
الثانية أغرب وأعجب .

هذا وقد نظرت فى كل ما وقع الى من السير
والاخبار والاحاديث والاثار المروية عن الرسول صلى
الله عليه وسلم وأصحابه فلم أجد غير كلمة نسك
للدلالة على الشاة المذبوحة بعد الصلاة يوم عيد
النحر .
فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ما منعنا من ذبح بعد الصلاة فقد أصاب نسكنا
ومن ذبح قبلها فهى لحم قدمه لاهله كما أن الرجل من
الصحابه كان يقول يا رسول الله تعالى فكل من نسكى
[يعنى من الشاة التى ذبحها فى وقتها المشروع أما
الفدية والفداء والافتداء فقد ورد بشأنها فى كتب اللغة
والدين ومعجماتها ما خلاصته :
فدى - فديته فدى وفداء وأفتديته .

تفويج الحجاج

كما شملت التيسيرات تفويج حجاج المحافظات
بحيث يشمل كل فوج افراد كل محافظة بما يحقق
التراحم بينهم والصحة السليمة لكل حاج
مع أهل بلده ومعارفه وأقاربه .

توفير سبل الراحة بالسبيل المصرى ببنى

يعتبر السبيل المصرى ببنى مركزا لالتقاء الحجاج
المصريين ومكانا لقضاء حاجاتهم ورغبتهم وانطلاقا
من ذلك قامت الدولة باجراء بعض التعديلات به
وذلك بزيادة دورات المياه وصنابير المياه بما ييسر
على الحجاج قضاء حاجاتهم به .

تحديد اماكن البعثات الرسمية

كان الحجاج يلاقون صعوبات عدة وهم فى الارض
المقدسة للوصول الى مراكز ومقار هذه البعثات
ابتغاء لخدمة أو قضاء لمصلحة ...

وحرصا على مصالح الحجاج وتيسيرا عليهم
وامتدادا للرعاية التى توليها الدولة لمواطنيها من
الداخل تقرر تحديد مقار هذه البعثات فى اماكن
معروفة وزيادة فى التيسير على الحجاج فقد قامت
وزارة الداخلية بطبع بطاقة تم تسليمها لسكل حاج
تتضمن عناوين مكاتب وزارة الداخلية بالاضافة الى
عناوين بعثة وزارة الصحة حتى تكون واضحة
ومعروفة لكل حاج وتم تسليم بطاقة الى كل حاج
مع جواز سفره .

وفى نفس الوقت فقد قامت وزارة الداخلية
بتسليم أعضاء بعثتها شارات يضعونها نسوق
صدورهم ليعرفهم الناس عندها يلجأون اليهم لقضاء
حاجاتهم ...

قرار انساني من السيد الرئيس

ولقد بلغت التيسيرات قمتهما بذلك القرار
الانسانى الذى أصدره الرئيس المؤمن محمد أنور
السادات عندهما أصدر تغليباته بالسماح لكل الحجاج
الذين تزيد أعمارهم عن ستين عاما بالسفر للحج
بعد ان فقدوا الأمل فى ذلك لعدم فوزهم فى القرعة
... لقد كان ذلك تيسيرا لم يتوقعوه فكانت الفرحة
فى قلوبهم والدعاء من أعماقهم أن يحفظ الله الرئيس

تلك لحظة من التيسيرات التى قدمتها الدولة هذا
العام للذين يتجهون بالقلوب الى أقدس مكان ...
الى البيت الكريم الذى جعله الله مباركا والذى
جعله الله قبلة للمؤمنين يتجهون إليها فى صلواتهم
ودعائهم وآمالهم ...

والله سبحانه وتعالى هو الموفق

□ ١٤٦ □



لما كان أبناء العروبة والاسلام يخوضون في هذه الايام معركة ضارية مضطربة الاتون ، مستمرة الاوار ضد الصهيونية الباغية واضماع الاستعمار ، في كل من مصر وبقاع الشام ، الامر الذي يقتضي العلماء والادباء وارباب البراعة والقلم ان يسجدوا العزائم ويحفزوا الهمم ، بكثرة الحض على الجهاد والتحريض على القتال دفاعا عن العزة والكرامة وحفاظا على العرض والشرف وحماية لسلامات والاولاد ، وتحريرا للعباد وتطهيرا للبلاد من دنس الصهاينة الاثمين وعدوان الغزاة المجرمين .

قال الشاعر

قلو كان ميت يفتدى لفديته

بما لم تكن عنه النفوس تطيب

وانه لحسن الفدية ، والمفاداة ان تاخذ رجلا وتدفع رجلا . والفداء ان تشتريه ، فديته بمالي فداء وفديته بنفسى وفي التزليل العزيز « وان ياتوكم اسارى تفادوهم » .

قال الوزير ابن المعري [فدى اذا اعطى مالا واخذ رجلا .

وافدى اذا اعطى رجلا واخذ مالا ، وفادى اذا اعطى رجلا واخذ رجلا] .

والفداء بالكسر والمد والفتح مع القصر .

وكان يقال فى الاسير فداه يفديه فداء ، وفدى وفاداه يفاديه ففاداه اذا اعطى فداه ، وفداه بنفسه وفداه اذا قال له جعلت فداك .

والفدية الفداء . ويقولون فديته بأبى وأمى وفديته بمالى كاذى اشتريته وخلصته به اذا لم يكن أسيرا ، واذا كان أسيرا مملوكا قلت فاديته .

وقوله عز وجل « وفديناه بذبح عظيم » أى جعلنا الذبح فداء له وخلصناه به من الذبح .

ويقال فداه وفاداه اذا اعطى فداه فأنقذه وفداه وفداه بفدية اذا قال له جعلت فداك وتفادوا أى فدى بعضهم بعضا والفدية والفدى والفداء كله بمعنى .

وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » .

انما أراد لمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق فعلية الفدية فحذف الجملة من الفاعل والمفعول للدلالة عليه .

فهذه المعانى وتلك الاستعمالات لمادة فدى وأفتدى لا تخرج - كما ترى - عما نستعملها فيه نحن فى هذه الايام من معانى دينية واجتماعية اذ يقول عامة العرب وخصتهم فى هذا العصر فى خطبهم ومقالاتهم وما ينشرونه من احاديث وأقوال .

فدى فلانا وطنه بنفسه وأفتدى أمته بروحه وماله وفى معرض السلوك الدينى يقولون ايضا فدى وافدى

وأفتدى اذا ما قصر الحاج - مثلا - فى أداء بعض نسك الحج أو عجز عن فعلها فذبح شاة أو صام اياما كعوض عن ذلك النسك الذى تركه عن عمد أو عجز هذا على أن الذى يتدبر أى الذكر الحكيم ويتنهم احكام التنزيل العظيم يوافقنى فيما اذهب اليه من القول بأنه ما من حكم شرعى جاء فى القرآن أو سنة اجتماعية دعى اليها الاسلام الا ولها حكمة بالغة غير ان هذه الحكمة قد تكون ظاهرة واضحة يدركها العقلاء ويفهمها العالمون وذلك اذا ما كانت تلك الحكمة منوطة بالحياة الواقعية اجتماعية كانت أم فردية .

وقد تكون غامضة لا يعلمها الا الله ومن لصطفى من الانبياء والمرسلين وقليل من العلماء العاملين الذين عناهم القرآن فى قوله سبحانه « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم » وذلك اذا ما كانت تلك الحكمة تتعلق بالحياة الاخرية وما قد يؤول اليه أمر الانسان وقت الحشر والنشر أو يوم يبعثون .

والغرض من هذا ان أقول ان مشروعية الاحتفال بيوم النحر وسنية الاضحية تنطويان دون شك على حكمة بالغة ومغزى عظيم .

ولبيان تلك الحكمة وشرح ذلك المغزى أقول : ان أول ما يتبادر لاولى النهى وأرباب الالباب حالة التأمل الذهنى وقت الصفاء الفكرى من معانى حكمة النسك بالاضحية هو ذلك المثال الخلقى المنوط بالبذل والسخاء وقت اليسر والعسر على السواء أو التضحية بالمال والنشأ اذا ما اقتضى ذلك أمر انساني أو عمل اجتماعى - أعنى ان الانسان اذا ما تعود النسك بالاضحية يوم النحر فانه يتعود - دون شك - نتيجة للاخذ بتلك السنة بذل كل مرتخص وغال فى سبيل الله والدين والوطن وخير بنى الانسان بوجه عام .

وبعد هذا كله - يبقى لحكمة النحر - فى الجمعية - معان أخرى روحية واجتماعية دينية ودينية بعضها يقع فى هذه الدار والبعض الآخر يتحقق فى دار القرار قد أحجمت عن ذكرها هنا لضيق المجال فى هذا المقال .

رحلة القلب والروح إلى بيت الله العتيق

[ويفا انى اسكنت من ذريتي
بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم
ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل الهداة
من الناس تهوى اليهم وارزقهم من
الثمرات لعلهم يشكروا] (سورة
ابراهيم)

فضيلة الشيخ محمد حافظ سلمان

باتباع سبيل المؤمنين فقال جل شأنه ، [وان هذا
صراطى مستقيما فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله فليكن وصيكم به لعلكم تتقون]
(الانعام) .

ان هذا البلد الامين ملتقى الوافدين اليه من
المسلمين مع اختلاف الرانهم والسننهم التى تذكر الله
وتتلو آيات الله بلسان عربى مبين عند البيت الذى
طهره الله للطائفتين والقائمين والركع السجود . « والله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر
فان الله غنى عن العالمين » (الحج) .

والحج ارتباط بالله يفتح من النفوس ضيقها
وعجزها . ومن الارادة فتورها وتنميرها ، ليضع
الايمان بالله القوة فى النفوس ، والشجاعة فى
الارادة ، ليمتلئ القلب باليقين الدافع الى الاقدام الى
الله الكبير المتعال الذى اعز دينه واطهره على الدين
وايد الله السذنين آمنوا به على عدوهم فاصبحوا
ظاهرين .

والحج يذكرنا بقدرة الله التى جعلت من ذرية
ابراهيم عليه السلام نبيا اميا ورسولا عربيا ، ينشر
الاسلام فى ربوع الارض ، فملا الدنيا عدلا وامنا
وسلاما ، وملا القلوب عزا واطمئنانا ، ذلك الرسول
الامين هو محمد بن عبد الله وهو ابن مكة المكرمة
ومطهرها من الصنم والوثن ، ومطهر النفس ومزكياها
« وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

ولقد كانت مكة وما حولها من القرى القريبة
والبعيدة تعيش فى جو من الخلافات والمنازعات ،

كانت هذه دعوة خليل الرحمن ابراهيم عليه
السلام ، فقد دعا ربه ان يجعل أفئدة من الناس تهوى
الى أم القرى عند بيت الله العتيق الذى جعله الله
مثابة للناس وأمنا ، وقد حقق الله ذلك ، فهناك . عند
البيت الذى جعله الله مباركا وهدى للعالمين ، يحس
المؤمن بلمسات قدسية ، وأحاسيس قلبية غير عادية ،
وأشراقات نورانية ، وتجرد روحى فيه صفاء ونقاء ،
واتجاه خالص لله رب الناس ملك الناس اله الناس ،
وهناك تلمئن القلوب بذكر الله غافر الذنب وقابل
التوب ، وهناك يتضرع العباد رافعين أكف الرجاء الى
السماء راجين من ربهم - غفار الذنوب وستار
الميوب وعلام الغيوب ، أن يمحو الخطايا ، والله
قريب يجيب دعوة الداعى اذا دعاة ، وهو غفار لمن
تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ، والحج هجرة
القلوب الى الله لتخشع لله وحده لا شريك له ، وهناك
ترد النفوس الى رشدتها ، وتتوب الى ربها حيث
الالسنة تهتف قائلة :

« جئناك يارب نسعى اليك ، ووقفنا ضارعين بين
يديك ، وهتفنا قائلين لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك
لك لبيك » ، لان الحج يكون بدعوة من الله الذى
يقول « وأذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا ، وعلى كل
ضامر يأتين من كل فج عميق » (الحج) والعبد يلجى
الدعوة فيقبل على الله بقلبه وروحه ، قالوا : ان الحج
شرع لينمى روح الالفة وللتشاور والتناصح بين
المسلمين ، والتواصى بالبر والخير ، وهذا امر لا ريب
فيه ، فالمسلمون أمرهم شورى بينهم ، وهم دائما
اخوة ، وهم رحماء بينهم ، وأمتهم أمة واحدة ،
الاعتصام بحبل الله سبيلهم ، والصراط المستقيم
منهاجهم ، والعمل الصالح طريقهم ، لان الله أمرهم

معجزة تنطق بفضل الله على نبيه الذي اصطفاه واجتباها ، وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما .

وثمة لمسات اخرى يحس بها المؤمن العابد الراكع الساجد المنجرد من المظاهر والالقاب التي تخفى تماما وتتشابك عندما يلبس الجميع لباس البساطة والمساواة الذي يرمز للقاء الله ، ففي ارتداء ملابس الاحرام لمسات الدار الآخرة ، فالجميع سواء يرتدون الملابس البيضاء ، وفي ذلك انكار الذات فلا مميزات ولا انايات ، اذ يتجه الجميع الى الله الواحد القهار الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذ سنة ولا نوم ، فلا تخفى عليه خافية ، وهو المعطي المسامحة الضار النافع وقد ملأت رحمته الدنيا ووسعت كل شيء ، فلم يعجل العذاب للمذنبين ، وهو يحب التوابين الاوابين ويحب المتطهرين وسيكتب الله رحمته لعباده المتقين .

فلينتا نتوب من الذنوب في تلك اللحظات المباركات التي يفتح فيها ابواب السماء لقبول الدعاء ، عسى الله ان يرفع عنا البلاء ويمحو الشقاء ، ويبدل السيئات حسنات ، ان المحرمات امتحانات للنفس ، فاذا نجحنا واعتصمنا بالله فلن يتخلى عنا ربنا لانه يقول ، (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

فاذا اردنا ان يكون الله معنا فعلينا ان نكون مع الله .

ولا ينبغي ان يكون للشيطان سلطان على تصرفاتنا ، فان الشيطان للانسان عدو مبين ، ان كل اغراء امتحان فليثق بالله من آمن بالله ، ومن يستغفب يعفه الله (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) .

والعبادات المختلفة ومنها الحج - تقوى العزائم ، وتوفظ الضمائر ، وتثير البصائر ، وتصنع الارادة التي تحمي الحق وتسانده . . .

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصوم جنة ، والزكاة تطهير للمال ونماء له .

والحج رحلة هادفة وعبادة باعثة تحو الخطايا ان حسنت النية وتقبله رب العالمين ، والعبادات تحتاج للصبر ، والله مع الصابرين . والصبر ليس معناه العجز والضعف والكسل والخمول ، ولكنه صبر النفس المضاهدين الذين يكرهون الضعف والهزيمة فلا يصحسون احدا الا الله « الذين قال لهم الناس ان الناس قد سمعوا بكم فاحشسوه فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل اكل عمران .

وفي الحج ذكريات ترتبط بمنبت الدعوة الاسلامية في مهدها ، ومعينة على الطبيعة لارض المعجزات ،

والتقاهر بالاحساب والتعالي بالانساب ، حتى أضغفها النزاع والمشاحنات ، فصارت القبائل ممزقة متفرقة في صحراء شاسعة وبيداء واسعة ، ولكن هذه التلال والجبال والصخور أصبحت بفضل الاسلام مشرقا ، للنور ، وأضحت الرمال والبيداء مبعثا للحضارات التي انبعثت اشعتها على بلاد العالمين ، يوم قام النبي العربي ينشر الوحي الالهي والنور المحمدي والتشريع السماوي في بلاد العرب (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) . فالنور محمد والكتاب المبين هو القرآن والحج مشاهدة على الطبيعة تبين لك كيف استطاع الاسلام الخالد ان يصنع من تلك القبائل المتنافرة اضعف قوة حطمت الامبراطوريات الظلمة المجاورة للعرب من الفرس والروم ، فغزوههم باذن الله ، وزلزلوا اركانهم ، ومحو آثارهم ، ومن هؤلاء البدو والعرب خرجت طلائع وصلت الى أوروبا ، فنشأت المدن والحصارات ، ونولا الاسلام لما أصبحت الصحراء الجرداء القاحلة قوة تبني الانسان الجديد المؤمن الذي لا يمشي مكيا على وجهه ولكنه يمشي سويا على صراط مستقيم ، لقد استطاع الدين الجديد ، دين التوحيد ، دين الحياة ، دين الحق ان يهدي اهل البادية حتى أصبحوا رمزا للقوة والوحدة والتعاون والعزة ، حتى قال لهم ربهم [كنتم خير امة اخرجت للناس] ووصفهم بأنهم الاعلون فقال لهم [ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين] . ووصف المؤمنين بان لهم العزة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

... ويذكرنا الحج بالوحي الذي نزل به الروح الامين بلسان عربي مبين على قلب سيد المرسلين فاربطت به الارض ، بالسماء واستضاء بنوره أهل الصحراء وبفضله أضحى رعاة الغنم قادة الامم ان هجرة القلوب الى الله في يوم الحج تعيد للنفس اجمل الذكريات ، ذكريات ايام الاسلام الاولى التي وحدث المتأفرين وجمعت قلوب المتنازعين المتقاتلين ، وجعلت من الجميع وحدة سادت العالم وصممت أوضاعه الاجتماعية ، وصنعت الحياة صنعا جديدا تسانده عناية الله ، وتؤيده رعايته . حتى انتشر دين الله وانتصر . وأصبحت كلمة الله هي العليا وكلمة الدين كفروا هي السفلى ، . . . وثمة ذكريات يثيرها الحج عند الغار الذي أوى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه معصبا بارادة الله الذي نسج من خيوط العنكبوت وقاية لنبيه الكريم ، وهل خيوط العنكبوت وحدها لولا عناية الله تحميه ؟ هل تمسح من اقتحام الغار ؟ هل تصد عنه القلوب الحاقدة والنفوس المليئة بالغار الغادر ، والكيد الفاجر ، والتعدي السافر ؟ ان رعاية الله جعلت من خيوط العنكبوت

الله صلى الله عليه وسلم « من حج فلم يرفث ولم
يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه
البخارى ومسلم . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **العمرة
إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء
إلا الجنة** . ولا يفوتنا أن نعرف أن الله قد أكرم زوار
بيته الحرام ، ولقد أمرنا لتأدية هذه الفريضة المكتوبة
على من استطاع إلى بيت الله العتيق سبيلا
فقال « **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا** »
وقال « **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه
سبيلا** » سورة البقرة .

وهذا البيت هو الذى أمر الله إبراهيم وإسماعيل
عليهما السلام أن يبنياه فصدعا بالامر وبينا الكعبة
فى مكة ثم أمر الله نبيه إبراهيم أن يعلم
اناس بان هذا البيت بنى لعبادة الله وعليهم أن
يقصدوه للنسك ، فطلب إبراهيم وإسماعيل من الله أن
يريهما الناسك ، « **أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة
مباركا وهدى للعالمين** » آل عمران . وجاء هذا الامر
بتكليف لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهو عهد
الله اليهما كما جاء فى القرآن الكريم بتطهير
البيت « **وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي
للصلاة والنعافين والركع السجود** » البقرة .
وقد رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل
وقاما بمهمتهما على أكمل وجه تنفيذا لأمر ربهم « **وإذ
يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل
منا انك انت السميع العليم** . ربنا واجعلنا مسلمين لك
ومن دريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا
إنا انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكهم إنا انك انت العزيز الحكيم .

ولقد استجاب الله دعاءه ، وبعث فى الاميين
رسولا منهم عربيا أميا قرشيا من ذرية إبراهيم عليه
السلام ، فأقام دولة العدل والسلام القائم على العزة
والمنعة والقوة ، لا على الاستسلام وضياح الحقوق
والتفريط فى الواجبات ، ولذلك كان الجهاد فريضة
محتمة دفاعا عن العقيدة وصيانة للحق وأعلاء لكلمة
الله حتى يقف المعتدى عند حده ، ويعود إلى رشده ،
ومع ذلك فالعدوان محرم فى الاسلام « **ولا تعتدوا ان
الله لا يحب المعتدين** » . وبالتضال والدفاع عن
احرامات والحريات يعود السلام إلى نصابه . اما
الوحدة الاسلامية المتناسكة بين المسلمين فهى رهن
باعتصام المسلمين بحبل الله ، وإذا أحب الله عبدا
جعل الله له وأعطا من نفسه ، وإذا استمسك
المسلمون بدين الله أيدهم الله ، وأمدهم بعنايته ،
ورعايته ، فساد بينهم التفاهم والتعاون والوئام
وأصبحوا بنعمة الله اخوانا .
والاسلام يأمرنا بالالفة والمودة ، ويهناكنا عن
الضغينة والحقد والاثنية الكريهة ، وفى يوم الحج

البقية ص ١٦٠

وميهط الوحى ، ومشرق النور ، ومواقع الغزوات فى
أيام التضال الاولى ، فليس الحج رحلة ترفيه أو
نزهة ، ولكنه عبادة خالصة لله الذى أمرنا أن نعبد
مخلصين له الدين . كما ورد فى كتاب الله : « **قل انى
أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين** » الزمر (وما
أمرنا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء
ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة

والاخلاص سر بين العبد وربّه ، لا يعلمه الا الله
الذى يعلم السر وأخفى . ويعلم ما تكسب كل نفس ،
ويعلم ما بين أيديهم وما خلفهم .

(**قل انما ادعو ربى ولا أشرك به أحدا** . قل انى لا
أهت لهم ضرا ولا رشدا . قل انى لن يجيرنى من الله
أحد ومن أجد من دونه ملتحدا) الجن .

فهناك فرق بين المهاجر إلى الله والمسافر ، وبين
العابد والتاجر ، وفرق بين من يتعبد بتلاوة القرآن
ويؤمن بأنه معجزة خالدة ، وبين من لا يعرف الا أنه
اصوت تطرب السامع ، ويجهل أنه اعتقاد ومناهج ،
وأنه رسالة الله للعالم أنزل على قائد الخلق إلى
الخلق ، فهو الذى يعلمنا الخلق التوحي ، ويهديننا
إلى صراط السدقيم ، وهو النور المضي بحقيقته الحياة ،
وهذا القرآن نزل بلسان العرب فى بلاد العرب ، فعزبه
العرب . وسعدت به الدنيا ، وحول الأرض القاحلة
إلى بلاد تهوى إليها القلوب وتشواق إليها النفوس
ويؤمن عليها المسلمون من كل فج عميق لحج بيت الله
العتيق .

وفقد استطاع الاسلام أن يصنع من أبناء القبائل
المعتاتلة انسانا مهذبا : انسانا فاضلا كاملا سيدا
وقائدا ، ومربيا ورائدا ، لأن هذا الدين لا يصنع
العاجز المتخلف . فهو دين العلم والحياة وهو يقدر
العقل . ويحض على العمل ، لأن العقل يفكر والعمل
يبنى التقدم ، ويؤسس بنيان الحضارة ، ولذلك حرم
الاسلام كل ما يضر بالعقل ويضر بقيم الرجال ، وقد
حرم الله كل الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

وللحج آداب منها أن تحج المرأة ومعها محرم ، لأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يخلون رجل
بامرأة الا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع
ذى محرم . فقام رجل فقال يا رسول الله ان امرأتى
خرجت حاجة وانى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا قال
انطلق فحج مع امرأتك) !!

وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه
أجابهم وان استغفروه غفر لهم إرواه النسائى .
وروى الطبرانى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه
قال : **حجوا فان الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء
الظن**

وينبغى ألا يفعل الحاج الا ما يرضى الضمير فما
ذهب المسلم لحج وليفعل ما يرضى الله من العمل
الطيب والقول الحسن المقرب إلى الله : بقول رسول

فلسفة الحج في الإسلام

الأستاذ أمين عثمان

لك الدين يارب الحجيج جمعته
لبيت ظهور الساح والشرفات
أرى الناس أفواجا ومن كل بقعة
اليك انتهوا من غربة وشكيات
تساووا فلا الانساب فيها تفاوت
لديك ولا الاقدار مختلفات
ويا رب هل تغنى عن العبد حجة
وفي العمر ما فيه من الهفوات ؟

[الشاعر احمد شوقي]

فضيلة الحج

ان الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه ؟ عبادة العمر ، وختم الأمر ، وتهام الإسلام ، وكمال الدين ، فيه أنزل الله في الآية [٣] من سورة المائدة : « اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » وفي حديث رواه الشيخان البخاري ومسلم [عن أبي هريرة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :] من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وما رأى الشيطان في يوم أصفر ولا أحمر ولا أحقر ولا أغيط منه يوم عرفة [.

وما ذلك إلا لما يرى الشيطان من نزول الرحمة ، وتجاوز الله [سبحانه] عن الذنوب العظام ، وفي حديث [ابن عمر] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

[الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره ان سألوه أعطاهم وان استغفروه غفر لهم ، وان دعوا استجب لهم وان شفّعوا شفّعوا] .

العبادات الإسلامية والروح الرياضية

١ - يؤكد علماء الاجتماع وعلى رأسهم الفيلسوف العربي [عبد الرحمن بن خلدون] صاحب [المقدمة] أن البداوة أقرب إلى طباع الخير من الحضارة ، وأن الأمم كلها كانت أقرب إلى الفطرة ، وأبعد عن الترف ، وأشد تمسكا بأخلاق الفريسيان ، فانهما تكون أصلب عودا ، وأقوى مراسا ، وأن الله [سبحانه] يمكن

لها في الأرض تصديقا لقوله تعالى في الآية [١٠٥] من سورة الانبياء :

[ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون ، ان في هذا لبالغا لقوم عابدين ، وما أرسلناك الا رحمة للعالمين] .

٢ - كما يؤكد علماء الاجتماع أن الأمة اذا ابتعدت عن الخشونة ، وانغمست في الترف ، وعنت عن أمر ربها ورسله ، ذهب ربحها ، ودبت عقارب الضعف في جسدها ، واعتراها ما يعترى الأجساد من العلل والأمراض ، واعتبر ذلك بما حدث للإمبراطورية [الرومانية] والفرسية ، والعثمانية ، والإسلامية في [بغداد] والاندلس ، وما حدث لبريطانيا العظمى التي كانت لا تغرب عن أملاكها الشمس ، ثم ما حدث لفرنسا وما سوف يحدث لغيرها ، وهذا مصداق لقوله سبحانه في الآية [١٦] من سورة [الاسراء] : [واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا] .

٣ - لماذا اختار الله رسالة [محمد] صلى الله عليه وسلم ، لتكون في قلب هذه الصحراوات الواسعات ، وعلى قمم تلك الجبال الشاهقات ، وفي جنبات هذه البوادي المقفرات ؟ لأن هذه البيئة كانت تتجمع فيها أخلاق الفريسيان [المروءة والنجدة] ، والباء الضيم والحرية بما تشتمل عليه هذه الكلمة من

يقول الله تعالى [انظروا الى زوار بيتي قد جاءوني
شعثا غبرا من كل فج عميق] .
والله تعالى يقول في الآية [٢٩] من سورة

[الحج] :
[ثم ليقتضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا
بالبيت العتيق] .
والنفث كما يقول الفقهاء : هو الشعث والاعبرار ،
وقضاء النفث يكون بالحلق وقص الاظفار .

[٣] مجاهدة النفس واعلاء الفرائض

ومن اهم الواجبات في الحج ، الروح الرياضية
العالية ، ومجاهدة النفس ، وكبح جماح الفرائض يترك
[الرفث والفسوق والجدال] يقول الله [سبحانه]
في الآية [١٩٧] من سورة البقرة : [الحج أشهر
معلومات فمن فرض فيه الحج فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج] والرفث في اللغة : هو اسم
جامع لكل لغو وضاء ، وفحش الكلام ، ويدخل في
ذلك مغازلة النساء ، ومعاكستن والتعرض لهن في
الطريق ، وقديما كانت العرب تسمى كلمات الغزل ،
واساليب الاطراء في محادثة النساء [رقي ابليس]
والرقي جمع [رقية] وهي ما يتلى على المريض
ليبرأ ، والعرب تشبه كلمات الغزل ومطارحات
الغرام بالرقية ، ولكنها رقية من نوع جديد انها
[رقية الشيطان] قال شاعرهم :

ماذا يضر سليبي ان يلم بها

مرجل الراس ذو بردين وضاح

خز عمامته حلو فكاهته

وفي كفه من [رقي ابليس] مفتاح

ويقول امير الشعراء [احمد شوقي] :

خدعوها بقولهم حسناء

والغواني يفرهن الثناء

نظرة فابتسامه فسلام

فكلام فموعد فلقاء

اتقوا الله في قلوب العذارى

فالعذارى قلوبهن هواء

ان الله يريد ان يقطع الطريق ، ويسد باب الذرائع

في موسم الحج ، على هؤلاء الفساق والمفسدان

والعابثين بالشرعية ، من امثال [عمر بن ابي ربيعة] ،

وهو الذي يقول فيها يرويها [صاحب الاغانى] :

أبصرتها ليلة ونسوتها

يمشين بين المقام والحجر

بيضا حسانا نواعما قطفا

يمشين هونا كمشية البقر

قالت لترب لها تالطفها

لتفسدن الطواف في عمر

قومي تصدى له ليعرفنا

ثم اغمز به يا أخت في خفر

قالت قد غمزته فابى

ثم استظرت تشدد في أثرى

واما الفسوق : فهو اسم جامع لكل خروج عن

طاعة الله [عز وجل] هو المبالغة في الخصومة ،

معان [تلك الاخلاق والصفات التي تصلح لان تكون
تربة تخصب فيها المبادئ والمثل العليا الاممية .
وهل ينبت الخطي الا وشيحه

وتنبت الا في منابتها النخل ؟

ولقد اراد الله [سبحانه] ان يحفظ على المسلمين

تلك الروح الرياضية النبيلة ، حتى في العبادات

والمعاملات ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يخرج مع اصحابه في رحلات كشفية يوقدون النار ،

ويذبحون الذبائح ، ويهيئون الطعام بانفسهم ، ويبني

رسول الله الا ان يشاركهم في ذلك فيقول ! اما انا

فعلى ان اجمع الحطب [وحينما يظهرون له التعجب

من ذلك يقول] اننى اكره ان اتميز على واحد منكم

لا تطروني كما اطرت النصارى المسيح بن مريم انما

انا عبد الله ورسوله فقولوا عبد الله ورسوله] .

موسم الحج معسكر كشفى بهيج

وسوف اضرب للقارىء مثلا واحدا من واقع الحياة

الاسلامية ، هو موسم الحج ، اننى اعتبر هذا

الموسم انما هو معسكر الهى كبير ، وميدان رحب

لممارسة الاخلاق والمثل الاسلامية العليا ، حتى

تصبح بعد ذلك عادة مكتسبة لمن يسعده القدر

بزيارة بيت الله .

[١] توحيد الازياء

ان هناك زيا موحدا ، هو ملابس الاحرام البيضاء

يشترك في هذا الزى غنى المسلمين وفقيرهم

وصغيرهم وكبيرهم ، وقد شاء الله الا تكون مخططة

حتى لا تتدخل فيها خيوط [الموضة] والموديلات

المختلفة ، ولو تعددت ازياء الحجاج لشاهدت

[كارتريلا] عجيبا يختلف باختلاف الشعوب والامم ،

ولكن يجرب ان يقف الناس جميعا امام الله ، مجردين

عن زخرف الحياة ، وزينة الدنيا ، فقد جاء في الحديث

[ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم]

ولقد عبر عن هذا المعنى امير الشعراء [احمد شوقي]

بقال :

لك الدين يارب الحجيج جمعتهم

لبيت طهور السباح والشرفات

ارى الناس افواجا ومن كل بقعة

اليك انتهوا من غربة وشنات

تساوا فلا الانساب فيها تفاضل

لديك ولا الاقدار مختلفات

ويارب هل تفتنى عن العبد حجة

وفي العمر ما فيه من الهفوات

ومن تضحك الدنيا اليه فيفتر

يمت كقبيل الغيد بالبسمات

والحاج المثالى في نظر الاسلام ، هو الاشعث

الاغبر الذى لا يستكثر من الزينة ولا يميل الى اسباب

التفاخر والتكاثر ، فقد روى [البغوى والطبرانى]

من حديث [عبد الله بن ابي حذرة] قال ، قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم :

[تمعددوا واخشوشنوا وانتصلوا وامشوا حفاة]

وقد روى الامام [احمد] من حديث [عبد الله بن عمر]

والجارية بما يورث الضيقان ؟ ويتناقض حسن الخلق ، وعن [سفيان] : من رفث فسد حجه ، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع احكام الطعام من بر الحج .

والجدالة تناقض طيب الكلام ، فلا ينبغي ان يكون كثير الاعتراض على رفيقه وعلى غيره من اصحابه ، بل يلين جانبه ، ويخفض جناحه للساثرين الى بيت الله ويلزم حسن الخلق ، وليس حسن الخلق كفى الاذى بل هو احتمال الاذى .

[٣] معسكرات وخيام

معسكرات وخيام واسفار وحل وترحال ، ينسى الانسان فيها نفسه ، ويرتبط بالمال الاعلى وبالنفحات الالهية ، لا يمتاز بعض الناس بمكان دون مكان ، كما كانت تفعل ذلك [قريش] قبل الاسلام ، فتختار لها مكانا تمسك فيه تعاليا واستكبارا ، فقوض الله عليهم تعاليهم ، وأمرهم ان يندمجوا مع سائر البشر ، ونزل قوله تعالى في الآية ١٩٩ [من سورة البقرة] ثم اقبضوا من حيث افاض الناس ، واستغفروا الله ان الله غفور رحيم .

ولا وصول الى الله الا بالتزهد عن الشهوات . والكف عن المذات المغريات والفرار الى الله ، فاليه يرجع الامر كله .

قضى الله فينا بالذى هو كائن

فتم وضاعت حكمة الحكماء وهل يابق الانسان من ملك ربه

فيهرب من أرض له وسماء ؟

[٤] اطاعة الاوامر وتنفيذها دون مناقشة

وفى اعمال الحج تتجلى روح الجندية ، فى اطاعة الاوامر وتنفيذها دون مناقشتها أو تلمس لاسبابها ، وذلك كاستلام الحجر الاسود ، ورمى الجمرات ، وهذا ما دعا أمير المؤمنين [عمر بن الخطاب] الى ان يقول فى حديث رواه [الشيخان] عن عمر انه قبل الحجر الاسود وقال : اننى أعلمك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

ولهذا كان من المستحب فى الدعاء قبل مجاوزة [الحجر] :

[بسم الله والله اكبر ، اللهم ايماننا بك ، وتصديقا بكتابتك ، ووفاء بعهديك ، واتباعا لسنة نبيك [محمد] صلى الله عليه وسلم] .

وفى كتاب [احياء علوم الدين] نرى ابا حامد الغزالي يقول :

واما استلام الحجر الاسود فاعتقد عنده أنك مبايع لله [عز وجل] على طاعته فصمم عزمك على الوفاء ببيعتك ، فمن غدر فى المبايعه ، استحق المقت .

وقد روى عن [ابن عباس] رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [الحجر الاسود يمين الله عز وجل فى الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه] .

ثم يستطرد الغزالي فيقول : وأما رمى الجمار

فانتص به الانقياد للاوامر اظهارا للرق والعبودية ، وانتهاضا لمجرد الامثال من غير حظ العقل والنفس فيه ، ثم اقصد التشبيه [بآبراهيم الخليل] حيث عرض له ابليس لعنة الله تعالى فى ذلك الموضوع ، ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا .

ثم يقول [الغزالي] :

وأما السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت ، فانه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائئا وذاهيا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص فى الخدمة ، ورجاء للملاحظة بعين الرحمة ، ولا يزال يتردد على فناء الدار مرة اخرى يرجو ان يرحم فى الثانية ان لم يرحم فى الاولى حتى يجاب طلبه .

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القصرع للأبواب ان يلجأ

[٥] منطق القوة مع المتكبرين

ومن مناسك الحج أن يرمل الحاج فى ثلاثة اشواط ويمشي فى الاربعة الاخرى ، عند طوافه بالبيت ، ومعنى [الرمل] أن يسرع فى المشي مع تقارب الخطا وهو دون العدو ، وفوق المشي المعتاد ، والمقصود منه هو اظهار الجلالة والقوة ، هكذا كان القصود أولا قطعاً لطمع الكفار ، وبقيت لك سنة ، ففى حديث متفق عليه بين [البخارى ومسلم] عن ابن عباس قال :

[قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ، فقال المشركون : انه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة] .

ولا ريب أن الاسلام يحترم مبوا القوة فى علاج الامور اذا اعتدى المعتدى وتطاول اذا لم يؤد المنطق والحجة ، والحوار المقنع الى نتيجة [ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا] .

ولقد عبر الشاعر المتنبي عن هذا المعنى ابلغ تعبير فقال :

إذا لم يكن الا الاسنة مركبا

فما حيلة المضطر الا ركوبها

أما بعد :

فتنبه الى الله [سبحانه] ونحن فى رحاب كرمته ، ان يتفقدنا برحمته ، وأن يشملنا بمغفرته ، وأن يغفرنا بلفظه ، وينفخنا بعفوه ، انه هو البر الرحيم .

فيارب هل تقنى عن العبد حجة

وفى العمر ما فيه من الهفوات

وتشهد ما آذيت نفسا ولم أضر

ولم أبغ فى جهري ولا خصري

وقدمت أعذارى وذلى وخشيتى

وحنت بضعف شافع وشكات

وانت ولى العفو فأعف بناصع

من الصفح ما سودت من صفحات

وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً



على الله توكلنا وفوضنا اليه
امورنا ، ربنا لا تزعِ قلوبنا بعد اذ
هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك
انت الوهاب ، ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة
انك لا تخلف الميعاد .

الكتور زكي مشعل

واقدها فسيما الحق القادر
النفوس المحببة التي شرفت نيما
بعد بخير خلق الله وحلت في
جسمه الطاهر وانبت فيه عندما
شاء الحق مولده صلى الله عليه
وسلم ، وعلى اى حال فان
نفوس التي بت النفوس الحميدة
في الارز فشربت من الخير كانت
نفوس الانبياء والرسل ثم نفوس
الصالحين ثم من قدر عليهم ان
ينعموا ويهدتوا الى نعمة الايمان
وهداية الاسلام هؤلاء لا ريب هم
حزب الرحمن .

والفريق الثاني من النفوس
والارواح التي سعت بالهاهما
ومن الهامها نحو الشر فاستعذبت
واستلذت كان اول نفس من هذا
الفريق آخذة من هذا المنصر
البغيض هي شر نفس واقبح
النفوس تلك هي نفس اللعين
الاول الذي كان اول من سخط
الله عليه فاخرجه من رضوانه
ولعنه ودعاه رجيبا وابليس
وشيطانا .. ومن غير شك ان
النفوس التي سعت الى ما سعت
نفس الرجيم اليه ، وشربت مما
شرب منه من الشر بأنواعه
ودرجاته ، قد تفاوتت درجاتها
في سبل الشر من الاثم والبغى
والفساد والعذوان . ومن هذا
الفريق فريق الشر وابسط ،
وعنه نشأ حزب الشيطان . ولما
تم ذلك كانت في السمم الاربي
عالم النفوس والارواح بلا اجسام
ولا اشباح ، جاءت حكمة الحكيم
المعلم بكل شيء بعدل محكم بين
الخلق بعدما اخذ كل فريق ما
اخذ فوضع العدل الالهى بعد ذلك
او عندئذ جزاء وفقا مستقيما
نابعا من تلك المقدمات ، فكان
لفريق نفوس الخير حسن
الجزاء والمثوبة والسعادة
والنعيم ، فكانت الجنة ، جنة
الرحمن الرحيم ولعصبة الشر
واوليائه من النفوس والارواح الائمة
الباغية المستعذبة للقبس
والسيئات ، ذلك المصير المثل
في جزاء أسوأ من جنس اعمالهم

اما الى السمو والرقى والكمال ،
واما الى الانحطاط والتسفل
والضلال ، فجعل الحق سبحانه
بقدرته شئين كائنين ، هما
المقياس الصحيح والمعيار الحق
لذلك التمييز والتفاضل هما
المسميان بالخير والشر ، وعن
الخير نشأ الوفاء والسعادة
والمحبة والصدق والايمانه
والايمان وكل ما يؤدي الى
الكمال والى رضوان الله عز
وجل . وعن المنصر الثاني
عنصر الشر الكائن المخلوق مع
الخير خرج منه ونتج عنه كل
منكر وقبيح ومذموم نابه النفوس
التي اسعدها الحظ . يتقدر الحق
عليها من فيضه ان نهلت من منهل
الخير بأنواعه والوايه الرفيعة
الخرية ، فلما وضع الخير
والشر كلاهما امام هؤلاء النفوس
والارواح في ذلك العالم الازلي ،
الهم جل جلاله بقدرته النفوس
كلها لتقبل فتأخذ من هذين
الكائنين الخير والشر بما تقدر
وبما تطيق ، فاقبلت وبسعت
سراعا نحو الخير والشر هناك
كان اول نفس نهلت من معين
الخير الصافي ، انها خير نفس
واسماها اسمى النفوس جميعا

لقد نفرد الحق سبحانه
بالوحدانية الباقيه الدائمة
سبحانه لا شريك له . هو الخالق
المعبود قبل كل شيء وبعد كل
شيء ، فكل صفاته واسماؤه قديمة
بقدمه سبحانه ، ومعلوم للخلق
جميعا ان الله سبحانه كان قبل
ان يبتدىء الخلق ويمن عليهم
يفضله لينشئهم من العدم الى
الوجود كان وحده وليس معه الا
صفاته واسماؤه غير ان ارادته
العليا ارادة الحكيم الخبير
شاءت ان يبرز من علمه جل شأنه
في الازل ، اى قبل خلق الخلق
جميعا ، نفوس مخلوقاته وان
يظهر ارواحهم الى الوجود في
الازل ، ثم تجلى من نوره بنوره
القدس على تلك النفوس
والارواح غيث فيها بقدرته حركة
الحياة او حياة الحركة ، فجعلت
تتحرك بقدرته قدره القادر
المقتدر . وكانت الارواح
والنفوس كلها في مقام واحد
سواء لا تمييز بينها ولا تفاضل ،
كذلك بين بعضها بعضا . فجاء
العدل الالهى الحكيم المحكم فخلق
دون النفوس والارواح ما يميز
بعض الارواح والنفوس على
بعض ، فيكون التفاضل بينها

فكانت جهنم والجحيم وسقر التي أعدت لشر هؤلاء المخلوقين ، كل ذلك قد كان في عاصم الأزل . وأعطى به عندها كان الحق تبارك وتعالى وحده ولا شيء من الكائنات الحية من المخلوقين من الأشباح والأجسام معه أبدا .

ومن هذا العرض العلمي الفلسفي الذي كشفته لتعاريء ، يتبين أن الخلق جميعا من أول الوجود إلى آخره ، ينبغي بل يتحتم لزما ، أن يكون الخلق حزبين لا ثالث لهما ولا يصح أن يكونوا كلهم على حزب واحد ، لأنه كلمة تبين وظهر أن الخير والشر يصطرعان بزاحم أحدهما الآخر بين الناس ولا ينفك الناس عنهما . ولكن أحكم الحاكمين ظهور لنصرة الحق وأمله كيفما وأينما كانوا ، وإن الباطل مهما تكاثر أعوانه وظن من تسلحوا به لتوتهم الحسية الظاهرة أنهم بهذا الظاهر يستطيعون أن يسيطروا على الحق وأمله لقلتهم في نظرهم فإن رب الحق وأمله للباطل وأعوانه بالمرصاد . تلك المثل التي تمثلت في الفريقين والتي بسببها وجد حزب الشيطان وحزب الرحمن قد بينها الذكر الحكيم يقول الحق جل شانه : « ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون . أعد الله لهم عذابا شديدا أنهم ساء مكانوا يعملون . اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلم عذاب مهين . لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » . ثم يقول سبحانه بعد آية : « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون . أن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأنزلي كتب الله لأغلبن أنا ورسلي أن الله قوي عزيز » . ثم

يتحدث الحق بعد هذا عن حزب الملحجين بالسعادة في الدنيا والآخرة فيقول : « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله . ألا أن حزب الله هم المفلحون ! سورة المجادلة . ومادام في الخلق حزبان أبدا فقد أراد سبحانه أن يقيم عباده وأحبابه على شعائر إسلامية أساسها إيمان ويؤمن بوحداية الحق الإله المعبود وتصديقا بالرسول ورسالاتهم ، ثم يمثل ذلك في فرائض وواجبات في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفي صوم رمضان وفي حج بيت الله لمن استطاع . وهذا الفرض الأخير هو أقوى وأعلى الفرائض كلها ، لأن الإنسان الذي آمن بهذه الشعائر المقدسة الربانية المحمدية يشعر في يقينه ويؤمن بقيته وعقله ، أن الحج إلى بيت الله الحرام هو خير عمل يقوم به طاعة وامتنالا لمرضاة ربه ، لأن في إقامة هذه الفريضة عملا بدنيا وروحيا وقلبيا » .

فالإنسان كله عبد خالص في تدينه حيثما يؤدي طواها أو سعيها أو تلبية وما إلى ذلك من أعمال الحج . لا ينبغي سوى رضوان الله ورحمته ومغفرته . ففى الحج تظهر طاعة العبد الخالصة التي انبثقت وتأسست من نورانية الصلوات التي أداها العبد لربه ومن قدسية الصيام التي التقى الذي طهر نفسه وهذب غرائزه تظهر إخلاصه . ولا ننس ما للزكاة من آثار طيبة تعود على صاحبها بالنماء في صحته وأمواله وأولاده والسعادة في الدنيا ، وكذلك مالها من جزاء جيد عند رب العالمين من فضل ونعيم ورضوان كريم .

ولقد استجاب حزب الرحمن للنداء الإلهي فآخذ يعد نفسه

قاصدا نحو أداء فريضة الحج وزيارة مولانا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولكن نريد أن نتعرف بإيجاز على الحج عند العرب قبل الإسلام ، فأما الحج بالمعنى العام فقد كان زيارة أمكة بخصوصه تقريبا إلى الإله المعبود ، وهذه صورة من صور العبادات اتخذتها الشعوب والقبائل رمزا لإجلال معبوداتها وتقديسها ، وكانت كل جماعة تتخذ في حجها من الصور والأعمال ما تصور به تخيلها لعظمة معبودها حتى أذن الله سبحانه ، فجاء إبراهيم الخليل عليه السلام ، فأمره سبحانه ببناء الكعبة « البيت الحرام » بمكة . وأمره بدعوة الناس إلى حجه ، فكانت الكعبة هي أول بيت وضع في الأرض لعبادة الواحد الأحد دون سواه من المعبودات . ولقد بين الكتاب العزيز هذه الواقعة كلها فقال : « وأذ بآبائنا إبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وظهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » من سورة الحج .

ويقول تعالى : « أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى سعادين فيه آيات بيينات مقام إبراهيم ومن دخله خان أمنا والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » آل عمران . ومن يومئذ نشأ العرب على تعظيم البيت وحجه وعبادة الله فيه ، غير أنهم مع امتداد الزمن وتطاوّل القرون ضعف لديهم روح المحافظة على العهد ونسوا تعاليم التوحيد الخالص فأشركوا مع الله الأصنام ودفعوها على ظهر البيت وحوله واستعانوا بها واتخذوها سفهاء عند الله . يحكي القرآن هذه المظاهر الدخيلة الواقعة لدى العرب قائلا : « والذين اتخذوا

من دونه أولياء ما نعيدهم إلا
ليقربونا إلى الله زلفى سورة
الزمر . ثم أحدثوا وقائع أخرى
في الحج فطافوا بالبيت عرايا
وترفع فريق من أشراغهم عن
الوقوف مع الناس بمعرفة
والإفاضة منها ، معتقدين أنهم
فوق غيرهم من الناس . ومهما
يكن من شيء فإن العرب ظلوا
على هذه السنة التي ابتدعوها
في الحج وأزدادت تعلقا وتأثيرا
ازدادوا معها تأسلا في دينهم
في مشاعرهم واقتدنتهم كما
ازدادوا معها تأسلا في دينهم
وعقيدتهم ، يرث هذه السنة جيل
عن جيل حتى جاءت الدعوة
المجديّة دعوه الإسلام الحنيف ،
ومن الثابت أن الأصنام ظلت
حول الكعبة حتى بعدما هاجر
المصطفى عليه الصلاة والسلام
ومن معه إلى المدينة . ثم كانت
الغزوات والوقائع بين المسلمين
أهل الحق وبين المشركين حزب
الشیطان ، حتى شاء الله لجند
الحق أن ينتصروا وتم فتح مكة ،
فتفتح المسلمون مكة ودخلوا
المسجد الحرام في شهر رمضان
في السنة السابعة للهجرة . وكلنا
نعلم أن رسولنا صلوات الله عليه
عندما دخل الكعبة قال : « جاء
الحق وذهب الباطل إن الباطل
كان زهوما » وكان بيده جزع من
نخيل يضرب به الأصنام ويقذف
بها على الأرض ، وفي ذلك الجو
الديني القوى النبوي تتجلى
سباحة لإسلام ، فترك الرسول
ما بقي من المشركين يدخلون
المسجد أن شاعوا مع المسلمين ،
كل على دينه . وإن يطوفوا وإن
يعبد كل على منهجه في العبادة
من حيث أقام الطواف والتلبية
وما يتبع ذلك من أعمال الحج ،
وعلى هذا أثبت التاريخ أن
المسلمين في عام واحد « عام
المشردين بغيره الباقية حجوا مع
الفتح » في وقت واحد ، واتخذ
كل فريق من البيت نساجية
خاصة ، وعلى هذا الوضع مضت
السنة الثامنة وجاءت السنة
التاسعة للهجرة وفيها فرض

الحج على من استطاع إليه
سيلا ، ونزل من الآيات ما يرشد
حزب الرحمن إلى مناسك الحج
وآدابه وتعاليمه .

ويجب أن يعلم القارئ أن
نبينا عليه الصلاة والسلام لم
يخرج إلى الحج في السنة
التاسعة وإنما أمر صاحبه أبا
بكر على جماعة المسلمين الذين
خرجوا لاداء هذه الفريضة في
نظم جماعي مجتمعين لأول مرة
بعد أن هداهم الله إلى الإسلام ،
ولقد تمنى رسول الله حينئذ أن
يمن رب العالمين عليه بوحي يريح
خاطره فيضع حدا متيعا بين
حزب الشيطان عصبية الشرك
والضلال ، محرما عليهم الدخول
إلى الكعبة لتخلص كعبة الله
الطاهرة لحزب الرحمن أولياء
الله الواحد الاحد ، وامتلا قلبه
صلى الله عليه وسلم ، بقبول
الاستجابة لدى ربه ، وبعدم
خرج أبو بكر الصديق ومعه
جماعة من المسلمين لاداء فريضة
الحج في السنة التاسعة وكأن
أمير على هؤلاء كما أراد أبي
عليه السلام وإذا الوحي ينزل
بسورة التوبة ، محققا رجاء
المصطفى الرسول الأمين ، فيضع
حدا واضحا قويا يمنع المشركين
من الدخول إلى البيت الحرام .
فاستدعى الرسول ابن عمه عليا
قائلا له : « يا علي خذ هذه الآيات
واقراها على الجماعة » ولم يكد
على يقترب من أبي بكر حتى
سمع أبو بكر رغاء خاصا معروفا
لديه فقال : هذا رغاء ناقه رسول
الله . ولما دنا على منه قال أبو
بكر : انت أمير أم مسبور ؟
فأجابه من غوره : مسبور .
وأخبره بهيمته حتى كان اليوم
الثامن من ذي الحجة ، حيث
خطب الناس أبو بكر بوصفه أمام
للحج ، فأرشد المسلمين إلى
مناسكهم ، وفي يوم النحر قام
على يخطب في الناس وفيهم
المسلم والكافر عند مكان رمى
الجمار قال : (أيها الناس اني
رسول رسول الله اليكم

فقالوا بماذا فقرأ عليهم أوائل
سورة التوبة ثم قال أمرت بتبليغ
أربع الأبدل الجنة كافرين .
ولايجب بعد العمان مشرك -
له عند رسول الله عدا فلمنته
وبهذا التبليغ علت كلمة
التوحيد خالصه في أول حج
جماعي إسلامي وتمت التصفية
بين الشرك والإيمان . ولم يكد
ينتشر أمر هذه المبادئ حتى
ازدهمت المدينة بوفود القبائل
معلنه إسلامها وسلاها ، وينبغي
أن تعلم أيها القارئ أن من بين
المبادئ التي حققتها سورة
التوبة ما جعل المسلمين آمنين
على حياتهم في تجارتهم وأذهب
الخوف الذي كان في صدورهم إذ
كانوا ظانين أن المشركين سوف لا
يتاجرون معهم وربما يصدون
الناس عن مبايعتهم فطمانهم
الحق بهذه الآية لا أيها الذين
آمنوا إنما المشركون نجس فلا
يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا وأن خفتم عيلة مسوف يفتيكم
الله من فضله أن شاء الله
عليهم حكيم التوبة .
وإن المبادئ الأربعة التي
أعلنها ابن أبي طالب على الناس
جاءت في الآيات الأولى من
سورة التوبة منها قوله
تعالى (وأذان من الله ورسوله
إلى الناس يوم الحج الأكبر أن
الله بريء من المشركين ورسوله
فان تبتم فهو خير لكم وإن
توليتهم فاعلموا أنكم غير
معجزى الله ويسر الدين خفروا
بعذاب أنيم إلا الذين عاهدتم من
المشرخين ثم لم ينقصوكم شيئا
ولم يظاهروا عليكم أحدا فانتموا
إليهم عهدهم إلى مدتهم أن الله
يحب المتقين] .
وإن من عظيم رضوانه
سبحانه وكرمه فضله على عباده
حزب الرحمن الذين تزكك
أرواحهم بعبادة الصوم فحجوا
إلى ربهم بالانصاف في أداء هذه
العبادة في شهر الصيام من الله
على هؤلاء بالظفر والفوز بنعمة
الحج بأبدانهم ليتم فضله عليهم

حجة تطهروا حسنا وتقسا وروحا

وجنتها ، وان أتوى سؤتر
اسلامي جماعي تتحقق فيه قوة
الامة الاسلامية في توحيدها
ووحدةها هو الحج الجامع الذي
ترى الناس فيه مختلفا الوانها
واجناسها متفقة تلويهم والسنتهم
على تشيد واحد [لبيك اللهم لبيك
لبيك لا شريك له لبيك ان الحمد
والملك لك لا شريك لك] وفي هذا
الحج العريض الذي لا يحصى
عليه الا الحى القيوم ينتصر
حزب الرحمن على الشيطان
وجزبه فكما اتجهت وتوجهت
افسدة الناس والسنتهم
وجوارحهم تلبية وطوانا وسما
الى الله فقد اتجهوا بأيديهم وقد
امتسلات الحصى رامين بها
وقاذمين ابليس الرجيم . وان
المسلمين ليتسابقون في هذا
العمل مستيقنين ان فيه رضوان
الحق ورحمته وفي هذا العمل
أيضا تيسرهم من اللعين
وسخرتهم منه ومن حزبه
حامدين الله جل جلاله على أن
جعلهم من اهل الايمان والتوحيد
والحج الى بيته المعظم .

يا ايها الناس سائري رسول الله
اليكم فقالوا : بماذا فقرأ عليهم
اوائل سورة التوبة . ثم قال :
امر بتليغ أربع : [لا يدخل الجنة
كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ،
ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن
كان له عند رسول الله عهد فآلى
معه] .

وحسبنا في هذا المقام أن نذكر
قول الرسول العظيم في يوم حجة
الوداع [ان الشيطان قد يئس أن

يمد يده بركم هذه أبدا ولكنه أن
يطمع فما سوى ذلك فقد رضى به
بما تحقرون من أعمالكم
فاحذروه على دينكم] .

وليعلم القارئ أن قوله
تعالى [واتموا الحج والعمرة
لله] امر للانسان أن يخلص في
اداء فريضة الحج والعمرة لينال
ما وعده الله على لسان رسوله
حيث قال : [أتاني جبريل فقال :
ان الله غفر لاهل عرفات واهل
المشعر الحرام فقام عمر بن
الخطاب فقال : يا رسول الله هذا
لنا خاصة ؟ فقال الرسول صلى
الله عليه وسلم : هذا لكم ولان
أتى بعدكم الى يوم القيامة . فقال
عمر : كثر خير الله وطاب] .

ولقد تبين لنا أن الشارع
الحليم الخبير قد شرع العبادات
لاحكام الصلة بين العبد وربه
فيكون الانسان أبدا موصول
الاسباب بخالقه ليحل عليه
رضوانه ، ويفوز بفضل . ومع
هذه التثريعات التي استهدفت
سعادة الانسان من حيث طاعته
لولا ذلك استهدفت سعادته في
مجتمعه الذي يظله .

فالصلاة الجامعة في جماعة
لها درجات أعظم من غيرها ،
وهذا الترغيب من الشارع
للصلى ليتعلم أن في الجماعة
المؤمنة قوة وحدة وتدفع الى
جماعة مؤمنة أكبر ، ولقد حرص
التشريع الذي يعمل على تنمية
وحدة الامة في جماعتها على
الحبة والصفاء والاخاء أن ينسج
هذه القوة الجماعية الاسلامية

في قيام عمل تشريعي يجمع بين
كل بقاع الارض الذين دانوا
بالتوحيد للواحد المعبود ، وذلك
الجمع هو مؤتمر الحج الاعظم
الذي يفرض لزاما عليهم جميعا
أن يديروا شئونهم بينهم ،
ويتشاوروا في اخلاص على حل
مشاكلهم سياسية كانت أو
اقتصادية أو عسكرية وما الى
ذلك في هذه البقعة الطاهرة
المطهرة ، على أن هذا المؤتمر
الاكبر والجمع الاعظم ، لم يقع
ولم يكن الا بوحى سبأوى قد
نظمه فجعله في زمن معين ومكان
معين معلوم لا يتقدم ولا يتأخر
والمولد ، عن هذا المؤتمر ،
لنتحقق النتائج والمقاصد المترتبة
حقا انه مؤتمر حزب الرحمن ، الا
ان حزب الله هم المفلحون وصدق
قوله عز وجل [فان حزب الله هم
الفاللون] الا ان الايام الآتية تحتم
علينا أن نستزيد من وحدتنا
تاكيدا وثباتا ، فان قوة الوحدة
بيننا أقوى وأعظم من قوة
الاسلحة تدبيرا وتحطيمها
لعدونا ، واننا لملئ يقين أن الله
الذي أيدنا بنصره فقهرنا عصبة
الشيطان عصبة البمى
والاجرام ، فانقلبوا مدحورين
صاغرين لهو سبحانه قادر على
أن يتم تأييده ونصره علينا بتقوية
وحدتنا واسترجاع ما فقدنا وما
اغتنب منا بحق حبه لرسولنا
وحب رسولنا .
اللهم اجعلنا من سعادوا
ففازوا بالطواف والسعى وزيارة
سيدنا محمد عليه ازكى الصلاة
والتسليم .



حكمة الهدى في جمع بيت الله الحرام

الشيخ محمد عبد الغنى مقلد

وثالثها : انتفاع الوسيط بين المنتج والمستهلك « الحاج » .
ورابعها : تشجيع هذا النوع من التجارة وهذا النوع من العمل وهو « الرعى والتسمين » .
وخامسها : تشجيع العمل والانتاج الزراعى بحيث يكون المواطن هناك فى عمل وانتاج دائم وحركة دائمة .
وسادسها : تشجيع انشاء الصناعات المختلفة مثل صناعات الصوف والغزل والنسيج وغير ذلك من الصناعات الزراعية والحيوانية .
وبذلك يعيش الناس فى رخاء أساسه جسداهم واجتهادهم ونشاطهم .

ولعل من أفضل المشروعات المتطورة التى سيقبها اليها المسئولون هناك والتى تتماشى مع حكمة الهدى والنحر فى الاسلام أن تنشأ مصانع لمخلفات الذبائح [ونعلينها] لاطعام الفقراء طول العام وتسويق بعضها فى العالم العربى لصالحهم أيضا . . . فتتحقق أهداف تنفيذ هذه الشعيرة الدينية على صورتها التى تتم بها الآن فى منى .
وأما حكم الاسلام فى نحر ذبيحة الهدى فإنه يعتبرها سنة مؤكدة على القادر يجمع فيها بين الصدقة والهدية والبر الاسلامى العام . ولم يحرم الشرع الاسلامى الحاج الذى ينحر الهدى من تناول شيء منها . بل قدم أكله منها على اطعام الفقير رحمة من الله وحكمة من المشرع . قال تعالى « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » .

وأخيرا فإنك كلما بحثت فى جوانب الشريعة الإسلامية وجدت حكمة الله تتجلى فى كل تكليف للعباد وفى كل أمر يأمر به سبحانه وتعالى

الهدى من شعائر الحج فى الإسلام . . . له مشروعيته . . . وله حكمته . . . وله فوائده الدينية والحيوية مهما يختلف الناس حول نحر آلاف الذبائح . . وتركها فى العراء فوق جبل منى تنبعث منها الروائح غير المرضية ، ومهما اقتصر بعضهم استبدال الذبائح بتوزيع قيمته نقودا على الفقراء . . . فإن الحكمة فى الذبح أقوى من أية حكمة أخرى .

ولو فتنش الناس فى حكمة مشروعية الهدى وضرورة نحره ، لايقنوا أن الله لا يشرع من الدين الا ما يصلح به الناس والمجتمع طبقا لحاجة الناس والمجتمع .
فنحن نعلم أن هذه البلاد المقدسة ليست بلادا زراعية ، ولا بلادا صناعية ، ولكنها أرض ينزل عليها المطر فتنبث العشب والكلأ الذى لا يصلح الا للرعى وتربية الماشية . . . وبالتالي تسويق هذه الماشية .
فنحن اذا ما اشترينا الهدى وذبحناه والقينا به بعد ذبحه فقد تم بذلك النسك . . . فاذا ما قمنا بتصنيعه فاننا نقوم بعمل جليل عظيم . . . ومن الحكم التى نجدها فى الحرص على نحر الهدى وضرورة تقديمه هناك :
أولا : تشجيع أهل المنطقة على الزراعة وانشاء المراعى وتربية الماشية .

وثانيا : ان الرعاة يأخذون ثمن ما يبيعونه فى عزة وكرامة وهذه أفضل بكثير من أن يمد الانسان يده لياخذ صدقة من انسان فيتحول الفقراء الى متسولين ، والاسلام لا يريد لاهله الا عزة وكرامة .

عبادة العمر

الأستاذ محمد حسن عبد العزيز

وختام الأمر

وفريضة الحج عبادة اجتمعت فيها حكمة الفرائض كلها ينتظم المسلم في أدائها قلبا وبدنا ومالا وفي حجة الوداع نزل قول الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » ولذلك عرفت بعبادة العمر وختام الامر وكمال الدين وتمام الاسلام .

فيها مبدا الدخول في الاسلام بالتوبة والندم والاسى عن كل ما صدر من ذنوب وآثام وعقد النية الخالصة للاقلاع وعدم العودة ورد المظالم الى أهلها .

وفيها من الصيام كف الجوارح عن المحارم ما ظهر منها وما بطن وترك كل شواغل الدنيا والانغماس في الطاعات والذكر .

وفيها من الزكاة انفاق المال وبذل الصدقات وارقة الدم تقربا الى الله .

وفيها فوق ذلك كله وبعده اظهار الروح الاسلامية الجماعية وتبادل مشاعر الحب والود والتناف والحج رحلة ربانية ورياضة روحية تشد الرحال اليها في العمر مرة لمن استطاع سبيلا لا يعرف خيرا الا من وفقه الله لادائها والفوز بنيل رضوانها اذا اداها المسلم وكانت هجرته خالصة لله ورسوله ولم يشب حجه عاد كيوم ولدته أمه مبرءا من الذنوب والآثام قد

لم تفرض العبادات في الاسلام لذاتها ولا هي بغير حكمة كانت ظاهرة أو باطنة فالعبادات فضلا عن كونها وسيلة الصلة والعلاقة بين الانسان وربه فالصلاة والزكاة والصيام والحج هي الاداة التي يتم عن طريقها التعبير عن معاني الحب والشوق والامتنان والعرفان والشكران للخالق المعبود فهي في نفس الوقت الوعاء الذي يصب فيه التكليف والتعامل والادسة التربوية السلوكية المتكاملة التي تنضبط على أساسها وتتشكل سلوكيات الناس ومعاملاتهم بحيث تصير في النهاية الاطار العام والسمة المميزة للمجتمع الاسلامي بقيمه وآدابه واخلاصه السابعة كلها من تعاليم الدين .

ومن العبادات ما أخفى الله تعالى عنا حكميتها وهدفها وغايتها وان ظهرت اسرها الاجتماعية . وإخفاء حكمه تلك العبادات من قبيل رحمة الله بعباده فيما يفوق قدرات عقولهم وأفهامهم ومن خصائص الايمان اذا عجز العقل أن يسلم القلب وينقاد بكامل الطاعة لأمر الله تجسيدا لمعنى العبودية وهو أمر نحتاج انيه في حياتنا الاجتماعية .

محي من سجله ما تقف من ذنبه فإذا حافظ على هذا التقاء لقي ربه وهو من اهل الجنة والرضوان ونعم برفته اصحاب النعيم .

والمعل والاسلام فوق هذه الارض كانت مسيرته الاسلام كل شبر فيها شهد موقفاً أو مشهداً أو واقعة من تدبرها كانت له خير زاد في تقلبات الزمن وحوادث الايام .

وعلى امتداد رحلتك من مكة الى المدينة كان مسرح الهجره المظفرة التي لولاها ما استطاع الاسلام أن يندفع تلك الاندفاع الهائلة ولا أن يحطم رؤوس الكفر والجبروت لكن هكذا أراد الله وما أراد كان من هذه الارض هاجر بيديه رافضاً ما حاولت قريش فرضه عليه بالقوة وبالاغراء رافضاً الاستسلام وانطلق الى ارض يستطيع أن يامن فيه على دينه وعلى اتباعه في ظل حرية الدعوة وحرية العقيدة فلا اكراه في الدين وهنا في المدينة اقام نواة المجتمع الاسلامي القائم على الشورى والمساواة والاخاء والترابط والتآزر وعدم الاعتداء غلبت الشجاعة ان تقف وحده في الميدان والا كانت مغامرة غير محسوبة وليس الجهاد اندفاعاً في معركة كل الدلائل تؤكد خسارتها .

في هذا المؤتمر العظيم يجتمع قادة الامة الاسلامية وعلمائها يستعرضون المشكلات التي تواجههم ويقدمون الحلول الناجمة لها وهو منظر رائع حقاً بكل المعاني التي تؤكد لا يدركها الا من حضره ونعم به .

وتمتدح شعائر الحج من تقوى القلوب كما يقول الله تعالى [ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب] وقاصد البيت قاصد لله رمزا ، وهي في جبلتها رحلة ربانية تتم الاركان وتختتم الامر وتكمل الاسلام ، فضلا عن كونها رحلة نفسية ورياضة روحية وهجرة الى الله لحياء طريق الاخرة وتنمية عوامل الحب والشوق للاماكن المقدسة .

غير بعيد من هذا البيت ولد اليتيم الهاشمي فكان مولده مولد الاسلام ذاته جاء ثورة على الطغيان والمدوان والكران مرموزاً اليه بصادق الفيل العظيم يوم علم الناس أن للبيت ربا يحميه وبعد أربعين عاماً من مسيرة الزمان قاد هذا اليتيم ثورة السماء شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله المستحق للعبادة وحده الذي بيده الحياة والموت مقسم الارزاق البارئ المصور المبدع عالم ما في الارحام وسراجا ينير الكون والعقل ويفسح الطريق أمام السالكين طريق الحق

بقية مقال « رحلة القلب والروح الى بيت الله »

تري في الحج الهندي والفسارسي ، والجاوي والصيني ، والخراساني والسنگالي ، وغيرهم ، يتلون قرآن بلسان عربي مبين ، فهي لغة باقية ببقاء القرآن والقرآن باق خاند ثابت لا يتبدل ولا يتغير لان الله يقول « انا نحن نزلنا الذكر وانما له لحافظون » : (لا تبدل لكلمات الله) ،

أما بعد

فقد شرع الله العبادات لتعلمنا مراقبة الله في السر والعلن ، ولتهذيب النفس وترقية الحس ، والنفس لا خير في كثير من نجواها و« قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها »

يتجمع المسلمون في مكان واحد ، يتجهون الى اله واحد ، في وقت واحد ، بلسان واحد ، يهتفون ويتضرعون ويرجون من ربهم أن ينصرهم على أعداء الله وخصوم الحياة الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ، فوجب على المسلمين الجهاد ، وتحتم عليهم تخليص المسجد الأقصى وتطهير أرض النبوات ومهبط الرسالات ، أرض الاسلام ! ، بلاد العرب والمسلمين ، وبالنضال والكفاح والقوة يعود السلام الى أرض السلام ، والحياة القوية تكمن في العقيدة الاسلامية ، ولغة القرآن سلطان مبين على الناس فانت ترى الاعاجم في بقاع الارض (وهم غير العرب) يقبلون على تعلم اللغة العربية بشغف زائد ليتعلموا قراءة القرآن العربي المبين ، ولتعلموا معانيه ، فانت



كلما أقبلت في شهر ذي الحجة هذه
الإيام المباركات التي يختتم بها العام
الهجري شهوره في دورة الزمن تنسمت
قلوب اهل الإيمان بين المناسك والمشاعر ،
وفي المشاهد والمواسم ، ذكرى خليل
الله امام الحنفاء ، والنجم الساطع في
المرسلين والأنبياء والمثل الباقي في
الصديقين والأوفياء .

ابراهيم الذي ترك لذريته وللعالم اعظم
تراث روحي من التضحية وصدق
الايان . وحياة الخليل عليه السلام في
قصة التضحيات المتواصلة التي ترك
فيها للانسانية دروسا من الصبر
والاحساس والثبات .

ضحى الخليل بماله للبر والمروة
والكرم . ضحى بزمانه في الغربة
والكفاح ، ضحى بجهوده ونضاله في
نشر التوحيد وهدم الاوثان وتحرير
البشرية من السجود لاصنام الحجر
والشجر .

ابراهيم الحليم الاواه المنيب الذي جعله الله آية
وللتناس اما - وتوض به اركان الوثنية في العالم %
ونقش به ملة التوحيد على صدور بني آدم ، وقلمنا
اتيح لبشر ان تثبت قدمه على الصعاب كما ثبت
ابراهيم حتى لقي ربه بقلب سليم ، وخذل للانسانية
ميراثا سماويا من الفضائل العالية وتراثا قدسيا
من الثبات والصبر والفناء في الحق حتى يكون للحق
وحده البقاء ! . . .

دعا قومه الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة
وما ترك بابا من ابواب الهداية ولا وسيلة من وسائل
الاقناع الا استأذن منها على قلوبهم ومشاعرهم
واهاب بهم أن ينصرفوا عن عبادة التماثيل المنحوتة
يعمل أيديهم الى عبادة الله الذي خلقهم وما يعملون .
فلما رأت العادة على قلوبهم واصاب التقليد عقولهم
بالشلل ، أراد أن يفسر لهم الاصنام بتعبير لا يحتمل
الجدل (فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم) - وكان هذا
دليلا يصرحون به الحق ويدركون به أن الذي لا يدفع
الضر عن نفسه ، لا يملك لغيره نفعا ولا ضرا ، غير
أنهم وقد أسكتتهم قوة البرهان ، أرادوا أن يسكتوه
بقوة النيران ، فراحوا يجمعون اللهب ، وجاءوا بكل
حمالة الحطب ، وكان اليسير من هذا كافيا لتدمير
مدينة واحراق أهلها ، بيد أنهم أرادوا أن يوقدوا
النار على قدر ما في نفوسهم من سعيير الحقد ، وما
في قلوبهم من جحيم الحسد ! . . .

□ ١٧ □

ذكرى
أبي
الأنبياء
واسماعيل
بطل
الفداء

فضيلة الشيخ
الصادق شمران

النبيين ، وجعل ذكراهما عبدا لبر المؤمنين ، ولسان صدق في الآخرين !! .. (أنا كذلك نجزي المحسنين)

وقد روى أن الله أوحى إلى أحد الأنبياء من بنيه أن قد علمه اني وعدت اباك ابراهيم لما أمرته بذبح ولده فبادر الى طاعة امرى أن أبارك له في ذريته حتى يصيروا في عدد النجوم !! ..

تلك هي فضائل الشجاعة والطاعة وانتكار الذات التي جعلت المؤمن يلبس قلبه على الدرع قبل أن يلبس الدرع على قلبه ، ولا يبللى حين يجاهد في سبيل الله أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، اشترى الله منه نفسه وماله بأن له الجنة . البائع هو المؤمن والمشتري هو الرحمن ، والوثيقة هي القرآن ومحمد وجبريل شاهدان . فلما سلم المؤمن السلعة مخلصا ، رد الله تعالى عليه الثمن سالما ، واعطاه مع هذا الثمن فضلا في جنات النعيم ، ذلك هو الفضل العظيم ..

طلع الصباح مباركا يمحو الدجى ويضيئ فيض النور في الاكوان والشمس تمطر من اشعة ضوئها زهبا على الزيات والسوديان وبدا خليل الله يملأ قلبه صفو الرضا وبشاشة الرضوان قال النبي الوالد العالي السنا لوحيدده الابن النبي الثاني هتفت بي الرؤيا لانبج مهجتي هل انت الا مهجتي وجناني قال استجب للامر اني قابل حكم القضاء وحكمة الديان فرضا الاله لكل قلب مؤمن اغلى من الارواح في الابدان حتى اذا اقترب المصير واسلما جاء الفداء له من الرحمن !! فتبدل الصمت المخيم فرحة واذا العزاء بشائر وتهاني !! ذكرى يضيء بها الزمان على المدى وقدم آيتها مع القرآن وتجدد الاجيال من أمجادها عزم الفداء وقوة الايمان

أما ابراهيم عليه السلام فقد اجتاز المحنة ، واقتحم العقبة ، وأبى أن يفارقه التوحيد ، حتى في هذا الجهر المشبوب الذي يفرى أديم السحاب ويهوى بانجحة العقاب ! ...

لقد دعا ابراهيم ربه بلغة التسليم ، حتى أنقذته عناية الرؤوف الرحيم (قلنا : يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) لقد احتمل خليل الله جفاء النوالد وقسوة العشيرة والاهل ومفارقة الدار والوطن - واعتدت به السن وجمع بين غربة الوطن وغربة الزمن ، فتداركته المعجزة الكبرى من العزيز الحكيم ، وبشره على الكبر بغلام حليم ، ذلك هو الذبيح اسماعيل الذي هاجرت به والدته المصرية الاولى ، الى جوار أول بيت وضع للناس . وكم لله في الخليفة من آية فيها بلاغ [لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد] ! ...

ليس الله هو الذي اطعم طيور السماء ، من أسماك الماء ؟ ! وأخرج الناقة لصالح من الصخرة الصماء (فما ظنكم برب العالمين) .

فلما شب اسماعيل عن الطوق وبلغ مع أبيه السعى ، رأى ابراهيم في المنام أن يذبحه ورؤيا الأنبياء وحي ، والوحي أمر ، فلما استشار اسماعيل وجد فيه ايمانا لا يقهر : (قال ياأبتي افعل ما تؤمر) أسلم الوالد حياة امه ، واسلم الولد حياة نفسه - فنودي [أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا أنا كذلك نجزي المحسنين)

لقد كان المراد أن تذبحه من قلبك لا من الدنيا ، وبالرضا وبالتسليم لا بمديدة الذبح ! وما كان لخليل الرحمن أن يكون في قلبه لغير الله مكان !! ..

لقد امتحن مرة أخرى بهذه النار المعنوية التي هي الروح لا للجسد !

(قل هو الله أحد الله الصمد) .

تنازل في مرضاة الله عن غلظة كبده ، الى حد أن يذبح بيده - فبارك الله في الوالد والولد ، وملا بتسليهما العصور والاحقاب ، وجعل في ذريتهما النيرة والكتاب ، وأهدى منها للانسانية خير



الحج

مؤتمر قمة

الدكتور إبراهيم علي أبو الخشب

مع ملاحظة التقاف القلوب ، واجتماع الامواء واتحاد الحركة والسكون ، ثم بعد ذلك الابتداء والانتهاى الذى يكون فى دخول الوقت ومضيه للصلاة والصيام ، وهكذا من الاوامر والنواهي حتى فى الزحف على العدو ، والحرب التى يقصد بها الى القضاء على صلفه وغروره « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

وقد اجمع العلماء على أن فكرة الاجتماع والارتباط ، وذوبان الفرد فى الامة ، وأفكار الانسان لشخصه فى سبيل السواد الاعظم ، وغناؤه من أجل أن يبقى غيره ، وأن يسعد سواه الى جانب كونه بطولة محمودة خلق يهتم دينه بفكره فيه ، وتعوده عليه ، وجبه له ، لا من طريق الايثار الذى كان ممدوحا فى الاخلاق والسلوك ، ولكن من كل الطرق التى تلم الشعث وتجمع الشمل وتسوق الى تكامل العدد الكثير فى عدد واحد .

واذا كان الناس حينما يشعرون بالجفوة التى تباعد ما بينهم ، أو بالخلاف الذى يشتت أهواءهم أو بالكراهية التى تمزق أجسامهم ، يفزعون الى الراى الذى يطب لامراضهم ، أو القاضى الذى يحسم النزاع القائم فى صفوفهم ، ليرأبوا الصدع ، ويجمعوا الشمل بما يسمونه عادة مجلس الصلح ، أو مؤتمرات القمة ، فان فريضة الحج التى يخف الناس لادائها فى

المسلم الذى يفقه قضايا هذا الدين ويدرك حكمة التشريع فيما يأمر به من التكليف أو ينهى عنه من المحظورات ، لا يشك بعض الشك فى أنه يرمى دائما أبدا وراء توجيهنا الى الاشياء أو صرفنا عنها ، الى أن تكون قلوبنا مرتبطة ، وأهوائنا مجتمعة ، وأفئدتنا متقاربة ، ونفوسنا متلاقية فلا يبغض انسان أخاه ، ولا ينأى مؤمن عن مؤمن ولا يفر رجل من وجه رجل ، ولا يضيق صدر آدمى بآدمى ، ولا يشعر مخلوق بالكراهية لابن أمه وأبيه ، ولا يكتفى القرآن الكريم ، ولا السنة المطهرة على صاحبها الصلاة والسلام

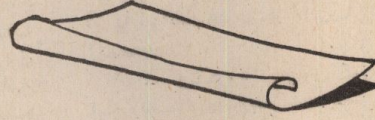
واذا اراد ارشادا وتهذيبا ، وزجرا وردعا ، وترغيبا وترهيبا ، وتعلينا ونصحا ، والزاما أو تكليفا ، أن تكون القضية ضربة لازب ، من سلطان عال الى رعية مسخرة ، أو شعب مغلوب على أمره ، لا حول له ولا طول ، دون أن يلفت الانتباه الى الفائدة المرجوة ، والحكمة المتروية والخير الذى يعود على المكلف ، من وراء الامتثال ، أو تحصيل الفعل - كما يقولون - والذى يلفت النظر بشكل واضح ، أن هذه الاوامر والنواهي لا تكون مطلوبة أكد الطلب وأوجبه ، على اعتبار انها الزام للفرد ، أو تكليف للمؤمن ، أو حتم واجب لافكك منه ، وانما يكون ذلك - أيضا -

الاشهر المعلومات فيها هذا المعنى على أحسن مظاهره ، وأوضح صورته ، وأتم الواثمة . ولا نقول هذا القول ادعاء ، أو نرسله في الهواء إرسالاً ، وإنما نقف بك عند بعض المظاهر والأعمال والسلوك والشعائر ، والمواقف والعبادات ، التي تضمنتها هذه الشريعة ، واشتملت عليها تلك العبادة ، لتري الى أي حد كانت تأليفاً وجمعاً ، كما يؤلف الكاتب الفكرة الواحدة في سطور وكلمات ، تتعاقب حروفها وتلاصق ألفاظها ، ثم تكون روعتها في هذا البناء المتكامل أكثر منها معنى يجول في الخاطر . أو يعرض للذهن ، فلا يطعن اليها القلب كل الاطمئنان حتى تكون تلك الحفاوة من رصف الجمل ، واختيار الالفاظ ، والتأليف بين الكلمات متصافرة على أقرارها والاعتراف بها ، والتمكن لها ، وإبرازها في أحسن ثوب ، وأجل لباس . وهكذا كانت أعمال الحج التي يتحقق بها . ويظل المسلم منتقلاً فيها ، منذ مفارقتها لاهله ، وخروجه من بيته ، الى أن ينتهي منها بالعودة الى داره وعياله ، فأننا نرى فيها رموزاً كثيرة الى معان سامية ، وغايات نبيلة ، كلها يحمل على اللون من التهذيب والسلوك الذي دعت اليه رسالة السماء ، وجاء به الانبياء منذ كان أبوهـم - الاول آدم عليه السلام الى أن كان محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي لا تخرج عن دعوة هذه الامة الى أن تكون واحدة كما يقول القرآن الكريم « وأن هذه امتكم أمة واحدة » تطرح وراء ظهرها الاحقاد والاضغان والفرقة والانقسام ، والخلاف في الرأي والتفاجر في الاهواء ، والتباعد في القلوب والافئدة ، على أن هذه الوحدة وحدها ليست بشيء حتى يكون معها القوة الرائدة التي تعتمد خفة الأجسام ، وصلابة العضلات والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف - كما يشير الى ذلك الحديث الصحيح - وتلك القوة الرائدة لا يمكن أن يتصورها الإنسان في عمل واحد من أعمال الحج ، ولا في مظهر بعينه ، كالطواف الذي يتكرر مرات متوالية ، أو السعي بين الصفا والمروة ، وغيرها وغيرها من المشاعر والعبادات التي لا يكون أدائها الاعلى لون من النشاط ، وشكل من العنف ، لا يخلو عن الراحات والمشقة ، ومع هذه كلها لا يصعد الى مكان عال ، أو يهب الى أرض منخفضة أو يتحرك حركة ، أو يخلد الى سكون بعينه ، دون أن يلازمه في كل ذلك شعار يعلنه الى الله والناس « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، أن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك » وهي اعلان صريح عن الطاعة العمياء والاستسلام المحض ، والاعتراف بالوحدانية التي ليس فيها شرك ولا ضلال مبين ، ومن روعة هذه الامور وجلالها أن يكون نهاية المطاف أو خاتمة الوقوف بعرفة الذي هو الركن في هذه الرحلة الميمونة ، والذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » وكأنه يركز فيه على المغزى التشريعي ، أو الحكمة التي أراد الله جل جلاله تحقيقها ، ودعا الى تحصيلها ، من هذا

□ ١٣٤ □

الاجتماع الذي يتلاقى فيه المسلمون وقد تجردوا من الاحقاد ، والخلافات والضغائن . وإذا كانت الدنيا وصراع الافراد فيها على لقمة العيش ، أو التنافس على السلطان ومناطق النفوذ ، هي الميدان الذي تقوم عليه الحروب ، التي لا يكون من ورائها سوى الهلاك والدمار حتى اذا ما انتهت السرحية ، وفرغ المثل من الرواية وتجردت الاجسام من هذا التراب أدركت جسامته الخطأ ، وفداحة الخطب ، وخطأ الرأي ، وخداع العناوين . . فان الخطوة الاولى في هذه الرحلة عنوان على التجرد من هذه الدنيا التي لا تطمئن الا اذا جعلت الناس عبيد أهوائها ومطامعها ، ويتصارعون على صراع الكلاب على الجيفة وقد قال الفقهاء في لباس الاحرام الذي يجعله الحاج مطلع القصيد انه يشبه الكفن الذي يدرج فيه الانسان بعد موته ، وكأننا نرسم الشريعة الاسلامية بهذا الشعار الذي تطلب اليه الابتداء به بعد الاغتسال الذي يسبقه انها تقطعنا عن الحياة وتطهرنا من تلك الاوزار ، وتقصلنا عن ذلك التراب الذي هو ساحة الاحقاد والكراهية والتكالب والحرص والشرامية والطبع والحد والبغضاء والفرقة والنفور لان الميت الذي ألبسه أهله تلك الثياب ، وشيعوه اليه مثواه الاخير ، قد تخلص من هذا الدار التي تقوم الحياة فيها على لون خاص من صراع الفرائض وعدوان المطامع وانحدان الشهوات واسفاف النوايا واراقة الدماء . وقتل النفس ومع هذا الاعداد الالهى الكريم الذي يعيش العالم فيه أثناء تلك الرحلة التي تقتضيها هذه الفريضة أن تقطعها نصيح الى هذا النداء « وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم » ، وكأنها كانت « ليشهدوا منافع لهم » هذه هي بيت القصيد . . كما يقولون فان المشاكل التي عساها أن تحدث في صفوف المسلمين أو بينهم وبين غيرهم من المخالفين لهم في الدين ، والمتعارضين معهم في المصالح والحاجات ، ربما كانت الضرورة ماسة كل المساس الى علاجها والتشاور في شأنها وقد لا يكفي في ذلك كله ولا بعضه أن يراسل الافراد والجماعات بالكتابة لان المشافهة والمواجهة لها شأن آخر ، واعتبار لا ينكره العاقل الحصيف وهذا هو مؤتمر القمة الذي يقرضه موسم الحج كل عام مرة يتداول فيه المسلمون أوجاعهم ومشاكلهم . وقد أثبتت تلك المؤتمرات العربية التي التقت اليها دول المواجهة مع اسرائيل مدى الخير الذي كنا نجعله ولا نعرفه ، وأدرك كثير من خصوم العرب بعدها ، أن في إمكان سكان هذه المنطقة ، أن تكون لهم كلمة مدوية ورأي مسموع واعتبار ملحوظ ، فهل تنتبه الى هذا الهدى الالهى ، والتربية الدينية الرشيدة وتأخذ منهما الدرس النافع ، ونحن بحاجة الى المزيد من مؤتمرات قمة نعالج فيها المشاكل التي تعترض خطوط سيرنا الى حياة كريمة نليق بخير أمة أخرجت للناس .

رسالة إلى مشرق النور



الأستاذ محمد إبراهيم الخطيب

أيها القاصدون والقاصدات
إلى مشرق النور ، هنيئاً لكم ما
تنعمون به من حظ سعيد ، هنيئاً
لكم ما تمشون به من أوقات حلوة
تلك التي تتجهون فيها إلى أرض
الحبيب محمد صلى الله عليه
وسلم ، ولا شك أنكم - يا حجاج
بيت الله - بهذه الرحلة قد هان
في عيونكم كل شيء ، ولا
تعجبوا فإنكم تحجون بيت الله
الحرام تلبية لأمره حيث يقول
تبارك وتعالى : « ولله على
الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلاً » ، أنكم تحجون بيت
الله تلبية لتوجيه رسوله
القائل : « من استطاع الحج
ولم يحج فليمت أن شاء يهوديا
أو نصرانيا » .

المؤمنين . تذكروا الخليل الذي جاء ربه بقلب
سليم .. الذي ما كاد الله يقول له أسلم حتى تال
اسميت لرب العالمين فانتا لله حنيفا
ولم يك من المشركين .. الذي اتخذه الله خليلاً فقال
سبحانه : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » ، تذكروا
الشدائد التي تعرض لها وولدت فيه لآلئ الحق
والخير واليقين .

١ - لقد كان الخليل - يا وفد الرحمن - مقم القلب
بالإيمان .. كان ممثلاً بالثقة واليقين بقسوة
خالقه .. كان مؤمناً بما أوحى إليه من بعث الناس
بعد موتهم وحسابهم في حياة أخرى على أعمالهم ومع
هذا أراد أن يزداد الخليل بصيرة وإيماناً وثقة
ويقيناً ، وتطلع إلى أن يلمس الآية البينة على البعث ،
ويرى الحجة الواضحة على النشور ، فسأل ربه ،
واقروا قوله تعالى : « وإن قال إبراهيم رب أرني
كيف تحيي الموتى ، قال أو لم تؤمن ، قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ،
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن ياتينك
سعيًا ، واعلم أن الله عزيز حكيم » .

٢ - يا وفد الرحمن : تذكروا الخليل هذا الابن البار
الرحيم ، ذلكم الذي أخلص النصح لوالده .. وقابل
تهديده بصدر رحب وتأدب بالغ واستعطفك كبير ،
ذلكم الذي ودع أباه كاسف البال محزون الفؤاد ،
حيث أصر الوالد على عناده وكفره ، واقروا قوله
تعالى : « واذكر في الكتاب إبراهيم أنه كان صديقاً
نبيًا ، إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئاً ، يا أبت أني قد جاءني من العلم
ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ، يا أبت لا تعبد

ولعلكم معي في أنه ليس هناك أجل من أن تفرغوا
من دنياكم تلك التي نلها فيها ونلعب لتعيشوا أيما في
رحاب الله مقربين متوددين لعلمكم بهذا تسألون
مرضاته وتطهرون قلوبكم ، وتزودون ليوم لا ينفع فيه
مال ولا بنون ، وكانى بكم تتوسلون في خشية
وخضوع وتقولون فيما تقولون : ربنا هكذا جئنا
محدثين مجتمعين ، لا فرق بيننا نعمل لدينا كأننا
نموت غدا ، ونعمل لدينا كأننا نعيش أبداً متأثرين في
هذا بقولك الكريم : « يأتين من كل فج عميق ليشهدوا
منافع لهم ويذكروا اسم الله » .

وباليتكم يا وفد الرحمن تتقدمون خطوة في فهم هذه
الكنية « ليشهدوا منافع لهم » فهي على
إيجازها - جامعة ، تتناول شئون الدنيا اقتصاداً
وسياسة وحرباً وقانوناً وعرفاً ولغة وأدباً وعلوماً
وسائر مقومات الحياة الجماعية التي تتأثر أعظم
التأثر بالاتصال الذي تصنعونه برحلتكم ، والتلاتي
الذي تحقونه في أرض الحق والخير والسلام .

وباليتكم يا وفد الرحمن تتقدمون خطوة من أجل
الوحدة ، خروجاً من الفردية المنعزلة ، والقوميات
المنفصلة إلى الجماعة التي ترون فيها نموذجاً مصغراً
في رحلتكم السعيدة هذه لتقيموا سداً عالياً أمام
موجات الاستعمار والصهيونية حتى تعيش في
أوطاننا أحراراً كراماً كما يريد الله تبارك وتعالى
لنا .

وتذكروا يا وفد الرحمن وأنتم في الأرض الطاهرة
والأوقات المباركة تذكروا الخليل ، وتذكروا الذبيح ،
وتذكروا خاتم النبيين ، تذكروا فان الذكرى تنفع

الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا : قال أرأيت أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم ينته لا رجعتك واهجرنى مليا : قال سلام عليك ساستغفر لك ربى انه كان بى حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربى عسى ألا اكون بدعاء ربى شقيا .

٣ - ياوفد الرحمن : تذكروا الخليل صاحب الفؤاد الذكى والرأى الصائب والفكر الثاقب والحجة البالغة . . ذلكم الذى دعا الى عبادة ربه فاطر السموات والارض . . ذلكم الذى حذر من عبادة أصنام لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا . . ذلكم الذى بيت البشر لها ليرى عبادها انها لا تضر ولا تنفع ، بل ولا تملك دفع الاذى عن نفسها ، فاقروا هذا الموقف فى قوله تعالى : « ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين : اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل اننى انتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا اباينا لها عابدين ، قام لقد كنتم انتم واباؤكم فى ضلال مبين ، قالوا اجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبيين : قال بل ربكم رب السموات والارض الذى قطر من وانا على ذلكم من الشاهدين وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ، فجعلهم جذاذا الا كبيراً لهم لمعلم ابيه يرجعون ، قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لن الظالمين ، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ، قالوا فاتوا به على عين الناس لمعلم يشهدون ، قالوا آنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ، فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون : قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم وما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » .

٤ - ياوفد الرحمن : تذكروا الخليل الذى صرب المثل الاعلى فى الصبر والتضحية والثقة فى الله العلى العظيم . . لقد شار القوم وهاجوا وحاكموه « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين » قتيده والقوا به فى النار : ويحيى جبريل عليه السلام ويقف عند رأسه ويسأله : يا ابراهيم ، لك حاجة ؟ ويرد ابراهيم الخليل : أما اليك فلا . ويصدر الله امره الى النار : « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين » .

٥ - وتذكروا - ياوفد الرحمن - كيف ابتلى الله خليله حين بدأت رحلته مع زوجته « هاجر » ومعها ابنتها الرضيع « اسماعيل » وفى الوادى الذى لاشيء فيه يترك الاب قلدة كيدته استجابة لامر ربه ، وتقول زوجته المؤمنة : لن تضيع أبدا مادام الله هو الذى أمرك . . ويكي رضيع اليوم وذبيح الغد من المعطش ، وتسعى أمه بين الصفا والمروة باحثة عن الماء سبع مرات ، وعادت بعد المرة السابعة تلهث ، وجلست بجوار الرضيع ، وهنا يضرب اسماعيل الارض بقدمه وهو يبكي فتتفجر بئر زمزم علامة عريضة على رحمة رب العالمين . . وفى هذا يقول تبارك وتعالى : « ربنا

انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا ابت تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شيء فى الارض ولا فى السماء » .

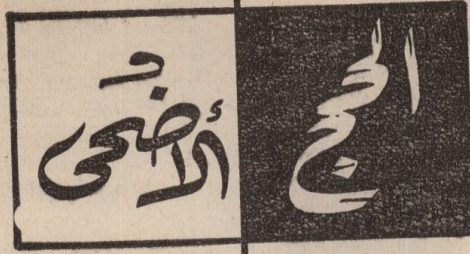
٦ - وتذكروا - ياوفد الرحمن - أيضا يوم ابتلى الله خليله حين رأى نفسه فى المنام يذبح ولده الوحيد ، ولا يسأل الخليل المحب لماذا ؟ لانه سيد العاشقين ، واقروا قول الله تعالى : « فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتله للجبين ، وناديا به ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجى من المحسنين » .

٧ - وتذكروه ياوفد الرحمن حين كبر ابنه « اسماعيل » وبلغ أشده حين جاءه ليقول له : ان الله امرنى أن أبني هنا بيتا وأشار بيده لقل مرتفع هناك ، لقد كان ابنه - كعادته - أطوع له من بناته لقد كان جوابه هو السمع والطاعة . وبدأ البناء وعندما ارتفع قصرت يد ابراهيم عن أن تقاتل أعلاه ، فقال : يابنى : اطلب لى حجرا أضعه تحت قدمى لعلى أستطيع اتمام ما بدأت ، ويجد اسماعيل فى البحث حتى يعثر على الحجر الاسود ، ويقدمه لأبيه الذى قام عليه ليواصل البناء الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، واقروا فى هذا قول الله تبارك وتعالى : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » .

٨ - تذكروا ياوفد الرحمن أن هواكم وهوى غيركم من الملايين انما هو وليد هذه الدعوة الابراهيمية ، وتذكروا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاء ليخرج الناس من الظلمات الى النور تحقيقا واستجابة لدعوة الخليل ابراهيم ، تلك التى دعا الله فيها أن يبعث فى الاميين رسولا منهم . . نعم تذكروا كل هذا وغيره لتزدادوا نورا على نوركم ويقينا على يقينكم واملأ فوق آمالكم .

والآن أدعوكم - وأنتم تذكرون الله على ما رزقكم - ان تذكروا أيضا أرضكم الحبيبة تلك التى يلوثها عدو الله وعدو الانسانية . . أن تذكروا اخوة لكم صاروا رمزا للرجولة والاصرار والتضحية . اذكروا يا حجاج بيت الله كل هذا وأكثر منه ، واعملوا ما استطعتم على اضافة شيء ما من أجل القضية العادلة التى يكافح الإنسان العربى فى سبيلها . وحسبكم عاقبة تلك التى تحدث عنها نبيكم صلوات الله وسلامه عليه بقوله : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » وسلام الله علينا وعلى عبادته الذين اصطفى .

من طرائف



الأستاذ محمد عبد قناوى

عظمة الحج

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة » صدق رسول الله .

فضل الليالى العشر

ان الايام العشر الاولى من ذى الحجة ايام مباركات فقد اقسم الله بها فى كتابه العزيز فقال تعالى « والفجر وليال عشر » والله لا يقسم الا بما هو عظيم .

ويروى لنا البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنها - عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « ما من ايام العمل الصالح فيها احب الى الله عز وجل من هذه الايام - يعنى الايام العشرة من ذى الحجة - قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله ، الا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشئ » .

طرائف الاعراب فى الحج

لقد اشتهر الاعراب بطرائفهم فى شتى مناحى الحياة وذلك لانهم يمثلون فى تصرفاتهم وتعبيراتهم السذاجة والفطرة وصراحة القول ونروى هنا بعضا من طرائفهم التى روتها لنا كتب الاديب عن الاعراب اثناء حجهم .

• أراد اعرابى أن يحج فدخل مكة مسرعاً قبل سائر الناس وعجل الى الكعبة وتعلق باستارها وهو يقول : « اللهم اغفر لي قبل أن يزحم عليك طلاب المغفرة !! » .

• ومن طرائفهم أن اعرابيا وقف متضرعا فى الكعبة وهو يقول : « اللهم كن فى عون أمى » فقتل له « لقد نسيت أبك فما بالك لا تطلب له من الله عوناً » فأجاب « ذلك رجل يحتال لنفسه » .

الله كفيل بحماية بيته

حينما غزا مكة أبرهة الاشرم ملك الحبشة معتزماً هدم الكعبة المكرمة ليحول الناس عن الحج اليها الى المعبد الذى اقامه لم يجد فى طريقه اليها مقاومة تذكر ، واستولت جيوشه على ما صادفته بقربها من ابل وغنم وغيرها . وفيها هو فى معسكره يتأهب لدخول مكة ، وقد عليه عبد المطلب سيد قريش ومتولى شئون الكعبة - وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأكرم وفادته وسأله عن حاجته واعد باجابتها ، فلما علم منه أنه لا يطلب الا أن ترد اليه ابله ، صغر شأنه لديه ، وأبدى عجب من قصره اهتمامه على تحقيق هذا الطلب التافه الخاص ، وتركه الكلام فى شأن الكعبة المراد هدمها وهى الرمز الاعلى لدينه ودين قومه فقال له عبد المطلب : « انما طلبت رد ابل لانى صاحبها وعلى أن أحميها ، أما الكعبة فאלله صاحبها وهو الكفيل بحمايتها » . وقد كان ، فقد حمى الله بيته فأرسل على أبرهة وجنده والفيلة التى كانوا يركبونها طيراً

أبائيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلتهم كصفت
مأكول .
(الله يباهي ملائكته بالحجاج)
قال عليه الصلاة والسلام : « إذا كان الحجاج
يوم عرفة ، فإن الله يباهي بهم الملائكة فيقول :
انظروا إلى عبادي ، أنوني شعباً غبياً ضاحكين
بارزين للسمس | من كل فج عميق ، أشهدكم أنني
قد غفرت لهم ، فتقول الملائكة : أن فيهم مرقباً
| أي يغشى المحارم ، وفلاناً قال ، فيقول الله عز
وجل : قد غفرت لهم » .

• لماذا يرمى الحجاج الجمرات •

لماذا يرمى الحجاج الجمرات ؟ يجب على هذا
السؤال جبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد
الله بن عباس - رضى الله عنهما - فيروى عن
النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لما
أتى إبراهيم خليل الله المناسك عرض له الشيطان
عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساء
فى الأرض ، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه
بسبع حصيات سلىخ فى الأرض ، ثم عرض له
عند الجمرة الثالثة ، فرماه بسبع حصيات حتى
ساء فى الأرض » ويعقب ابن عباس على قول ابن
عنه عليه السلام فيقول « الشيطان ترجعون ،
وملة أبيكم إبراهيم تتبعون »

• كريم بكرم ضيوفه •

إن الرسول كان مثالا للكرم والجود ، ورغم موته
فانه ما يزال كذلك فإن الذى يزور قبره يرجع فائزا
بأروع مكافأة يحصل عليها من كريم .
فمن ابن عمر رضى الله عنهما أنه عليه السلام
يقول : « من زارنى فى المدينة محتسبا كان فى
جوارى وكنت له شفيعا يوم القيامة » . والكريم
يرحب بضيوفه ويرد عليهم التحية بأحسن منها
والرسول يفعل ذلك مع زوار قبره فيقول : « ما
من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى ارد
عليه السلام » .
حيك الله يا رسول الله ، كريم فى الحياة ، وفى
المات لا يخيب من يلوذ بك وبساحك الطاهرة
الشريفة .

• أعرابى يستشفع الرسول •

ويحكى لنا الماوردى عن المعنى أنه قال : « كنت
جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله ،
لقد سمعت الله يقول : « ولو أنهم إذا ظلموا
أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ! وقد جئتك
مستغفرا عن ذنبى متشفعا اليك ربى ثم أنشد أبياتا

• عادة لها تاريخ •

من مراسم الحج الباقية الى زمننا هذا -
ولا سيما فى ريف مصر وصعيداها - طلاء بيوت
الحجاج باللون الأبيض وكتابة اسم الحاج وتاريخ
حجه وبغض الايات الكريمة والاحاديث الشريفة
الخاصة بالحج فوق واجهة المنازل ويسمى هذا فى
صعيد مصر كتابة الحجة .

وهذه العادة قديمة جدا فتروى لنا كتب التاريخ أن
المسلم الخراسانى عبد الله بن المبارك - أيام
هارون الرشيد - خرج الى الحج تصحبه جماعة
من اخوانه فكان يشملهم بعطفه ومروءته حتى اذا
رجعوا من الحج شاد بيوتهم من الجص وصنع لهم
الولائم واهدى اليهم لتتم فرحتهم باداء فريضة
الحج .

• الاضحية متى شرعت •

الاضحية هى اسم لما يذبح او ينحر من النعم فى
عيد الاضحية تقربا الى الله وقد شرعها الله فى
السنة الثانية من الهجرة .

• ربيع جزيل ما اعظمه !! •

سأل قوم رسول الله عليه السلام
فقالوا : ما هذه الاضحية ؟ قال : سنة أبيكم
إبراهيم قال : ما لنا منها ؟ قال : بكل شعرة منها
حسنة قالوا : فالصوف ؟ قال : بكل شعرة من
الصوف حسنة . فما اعظمه من ربيع اذا خلصت
النية لله وبعدت عن مظاهر الرياء وحب الظهور .

• الرسول فى عيد الاضحية •

يروى لنا الشوكانى فى كتابه [نيل الاوطار] أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان اذا ضحى
اشترى كبشين اقربين | قرونهما مستوية أملحين
(حسنين) فاذا صلى وخطب الناس أتى
بأحدهما وهو قائم فى مصلاه فذبحه بنفسه باليد ،
ثم يقول : اللهم هذا عن أمى جميعا من شهد لك
بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ ، ثم يؤتى بالآخر فيذبحه
بنفسه ويقول : هذا عن محمد وآل محمد فيطعمهما
جميعا المساكين فيأكل هو واهله منها .

• شكوى لها تاريخ •

حتى الشكوى من الخراف الهزيلة التى تباع
للضحكين ليست بجديدة فما هو صاحب معجم

ان كان ذو القرنين عندك حاضرا
فابعت به لنرى ضياء جبينه
ولكى يجاوب - لو يماهى مثله
فى بيت جارى - مأمآت قرينه
وليطمئن الدانئون ويعلموا
انى امرؤ يقضى جميع ديونه
ونزده لك بعد ذلك سالا
بذمقنى غروته وعاج قرون
وانا الامين عليه وهو بمنزلى
من كل جزار ومن سسكينه
[الدمقس : الحرير] .

● ملكة تدبير الاضاحى ●

فى الكتاب الممتع [البخلاء] يروى لنا الجاحظ
الطرفة التالية :

كانت هناك امرأة تسمى معاذة العنبرية ،
وحدث ان اهدى ابن عم لها شاة لتذبحها يوم الاضحى
فراها احد الناس كنيته حزينة فسألها عن سر ذلك
فصبت له : « لا عهد لى بتدبير الاضاحى وقد خفت
ان يضيع بعض هذه الشاة ولست أعرف وضع جميع
أجزائها فى أماكنها ، ولست أخاف من تضييع القليل
الا انه يجر تضييع الكثير ، اما القرن فالوجه فيه
معروف وهو ان يجعل كالخطاف ويسمر فى جذع من
جذوع السقف فيعلق عليه كل ما خيف عليه من الفأر
والسم وبنات وردان [الصراصير] وغير ذلك ،
واما المصران فانه لآوتار المنسدفة ما يضرب بها
القطن . واما العظام فبسبيلها ان تكسر ثم تطبخ
فما ارتفع من الدسم كان للمصباح والادام وغير ذلك
ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها فلم ير الناس فؤادا
قط أصفى ولا احسن لها منها ، اما الالهاف فالجلد
نفسه وعاء وللصوف وجوه من النفع لا تنكر ، واما
الفرث والبعر فحطب اذا جفف عجيب » . ثم
قالت : « بقى علينا الانتفاع من الدم فان له مواضع
يجوز فيها ولا يجمع منها ، وان لم أقع على ذلك
تحسرت عليه الدهر كله » وصممت معاذة هنيهة ثم
أشرق وجهها وقالت : « لقد تذكرت ان عندى قدورا
شامية جددا وقد زعموا انه ليس شىء ادبغ ولا ازبو
فى موتها من التلطيح بالدم الحار وقد استرحت الان
اذ وقع كل شىء موقعه » .

وبعد ستة اشهر من ذبحها الشاة لقيها بعض
الناس وقال لها « كيف حال تديد تلك الشاة - اى
اللحم الجفف - لا فقالت له : بأبى أنت لم يجيء
وقت التديد بعد بنا فى الشحم والجنوب والالية
والعظم المعروق وغير ذلك معاش ولكل شىء ابلان
[اوان] !! ترى لو كانت معاذة فى عصرنا هذا فهل
كانوا سيطلقون عليها لقب [ملكة تدبير
الاضاحى] لا أجل ما فى ذلك شك وهل أحد قبلها أو
بعدها دبر مثلا هذا التدبير !!؟

□ ١٦٩ □

الادباء (يروى لنا وصفا رائعا لخروف هزيل صاغه
محمد بن نصر الله الدمشقى الانصارى عندما جاء
عليه عيد الاضحى وهو بمصر ، يقول :
أتانى خروف ما تسكت بانه
حليف هوى مد نفسه الهجر والعذل
اذا قام فى شمس الظهيرة خلته
خيالا سرى من ظلمه ما له ظن
فناشدته ما يتنهى فال : حلبة
وقاسمته مائساته قال لى : الأكل
فاحضرتها خصاء مجاجة الثرى
مسلمة ما مس اورافها الفتل
فظل يراعيها بعين ضعيفة
وينشدها والدمع فى العين منهمل
« أنت وحياض الموت بينى وبينها
وجادت بوصل حين لاينفع الوصل »
[قاسمته : أقسمت له ان ييوح لى بكذا ، الفتل :
الذبول] .

● لماذا انتحر الخروف ●

اراد أحد اصديقاء الشاعر العظيم المرحوم محمد
الاسمر ان يهدى اليه خروفا فى عيد الاضحى ، ولكن
الخروف مات قبل ارساله اليه فقال الاسمر :
من لامه فى امره فاننى -
عذرتة - والله - ميم عذرا
لما احس انه هدية
لشاعر فكر ثم انتحرا !!

● ثلاثون كبشا تفدى ديكا ●

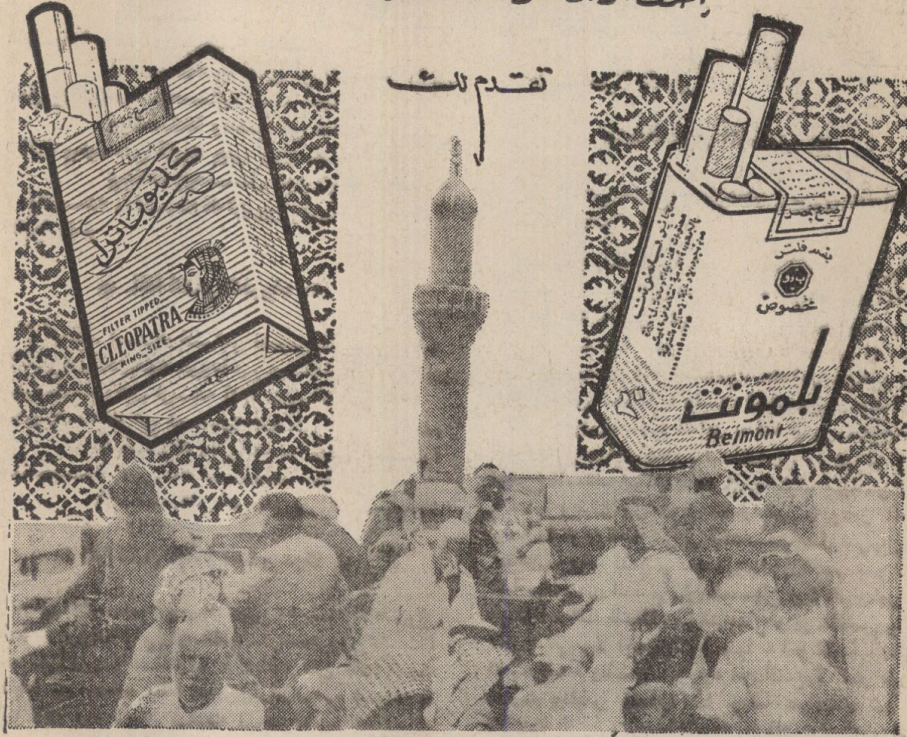
حكى الاصمعى ان رجلا ولى قضاء الاهواز
فابطات أرزاقه ولم يكن عنده ما يضحى به فشكا
ذلك الى زوجته فقالت له : لا تغتم فان عندى ديكا
عظيما قد سمته غاذا كان يوم الاضحى ذبحناه .
فلما كان يوم العيد ارادت المرأة الإمساك بالديك
لذبحه فطار الى دور الجيران كلما اريد إمساكه فى
دار فر الى أخرى فتسائل الناس عن ذلك وعرفوا
الضيق الذى يعانى منه القاضى فقالوا : ياسبحان
الله كيف نضحى بالكباش وقاضينا يضحى بديك ؟ !!
فأهدوا اليه ثلاثين كبشا وهو بالمصلى لا يعلم شيئا ،
فلما صار الى منزله ورأى ما فيه من الاضاحى قال
لامراته : من اين لك هذا ؟ !! فقالت : اهدى بنا فلان
وفلان حتى سميت له الجماعة فقال لها : ياهذه
احتفظى بديكتا فانه عظيم الشأن ، عزيز عند الله اذ
فداه بثلاثين كبشا !!

● يستعير خروفا فى العيد ●

أرسل المرحوم محمد الاسمر الى صديق له يداعبه
بالايات التالية بمناسبة عيد الاضحى فقال رحمه
الله :

الشركة الشرقية "إيسترن كوباني" بالجيزة

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية



أعلى مستوى من إنتاجها

تحرص الشركة دائماً
على أن تكون منتجاتها
بإرضاء جميع الأذواق

وتقضى الأمة الإسلامية
بهدى الأسمى المبارك

سجارتك المفضلة





التصوّف والفلسفة الإسلامية



الصوفية في الإسلام

الأستاذ حسن كامل المطاوي

فقله تعالى [اياك نعبد] شريعة وقوله تعالى [واياك نستعين] حقيقة لاننا بهذا القول الكريم نخرج من حولنا وقوتنا الى حول الله وقوته بعد ان ندرك بوجودنا انه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وهذه الحقيقة لا يشهداها الغافلون عن الله تعالى اما اهل القلوب الحاضرة فيقول كل منهم ما قاله سيدي ذو القرنين عليه السلام [ما مكنتني فيه ربي خيرا] او ما قال سيدنا يعقوب عليه السلام [والله المستعان على ما ترضون] او ما قال سيدنا موسى عليه السلام [عسى ربي ان يهديني سواء السبيل] او ما علم الله خاتم رسله عليه افضل الصلوة والتسليم ان يرد به على المعتدين من الكفار حين سألوه عن ميعاد القيامة [قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله] .

وكما يطلق التصوف على مسلك السادة الصوفية يطلق ايضا على علمهم والهامهم واشاراتهم الصادرة عن الهامهم ويقول القاسم الجنيدي رضي الله عنه وهو امام السادة الصوفية في القرن الثالث الهجري : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . ويقول الامام الشمراني رضي الله عنه : التصوف علم انتقد في قلوب الاولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، كما انتقد لعلماء الشريعة حين عملوا بما علموه من الاحكام ، وكأنه رضي الله عنه يشير بقوله هذا الى الحديث النبوي الشريف : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » .

واذا اردنا ان نعرف كيف اتى الله السادة الصوفية علومهم اللدنية ، فلنقرأ ما قاله سيدي الامام الكبير ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في وصف جهادهم لانفسهم وقوة اتصالهم بربهم وانشغالهم به سبحانه عما سواه اذ يقول : الحجة اخذة من قلب عبده كل شيء سواه ، فترى النفس مائلة لطاعته ، والعقل متحصنا بمعرفته ، والروح مأخوذة في حضرة ، والسر مقبورا في مشاهدته ، والعبد يستزيد فيزداد ، ويفاتح بما هو اعذب من لذيذ مناجاته ليكسب حلل التقريب على بساطه القربة ، فيسب ايكار الحقائق ونبيات العلوم .

ولا ينبغي ان نستبعد ما قال ، ففي كتاب الله تعالى ما يؤيده ، فقد حكى الله سبحانه ما كان بين سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا الخضر عليه السلام ، وجاء في وصف سيدنا الخضر عليه السلام [فوجدا عبدا من عبادنا آتياه رحمة من عندنا وعلما من لدنا علما] فكان الخضر على صلة خاصة بربه خفيت اسرارها على سيدنا موسى عليه السلام مع عظم شأنه وكبير فضله ، وهو كليم الله ، ورسول لامة كبيرة شملت آل فرعون وبني اسرائيل . وكذلك حكى الله لنا ما ألهم به أم موسى عليه السلام ان نفعله اذا خافت على ابنها من القتل حين كان فرعون يذبح أبناء اسرائيل فقال تعالى [واوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالتقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين] فالتقيه رضي الله عنها في البحر اطمننا الى وعد الله الذي ربط على قلبها لتكون من المؤمنين المؤمنين ، وقد رده الله اليها لتقر عينها وتعلم ان وعد الله حق .

ابن التصوف من الكتاب والسنة

السادة الصوفية قوم آثروا الله على كل ما سواه طلبا لرضاه استرشادا بقوله تعالى [والله خير وأبقى] وتقليدا لسادتنا الصحابة الكرام الذين أوصى الله بهم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى [وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه] وقد سره صلى الله عليه وسلم أن يكون في أمته هؤلاء المجدون في طاعة الله فقال عندما نزلت عليه هذه الوصية : « الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني ان أصبر نفسي مع ناس من أمي » .

ونحن ان تكلمنا عن التصوف فانما نتكلم عن التصوف الحق المستمد من الكتاب والسنة ، لان السادة الصوفية الصادقين حرصوا كل الحرص على التماسي بهولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى [وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه] وقد سره صلى الله عليه وسلم أن يكون في أمته هؤلاء المجدون في طاعة الله فقال عندما نزلت عليه هذه الوصية : « الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني ان أصبر نفسي مع ناس من أمي » .

وروي الله عن شيخنا سيدي الشيخ علي عقل اذ يقول فيما لقناه عنه في الهامه القوي ، طيب الله ثراه :

لا تذكر الباري بقصد ولاية او ان تكون على السبيل لا تنطفي اذكر لوجه الله جل جلاله من رام غير جنبابه لم يشرف واذا اقتديت بالكتاب لك الهدى حافظ على آياته بتلف وانقض بروحك نهضة قدسية ولسنة المختار في السير أوقف واذا يقول في الهامه كذلك نور الله ضريحه :

وتوحد بالقرآن نفس عقيمة أصون به نفس عن الزيغ والدس وان شرب الناس الطلا وتصيبوا فستخير الخلق في شربها كاسي وما اتخذت روي سوى الله غاية فتم الهدى للروح والقلب والحس

وقد ظن بعض الناس بل بعض العلماء ظنا سيئا بالسادة الصوفية حين تكلموا عن الحقيقة وقالوا ليس ثبت الا الشريعة التي تمهدنا الله بها ، ولكن السادة الصوفية قصدوا بالحقيقة ثمرة العمل بالشريعة ، وبذل على ذلك تعريفهم لكل من الشريعة والحقيقة فهم يقولون في ذلك التعريف : الشريعة هي القيام بما أمر الله تعالى ، والحقيقة هي شهود لما قضى الله وقدر وأخفى وأظهر ،

ثمة رضىنا بالله لا يتسواه
ما لقينا لم رضىنا هوانا
اننا ملكه وموعدها الحشر
فهل عنه لحظة نتوانى
ولا يأخذك العجب من قوله المتقدم ، فقد نقلنا منه من الهامة
الفورى قوله شارحا هيامه فى الله ، وشوقه الى لقائه
سبحاته :

انا لو اشرب البحار جيبها
لم ازل فى محبتي ظمـــــــانا
لست اروى الا بقلبك يا رب
فهذا اللقاء اسمى رجائنا
تتبادى الى اليقين هلموا
وبهذا لربنا نقتدى
كما نقلنا عنه قوله الفورى من كلام كثير :

انا حسب ثابت القـــــــدم
مستهام القلب من قدم
يجلبنى الحب فى سهرى
ونجوم الليل من خدمى
هــــــزى بالله واصلى
فسوى الرحمن لم ارم
وفؤادى فى هدايته
يرتوى من مورد الكرم
ايها الباكي وكل فنى
ذاق طعم الحب لم ينم

وكان رضى الله عنه وهو يتفنى انشادا بهذا الشعر المسمون
ينفذ فينا بروحه فتشعر جلودنا وتنفق بحب الله طوبنا وتطلع
ارواحنا الى الملا الاعلى الذى هيئت منه الى اجسادنا بقدرة الله
تعالى .

ولذلك عذرتنا فى قوله بعد الايات السابقة :

ليس يغنينى سواء هوى
وهو متهمى هوى
هاجنى وجدى وبى حرق
لم تكن من شدة القمر
بل هى الانوار يقدفها
فسرت فى مهجتي ودمى

وصدق سبحانه اذ يقول فى اهل النور من المؤمنين [نور على
نور يهدي الله لنوره من يشاء] وفى اهل السبق [ومنهم سابق
بالخيريات باذن الله] .

وصدق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله :
ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : « ان يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواه وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره
ان يرجع الى الكفر بعد ان انتذه الله منه كما يكره ان يقذف فى
النار » .

وقد ورد ان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسيدنا
حاتمة بن مالك الانصارى رضى الله عنه : كيف أصبحت يا حاتمة ؟
قال : أصبحت مؤمنا حقا يا رسول الله ، قال : ان لكل قول
حقيقة فما حقيقة ايمانك ؟ قال : يا رسول الله عذقت نفسى عن
الدنيا فأسهرت ليلى وأظلمت نهارى وكأنى انظر الى عرش ربه
بارزا وكأنى انظر الى اهل الجنة يتزاوون وكأنى اسمع مواء
اهل النار ، فقال له صلى الله عليه وسلم : عرفت فالزم .

والمرءة مذاق ، والعلم تحصيل ، ولذلك قال له : « مررت » ،
ولم يقل له : عليت ، ومن هنا قيل للولى : عارف ، ولا يقال
له « عالم » مع شرف العلم ، لان العلم ليس مقصودا لذاته ، ولكنه
مطلوب ليميل به فى مرضاة الله ، وقد يكون العلم حجة على
صاحبه ان لم يعمل به ويكون حجة له ان عمل به فى طاعة الله تعالى
ومرضاته . ولذلك يقول تعالى فى العاقل بعليه [امن هو فانت
اتاء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه . قل هل
يسئول الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يذكر اولوا الالباب
كما يقولوا . سبحانه] ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى
السمع وهو شهيد [اى وهو يشهد ربه كما تشهد الملائكة

وكان امامنا على بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول متحدثا
بنصه ربه عليه وهو يشير الى صدره : ان هاهنا لعليا جبا لو
اجد له همة ، كما كان يقول : لو شئت أوفرت سبعين جملا فى
تفسير سورة الفاتحة . وقد سئل سيدنا عبد الله بن عباس رضى
الله عنهما : ما عليك الى علم ابن عك ؟ قال : كظرة الى
جانب البحر المحيط ، كما قال : لقد اعطى على بن ابي طالب تسعة
اشار العلم ، وايم الله لقد شارككم فى العشر العاشر . وقول
سيدنا ابن عباس يفيد ما خص به امامنا على من العلم دون غيره
هنى ابن عباس الذى لقيه بترجمان القرآن وبحر العلم .

ويقول امامنا على كرم الله وجهه فى طبقات اهل العلم :
الناس ثلاثة ، عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهج
رعاع اتباع لكل ناعق ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يركنوا الى
ركن ولى . ثم يصف رضى الله عنه اثر العلم فى مسلك الاتقياء
الاضياء فيقول :

هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، فباشروا روح اليقين ،
واستلثوا ما استوعبه المتفوقون ، وانسوا بما استوحش منه
الفاقلون ، عاشوا بايدان ارواحها معلقة بالالا الاعلى ، اولئك
خلفاء الله فى ارضه ، والدعاة لدينه » . فلا يعجب القارئ
الكريم ان يقول امير المؤمنين عمر رضى الله عنه : لولا على لهلك
عمر ، او يقول : لا ابقاى الله فى بلد لست بها يا ابا الحسن ،
او يقول : اعدو بالله من مضلة ليس لها ابو حسن . اى ان
المضلة التى لا يعلها امامنا على تستعصى على بقية الصحابة
الكرام مع فضلهم وعلمهم . وسبحان من قال : ترفع درجات من
نشأ وفاق كل ذى علم عليم [.

ويقول سيدى وشيخى الشيخ على عقل نور الله مرقده فى
الهامة الفورى الذى نقلناه عنه متحدثا بنعمة ربه عليه فيما آتاه
من العلم :

علوى فى السورى نفحات ربى
فما بلغوا مذاقى او شمولى
ولى من مشرق الايمان علم
سموت به على كل الفضول
كما قال رضى الله عنه الهاما لنوه :
بحر التجلى كله حكمة
كم تسيكن الارواح من عذبه
دع ما يقول الناس من علمهم
ما دمت تلقى المعلم من سيبه
وكذلك نقلنا عنه من الهامة الفورى قوله :

كل شيء ينهى فى مسوته

غير سر الله عسدى ما نقض

لى خليل كلما املته

جاضى الفيض اذا مسح المند

كلما قد زاغ قلبى قال لى

يا معنى قل هو الله اهد
فانظر الى روعة التضمين الذى ختم به البيت الاخير ! قل هو
الله اهد ويعزو رضى الله عنه فضل الله على الصوفية الى محبتهم
له سبحانه فيقول الهاما :

معبدة خالقى مشكاة قلبى

على انوارها القى وصولى

وان العجب انشواق وصير

يعز على المنافق والكسول
ويؤيده فى القرآن الكريم قوله تعالى [يا ايها الذين آمنوا من
يرتد منكم من دينة فسوف يأتى الله يقوم بهمهم ويحيونه اذلة على
المؤمنين اغزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا بضاقون
لومة لائم] .

وقد قال رضى الله عنه فى عدم بيلاته بسلامة اللاتين :

اعبثونى او اعذبونى فانى

لست اخشى الملام من حيث كانا

انها اللوم فى المحبة عسدى

لا يزيد المحب الا افتـــــــانا

جرب الحب مثلها جرب العاشق

تلقى الملام بذكى هــــوانا

المؤمنون الذين قال تعالى قِيم [يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِمَّا قَدَّمُوا وَيُقِيمُونَ]
 يا يؤمرون [وخوفهم هذا لا عن معصية ولكن تقديراً بحلاله
 وعظمته سبحانه وتعالى وطبعاً في رضا .
 والسادة الصوفية يتأدبون حتى في مقام الجبال ومن أقوالهم
 في ذلك : اجلس على البساط وياك والابتساف ، ويقول في ذلك
 الأدب وإثره الهلابة وأرجالاً سيدي الشيخ على عقل طيب الله
 شراه :

ووردت عن أدب بحار جماله

فصدرت عن علم وعن عرفان
 وشريت لم اشترق وقصيت ولم أنم
 والنوم من بعد الوصال جفائي

وعلمت أن الوجد ليس يمتنعه

الا بلقياً حضرة الحسن
 فتقوله رضي الله عنه : والنوم من بعد الوصال جفائي ، تقول
 سيدنا حارث في الحديث السابق : فأسهرت ليلي . وذلك من شأن
 الأولياء المحبين ، لأن المحبة تقتضي بذل كل جهد في مرضاة حبيبهم
 جل وعلا ، ويقول السادة الصوفية : لن تبذل مجهودك ان لم
 تبذل لمبودك ، وهو ما يتشبه مع قوله تعالى [واجاهدوا في الله
 حق جهاده] وبهم السادة الصوفية من قوله تعالى [فاتقوا الله
 ما استطعتم] أنه يجب بذل كل استطاعة في تقواه وطاعته
 وبحبه جنتهم في فهم هذا أنه تعالى أعطانا فوق الكفاية
 ولم يكلفنا فوق الاستطاعة ، ولكن النفس الإبراة بالسوء تخلد إلى
 الراحة وتستحب العاجل على الأجل فيجب على المؤمن جهاده
 حتى تبذل غاية جهدها في محبة سبحانه وقد وعد الله المجاهدين
 في مرضاته عونه فقال تعالى [والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
 سبلنا وإن الله لم يحسن] .

ويقول سيدي الشيخ على عقل رضي الله عنه في جهاد الأولياء
 الانتباه الأصناف فيها تظفاه عنه من الهابة الفوري المرتجل :
 رجال ولكن علا قدرهم تبارك من لهمو قد خلق
 لهم هم كالجمال الرواسي وهم عند ربك نور الفسق
 ونارهمو في التعميم القيم فيا عجبا جنة في حرق
 ويقتصد بالنار في البيت الأخير نار المحبة التي تقتضي بذل
 الجهد الجاد بذل قوله الهلابة رضي الله عنه :
 الحب ان زار القلوب فانه نار تلهب
 الحب حلو ذوقه وسبيله مر وأصعب
 وقوله رضي الله عنه الهلابة كذلك :

سهام الهوى لم تنفني عن رهايبكم
 ولو أنني منها على مركب صعب
 وكيف أهلب الصعب أو أهرب السرى
 ومن نام لا يرقى إلى مشهد القرب
 وقوله قدس الله سره :

حسبت الهوى سهلاً فخفضت عيابه
 فطورا به اطفو وطورا به غطش
 إلى أن أتني من لدنه عنابة
 وصلت بهما بر السلافة والانس

والله سبحانه وتعالى كشف لنا في كتابه الكريم عن جهاد
 ملئنا الصالح في كثير من الآيات كتقوله تعالى [كانوا قليلاً
 من الليل ما يهجعون . وبالإسحار هم يستغفرون . وفي أموالهم
 حق للسائل والمحروم] وقوله تعالى [تتجافى جنوبهم عن
 المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطبعاً ومما رزقناهم ينفقون . فلا
 تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون .
 آمن كان مؤمناً كين كان فاسقاً لا يستونون] .

وكما ميز الله تعالى بين المؤمن والفاسق ، جعل أهل التقوى
 درجات فقال تعالى [ان اكرمكم عند الله أتقاكم] فجاء في
 تمييز بعضهم عن بعض بأفضل التفضيل فكانه تعالى يقول : ان
 الاكرم عند الله هو الاتقى فالأقنى كل بدرجة تقواه في كرامة
 خاصة عند الله . ولا غرابة أن يفاضل الله تعالى بين الأولياء
 الانتباه ، فقد فاضل سبحانه بين الرسل الكرام فقال تعالى
 [تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض] والصدقية هي أعلى
 مراتب الولاية ، فتقوله صلى الله عليه وسلم ليسدنا أبي بكر

□ ١٧٤ □

رضي الله عنه : وأنت يا أبا بكر الصديق ، أنا هي شهادة
 بالسبق في الصدقية لتسدينا أبي بكر رضي الله عنه وقد
 غلب عليه هذا القرب حتى أغنى الناس عن ذكر اسمه اكتفاء
 بقلبه وأنعم به من لقب لقيه به مولانا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم .

ويقول سيدي الإمام الكبير أبو الحسن الشاذلي رضي الله
 عنه : الولاية والابتن ، ولي يتولى الله ، ولي يتولاه الله ،
 كما يقول سبحانه [الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من
 يفيب] أما الولي الذي يتولى الله فهو الذي يؤتبه الله الولاية
 بعد جهاد جاد وصادق في سبيل الله يريد به وجه الله ، أما
 الذي يتولاه الله فهو الذي خرجت له الولاية من خزائن المن
 على بساط المحبة .

أقول وقد بين الله تعالى أنه يختص برحمته من يشاء ولكنه
 بين لنا كذلك من هؤلاء الذين يختصهم سبحانه برحمته فقال
 عز وجل [ان رحمة الله قريب من الحسنيين] ولله تعالى
 في ذلك حكمة بالغة ، فهو سبحانه يدعونا إلى الاحسان وهو
 أن يعبد المؤمن ربه كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فأنه سبحانه
 يرى عبده ، كما علمنا مولانا رسول الله في الحديث المشهور
 الذي رواه مسلم عن سيدنا عمر رضي الله عنه والذي جاء
 فيه الحوار الذي دار على مسيح سادتنا الصحابة بين سيدنا
 جبريل عليه السلام - وقد جاء في شكل رجل لا يعرفونه -
 وسأل عن الاسلام والايان والاحسان وكان كلما أجابه مولانا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له صدقت ، ويقول
 سيدنا عمر : فمعجنا له يسأله ويصدقه ؟ وبعد أن انصرف
 جبريل عليه السلام قال مولانا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : يا عمر ، أتدرون من السائل ؟ قلنا الله ورسوله
 أعلم ، قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم .

ويعقب الإمام الجلال السيوطي رضي الله عنه على ذلك
 الحديث الصحيح فيقول : أن قوله صلى الله عليه وسلم :
 هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم فيد أن الأركان الثلاثة :
 الاسلام والايان والاحسان هي دين واحد ، فمن فرط في ركن
 منها فقد فرط في ركن من أركان دينه .

وكان تعريفه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام
 هو : أن تشهد ألا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم
 الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام أن
 استطعت إليه سبيلاً .

وكان تعريفه للايان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
 وأن تؤمن بالقضاء خيره وشره .
 وكان تعريفه للاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم
 تكن تراه فأنه براك . وانظر رعاك الله إلى دقة التعبير في
 قوله صلوات الله وسلامه عليه : كأنك تراه ، لأنه سبحانه
 لا يرى بالعين [لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو
 اللطيف الخبير] بل أنه يدرك باليقين واليقين في البصيرة
 فالمحسن يرى ربه بنور البصيرة ولا يراه بنور البصر كما يقول
 القائل :

رأيت ربي بعين قلبي فقلت لا شك أنت أنت
 أنت الذي حزت كل أين بحيث لا أين ثم أنت
 فليس للابن منك أين فيعرف الابن أين أنت
 وليس للكيف منك كيف فيعرف الكيف كيف أنت
 احطت علماً بكل شيء فكل شيء أراه أنت
 وفي انشغاله بربه في جميع أحواله يقول سيدي وشيخي
 الشيخ على عقل طيب الله ثراه الهلابة وأرجالاً :

وقفت على نجوى الإله جوانحي
 لذلك قلبي منزل كله ذكر
 وأخليت قلبي من مناجاة غيره
 فأصبح طوداً لا يزلله الفير
 استارع مشتاقاً وأسكت هاتماً
 وأنطق أجلاً وما عاقتني سير
 ففي صحوتي شوق وفي غفوتي هوى
 وفي مشييتي علم وفي وقفتي سر

ولا تستبعد ما يصق به حاله ، فقد عاشته السنين الطوال ولمس من جهاده وجهه ما يوق الوصف ، وهؤلاء القواص لهم شأنهم ومواجههم ، ولا يجوز أن نقيسهم على أحوالنا وهمنا القارة ، وصدق سيدي النبياني رضى الله عنه في قوله :

لا تسلم وصف جهنم فهو سر بسوى الذوق ماله افشساء وقد اتوا ففكروا بما ذاقوا وتحدثوا بنعمة الله عليهم ، ليعلموا فينا شيئا من الهمة ، لعلنا نسير على دريهم ونترسم خطاهم وان لم تبلغ ركبهم .. وما هو ذا سيدي الشيخ على عقل رضى الله عنه يكشف لنا عن مواجيد المحبين فيما نقلناه عنه من الهامة الفوري فيقول :

انما محبوبوه آثرنا الحياة له

فلا نلام على احبائه تقواه

ان كان حبي جنسونا بلسمنا زعموا

يا رب زدني جنسونا انت متناه

قالوا اتخذ لك جاها تستعين به

قلت انقصت فمكفوا حسبي الله

قالوا صفى الحب لا تخطئه في صفه

ان كان وصفك بالحق اتبعناه

فقلت صدقا واخلاصا ومعرفة

وان تصوت وان القصص الله

وان تعيش مع الرحمن منكسرا

وان يكون لك الباري هو الجاه

وان تسير على الشرع الشريف ولا

تخل بالضمك او تلعب بمعناه

فان تكن هكذا كنت المحب فان

قالوا ابتدعتم اجبا قد رضينا

ومن سوى الله نرضاه ونقصده

منسدا يشابه رب العرش نهواه

وهو يشير بقوله : بهذا يشابه رب العرش نهواه وهو استفهام انكاري الى الالة الكريمة [ليس كمثل شيء] او الالة الكريمة [ولم يكن له كفوا احد] او الى قوله تعالى [ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله] .

ويقول السادة الصوفية في ذلك :

سهر الميرون لغير وجهك ضائع

ويكالمهن لغير فمك باطل

وفي سهره في حب ربه يقول سيدي الشيخ على عقل في الهابة رضى الله عنه :

أخلى فؤادي له من كل شائبة

ان عشت أو مت أعضائي توحده

وكيف أرضى بغير الله متجها

والكل والجزء والاحشاء تعبدده

اذا سهرت فما أسهرت عن ملل

لكنه الصب يدعوني وأشهدده

ومذ تغزلت في ربي وما ألفت

روحي سواء تجافى الجفن مرقده

اذا مسدت يدي لله أسأله

مسدت الى بمعنى فضله يده

وكتب أمزج معه وأقول : بمعنى فضله يده ، احتراس جميل لا يقاس به أي احتراس في علم البيان ، لأن احتراسك هذا يا شيخى يتصل بمقيدة التوحيد ، وقد ترقى في احتراسك بين يد البشر ويد الله سبحانه وتعالى في روعة ظاهره ،

وقد تراءى في شبابي قوله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد ، فعجبت من حبة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم للماء البارد الى هذا الحد ، ثم حججت في سنة حارة ولما سمعت بين الصفا والمروة سبعة اشواط صرت من شدة الحرارة الهت ، وكان قريبا من المروة « شربلى » فجلست عنده لاستريح ثم طلبت منه ماء باردا وكان الظلمة بلغ مني مبلغه فأخذت أشرب قليلا قليلا

وفي كل مرة أشعر كأن روحي كانت تحاول مبارحة جسدى ولئن الماء البارد بردها الى الجسد ، فظنت بعد ان ارتوت واسترجعت صدق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ومن الماء البارد انه حياة الأرواح ، وصدق الله تعالى في منه علينا بالماء في قوله الكريم [افرايم الماء الذى تشربون * انتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جفتاه اجاجا فلولاً تشكرون] .

وبكلم سيدي الشيخ على عقل عن أثر حب الله فيه فيقول في الهابة الذى نقلناه عنه طبيب الله ثراه :

حسب الهيمن جالقين رواني والى الجلال شهوده أزجاني
أصبحت لا أرى عتاني للورى مادمت بالبارى رفعت بياني
عجزى عن الادراك ادراكي به جل المقام فما بين لساني
فيجبه ويسره وينسوره روح اليقين اظننى وكساني
ان هدونا عنى فاني مفسوم منكسك بالواحد السديان
اسمو بروحي في هباء وانفى فالمشيق فاجى واليقين عياني
وقوله رضى الله عنه : واليقين عياني بذكرنا بقول اباينا
على بن ابي طالب كرم الله وجهه : لو كشف الحجاب ما زددت
يقينا .

ويقول سيدي الشيخ على عقل نور الله شريحه في اثر المشيق الهباء وارفعالا :

والعاشقون لهم في الحب ان مسجروا

روحي من المزل لم يذل له نمر

مياهه السنكر والتقوى منابسه

والعلم والدين والآيات والمصبر

خل المارق للعشاق تقطعها

ان كنت منهم فسر واسهر كما سهروا

ومن كلامه هذا نذكر ان السادة الصوفية المحبين لله والهالمين فيه والفاكرين الله كثيرا هم أهل علم ومعرفة ، وعلمهم بجيهم كسبا أو وهبا وكسبا ووهبا ، فهذا الالهام الفوري الذى كان يتدفق على قلب شيخنا سيدي الشيخ على عقل كان من عطاء الله له ، والله سبحانه وتعالى يعلم الانبياء وحبا ويعلم الاولياء الهاما ، كما علم أم موسى عليه وعليها السلام الهاما أن تلقيه في البئر ان خانت عليه ، وربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين وهي ليست من الانبياء بل هي من الاولياء ، وقصد علينا سيدي الشيخ على كثيرا مما عليه الله ، فقد تقفقت على يديه في مذهب الامام مالك ، وأعانتى ربي من فضله فالتفت أخيرا كتابين في المذهب اهديا في العبادات والاخر في المعاملات وقد وزعناهما هدية محبة في الله تعالى وانفتح بهما كثير من المؤمنين في بلادنا العزيزة وغيرها من بلاد المسلمين . وقد تفضل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فطبع مرة أخرى كتاب المعاملات وقرر طبع كتاب العبادات وهو الآن تحت الطبع وللجلس في عمله هذا حسن الثواب .

واذا أراد الغارى الكريم أن يقف على السر الدافع للسادة الصوفية في حب الله تعالى بكل احاسيسهم فليستمع الى ما يحكيه لنا امام منهم كبير هو سيدي مستيق البلخي اذ يقول طبيب الله ثراه : عملت في القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة فأحببت في قوله تعالى [وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى أفلا تعقلون] وليذكر الغارى الكريم كذلك قول مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذكر الله حتى يتل محزون ، والى هذا الحديث الشريف يشير سيدي الشيخ على عقل في الهابة :

قالوا بان الفسرام يا من يهب من شأنه الجنون
قلت اكفوا ليس ذاك حقسا ونهسن بالله نستعين
ان كان حبي له جنسونا يا حبذا ذلك الجنون
ويقول سيدي شيخ شيوخى احمد البدوي رضى الله عنه :

مجانين الا ان سر جنونهم

عزيز على اعابهم يسجد العقل

وصدق سبحانه وتعالى اذ يقول [الا ان حزب الله هم

الذكر المشروع في إطار القرآن والسنة

فضيلة الشيخ

محمد هادي عبد الرسول

خلق الله الإنسان على أحسن ما يكون الخلق وصوره فأجمل صورته وفضله على كثير من خلقه والله العلي الحكيم الذي خلق المرء في أحسن تقويم لم يخلقه ليلهو في حياته أو يعيث في دنياه كما يتضح من قول الله « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم ألينا لا ترجعون » بل خلقه لحكمة بينها في قرآنه بقوله [وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين] وعبادة الله طاعته ومن الطاعة ذكره والذكر استحضر عظمة الله وتعالى قدرته وتفردته بالربوبية المطلقة والسلطان الغالب وأنه غالب على أمره لا يعجزه شأن عن شأن سواء كان ذلك الاستحضار بالقلب أو به وباللسان في الحدود التي رسمها الاسلام حيث لا يخرج الذكر عن حكمة مشروعية الذكر وهي التأمل والتفكير والتدبر وبهذا يتولد في نفس الذكر به العظة والعبرة والخوف من الله والخشية منه والرجاء فيه .

ذكر الله أول النهار وآخره كما يتضح من قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بخره واصيلاً هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيب تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً .

والجهاد الذي قال فيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لكل دين رهبانية ورهبانية الاسلام الجهاد [يرشدنا الدستور السماوي الحكم ساعة ان نكون في هذا الوطن وعند لقاء العدو ان نذكر الله سبحانه فذاك طريق النصر وسبيل الفلاح والى هذا يشير القرآن يا أيها الذين آمنوا ذا لقيم من الله فاعلموا واذكروا الله كثيراً لعلمكم تفعلون اذكر الله سبحانه يدفع عبده الذي حاد عن الطريق

وتعالى [فاذا قضيت مناسكتكم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار]

والعتلاء من بنى البشر هم الذين يكثرون التأمل في آيات الله ومن سيماتهم أنهم يذكرون خالقهم في جميع أوضاعهم وفي هذا يقول الله [ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لربى الايات الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار] .

وفي موضع آخر من كتاب الله نراه يوجه عباد الله ان يحيا مع

والقرآن المجيد وهو هدية السواء الى الارض يوجهنا الى شرعة الذكر في أكثر من موضع منه فالصلاة وهي الصلة بين الخلق والخالق يرشدنا رب العالمين الى ذكره عقب آدائها مع انها دعاء وذكر وذلك ليكون المرء موصولاً بربه في الصلاة وخارجها كما يتضح من قول الله تبارك وتعالى [فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فاذا اطمانتم فاقموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً] .

والحج وهو مؤتمر اسلامي يجمع بنى البشر من كل صوب وحذب لينكروا اسم الله في ايام معلومات وليتبادلوا المنافع فيما بينهم وجهنا رب العزة الى ذكره عقب الانتهاء من مناسكه وفي هذا يقول الله تبارك

السوى واستحوذ عليه الشيطان الى التوبة والاستغفار والعودة الى قيوم السموات والارض كما يتضح من قول الله [والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين]

ومن آثار ذكر الله انه يبعث في النفس الهدوء والامن ويولد فيها الثقة والاطمئنان ويبعد عنها القلق والى هذا يشير القرآن الجيد [الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب]

قال ذو النون المصرى رحمه الله - من ذكر الله تعالى ذكرا على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ عليه كل شيء وكان له عوضا من كل شيء - والذكر يرفع شأن المؤمن عند خلائقه ويوصله اليه فيكون في كنف رعايته ومحط عنايته نفى الحديث القدسي [انا عند حسن ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني في نفسه فخرته في نفسي وان دخرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الى شبرا تقربت اليه دراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيت به هرولة] .

وهو لا يقل منزلة وثوابا عن ثواب الذي يبسط يده انفاقا في سبيل الله وعن المجاهد الذي استتروحت نفسه بالجهاد في سبيل تثبيت قواعد العدل ونصرة الحق وفي هذا يروى ابو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قوله [الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليكم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان

تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال - ذكر الله - رواه احمد وابن ماجه والترمذي .

روى عن مالك بن يخامر ان معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لهم ان آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلت أى الاعمال أحب الى الله قال [ان تموت ولسانك رطب بذكر الله] رواه ابن حبان وصححه

كما اثر ان أم انس رضي الله عنه قالت يارسول الله أوصني قال [اهجري المعاصي فانها أفضل الهجرة وحافظي على الفرائض فانها أفضل الجهاد واكثرى من ذكر الله فانك لا تاتين الله بشيء أحب اليه من كثرة ذكره] .

ولقد مدح الله الذاكرين في كثير من كتابه ومن ذلك قوله [والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما] .

وعلى سبيل الوجوب يرشد الله عباده ان يذكروه بالطاعة ليذكروهم بالمغفرة كما يتضح من من قوله فاذكروني اذكركم واشكروا ولا تكفرون] .

وحول فضيلة الذكر ومشروعيته وموقف الملائكة من الذاكرين والنفاهم حولهم فرحا بهم يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه [ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم قال فيحسونهم باجنتهم الى سماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو اعلم بهم ما يقول عبادي قالوا يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك قال فيقول وهل راؤني فيقولون لا والله ما راؤك قال فيقول كيف لو راؤني قال فيقولون

لو راؤك لكانوا اشد لك عبادة واشد لك تمجيда واكثر لك تسبيحا قال فيقول فما يسألوني فقال فيقولون يسألونك الجنة قال فيقول وهل راوها قال فيقولون لا والله يا ربنا ما راوها قال فيقول شيف بهم لو أنهم راوها قال فيقولون لو أنهم راوها لكانوا اشد عليها حرصا واشد لها طمنا وأعظم فيها رغبة قال فمسم يسمعون قال فيقولون أنهم يسمعون من انوار قال فيقول وهل راوها قال فيقولون لا والله ما راوها فيقول فكيف لو راوها قال فيقولون لو راوها لكانوا اشد منها فرارا واشد منها مخافة قال فيقول فاشهدكم اني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة فيقول الله - هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم] أخرجه البخارى ومسلم والترمذي .

وحول هذا المعنى يروى انس ابن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قوله [ما من قوم اجتمعوا يشكرون الله عز وجل لا يربدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء ان قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات] رواه احمد باسناد حسن .

والذكر يتنوع الى انواع عدة فكل ما يذكر الانسان بربه يسمى ذكرا .

فالتفكر في مخلوقات الله وبديع صنعه يسمى ذكرا ، عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان عبد الله بن رواحة اذا لقي الرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى تؤمن ربنا ساعة - اى تعال نتذكر ونفكر في نعم الله وفضله لنزداد ايمانا بربنا وثقة فيه وتوكلا عليه .

فقال ابن رواحة هذا القول لرجل فغضب وذهب الى رسول

الله فقال يا رسول الله ألا ترى
ابن راحة يرغب عن إيمانك إلى
إيمان ساعة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم [يرحم الله ابن
رواحة أنه يحب المجالس التي
تنباه بها الملائكة] .

وقالوا القرآن في بيت الله
ومدارسته من أجل أنواع الذكر
وأفضل الطاعات وفي بيان هذا
الفضل يقول الرسول صلوات
الله وسلامه عليه ما اجتمع قوم
في بيت من بيوت الله يتلون آياته
ويتدارسونه فيها بينهم إلا نزلت
عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة
وحففتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن
عنده .

وحول هذا المعنى يروى سعيد
ابن المعلى رضى الله عنه قال كنت
أصلى بالمسجد فمدعاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم
أجبه ثم اتبعته فقلت يا رسول الله
أني كنت أصلى فقال صلوات الله
وسلامه عليه ألم يقل الله تعالى
« استجبوا لله وللرسول إذا
دعاكم » ثم قال [لأعلمك سورة
هي أعظم سورة في القرآن قبل
أن تخرج من المسجد] .

فأخذ بيدي فلما أردنا أن
نخرج قلت يا رسول الله أنك قلت
لأعلمك أعظم سورة من القرآن
قال [الحمد لله رب العالمين هي
السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي أوتيته] رواه البخاري .

وفي إطار هذا المعنى يروى
أبو أمامة الباهلي رضى الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول [أقرعوا القرآن
فانه يأتي يوم القيامة شفيعا
لأصحابه أقرعوا الزهراوين
البقرة وسورة آل عمران فانهما
يأتیان يوم القيامة كأنهما
غمامتان أو غبابتان أو كأنهما
فرقان من طير صواف تحاجان
عن أصحابهما أقرعوا سورة
البقرة فان أخذها بركة وتركها

حسرة ولا تستطيعها البطالة]
رواه مسلم .

ومن الذكر طلب العلم فهو
يوصل إلى الإدراك الصحيح
ليعبد الإنسان ربه على بصيرة
عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا أبا ذر [لأن تعدوا فتعلم آية من
آيات الله خير لك من أن تصدق
مائة ركعة ولأن تعدوا فتعلم بابا
من العلم عمل به أو لم يعمل خير
لك من أن تصلى ألف ركعة]
رواه ابن ماجه بإسناد جيد .

ولقد ذكر في حاضرة رسول الله
رجلان أحدهما عابد والآخر عالم
فقال صلوات الله وسلامه عليه
[فضل العالم على العابد كفضل
علي أدناكم ثم قال أن الله
وملائكته وأهل السموات والأرض
حتى الثملة في جحرا وحتى
الحوت ليصلون على معلم الناس
الخير] رواه الترمذي .

ولقد وعظ لقمان ولده قائلا
- يا بني عليك بمجالس العلماء
واسمع كلام الحكماء فان الله
ليحيي القلب الميت بنور الحكمة
كما يحيي الأرض الميتة بوابل
المطر - والصلاة على رسول الله
صلوات الله وسلامه عليه
ودراسة سيرته العطرة لتتخذ
منها الاسوة الحسنة والتقوة
الطيبة من أعظم أنواع الذكر قال
الله تعالى [أن الله وملائكته
يصلون على النبي يا أيها الذين
آمَنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما] وقال [لقد كان لكم في
رسول الله أسوة حسنة لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله
كثيرا] .

عن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضى الله عنهما انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول
[إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل

ما يقول ثم صلوا على فانه من
صلى على صلاه صلى الله عليه
بها عشرًا ثم صلوا إلى الوسيلة
فإنها منزلة في الجنة لا تنفك إلا
لهب من عباد الله وأرجو أن
أكون أنا هو فمن سأل الله
الوسيلة حلت له الوسيلة] رواه
مسلم وأبو داود والترمذي .

وفي تأكيد فضل هذا النوع من
الذكر يروى أبو طلحة الانصاري
رضي الله عنه قال دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأشارير وجهه تشرق فقلت يا
رسول الله ما رأيك أظيب نفسا
ولا أظهر بشرا من يومك هذا قال
[ومالي لا تطيب نفسي ويظهر
بشرى وأنا فارقتي جبريل عليه
السلام الساعة فقال يا محمد من
صلى عليك من أمته صلاة كتب
الله له بها عشر حسنات ومحا
عنه عشر سيئات ورفع له بها عشر
درجات وقال له ألك مثل ما قال
نك قلت يا جبريل وما ذاك ألك
هان أن الله عز وجل وخذ ملكا من
لبن خلقك ألى أن يبعثك لا يصلى
عبيت أحد من أمته إلا قال وأنت
صلى الله عليك] رواه
الطبراني .

ومن أفضل الايام الذي يذكر
فيه رسول الله يوم الجمعة .

عن أوس بن أوس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
[من أفضل أيامكم يوم الجمعة
فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه
النفخة وفيه الصاعقة فاحذروا
عنى من الصلاة فيه فان صلاتكم
معروضة على قالوا يا رسول الله
وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد
أرمت - أى بليت - فقال أن الله
عز وجل حرم على الأرض أن
تأكل أجساد الأنبياء] رواه أحمد
وأبو داود وابن ماجه وابن حبان
في صحيحه .

بصرنا الله أمور ديننا وهيا لنا
من أمرنا رشدا .

لمحات من التصوف الإسلامي في القرن السابع الهجري

الأستاذ سالم عرفات سالم

فضلا عن تحكم الممالك فيهم واستئثارهم بخيرات البلاد واستبدادهم بأهلها ، وكثرة الفتن واختلال الأمن ، فضلا عن تجدد المجاعات والأوبئة بين حين وآخر . لذلك صادفت دعوة الصوفية استجابة قوية من المصريين فازدادت أعدادهم في سرعة وأطلقوا على أنفسهم اسم « الفقراء » أمعانا في لصق صفة الزهد بهم .

وانقسم الصوفية الى فرق عديدة لكل فرقة شيخها وشعارها ، فالطائفة الاحمدية مثلا نسبت الى شيخها أحمد البدوي وشعارها اللون الاحمر ، والرفاعية نسبت الى أبي العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي وشعارها اللون الاسود وهكذا .

وأقامت كل طائفة شيخا لها ، وعند موت شيخ الطائفة يخلفه خليفة يخلع عليه السلطان في القلعة ، ثم يغادرها في حفل كبير وقد أحاط به اتباعه فبأذا ارتبط أحد الفقراء بشيخ من مشايخ الصوفية وأصبح من مريديه ، اليسه الشيخ خرقة التصوف ، والتزم المريد بطاعة شيخه طاعة عمياء . وبالغ بعض

امتازت الحياة الدينية في مصر بوجه عام على عصر سلاطين المماليك بانتشار ظاهرة التصوف واتساع نطاقه . ويعمل الباحثون الاجتماعيون هذه الظاهرة بكثرة من وفد على مصر في ذلك العصر من مشايخ الصوفية المغاربة والاندلسيين ، مثل السيد أحمد البدوي وأبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي وأبي القاسم القباري ، وهؤلاء وغيرهم ضاقوا بالحالة التي وصل اليها المسلمون في المغرب والاندلس فهجروا بلادهم الى المشرق ، حيث صادف أسلوبهم قبولا كبيرا في مصر بالذات . والمتأمل في التاريخ يجد أن حركات العزلة والانقطاع للعبادة تقوى دائما نتيجة لعدم رضى الناس عن أوضاعهم وتآلمهم لسوء أحوالهم ، فينهجون نهجا دينيا ويحاولون الابتعاد ما أمكن عن متاع الدنيا والزهد في مباحها ، عسى أن يتوب الله عليهم ويبدل حالهم .

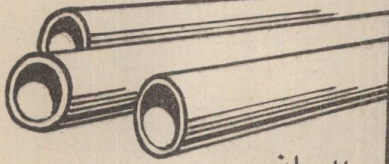
وكان المسلمون في مصر بالذات في القرن السابع الهجري يشعرون بسوء أحوالهم نظرا للاخطار التي تعرضوا لها من جانب الصليبيين والتتار من ناحية ،

الشركة المصرية للمواسير والمنتجات الاسمنتية

سيجورت

أحدى شركات المؤسسة المصرية العامة
لمواد البناء والمحاربات

- منتجات الشركة:
- أنعمه خرسانية مساحت
للإدارة.
- منتجات أسمنتية
- ألواح إسبستوس مسطح
- ووضع مقاربات مختلفة
- مواسير فخار وإسبستوس
- وخرسانية مساحت.
- منتجات كاوتشوك
- فلنكات السكة الحديد والمطرو
- خرسانية سابقة الإجهاد



المصانع:
المعصرة - شبرا الخيمة
الاسكندرية - كوبري الناموس
الإدارة:
15 شارع شريف - القاهرة

شيوخ الصوفية في عصر الماليك ، فاشترطوا في
العهد الذي يأخذونه على مرديهم ، ألا يبقى للمرشد
تصرف في ماله ولا زوجته ولا نفسه .

ومن المعروف أن الحياة الصوفية قامت على أساس
التقشف في اللبس والمأكل وغير ذلك من أركان
المعيشة . وعبر عن ذلك القطب الصوفي إبراهيم
الدسوقي فقال « إن قوته الجوع ومطره الدموع
ووطره الرجوع » . ولذلك قيل أن البيت الذي يسكنه
الصوفية سمي « خانقاه » من الخنق لتضييقهم على
أنفسهم ، وإن لفظ « فقراء » أطلق عليهم لافتقارهم في
كل أمورهم إلى الله سبحانه وتعالى ، ففي اللبس
بالغوا في التخشن وأثروا لبس الصوف والمرقع من
الثياب . وفي المأكل حكى أن القطب الصوفي السيد
أحمد البدوي أنه اعتاد أن يمكث أربعين يوما أو أكثر
لا يأكل ولا يشرب ولا ينام . أما نشاطهم فيوجهونه كله
نحو العبادة والذكر ليسلموا من البطالة والكلام فيها
لا يعني . ولقيت حركة التصوف في مصر تأييدا من
كثير من سلاطين الماليك ، حتى أن خوند شكر باي
الاحمدية زوجة السلطان خشقدم غلب عليها
التصوف ، فاتبعت الطريقة الاحمدية ونسبت إليها
وذميت أكثر من مرة لزيارة ضريح السيد أحمد
البدوي بمدينة طنطا . أما أمراء الماليك فقد حكى عن
بعضهم مثل الأمير حسام الدين لأجين [توفي سنة
٦٦٢ هـ) أنه (يحب الفقراء ويجمعهم على
سباطه) .

وقد استتبع انتشار التصوف وكثرة الصوفية في
عصر الماليك انتشار البيوت الخاصة بالصوفية ،
وهي التي أطلق عليها خانقاوات وربط وزوايا . ذلك
أن سلاطين الماليك وأمراءهم عنوا عناية فائقة بإنشاء
بيوت الصوفية فشيّدوا الكثير منها ، وحبسوا عليها
الأوقاف السخية [. وكان الأفقر والاحوج يقدم للمنزل
بالخانقاه ، وبعد ذلك يأتي الفقراء المغتربين ، كما كان
يفضل الأعزب على المتزوج .

وجرت العادة أن يعين لكل خانقاه شيخ أو أكثر
وعدد من الصوفية ، واشترط في شيخ الخانقاه أن
يكون « من جماعة الصوفية ممن عرف بصحبة
المشايخ ، والا يكون قد اتخذ من التصوف حرفة
وقد كونت كل خانقاه وحدة قائمة بنفسها ، بداخلها
عدد معين من الخلوات خصصت كل منها لأحد
الصوفية .

وكان للصوفية في معيشتهم داخل زواياهم آداب
خاصة وقواعد مرعية التزموا بها وأفاض المعاصرون
في وصفها .

غير أن انتشار التصوف والتصوفة في مصر على
عصر سلاطين الماليك ، ثم بعد ذلك على العصر
العثماني ، كان له أثر خطير في الحياة الاجتماعية .
ذلك أنهم صبغوا القيم والمثل العليا بصبغة الزهد
والرغبة عن الدنيا والتعلق بالحياة الآخرة ، وترتب
على ذلك نشر روح الاستكانة والقناعة والتذلل مما لا
تزال بقاياها في نفوس الكثيرين حتى اليوم .



خامسا : تقول الآية الكريمة « فاسلكى سبيل ربك ذللا » .
تضم طائفة النحل العادية فى الصيف الباكر -
مرسم النشاط - ما يقرب من ٢٠ - ٨٠ الفا من
الشغالات (العاملات) وبضع مئات من الذكور وملكة
واحدة ملقحة ، ويكون بالخلية عدد من الاقراص
الشمعية التى تحتوى على حضنة النحل (النسل
المربى) فى اطوار مختلفة من النمو . وبالعيون فى
الاقراص كميات من عسل مخزون وحبوب لقاح .

والنشاط فى الخلية يجرى بتخطيط دقيق ، ونظام
مرسوم بحيث يودى كل فرد عمله بهمة ونشاط ودأب
بحيث لا يحيد عن أداء واجبه قيد شعرة :

١ - أما الملكة : فهى رمز الوفاق والاستمرار فى
الخلية ، فى وجودها يسير العمل كما خطط له وحين
تغيب يشيع الاضطراب فى الخلية وقد يهجرها سكانها
(التطريد) اذا لم يتيسر استبدالها بغيرها . لكن
وظيفة الملكة الاساسية هى وضع البيض تبعا لنظام
خاص وبأسلوب يدق على الوصف والابداع .
٢ - أما الذكور فوظيفته واحد منها - اقواها - أن
يلقح الملكة اثناء طيران زفاف مثير يخر الذكر بعده
صرعيا وقد تضعيف الافراد الاخرى فلا ترجع فان رجعت
فغالبا ما تطرد من الخلية لعدم جدواها أما الملكة
فتعود بعد حقلة الزفاف هذه الى خليتها حيث تستقبل
استقبالا حافلا بعده تؤدى مهمتها على الفور .

٣ - أما عشرات الالاف من الشغالات فعلى كاهلها
يقع العبء الاساسى فى حياة الخلية ولكى يتم ذلك فى
أبدع صورة فقد دلت أحدث الابحاث على أن :

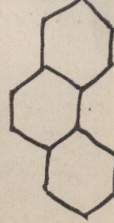
١ - الشغالات التى تخرج توا من العذارى تبقى
بالخلية لفترة تقرب من ثلاثة أسابيع تزاو اثناءها
العمل فى الخلية « تربية الحضنة - تنظيف
الخلية - وصيقات الملكة - تغذية .. الخ » ولهذا فان
هذه الشغالات تعرف « بالشغالات المنزلية »

ب - الشغالات التى أدت مهمتها فى الخلية على
النحو السابق ، يجرى دورها فى الخروج الى الوسط
الخارجى لتقوم بجمع حبوب اللقاح والرحيق وجلب
الماء الى الخلية ولهذا فانها تعرف « بالشغالات
السارحة » وهى تمارس هذا النشاط قرابة أسبوعين
آخرين .

ويتضح مما سبق أن الشغالة تعيش فترة جهاد
وكفاح تمتد الى نحو « ٥ - ٦ » أسابيع تبذل اثناءها
قصارى جهدها فى خدمة طائفتها حتى أن الكثير منها
ليقع صرعى الاجهاد والارهاق وهى فى طريقها الى



ذلك المخلوق
الموصى إليه



الدكتور أحمد مسنير القفل

الخلية . هذا والشغالة التي تظهر في نهاية فصل الخريف قد تكون أطول عمرا « ٥ - ٦ شهور » نظرا لضآلة ما تقوم به من مجهود خلال أشهر الشتاء الباردة .

هذا وقد يقوم بعض أفراد من النحل السارح بحراسة الخلية كما أن تقسيم العمل بين الخلية « المنزل » والخارج على النحو السابق قد لا يأخذ صورته الدقيقة إذا زادت أفراد الطائفة كثيرا بحيث لا تجد الشغالات المنزلية ما يشغلها فتسرح خارجا أو قد يموت أغلب النحل السارح لظروف خاصة « المطر - البيدات . الخ » فسرعان ما تجند الشغالات المنزلية نفسها لأداء الواجب .

هذا وإذا فوجئت الطائفة بفقد ملكتها بسبب أو لآخر وإذا عجزت الشغالات عن تدبير ملكة من بيضة ناشئة أو يرقة مناسبة فإن إحدى الشغالات القوية قد تتقدم لتؤدي هذه المهمة وتعرف عندئذ « بالشغالة البيضاء أو الام الكاذبة »

ولكن كيف ذلت السبل للشغالات السارحة حتى يسرت لما خلقت له ؟

١ - أظهر البحث أن لكل طائفة رائحة خاصة بها وتختلف عن غيرها وأن النحل السارح يستطيع أن يفرز هذه الرائحة من غددة خاصة على بطنه ولهذا فإن النحل السارح يستطيع بذلك :

١ - أن يستدل بسهولة على خليته الخاصة - فوق العلامات الأخرى

ب - أن يخلط الرائحة بمصدر رزق ليستدل عليه زميلاتها - دون الغير - فتفيد منه لمصلحة الخلية .

ج - أن تجذب بهذه الرائحة الأفراد الضالة إن وجدت

٢ - يوجد أفراد من الشغالات السارحة تعرف « بالنحل الكشاف » وظيفته البحث عن مصدر للرحيق وحين يعثر عليه فإنه يخلطه برائحة خاصة كما سبق لكنه يرجع ليشرح أفراد خليته بهذا الانتصار وليوجه النحل السارح لجلب الغنيمة وللنحل الكشاف في ذلك لغة الاقتناع الخاصة به . وأفادت الأبحاث :

١ - أن النحل الكشاف عند دخوله الخلية يقوم بدور من الرقص الإقناعي تفهمه الشغالات الأخرى فإن كان الرقص من النوع « الدائري » دل ذلك على قرب المصدر وإن كان الرقص من النوع الاهتزازي دل ذلك على مسافة أبعد .

ب - أمكن بالدراسة معرفة المسافة بين مصدر الغذاء والخلية وذلك بنوع الرقص وعدد اللغات في وقت معين . أما اتجاه مصدر الغذاء بالنسبة للخلية فقد أمكن معرفته باتجاه النحلة الراقصة وتعيين الزاوية التي تصنعها مع قرص الشمس في السماء .

ج - قد يطعم النحل الكشاف إحدى زميلاته قطرة من الرحيق المكتشف لتعرف رائحته وتوجه إليه على هدى هذه الرائحة . هذا وحين تخرج الشغالات لتعثر على الغنيمة فإنها تمارس الرقص المطلوب عند العودة إلى الخلية لتشجع الشغالات الأخريات على ممارسة العملية .

سادسا : تقول الآية الكريمة « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » .

١ - الرحيق الذي امتلأت به الحوصلة للشغالة به نحو ٦٠ في المائة من محتوياته ماء وعليه فإنها حين تعود به إلى الخلية فإنها تسلبه لغيرها لانضاجه ليكون عسلا . وتقوم بذلك الشغالة المنزلية حيث تتنحى ناحية غير مزدحمة من الخلية ثم تعامل الرحيق بأجزاء الفم والبلعوم ليبرد الجزء الكبير من الماء « نحو ١٥ في المائة » ثم تخزن هذا الرحيق في عين فارغة في صورة « عسل فج » وعلى هذا الأخير تتم عملية تبخير أخرى للماء بواسطة حرارة الخلية من جهة وأحداث النحل لتيار هوائى مستمر عليه بواسطة أجنته وفي الليل تعاود شغالات أخرى معاملة الرحيق في العيون السداسية بطرق خاصة ليصبح في قوام العسل المعروف الذي يخزن ويختم في العيون الخاصة به . وتستغرق عملية الانضاج هذه نحو ثلاثة أيام يصبح بعدها تركيز السكريات في العسل نحو ٨٠ في المائة .

٢ - أما العسل من حيث ألوانه فيلاحظ أن الشغالات تزور أزهارا متنوعة كما أن أنواعا من الأزهار تسود على غيرها في أوقات وظروف خاصة ولهذا فإن العسل في مصر مثلا يقسم إلى أنواع منها :

١ - عسل الموالح : ويتميز برائحته الذكية ولونه الصافى شبه الشفاف .

ب - عسل البرسيم : ويتميز بلونه الأصفر الفاتح .

ج - عسل القطن : ويتميز بلونه الأصفر الكهرماني ورائحته القوية .

هذا ويلاحظ أن مميزات العسل تختلف كثيرا حسب طريقة تجهيزه وحسب المنطقة والأزهار السائدة فيها وحسب ظروف كثيرة أخرى والمعلوم في ذلك على نوع الرحيق ولونه ونسبة المئوية في تكوين العسل .

٣ - أما أن العسل فيه شفاء للناس فمجرد ذلك إلى أمور كثيرة - تتصل بقيته الغذائية ومميزاته الصحية - وقد ثبت بالأبحاث :

أ - أن عسل النحل يعتبر من أسرع المواد الغذائية تمثيلاً « بناء » لجسم نظراً لتركيبه الخاص .

ب - يدخل عسل النحل في كثير من المستحضرات الطبية .

ج - كما أن عسل النحل يعتبر من أصالح الأغذية للأطفال .

د - ينصح الأطباء الحوامل بالتغذية على عسل النحل بسببه مضه وتركيزه لأن إمتلاء المعدة بمواد غير مكررة قد يضغط على الجنين .

هـ - يساعد عسل النحل في علاج مرضى فقر الدم - كما يغيد الطيارين والرياضيين والمشتغلين بأعمال فكرية .

و - يعادل العسل الحموضة الموجودة في الدم

هذا وهناك الكتب الكثيرة التي تخصص في معالجته ودراسة عسل النحل من حيث تركيبه وفوائده العامة ولئن أراد المزيد أن يطرق هذه الخشب المتخصصة .

سابعاً : تختم الآية الكريمة فنقول « .. أن في ذلك لآية لقوم يفكرون » .

والحقيقة أن الايتين اللتين سيقتا في مطلع هذا المقال ، واللتي نوقشت عناصرهما فيما سبق قد حظيت هذه العناصر بمزيد من التأمل والتفكير وذات مثارا لكثير من الأبحاث الممتعة على مستوى العالم كله ، فالنحل كمجموعة وكسلالات تد بحشبا فاضة من النواحي التقسيمية والفسولوجية والوصفية ومسكن النحل قد بحثت ولا تزال تطور إلى الأفضل والأزهار التي يزورها النحل ومدى استفادة الطرفين من هذا السلوك اقتصاديا قد شملت كثير من الأبحاث العصرية ولا زالت الأبحاث تجري عن مدى استفادة أنواع من المحاصيل الحقلية والبستانية من زيارة النحل لأزهارها أو من إقامة المناحل بين زروعها بل أن سلوك النحل ونشاطه فيما يتعلق بزيارة الأزهار كمصدر للرحيق وجوب اللقاح ونقدها إلى خلاياه وطرق الاستدلال على مصادر رزقه واستنهاض الهمم في جمعه وحمله كل ذلك يغري كثيرا من العلماء بالدراسة والبحث . أما العسل نفسه من حيث تركيبه وتصنيعه وتباين ألوانه ومواده الغذائية والصحية فمجال لأبحاث كثيرة ومؤلفات عديدة .

□ ١٨٤ □

وأخيرا ، استسمح القارئ الكريم في أن تعود دبر لدقت أثر الإيحاء على النحل . وبكى تكون الصورد جنية واضحة فملينا أن تستعرض الحقائق البانية :

١ - طائفة النحل تمثل مجتمعاً راقياً يمش بسوكه وعدائه ونشاطه بنظام اشراك تعويديا متقدما ، شعارة « الفرد للجماعة والجماعة للفرد » يتخصص كل فرد فيه مهديا وينهيك لذلك بحيث يبدل فصارى جهده في أداء واجبه حتى الموت لا ينتظر جزاء ولا شذورا ، ولا يستطيع أى فرد في الجماعة أن يعيش بمعزل عنها والا كان مصيره الموت المحتوم . ولكن الجماعة تحت ظل من التعاون والتفانى في أداء الواجب يمكنها أن تعيش الحياة السعيدة التي نسدده بتغيبه بذلك على الآرام والظروف الصعبة التي تجابهها . نرى لو أن الجميع البشرى بما وهبه الله من عقل مدبر سلك هذا المسلك أما كنت ترمف عليه السعادة ويذهب به الطمأنينة والرفاهية ولكن هيئات . أنها أممية ولكن :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

٢ - لماذا اختار النحل أن يكون العيون في القرص الشمعى سداسية فقط ؟ لأنه بذلك يجعله منتظمة تماما . لا يترك فراغا بين العين والآخرى وبالتالي فهو يستخدم كل مساحة القرص في أغراضه المفيدة من تربيته وتخزين وما إلى ذلك . كما أنه في نفس الوقت لا يسمح بوجود أشياء غريبة قد تضره تسكن بين العيون وبعضها .

٣ - لا تضع الملكة بيضها جزافا وإنما تزن وضع البيض بميزن حسب احتياجات الطائفة فمنه الملحق لانسج سخات وشعالات ومه غير المفتح لانسج الدخول كما أن التغذية تسير وفق نظم مخطط فللمنكه عن وها وسيردت غذاء يختلف باختلاف ما سينهى امرها من افراد وهكذا - ومن ثم فإن تكوين الغذاء الملحق - ذي المشهد الواسعة حاليا من حيث استخد منه الطبية - وتكوين « خبز النحل » يكون كل منهما بمقدار .

٤ - إذا فقدت الطائفة الملكة بسبب أو لآخر ، فإن الشغالات تشرع على الفور في اعداد ملكة جديدة حتى لا يتفكك أواصر الطائفة وقد يتم ذلك بواسطة اعداد بيضة ملقحة في أحد العيون فان سم يعثر عليها عولمت بريقة معمله « البرقة الملكية » لتصبح ملكة الغد وعند ظهور هذه الملكة والتي تعرف « بالملكة العذراء » فانها تطوف كل أرجاء الخلية باحثه عن وجود ملكات أخرى قد تكون موجودة ولكن الشغالة لم تعثر عليها خطأ وعددت تبهم الملكة الناشئة في تدمير حياة - لسع - كل ملكة أخرى غيرها وعلى الشغالة

النفس ؟ أم هو نوع من الحرمان المبدئي يقصد به
الاقدام في نهم على أداء العمل بعد ذلك ؟ أم .. ؟

٧ - وثمة سؤال آخر وهو : ماهى الاسباب
والدواعى التى تكمن وراء الترابط الاجتماعي
والتعاون الوثيق بين أفراد طائفة من النحل تضم
عشرات الالاف من الافراد ؟

الاصل فى ذلك أساسا هو الايحاء بالتعاون والتآزر
والترايط . لكن الابحاث قد دلت على أن ذلك يتم
بصورة دقيقة وعميقة يدهش لها الانسان - وهو
الحيوان العاقل - ذلك أنه شوهد أن النحل نسي
الطائفة ، حين يحصل بعضه على غذاء وحين يحس
هذا البعض حرمان الجزء الاخر من الغذاء لسبب أو
لاخر فإن الجميع يتلاصقون فى صورة عنقود أو خرة
يتقاسم الافراد أثناءها الغذاء بالعدل فيما بينها فلا
يهلك فرد عن تخمة ويموت آخر عن مسغبة . هذا -
ويهدف النحل بالتكوير أو التعتقد « عمل عنقود » أيضا
الى المحافظة على درجة الحرارة ايان أوقات الشتاء
الباردة للمحافظة على كل أفراد الخلية معا .

٨ - هذا وان ما سبق تبيانه من استخدام الرائحة
الخاصة بطائفة ما فى تعريف الافراد بمصادر الرزق
تم قيام الافراد المستكشفة « الكشافات » بالرقص
الدائرى أو الرقص الاهتزازى لتعيين المصدر من حيث
المسافة والاتجاه ، ان فى ذلك كله لعبرة وتأمل
وتفكر .

أيها القارئ الكريم ، ان الحقائق التى ذكرت آنفا
والحديق التى لم تذكر اما عن طريق النسيان أو عدم
التدوين واما لانها لم تكتشف بعد كل هذه تنطق بمزايا
هذا الحيوان الذى أثبت الله فى قرآنه أنه أوحى اليه
فزاذه بذلك تشريفاً على غيره من الحيوانات وجعله
بحق نبزاسا يهتدى به الحيوان العاقل - الانسان -
الذى قد « يرد الى أسفل سافلين »

من عجب أن النحل الذى يخرج من بطونه شراب
مختبئ الوانه فيه شفاء للناس له غدده التى يخرج
منها الغذاء الملكى بل ان السم الذى لا يستخدمه
النحل الا فى الدفاع عن نفسه دفاعا مشروعا قد
انضج انه علاج للروماتزم اذا ما احسن استخدامه .
كل هذا يجعلنا نتأمل فى هذا المخلوق الموحى اليه
والذى قال عنه رسول الله فى حديث معناه « مثل
المؤمن كالنحلة ، لا تأكل الا طيبا ولا تخرج الا طيبا »
صدق رسول الله .

أن ترمى الملكات الميتة خارج الخلية - لماذا تفعل
الملكة ذلك ؟ أهو الغرور والانانية وحب الذات ؟ أم هو
الحرص على الوحدة فى الخلية على اعتبار
أن « المرخب الذى فيها رئيسين تغرق » انه بحق الرأى
انقضى والدليل على ذلك انه لو تصابف ووجدت
ملككتين فى الخلية الواحدة فان معركة حامية الوطيس
تقوم بينهما وتنتهى بغالب ينصب « ملكة » ومغلوب
يقذف به الى خارج الخلية . هذا وان طيران الزفاف
لذلك الملكة العذراء لهو غاية فى التصرف الذكى
والمدهش بلا جدال .

٥ - عندما تغيب الملكة عن الخلية ، فان هذا الامر
يسرى بين الافراد سريان الكهرباء وعلى اثره تنقلب
الحياه البرتبية الهدئة الى هرج ومرج كأنه الصخب
فالبعض يجرى ويهرول فى اضطراب الى خارج الخلية
عله يعثر على ضالته التى ان وجدت احيطت بالاجلال
والقودد عن طريق لعق جسمها حتى تعود راضية الى
الخبية التى يهدأ ثأثرتها بهذه العودة الحميدة .

ويلاحظ مربو النحل ان الطائفة التى تفقد ملكتها
يصن افرادها عاليا وكأنه النحيب الحزين الذى يعلن
عن النكبة الطارئة . واذا لم يعثر على الملكة فى خلال
بضع يوم تصرف الشغالة على النحو الذى سبق
توضيحه لتربية ملكة عذراء جديدة .

لكن ما هو السر الذى يكمن وراء تعرف عشرات
الالاف من الشغالات على ضياع ملكتهم فى سرعة
خاطفة ؟ تشير الابحاث الى أن الملكة المنفحة البيضاء
تغطى سائر جسمها بمادة تعرف « بالمادة الملكية » لها
نذهبها ومواصفاتها الخاصة وان الشغالات التى
تصادف الملكة عشوائيا تلحق جسمها ثم لاتلبث هذه ان
تورع ما لعقت على زميلاتها وهكذا تندون جميع
اسيغالات هذه المادة الملكية فيما بينها لتتعرف على
الملكة بواسطتها وعلى هذا فان جميع الشغالات تقريبا
يتعرفون على الرائحة التى تنبعث من الملكة طالما كانت
فى تشريفهم فان رحلت عنهم شعرت الشغالات بنفاد
الرائحة وغياها وبالتالى غياب ملكتهم .

٦ - لاحظ كثير من الباحثين أن الشغالة فى خلال
الايام الثلاثة الاولى من بعد خزوجها من العذراء لا
تحصل على غذائها الا عن طريق « استجداء »
زميلاتها الاكبر سنا رغم وجود العسل المخزون فى
العيون . ويلاحظ أن العدد الاكبر من الزميلات تعرض
عن الشغالة المستجدة والقليلات تبدين العطف . ترى
لم كل هذا ؟ أهو بداية التعود على الاعتماد على

تطهير التراث الإسلامي من أباطيل الإسرائيليات

الأستاذ محمد زكي عبد اللطيف

لأعدائه ، ولقد احتبل الإسلام وهو في ذروة قوته ومجده ابن الرواندوى وكان يؤلف للمجوس كتباً في الطعن على القرآن الكريم ، فما تعرض له أحد بمحاكمة أو مصادرة وإنما تصدى له العلماء وأهل الرأي بالحجة والمناقشة فبددوا أراءه ، وأزالوا كل ما يمكن أن يكون لها من آثار ، فما بقى شيء من كتبه مع الزمن وما كان لارائه عند الناس من أثر ، فالإسلام أقوى وأصلب من أن ينال منه منحر في الرأي والعقيدة ، وهو أسمح من أن يتخذ القوة والمصادرة أسلوباً للهداية والتصحيح والاقتناع ، وإنما الرأي بالرأي ، والحجة بالحجة ، والله سبحانه وتعالى يقول : وجادلهم بالتي هي أحسن .

لهذا فنحن نؤثر أن تضع كتاب « إمام المسجد السكندري » موضع المناقشة ، وأن ننظر إلى مضمونه على ضوء التحقيق العلمي والإسلامي حتى يرى الناس ما فيه من وجه للحق أو للباطل ، ولكننا قبل أن نعرض لمضمون الكتاب وما فيه من المسائل والأحكام ، نبادر اليوم فنعالج القضية الأساسية التي قام على أساسها هذا الكتاب وهي قضية الإسرائيليات ونسللها إلى التراث الإسلامي ، أو ما سماه المؤلف في عنوان كتابه « اكتساح الإصاحيات الإسرائيلية » فإنها قضية خطيرة يجب أن يفزع لها كل باحث مسلم غيور على عقيدته وعقيدة أمته ، وعلى التراث الإسلامي عامة في التفسير والحديث والتاريخ وكل ما هناك من علوم الرؤية في تراث الإسلام ، ولقد كان تسلسل الإسرائيليات إلى التراث الإسلامي نتيجة مؤامرة دبرها الإسرائيليون ضد الإسلام منذ ظهر الإسلام قصداً إلى إفساد العقيدة ، وقتل القوة الإسلامية التي تستمد صلابتها من تعاليم الإسلام ومبادئه القويمة بالتزويج الخرافي ، والإذعان السلبي ، والتوهم في متاهات الغيبيات . ومما يؤسف له أن هذه المؤامرة

قامت هجعة في الأيام الأخيرة حول كتاب الله ونشره إمام لأحد المساجد في الإسكندرية ، وجعل عنوانه « الأضواء القرآنية في اكتساح الإصاحيات الإسرائيلية وتطهير البخاري منها » ، ولقد زاد من أهمية هذه الضجة أن أحد أعضاء مجلس الشعب ومعه عشرون عضواً من زملائه قدموا طلب إحاطة إلى المجلس يطالبون فيه بمصادرة الكتاب ومحاسبة المسئولين عن إصداره ، ثم قدم هؤلاء الأعضاء بلاغاً إلى المدعى الاشتراكي العام يطلبون التحقيق مع المسئولين عن إصدار هذا الكتاب .

وخمل إلى البريد عشرات الرسائل وكلها - باستثناء رسالة واحدة فقط - تهاجم الكتاب ومؤلفه ، ويطلبون بضرورة التحقيق مع المؤلف في اجترائه على الإمام البخاري والتحقيق مع الذين ساندوه على نشر كتابه ، ويبدو لي أن الذي أثار الريبة في مؤلف الكتاب أنه من الإمام البخاري ، وصحاح البخاري في مكان القداسة عند عامة المسلمين ، وهو عندهم الأحمل الثاني بعد القرآن الكريم صدقاً وبقينا في تقرير أحكام الدين ومبادئه وما تحدث به الرسول الكريم عن تعاليم هذا الدين وصلته بحياة الناس ، ثم زاد من هذه الريبة أن المؤلف طبع كتابه على ورق فاخر في وقت أصبح الورق فيه يباع بسعر الذهب ، ومع أنه يقع في ٣٨٤ صفحة فإنه يبيعه بخمسين قرشاً ، بل أنه يوزع على الحجاج بالمجان كما يقول أصحاب الرسائل ، والمؤلف إمام مسجد وليس في سعة من المال حتى تكون له القدرة على هذا التكليف الباهظ ، واذن لابد أن يكون وراءه ممولون لهم مآرب في التهمج على الإمام البخاري ، والتهمج على الإسلام وهذا هو استنتاجهم .

وأنا لست من أنصار المصادرة والتحقيق أمام النيابة ، فإن الإسلام كفيل بحرية الرأي والفكر حتى

بما اصطُنعت من الأساليب الشيطانية ، والحيـل الكلامية ، قد استطاعت أن تتغلغل في المجتمع الإسلامي ، وأن تخدع أصحاب العقول الراهية من السذج وأشباه المتعلمين ، وأن تتحول في السن القصاصين والوضاعين والحشويين الى بضاعة رائجة عند العامة بما فيها من اغراق وتهويل ومناقضة لتعاليم الاسلام ، وهؤلاء العامة يحسبونها كل شيء في الاسلام .

بدأت هذه المؤامرة الاسرائيلية الخبيثة منذ ظهرت الدعوة الاسلامية ، وبدأ الاسلام يأخذ مكانته على عهد الخلفاء الراشدين ، وكان أسلوبهم في هذا أسلوبا خفيا ، فقد بدأ أحبار اليهود يتظاهرون بالدخول في الاسلام والاخلاص له ، ويتخذون من ذلك ستارا ووسيلة لنفث سمومهم بين المسامحين ، ولقد تولى كبير هذا الامر ثلاثة من أعلامهم ، أصلهم من اليمن ، ثم دخلوا في الاسلام ظاهرا لهذا الغرض ، وهم : عبد الله بن سبأ وكعب الاحبار ، وهب بن منبه ، فقد عمل هؤلاء الثلاثة جاهدين لافساد العقيدة الاسلامية في نفوس أهلها وفي عقولهم بنقل خرافات التلمود والبأسا لباس الحديث النبوي ، والآثار الماثورة ، ونقد فطن الخليفة عمر بن الخطاب الى هذه المؤامرة الخبيثة وما وراءها من شر مستتر ، فكان اذا رأى كعب الاحبار يحدث الناس بخرافات التلمود وأساطير المنشأه ضربه بسوطه وقال له : دعنا من يهوديتك ، ورأى كعب شدة عمر عليه وفطنته لأسلوبه خاف على دمشق ، وعاش قريبا من معاوية بن أبي سفيان وهو والى على الشام ، وفي هذا المجتمع أخذ يبيت كل ما عنده من الاسرائيليات في المجتمع الاسلامي . والناس يتناقضون ما يحكيه لهم ، وقد نقل الامام البخاري عن معاوية أنه قال عن كعب هذا « انا كنا لنبلو عليه الكذب » .

أما عبد الله بن سبأ فكان شخصية شيطانية يحوطها الغموض ، وقد انطلق هذا الرجل في الافاق يثير الطوائف في البلاد المفتوحة ضد الحكم الاسلامي ، بل ضد الاسلام ودعوته ، وكان ذلك من أسباب الفتنة التي أحاطت بالخليفة الثالث عثمان بن عفان ، ولما شجر الخلاف بين علي ومعاوية مشى في هذا الخلاف بالفتنة قصدا الى تفريق حكمة المسلمين ، فأخذ يذيع الاحاديث والايخار في تمجيد علي وتقديسه حتى زعم للناس أن جزءا الهيأ تجسد في علي وفي ذريته ومن بعده ، وكان على ينكر هذا وينهشاه عنه ولما قتل علي كرم الله وجهه زعم الرجل للناس أن ابن ملجم لم يقتل عليا ولكنه قتل الشيطان ، وأن عليا يجيء في السحاب ، فالرعد صوته والبرق ضحكته ، الى آخر هذا الهراء الذي كان يقدمه الى الناس في صورة احاديث نبوية ، أو أخبار وآثار من الكتب القديمة ، وأخيرا كشف هذا الداعية الخبيث عن غرضه في ازالة الاسلام وتدمير تعاليمه إذ زعم للناس أن الدين يتحصل بطاعة الامام من آل البيت وأن هذه

فالدعوة الى تطهير التراث الاسلامي وتحريره من الاسرائيليات دعوة سليمة ، والمبادرة اليها أمر واجب ولقد كتبت انادى بهذه الدعوة أكثر من مرة ، ولكن بعض الناس حسبوا ان الامر في هذا سهل جدا ، وان مما يكفي في الحكم على أي رؤية بأنها اسرائيلية أن يكون مذكورا فيها كلمة اسرائيل ، أو أن تكون متعلقة بأمر غيبي أو أنها ذات مضمون لا يدخل في معيار هذا العقل البشري المحدود الكفاية ، وانما يجب أن يكون الرأي في هذا للعالم الفقيه البصير بقواعد البحث وضوابط الجرح ، والتعديل ، وكل ما هناك من أساليب مقرررة في المطابقة والمقابلة بين مواقع القرآن الكريم ، ومواقف الحديث الشريف .

واليوم ، وقد فرغنا من تحرير قصة الاسرائيليات وموقعها من التراث الاسلامي ، فإن موعدنا المقال القادم لننظر في كتاب « الاضواء القرآنية في اكتساب الاحاديث الاسرائيلية وتطهير البخاري منها » وموقع الحق والصدق والامانة الدينية في هذا الكتاب الذي ألفه امام المسجد السكندري وكان مثار الضجة .

العمل عبادة



أَلَا تَعْبُدُونَ اللَّهَ مُتَمَرِّدِينَ

بالانصراف عن الكسب لصلاة الجمعة ولم يرد فيه الأمر بترك البيع الا لخصوص صلاة الجمعة ، فدل ذلك على أن الله أباح لعباده أن يعملوا في تحصيل المال دائبين الا أن يقوموا بواجب العبادة أو لواجب أنفسهم فيما تحتاج اليه من راحة واستجمام .

وثانيهما هو الأمر بالسعى في طلب الرزق والانتشار في الأرض بمجرد الفراغ من صلاة الجمعة وسماعه الذكر يدل على ذلك حرف « الفاء » التي تدل على ترتيب ما بعدها على ما قبلها دون توان أو تراخ كما هو معروف في معاني هذه الحروف .

وفي هذا الموضع أيضا نلاحظ أن هذا الأمر « فانتشروا في الأرض » يدل على طلب الكسب من كل موضع يمكن أن يجد فيه الإنسان كسبا فلم يأمر القرآن أن يتجمع الناس في السوق أو أن ينحصروا في المدينة أو القرية وإنما أمر بالتفرق في الافاق والتماس الرزق في كل جهة وهذا يفسر قوله

تجرى سنن الله في الحياة على قواعد وأسس لا تبدل لها ، فالثمرة لا تأتي الا بالكد ولا تنبت الشجرة وقوتى أكلها حتى تنهى لها الأسباب الطبيعية التي قدرها الله ومعلوم لكل عاقل وجاهل أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

لذلك دعا القرآن الكريم الى السعى في الأرض والى الأخذ بأسباب الكسب وحذر من التواني والكسل حتى لا يهلك الناس جوعا وظمأ ، ومن أول الايات على ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله وذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

وفي هذه الآية موضوعان يدلان على فضيلة الكسب ، اولهما اقتصاص القرآن على ربط الأمر

تعالى : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها واكلوا من رزقه واليه الذشور » .

كما نلاحظ أيضا هذا التعبير « وابتهقوا من فضل الله » الذى يدعو الى سعى النفوس وهى راضية مطمئنة تسعى وهى تحس أنها تطلب « فضل الله » فهى لا تطلب شيئا مذهبها أو خبيبها وإنما تسعى فى أمر طيب محمود ، تسعى لكسب المال الحلال وهذا المال فضل الله فعليها أن تبتهقه وتطلبه .

وفى الآية الأخرى « فامشوا فى مناكبها » دلالة على فضل الله على عباده أن ذلل لهم الارض ومهد طرق السير فيها حتى يتمكن الناس من أن يبحثوا عن الرزق فى أنحائها لا فرق بين سهلها وجبالها ، وما ذلها لهم الا لأن فيها معاشهم ومنها يكسبون أقواتهم ثم يثنى الأمر بالسير فيها والمشى فى أطرافها ونواحيها وتحصيل القوت من طرقه المشروعة .

ثم تنتهى الآية الكريمة توضح منار الهداية أمامهم وتنبههم الى الغاية الحقيقية فلا يجب أن يشغل الناس السعى عن واجبات دينهم ، ولا ينبغى أن يلتبسوا الرزق فيما حرمه الله عليهم ، فإن وراءهم حسابا والى الله اياهم .

ومن الآيات الواضحة فى الحديث على السعى والكسب قوله تعالى : « وابتهق فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

ثم كان الحديث الشريف وأعمال الصحابة والتابعين وصالح المؤمنين وأقوالهم مؤكدة لهذا المعنى الذى أبرزه القرآن الكريم ، ومن ذلك قول النبی صلى الله عليه وسلم وقد استأذنه رجل فى الجهاد « لك من تعول ؟ » قال نعم . قال « كفى بالمرء أثما أن يضيع من يعول » وقوله عليه الصلاة والسلام : « لعشرة فى كد حلال على عبد محبوب أفضل عند الله من ضرب بسيف حولًا كاملا لا يجف دما مع أمام عادل » .

وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالجهد فى طلب الرزق ومواصلة السعى فقال : « إذا صلبتم الفجر فلا تناموا عن أرزاقكم » وحث عسى استثمار الارض فقال : « أطبوا الرزق فى خبايا الارض » .

وقال عمر رضى الله عنه ، لرجل ما معيشتك لا قال : رزق الله . فقال : لكل رزق سبب فما سبب رزقك ؟ ومن كلام بعض الصالحين :

« عليكم بعمل الابطال : الاكتساب من حلال والانفاق على العيال » وقولهم « ليس العبادة أن تصف قديمك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفك فاحزرها ثم تعبد » . وقد جهل أقوام هذه المعانى الطبيعية فاستمروا الكسل واعتبدوا على كد الآخرين ، ونشاهد ذلك فيما يسلكه البعض من اعتمادهم فى حياتهم على الاتباع والمريدين ويعلمون ذلك بأنهم زهاد فى الدنيا وهم بذلك مخطئون فما كان التسوانى والتواكل وانتظار الرزق بدون سعى أو عمل سنة أحد من المؤمنين الصادقين ، فالعمل كان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الانبياء الكرام من قبله .

فقد عمل النبی فى التجارة ورعى الغنم لاهل مكة على قراريط يأخذها منهم كما عمل الانبياء من قبله ورحم الله داود فقد كان يأكل من كسب يده كما أخبر رسولنا الكريم . وقد ذكر ذلك شاعرنا شوقى فقال :

كان رسول الله فى شبابه
لا يدع الرزق وطرق بابيه
كان قتييل البعث رب مال
وقاجرا ميسر الاعمال
يضرب فى خزن الفلا وسهله
بمال عمه ومال أهله
أى رسول أو نبى قبله
لم يطلب الرزق ويبغ سبله ؟
موسى الكليم استؤجر استجارا
وكان عيسى فى الصبى نجارا
من أحسن الأمثال فيما احسب
الخير لا يعطى ولكن يكسب
فاسترزق الله وقف بيسابه
واكسب فأهل الكسب من احبابه

وهكذا كان الزهاد والعلماء يكسبون لانفسهم ويعملون بأيديهم ويعتبرون السعى فى طلب الرزق من أفضل الاعمال .

فكان أبو حنيفة رضى الله عنه ، تاجرا ميسرا عليه فى الرزق .

ومن قبل كان سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول : ما من موضع يأتى الموت فيه أحب الى من موطن آسوق فيه لاهلى أبيع وأشتري .

والحق أن الكسب - مهما كان فيه من مشقة - أحب وأكرم من سؤال الناس ، وقد دعا قالوا ، الشدة ليست النازلة تنزل وإنما الشدة الحاجة الى الناس فالانسان لا يزال كريما على اخوانه ما لزم سوقه ، فان احتاج اليهم هان عليهم وقد أفصح الشاعر عن هذا المعنى بقوله :

أنت ما أستهفيت عن صا
حبك الدهر أخوه
فإذا احتجت اليه
ساعة مجك فهو

وإذا كان العمل لازما للفرد كى يعيش حرا كريما فهو الزم بالنسبة للشعوب والامم التى تتطلع الى المجد والى الحياة الحرة الكريمة ، وما أحوجنا فى هذه الفترة من حياتنا التى ننتهى فيها لاعادة بناء الوطن وتعميره أن نؤمن ايماننا راسخا أن الشعوب لا يقوم لها كيان حقيقى الا على قاعدتين راسختين : الايمان والعمل ، وإذا كان الايمان موخلنا الى النصر فإن العمل ينبغى أن يكون منطلقنا الى البناء والتعمير . والله ولى التوفيق .

طيور

خلقت قبل الإنسان وعالم من الأسرار

الكتيرة نعمات أمه فؤاد

أشرنا في الحلقة الأولى من [عجائب الخلق وروائع الخالق] إلى أن الأستاذ روبرت من الذي كتب وألف كثيرا في هذا الباب، يعتقد أن في الدنيا حوالي مائة بليون طائر !

ويعزو العلم خفة الطيور إلى أن أجسامها تحتوي في جميع أجزائها على ممرات هوائية تتصل جميعا بالرئتين عندهما، ويصل إليها الهواء عن طريق الفم وفتحتي الأنف كما في «الإنسان»

أن طائرا قد لا يستوقفك ضعفه الظاهر يملك من عضلات الصدر ما هو أقوى من عضلات الإنسان . وهو يحتل العمل الشاق مدة أطول أيضا .

وفي عالم الطيور بطولات رياضية كما في عالم الإنسان فبطولة الجري معقودة لطائر النعام الذي تزيد خطوته عن ستة أمتار وتبلغ سرعته ٨٠ كيلومترا [٥٠ ميلا] في الساعة !

والطيور بعامة أبطال الغوص في العالم خاصة طائر الاطيش والبجع وأن كان البجع لا يصل إلى الأعماق التي ينفذ إليها الاطيش - يابيهما طائر [عقاب النسارية] أو صقر السمك .

ويقول العلم أن أقدم الطيور خلق على الأرض قبل أن يدب عليها إنسان بوقت طويل
نقد عشر اندريس فاجنر سنة ١٨٦١ في ألمانيا، على عظام حفرية وريش مما يحتفظ المتحف البريطاني ببغاياها، يؤيد هذه الحقيقة .

وتكوين الطيور خلق مملوء بالأسرار والغرائب . أن ريشة الطير البالغة الخفة والرقعة، بالغة الصلابة والقوة أيضا ! إذ تحتوي على شبكة من الالياف الشديدة الصلابة لعلها أدق نظم التقوية وأخفها في العالم .

وللطيور في طيرانها أساليب مذهلة فبعضها ينزلق في أثناء الطيران انزلاقا متقنا حتى أنه ليستطيع قطع مسافات طويلة لا يضرب في الهواء جناحا . وبعضها يستطيع أن يضرب جناحيه بسرعة ولده طويلة، دون أن يستريح ولو دقيقة واحدة .

وفي عالم الطيور كعالم الإنسان ، أكثرها طيننا أخفها وزنا . فطائر الطنان ما يفتأ يطن ويزن ويضرب بجناحيه بمعدل خمسين أو ستين ضربة في الثانية . وقد يصل المعدل إلى مائتين حتى ليصعب على العين المجردة أدراك حركة جناحيه . ومن الطريف أن طينته هذا يؤدي له ما تؤديه الالسنة السليطة لأصحابها . فهو بهذا الطنين يستطيع أن يجلي عن المكان طائرا كبيرا ، مؤثرا السلامة ، موصدا باب الرياح .

حتى الزهور الرقيقة لا يتورع « الطنان » أن يمسه بلسانه ! أنه ولوع برحيق الزنبق والعايق والاكويجيا خاصة وطريقته في امتصاص هذا الرحيق أن يضع طرف منقاره على ثغر الزهرة ثم يخرج سانه الأجوف فيثقل في أعماقها يمتص حلو الجنى وشهد الرضاب .

ويشبه « الطنان » في هذه الخصلة « نقار الخشب » فهذا الطائر هو الآخر رمحى اللسان ، فهو بعد أن ينقر الخشب للكشف عن يرقة مختبئة في الساق فإنه يستخدم مع المسكينة نفس الأسلوب .

و « نقار الخشب » فيه خصلة أخرى سترذلها . فهو يسترق السمع وتستطيع أذناه الحساستان أن تلتقط صوت اليرقة داخل الشجرة إذ تاكل أو حتى تتحرك !

وهو ، والحق يقال ، خبير بأنواع الخشب حتى ليؤكد البعض أنه يستطيع التمييز بين الخشب الأصم والخشب الذي يحتوي على تجاويف بداخله ! وبعض قدراته أنه يجيد تشكيل الخشب ويستطيع أن يسوى منه لنفسه حجرا جميلا ناعما .

و « نقار الخشب » مثل الطنان ، وخاصة الذكور منه ،

فى الصخب . فله صوت مزعج بعد بضعة كيلوات . كالطبل الأجوف حتى لتسمعه على أنفواه الطيور وان كانت خالية من الاسنان والشفاه الا أنها تستطيع المناقير أن تبرزنا فى التقاط الاشياء بسرعة ورشاقة تحسدها عليها اصابعنا نحن بنى البشر .

والمناقير عند الطيور الوان لعل اشهرها منقار « نكار الخشب » الذى يقوم بعمل « الازميل » حتى لتتناثر فتات الخشب فى الهواء . وهو يؤدى عمله فى همرجة تحسبه معها سبببالبالصداع ولكنه لا يتأثر كان رأسه من خشب هى الأخرى فلا تحس [بالوش] .

والانسان اذا أراد التكه من « الدباغ » وصفه بأنه يقص الاكل ، أو يقش المائدة . ويبدو ان الطيور تحسب الاقتباس كالموسيقيين المصريين فان بينها طائر يسمى [أبو مقص] يقص السمك قصا فى ظلام الليل . ان يلتقى بفكه السفلى القوى الطويل فى الماء بطريقة غائكة ينخلع منها فك الانسان لو [عملها] .

عند هذه اللحظة يضطرب سطح الماء فتتوهج الكائنات الفوسفورية الصغيرة فى المساء توهجا تعشوا الى ضوءه غسى بلاهة ، الاسماك الصغيرة الغريبة فيغررف منها أبو مقص بلا حساب .

ويسعى الانسان على قدميه أو يجرى فحسب ولكن الطيور وحدها تستطيع إساقدها أن تجدف أو تمسك الاشياء أو تقبض على غريبتها .

والطيور تختلف فى طباعها فيحب الصقر التفرد كالعظماء ، اذا استثنينا [الصقر الحوام] الذى يهوى نظام السرب .

وسيت العظيمة عند الطيور التاجية رفع الذيل فى خيلاء . يفعل هذا « اليق » الأزرق و

[العصفور العمدة] ذى التاج الأحمر .

وتعبد السنة بطريقة تبعث على الضحك فهى ترغف ذيلها كل دقيقة وتخفضه .

ويحب الغراب التجمع خاصة عند الخطر وهذا يكثُر الصباح عيلا بالمثل [خذوهم بالصوت قبل أن يأخذوكم بالشجاعة] .

وتهلل الطيور كالانسان لمقدم الربيع فتغنى وتتغزل على طريقته . وعلماء الطيور يقررون حقيقة غريبة هى « التفريد انها يقوم به الذكور فقط حتى لميمز نوعها به . احد الاسباب التى يقولون بها فى هذا الباب هو أغراء انثا جنسها والتودد اليها .

دائما الانثى مرغوبة محبوبة .

مغرور الانسان يحسب دائما انه وحده القادر على صنع كل شئ وتشكيله مع أن الطيور الصغيرة الحجم اذا قيست اليه ، تستطيع أن تشكل السلال وتحفر الجحور وتحت الخشب وتصور الطين بل تنشئ الارصفة والانفاق ! وتبنى السقوف ويصنع البط والاوز حشاسيا عجيبة من الزغب الشامع يرتاح عليها البيض الذى تلامسه الأم فى حنان بعد أن بذلن له من نفسها !

تفعل الطيور هذا كله فى احكام يفرق فى اثنائه صنعتنا . ويبض الطيور عالم وحده .

فهو كالجواهر يدل بالالوان والاحجام ، وقشور بيض الطيور ذات ألوان لا حصر لها . وبعض البيض منقط وبعضه فيه علامات . ومن البيض ذو اللون الواحد ومنه ذو الالوان التى تبلغ احيانا خمسة ألوان على قشرة واحدة .

وكما يختلف الاخوة فى الشكل والصفات يختلف البيض فى العش الواحد . كما يختلف طرفا البيضة الواحد فى الشكل فأحدها أكثر تدببيا من الآخر

ويعنى هذا عند العارفين أن هذا الطرف هو الذى خرج أولا من الأم ليمس مهمتها . ويكون عادة بعد هذا الطرف الآخر أغنى الأقوى والأقل تعرضا للكسر .

والأمومة فى الطيور صادقة عدلا قد يعز بين بعض الامهات من بنى الانسان . فهى لا تفرق فى المعاملة ولا تجود فى ناحية حين تضن فى الأخرى أن انش الطيور لا تترقد على البيض الا بعد أن تضع آخر بيضة فى المجموعة . وحكمتها فى هذا ان دفاء بذنها هو الذى يحدو الأجنة الى النور فاذا رقدت على أول بيضة فان دفاء الحنان ينصرف اليها وحدها . وتحرم منه الباقيات فلا تفقس أو تفقس اذا حدث ، ولكنها تكون ضعيفة هزيلة ليس لها حظ الأولى من العطاء . وهو ما تأباه الأم فى الطيور التى تهرض على المساواة بين الجميع !

وبعد الفقس يحرص الابوان على قذف القشر الفارغ بعيدا عن العش الهشائى ، تضسليا لانكشارية الطيور التى تأخذ كل فرخ غصبا كالسيد القليل مثلا .

ويتعهد الابوان صغارهما بالغذاء والرعاية أثر نفقتها البيض وخروجها الى النور . ولها فى تعهدا وحبايتها وسائل تصلح للعبرة والتأمل . فمن الطيور ما ينصب نفسه عينا ساهره تكلأ صغاره فيظل يطير حول العش حارسا له .

وقد يتهدد العش عدو يحوم حوله فتتظاهر الأم بسلاعية لتغرى العدو المداهم بالطمع فيها حتى اذا هجم عليه اخذت تعدو أمامه لتجذبه بعيدا عن عش الصغار فى عملية مطاردة مقصودة . حتى اذا باعدت بينه وبين ولادها بدت له على حقيقته قوية قدرة على الطيران . وسرعان ما تسأل راجعة الى اسرتها التى تترقب عودتها .

ولما كان لكل قاعده استثناء فان هناك نوعا مميذا من

سوبرامين

الغذاء البروتيني المتكامل الصحي للأطفال



يتكون السوبرامين
من

اللبن المجفف، طحين الحبوب

البقول المجزأة، مقوى

بالفيتامينات أ، د، ب

المركب، ج، والمعادن ومحلى

بالسكر وطعم الفاكهة



سعره اقتصادي

٣٠٠ جرام ١٥ قرشا

شركة النيل للأدوية والصناعات الكيماوية

الشحورون يسمى الطائر
الكسول . فهو يتقاعس عن بناء
عش لنفسه فتلجأ انتاه الى
التطفل فتضع بيضها في عش
آخر متفائلة اصحابه ثم تلوذ
بالفرار معتمدة على غيرها في
تبنى صغارها وتتميتها ! وغالبا
ما يكون هذا على حساب صغاره
هو التي تحرمها الطيور الدخيلة
طعامها بل لا تتورع ان تلقى بها
خارج العش !!

وتشبه الطيور الانسان في
التوسل بالهجرة من أجل
الطعام . ومن أشهر الطيور
المهاجرة [الزقازق الذهبى] و
[خطاف البحر القطبي] وهو من
اصحاب رحلة الشتاء والصيف
اذ يقضى الصيف في القطب
الشمالي أما المشتى فهو القطب
الجنوبي . مترف .. أليس
كذلك ؟

والطيور في هجرتها تتعرض
لخواف الجهول فقد يودي بكثير
منها الضيق والجوع
والمواصف والضباب الذي
يحجب المراتب فتتعرض المسكينه
للسقوط او الارتطام .

وعلى الرغم من هذه الاخطار
فان الهجرة رحمة يتوازن معها
التوزيع العددي ويؤمن معها نفاذ
الاغوات فقد حسب أحد العلماء
كمية بذور الشنائس التي اكلتها
عصافير الشجر في إحدى
الولايات بما يزيد عن ٨٧٥ طنا
في فصل الشتاء فماذا تاكل
الانواع الاخرى مجتمعة على
مدار السنة ؟

وكثير من هذه الطيور المغتربة
يحن الى الوطن حنه العاشق
المفارق فيعود حين يقطن به ان قد
ضل طريقه .. يعود بها يسمونه
« حاسة الاتجاه » او يعود بهدى
القلب الذي لا يعدل بالوطن
شيئا .

الا ترى معنى التسامل في
عالم الطيور بعمق الايمان بالله
خالق الكون ؟

من أجل ثورة حقيقية في نظم التعليم والثقافة

اعتقد أن أهم هدف قومي يجب أن يشغل بال المفكرين والمربين والمصلحين اليوم .. هو هدف بناء الإنسان .. باعتباره أساسا لتحقيق كل ما نطمح اليه من أهداف التحرير والتعمير والانتاج والتنمية .

أستاذ محمد رباب

ومن الواجب أن نؤازر هذا الجهد المبذول .. على ألا تكون المؤازرة مجرد كلمات استحسنان وتأييد .. بل تكون مشاركة بالرأى والاجتهاد والتنوير .

وقد كنت أتصور أن تكون الثورة التعليمية والثقافية مثار مناقشات ومحاورات شعبية واسعة يشترك فيها العمال والفلاحون والجنود والشباب والمثقفون وكل فئات الشعب .. حتى نوفر لهذه الثورة كل عناصر الاصاله والتعبير عن آمال الجماهير .

كنت أتصور أن تفرد الصحف والمجلات صفحاتها لآراء الناس .. ماذا يريدون من الثورة في التعليم وفي الثقافة ؟! وكيف تحقق هذه الثورة بشكل موضوعي يلبي احتياجات الروح والعقل ؟!

كنت أتصور أن تعقد جلسات استماع في مجلس الشعب تشارك فيها الجماهير وتسجل فيها مطالبها بعد أن عانت الكثير من فصلها عن منابعها العلمية والثقافية وحرمانها من تلك المنابع الغزيرة جيلا بعد جيل .

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث !

ونتيجة لذلك .. وضعت خطط ونفذت تعديلات ومناهج .. ولكنها على كثرتها وأهميتها لا تفي بالغرض المطلوب .. ولا تحقق روح الثورة المنشودة التي تبنى الإنسان وتعيد صياغته من جديد .

ومن أجل ذلك .. نادت وثيقة أكتوبر التي وافق الشعب عليها بالاجماع بالثورة الشاملة في نظم ومفاهيم التعليم والتثقيف العام .. بحيث تستهدف هذه الثورة بناء الانسان المصري وتنمية طاقاته ومواهبه الروحية والثقافية والفكرية .. عبورا بهذا الانسان العظيم الى أفق حضارى جدير بانتصاره العظيم .

ان الانسان المصرى - بحق - هو ثروة مصر القومية الاولى .. وما لم نوفر له ضمانات ثورة تعليمية وثقافية حقيقية .. فان التاريخ لن يغفر لنا خطيئة التفريط في هذه الثروة وتركها نهبا لموجات الغزو الفكرى والثقافى التى مازالت تحرك جيوبها وتوسع سراديبها بغية انتهاب هذا الانسان واستنزاف ثمرات انتصاره .

لقد قاتل الانسان المصرى فى رمضان المجيد .. وحقق أول عبور وأول انتصار مصرى صميم فى التاريخ الحديث .

والقتال من أجل الحرية مثل القتال من أجل البناء .. كل لا يتجزأ .. لا يكفى أن نقاتل لتحرير الارض .. ثم لا نقاتل من أجل تحرير الفكر والثقافة .. والا كان معنى ذلك أننا نسلم لأعدائنا كل ما حققناه من انجازات كبرى وللحقيقة بان الجهد الذى تبذله اجهزتنا التنفيذية ومجالسنا القومية المتخصصة من أجل تغيير نظم ومفاهيم التعليم والتثقيف العام .. جهد هائل مقدور ومشكور .

كيف ؟ !

أساس القضية واضح .. وهو أن الاستعمار كان يعتمد على « علمنة » التعليم والثقافة في بلادنا .. أى جعلهما تعليماً وثقافة لا يتصلان بالدين والأخلاقيات والقيم .. فعل الاستعمار ذلك فى كل بلد ابتلى به فجرد الحكم والتشريع وبرامج التعليم والثقافة من كل أثر للدين ..

وكما فعلت العلمانية - بفتح العين نسبة الى العالم - بالمسيحية فى أوروبا .. اتجهت الى الاسلام للقضاء عليه كشرعية وعقيدة وكنظام اجتماعى وحضارى متكامل .. وانتهى الامر بالاحتلال الأوربى لمعظم الدول الاسلامية ..

وأطلق المستعمرون أيدى دعاة العلمانية فى أمور التشريع والتعليم والأعلام والثقافة .. وأمدتهم « كرومر » فى مصر والشرق الأوسط و « ليونى » فى أفريقيا و « جورو » فى سوريا و « كوكس » فى العراق بصلاحيات مطلقة للقيام بدورهم التخريبى فى كل هذه المجالات .. واستطاع هؤلاء العلمانيون - حسب الخطة الاستعمارية - تشيئة أجيال من الشباب فى المدارس والجامعات على الشك والتمرد والاحقاد .. باسم الحضرة والتقدمية والعصرية !!

بل ان هؤلاء العلمانيين كان منهم فى الماضى وزراء تعليم ومديرو جامعات وقادة فكر .. ومن هزم المواقع الخطيرة استطاعوا أن يخططوا معظم النظم التعليمية الحديثة فى بلادنا .. وقد صمموا وأسسوا ما شاء لهم من المناهج والمواد البعيدة عن الدين .. فاذا اقتربت منه فأنها لا تقترب الا للتفكيك والكيد والتشكيك والتشويه !

هذا هو الأساس « العلماني » الاستعماري الذى كانت تقوم عليه مناهج التعليم العامة والخاصة والجامعية .. كما كانت تقوم عليه خطط الثقافة بصورة عامة .. باستثناء جهود وطنية مخلصه فى هذه الميادين كانت تعاني أشد المعاناة من المناهضة والملاحقة والمطاردة حتى الذبول أو الموت ..

وكأثر مباشر لهذه المناهج والخطط الجهنمية .. حدثت عملية تفريغ روحى وفكرى وثقافى هائلة .. وقام المصلحون بمحاولات يائسة لمواجهة هذا الفراغ الخطير .. وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو المجيدة التى استهدفت تحرير الانسان من كل ألوان العبودية والسيطرة .. كان شغلها الشاغل هو بناء هذا الانسان الذى ظل أكثر صعوبة من بناء المصانع والسدود ..

□ ١٩٤ □

واستمرت جهود الثورة فى هذا الطريق .. ولكن نضالها الشاق المبرر ضد الاستعمار على جبهات السياسة والحرب أكثر من عشرين سنة .. لم يتح لها اقتلاع الاستعمار التربوى والثقافى والتشريعى من جذوره .. وعلى كثرة ما قامت به الثورة من محاولات التغيير والتعديل فى خطط ومناهج التعليم والثقافة والتشريع .. فقد ظل هذا الاستعمار الخبيث قابعا فى أوكاره .. يتلون ويتكيف .. ويحقق هدفا وراء هدف .. كل ذلك فى غيبة المنهج الصحيح .. والكتاب الصحيح .. والنغمة الصحيحة .. والمربي الصحيح .. والتقنين الذى يكفل تأمين حماية الاخلاق والقيم والمثل ..

وقد آن لكل ذلك ألا يغيب
ان الانسان المصرى فى وثيقة انتصاره العظيم ..
قد طالب بالثورة على كل هذه المخلقات ..

ومن منطلق العبور الظاهر الذى تحقق كاعلى ذروة للعمل الوطنى .. فان الانسان المصرى الذى تمثل دروس العبور .. مصمم على أن يتخذها نمطا يرتفع الى مستواه فى تحطيم كل حواجز الخرافة والوهم وكسر جميع سلبات الماضى ..

ان الانسان المصرى مصمم على أن ينتزع مقومات علومه وروافد ثقافته الاصلية بالثورة الشاملة .. وليس بمجرد التعديلات الخارجية مهما تكاثرت وتنوعت .. وبنفس الدرجة فان هذا الانسان قد صمم أيضا على أن يوفر ضمانات الحماية الكاملة لثورته الشاملة ضد بعض الانتهاكات العلمية والثقافية غير القومية ..

لقد خرج أئور السادات بالانسان المصرى من الظلام الى النور .. واجتاز به - فى جسارة وإيمان - اعظم اجتياز عرفه التاريخ .. وحوله من كائن يعيش ليتمنى الى عملاق يحول آمانيه الى حقائق تبهر الدنيا ..

وضع أئور السادات فى يد الانسان المصرى دليل عمله ومعركته .. وزوده بكل أسلحة العصر التى تتبجح له أن يقتحم ويعبر ويطور .. ويجدد ويغير ..

المطلوب الذى لا بديل غيره اذن .. هو أن تتحقق ثورة شاملة وحقيقية فى كل نظم التعليم والثقافة .. ثورة تقتلع كل ما بقى من جذور التآمر « العلماني » الاستعماري فى هذه النظم .. ثورة تستلهم اقامة النظم التربوية التى أسسها الاسلام وأفاد منها أساطين التربية فى العالم .. ثورة تغرس مبادئها فى علوم القرن ولغة القرن وتاريخ الاسلام وحضارة الاسلام .. ثورة « توطن الاسلام توطينا حقيقيا » فى كل مناهج التربية والتعليم والثقافة ..

أما كيف يتم ذلك ؟

فمعدنا مقال آخر يأتى الله ..

الرئيس الساعات

وأبعاد العاشر مت رمضان عربيا ودوليا

الاستاذ عبدالفتاح العروى

ما زال الحديث يدور بنا في الساحة الفلسطينية محسوسا استكشاف المتغيرات التي أحدثتها السادس من أكتوبر فيها . ونريد ، في هذا المقال ، أن نركز حول نقطة أساسية وهي : مظاهر بروز الكيان الفلسطيني وما يمكن فعله لتأكيد هذا الكيان ودعمه . والنزى لا شك فيه أنه : فيما بعد العاشر من رمضان ، تحققت للقضية الفلسطينية بعض الفرص النادرة التي يشهرون علينا الآن أن ننتهزها : وأن نستثمرها ، الى أقصى حد ممكن .

بفرض أن إسرائيل سوف تقبل الانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها بعدوان سنة ١٩٦٧ ، أو ترغم عليه ، فانها سوف تصعد القتال الى أى ذرى ممكنة للحيلولة دون اقامة الدولة الفلسطينية . . ويجب علينا ، هنا ، أن نذكر أن قدرة إسرائيل على تصعيد القتال سوف تكون أمامها فرصة للتعاظم بسبب أن القتال سوف يكون ، بعد انسحابها الى خطوط سنة ١٩٦٧ ، مركزا في الساحة الفلسطينية وحدها بعد أن كان منتشرا فيما بين قناة السويس والجلولان ونهر الاردن . ان تركيز القتال ، بدلا من انتشاره : يؤدي منطقيا الى تكثفه وتصاعده رأسيا ، وخصوصا مع عدو محدود الطاقة أصلا ، بشريا واقتصاديا وعسكريا . . والامر في هذا كبقدر محدود من السم ، ان أنت أذبتة في النهر الواسع لم يقتل فأرا ولا حشرة ، وان أنت أذبتة في كوب من الماء أصبح مر المذاق ، وقتاكا للرجال .

ونكرر : ان هذه خاصية في الصراع المتطور الان على عجل يجب علينا أن ننتبه لها ، وأن نحاط بشدة . لان تصور أن العدو يتراجع ، وينسحب ، قد يغري بعض حراس القضية الفلسطينية برؤية غير صحيحة تقوم على اساس ان انحساره من فوق الساحة الفلسطينية ايضا قد أصبح مسألة وقت لا أكثر . وبدلا من هذا التصور الغير صحيح فان المنطق ، والصحيح ، والمتوقع ، هو أن تراجع العدو من فوق أراض عربية أخرى سوف يعطيه فرصة يتصور أنه يستطيع بها أن يعرض تراجعها ، وهي فرصة التركيز بغير ان أشد على الساحة الفلسطينية ، عسكريا وسياسيا واعلاميا ،

وقبل أن نمضي في تعداد هذه الفرص ، وتباين كيفية الاستفادة منها ، نريد أن نؤكد على حقيقة أساسية نعتقد أن وضوحها لازم كمقدمة لهذا الحديث . وهذه الحقيقة هي أن الصراع في المنطقة يوشك أن يعود الى طبيعته الاولى التي نشأ بها ، أي أنه يوشك أن يتحول ، مرة أخرى ، الى صراع حول فلسطين . ان عدوان سنة ١٩٦٧ كان قد نقل الصراع الى أبعاد جسيمة ، ودفع به الى دهاليز إضافية . . ولكن السادس من أكتوبر ، بما حققه من اقتحام عربي لسيناء وقمم الجلولان ، قد أوشك أن يقطع امتداد هذه الأبعاد ، ويغلق المسارب الى الدهاليز الاضافية ، الامر الذي من شأنه أن يرجع بالصراع الى الساحة الفلسطينية التي بدأ منها ، وتفجر فيها .

وقد يسأل سائل : وهل يعنى ذلك أن الصراع قد خفت حدته ، أو كادت أن تخف . .؟؟ ونجيب ، على الفور ، بأن الفرق هائل جدا بين تخفيف الحدة ، وتفاقم الأبعاد . ان أبعاد الصراع قد تقطع ، ولكن حدته ، مع ذلك ، تظل على حالها ، وربما تزداد التهابا . وبالتأكيد فانا حين نسلم ، ولو من قبيل الجدل ، أن الاقتحام العربي في العاشر من رمضان قد قطع الاسترسال في حلم إسرائيل التوسعي ، بل وفرض بداية الانحسار على موجات هذا الحلم التي كانت تتابع ، فان الذى يجب أن نسلم به أيضا ، وبالتبعة ، هو أن إسرائيل سوف تشد ضراوتها في مقاومة هذا الانحسار أو وقف ما يمكن أن يؤدي اليه من تداعيات ، وخصوصا بالنسبة للمسألة الفلسطينية . نريد أن نقول ، بعبارة أوضح ، أنه

وفى كل مجال آخر من مجالات القتال . وبهذه الرؤية الصحيحة لاحتمالات التطور فى الصراع فإن علينا أن نتهيأ لعودة الصراع الى طبيعته التى نشأ بها ، أى لعودته الى الساحة الفلسطينية .

وبعد توضيح هذه الحقيقة الاساسية فانا نستأذن الان ، فى الرجعة الى الموضوع الذى بدأنا به وهو : الفرص التى اتاحها العاشر من رمضان لتأكيد الكيان الفلسطينى ودعمه ، وما يجب علينا أن نفعله لتحقيق الاستثمار الامثل لهذه الفرص . فما هى هذه الفرص على وجه التحديد ؟؟

نعدنا على النحو التالى :

أولاً : ان الذى لاشك فيه ، كما ذكرنا فى موضع آخر من هذه الدراسة ، أن انتصار العاشر من رمضان انما هو انتصار للقضية الفلسطينية بصفة أساسية . لقد توهم بعض المزايدين أن القضية الفلسطينية ، بهذا النصر ، ليس لها مهرب من أن تكون أضحية العيد ، لان الدول العربية التى انتصرت جيوشها سوف تحرر اقاليمها الوطنية ، ثم تنفض يدها من الصراع برمته قانعة من الغنيمة بالاياب السالم ، كما يقولون . ولكن تطور الاحداث نفسه أثبت فساد هذا الوهم ، من ناحية لانه طالما أن العدو واحد فإن أى نصر يحرز ضده لا بد وأن يكون آلياً وبحكم تداعى المنطق ذاته ، نصراً للجميع ، ومن جملة هؤلاء الاشقاء الفلسطينيون . ومن ناحية أخرى فإن عدوان سنة ١٩٦٧ كان قد دفع الى المقدمة بمضاعفات خطيرة للصراع فى المنطقة مما جعل أصل الصراع ، وهو القضية الفلسطينية ، يتوارى فى الخلفية البعيدة الفلسطينية أن ترفض انزواء الحق الفلسطينى بعيداً ، وفى الخلفية الباهتة ، بتصعيد العمل الفدائى بعد عدوان ١٩٦٧ ، فإن الاعداء استغلوا هذا لتشديد عدوانهم ضد الشعب الفلسطينى فى كل مكان ، وفى مخيمات الاطفال واليتيمى والنساء ، بهدف ابادته ومسحه تماماً من خريطة السياسة الدولية . والان ، وبعدما أدى انتصار أكتوبر الى احتمالات الانسحاب الاسرائيلية من الارض التى احتلت سنة ١٩٦٧ ، فإن منطق بعض المزايدين يتعزى ، ويظهر فساداً ، لان زوال المضاعفات ، أو احتمالات زوالها ، قد سحب القضية الفلسطينية من الخلفية البعيدة والباهتة ، ووضعها فى مقدمة الصراع ، على نحو ما نرى الان فعلاً .

ولكن السؤال الذى يترتب على هذا التطور هو : كيف نستطيع ، نحن العرب ، أن نستثمر ، على نحو أمثل ، هذه الفرصة التى لا نقول انها عرضت ، بل جاءت بالجهاد المرير مما يتطلب العض عليها بالفواجذ ؟؟

ثمة ثلاثة أمور منطقية تفرض نفسها على المفكر

□ ١٩٦ □

السياسى جملة واحدة : أولها أنه اذا كانت عودة الصراع الى الاحتدام ، مرة أخرى ، حول فلسطين تعنى تركزه ، وبالتالي تصاعده ، فإن على الأمة العربية بأسرها أن تتهيأ لهذا ، وأن تحشد له . ان عدم التهيؤ لهذا التداعى المنطقى يضع الصراع على بداية الدائرة المفرغة ، بحيث أن الصراع اذا تركز حول فلسطين فإن خطة العدو تتجه الى الخروج به من هذه الساحة الخطرة جداً بالنسبة له ، ويكون ذلك بتوسيع العدوان ، على نحو ما حدث سنة ١٩٦٧ ، حتى ينزوى الحق الفلسطينى ، وتتدحرج القضية الفلسطينية الى خلفية الصراع الباهتة مرة أخرى . أى أن الاستثمار الامثل لعودة الصراع الى الساحة الفلسطينية يكون باستعداد عربى شامل يحول دون محاولة العدو تكرار سنة ١٩٦٧ هروباً من المازق الفلسطينى الخطير جداً ، والخرج للغاية .

وثانيها أنه اذا أريد للقضية الفلسطينية أن تبقى حية وملتهبة فانهما يجب ألا تفتأ تحدثا فى مسارب آية خلاقات عربية - فلسطينية . ولنذهب مع الفكر السياسى الى احتمالات متوقعة ، ولنصور ، مثلاً ، أن اسرائيل أثبتت انسحابها من الاراضى العربية التى احتلتها سنة ١٩٦٧ ، وأن الصراع تركز بكليته حول القضية الفلسطينية ، وهو الان ما تلوح لنا بشائره بوضوح جداً . ولنذهب مع احتمالات الفكر السياسى ونصور شيئاً آخر ، وهو أن العرب أصبحوا من القوة بحيث أن اسرائيل لا تستطيع بيتاً أن توسع نطاق عدوانها على الدول العربية كحيلة لاختفاء المعالم الفلسطينية فى الصراع . فما الذى يمكن أن يحدث حينئذ ؟ فى اعتقادنا واحدة من اثنتين : فاما أن ينجح العرب ، بالتضامن الكامل فيما بينهم ، من الاستمرار فى مزاوله الضغط بكل الاسلحة لتحقيق العدل للشعب الفلسطينى ، واما أن ينجح العدو فى استغلال آية مظاهر أو أعراض لاية خلاقات عربية - فلسطينية ، بهدف اغراق القضية الفلسطينية البارزة فوق السطح بأيد عربية ، وبذلك يعفى نفسه ، أو تعفيه الخلاقات العربية ، من مغبة البروز الفلسطينى ، وتفاقم أبعاد القضية الفلسطينية . وتأسيساً على هذا المنطق الواضح فى الفكر السياسى فإن الاتفاق الااردنى - الفلسطينى ، وخصوصاً حين ينفذ على النحو الامثل على تحقيق الاهداف المقصودة منه يعتبر بالفعل اروع المنجزات العربية السياسية بعد العاشر من رمضان .

وثالثها أن الخلافات بين الفلسطينيين أنفسهم قد تكون هى الفرصة البديلة التى يشهدها العدو عوضاً عن الخلافات العربية - الفلسطينية . بمعنى أنه حين ينحصر الصراع فى الساحة الفلسطينية فى ظل قوة عربية تمنع الهروب من هذه الساحة الى ساحات أخرى ، وفى ظل تضامن عربى تسد على العدو آماله الشريرة فى أن تغرق أيد عربية القضية الفلسطينية السابحة فوق التيار الجارى ، فإن مخرج العدو قد

يكون بتزكية الخلافات الفلسطينية الداخلية ، ولو عن طريق تشجيع المزايدات من جانب فريق منهم .. ان المزايدة ، هنا ، ليست خطرا تتحاشاه اسرائيل . وانما هو ، في الحقيقة ، فرصة تتلهم عليها حتى تختنق القضية الفلسطينية في جو فلسطيني معيا بالغازات السامة .

ثانيا : - ان العاشر من رمضان - أكتوبر المجيد قد طرح تطورا عميق الدلالة بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وهو الاعتراف بحق منظمة التحرير الفلسطينية في الحديث باسم الشعب الفلسطيني عربيا ودوليا . فعلى الصعيد العربي لم يعد من حق أحد ، وخاصة بعد الاتفاق الاردني - الفلسطيني ، الحديث باسم الشعب الفلسطيني . لان هذا الشعب له منظمة تتحدث باسمه فعلا ، وقد تكون له حكومة في المستقبل القريب . وكما أن لهذه المنظمة ، وحدها ، الحق في تمثيل الشعب الفلسطيني ، فان لها وحدها ايضا الحق في استلام ارضه التي تتحرر .

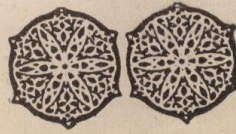
وعلى الصعيد العالمي فان الجمعية العامة للأمم المتحدة استمعت الى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بعد أن أعطته حق الحديث باسم الشعب الفلسطيني . وهذا يعني بداية الاعتراف الدولي بالكيان الفلسطيني مما قد يعنى تطورا آخر وهو تصحيح الرؤية الدولية للقضية الفلسطينية على اعتبار انها حق في وطن ، وليست مجرد قضية لاجئين يتلقون الهبات والمعونات الدولية .

وبالتأكيد فان هذا التطور عربيا ودوليا سوف يأخذ أبعاده الكاملة حين يفرض على اسرائيل ان تتحدث مع ممثلي الشعب الفلسطيني أنفسهم في مؤتمر جنيف القادم ، اذا قدر للصراع في المنطقة ألا يعجله القتال عن التحرك خطوة أخرى على طريق الحل السياسي . فاذا حدث هذا فان القضية الفلسطينية تكون قد أكملت دورة كاملة في انعطافها من حيث أريد لها أن تنزوي في خلفية الاحداث الى حيث نريد لها الان أن تبرز وتتسامى ، وتشرق بنورها ، أو تطفئ بنارها ، فوق الافاق المفتوحة .

وبالطبع فان اسرائيل تقاوم هذا التطور مقاومة من يرى فيه مسألة حياة أو موت . كما أن الفلسطينيين أنفسهم يرفضون ، حتى الان ، الاشتراك في مؤتمر

جنيف اذا عقد . والغريب ، حقا ، أن يتفق الغريمان على رفض شيء واحد ، مع أن الامر الشاسع في الصراعات ان ما هو في صالح طرف لا بد وأن يكون ضد خصمه ، وبالتالي ، أن ما يقبله طرف لا بد وأن يكون ، في المنطق الشائع ، مرفوضا من الطرف الآخر فكيف ، إذن ، يتفق الاسرائيليون والفلسطينيون على رفض الاشتراك الفلسطيني في مؤتمر جنيف ان عقد ؟

منطق الاسرائيليين ، في هذه المسألة ، يقوم على فكرة اساسية وهي ان الوجود الفلسطيني صانع في جوهره ، للوجود الاسرائيلي ، وبالتالي فان ما يمكن ان يفسر بأنه تسليم لهذا الوجود أو اعتراف به لا بد وأن يفسر ، أيضا ، بأنه رفض لاسرائيل ، وسحب للاعتراف بها . وقد لا يكون أمام اسرائيل مهرب من تبلور الاعتراف الدولي بالكيان الفلسطيني ، ومن تدج الاعتراف العربي بحق الشعب الفلسطيني في اسدوم ارضه حين تتحرر ، ولكن اسرائيل ترى انها ما زالت هادرة على رفض الاشتراك في أية مؤتمرات ، أو محادثات ، يحضرها ممثلون عن الشعب الفلسطيني ، لانها ترى أن هذا يمثل اعترافا اسرائيليا بالكيان الفلسطيني ، وأن مثل هذا الاعتراف يمكن أن يعجل بتبلور الاعتراف الدولي الشامل بمنظمة التحرير الفلسطينية ، أو بالحكومة الفلسطينية حين تنشأ ، وأن يدعمه . وعلينا أن نتوقع أن تسير التطورات بالنسبة للقضية الفلسطينية عربيا ودوليا في عكس اتجاهها الاسرائيلي ، بمعنى انه كلما تزايد الاعتراف بمنظمة التحرير ، أو بالحكومة الفلسطينية ، فان رفض اسرائيل لها سوف يتصاعد ، ويأخذ أحجاما وأبعادا تتفاقم خطورتها الى حد القتال الفعلي . وعلينا ألا ننسى ، أيضا ، أن مسألة اقامة الدولة الفلسطينية على ما يتحرر من ارض فلسطينية معلقة برمتها على قضية الانسحاب الاسرائيلي وفقا للقرار رقم ٢٤٢ الصادر من مجلس الامن في الثاني والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٦٧ . أي أنه ما لم تنسحب اسرائيل من الضفة الغربية لنهر الاردن ، وقطاع غزة ، ضمن ما نص هذا القرار على ضرورة انسحابها منه ، فان مسألة الدولة الفلسطينية تصبح قرارا عربيا داخليا وغير منفذ . صحيح أن القرار في حد ذاته خطوة ، ولكنها خطوة لا تؤتي ثمرها الا بخطوة أشمل منها ، وهي أن تنسحب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها سنة ١٩٦٧ .



سيول من البشرية المؤمنة تتدفق أفواجا بل
أفواجا على المدينة مليئة صرير إبراهيم عليه
السلام ترن أصداءه من أعماق الماضي البعيد
وهو يؤذن في الناس بالحج فيأتون رجلا وعلى
كل ضامر ، وفوق ظهور السفن وعلى متن
الهواء ، وعلى كل ما ابتكرت البشرية من
وسائل النقل فتستقبل فيهم المدينة إيمانا يجدد
شباب إيمانها ، وعواطف تجدد لرسول الله
حبها وتعظيمها .

وتاه أبناء المدينة وساكنتها بين الأمواج ، بل
تركوا الحرم النبوي - على سعته - للوافدين ليروا
أصدقاء قلوبهم من هذه الينابيع الروحية ، وهيئات
للأرواح العطشى أن تشبع نهمها من هذا الجوار
المؤقت وهيئات للدموع أن تطفىء حرقة الطمان .
يا لله . ان خطى العجايز والمكتهين ومن قوست
ظهورهم أثقال السنين لتسابق خطى الشباب حين تقع
أبصارهم على الحرم الشامخ فيخلق فيهم الحب الثائر
طاقات تخترق لحوم البشرية الماتجة وسواعدها في
قوة جارفة كما تشق صدور السفن أمواج البحر ،
وكان الوهن لم يعرف جسوم هؤلاء ، ولا من ضعف
الشيخوخة قواهم .

لقد لقت آسيا وأفريقيا بمئات الألوف في مواكب لم
تشهدا أعياد : مواكب جمعها حب الله وحب رسول
الله فتلاقت في رحاب حرم الله في ظلال إيمان بأذل
براحة المؤمن في هذه الرحلة المضنية ، ويضحى
بالمال تحقيقا لدعاء إبراهيم عليه السلام « فاجعل
أقنعة من الناس تهوى إليهم » وهم جميعا على اختلاف
الوانهم وأعمارهم وأجناسهم ولغاتهم جمعهم في الله
أخوة ، وربط بين قلوبهم عقيدة واحدة ، وألفت بين
مصالح حياتهم شريعة واحدة تستمد سلطانتها
وأصولها من كتاب الله وسنة رسول الله ، وقد نهد
جميعهم إلى بيت الله : « حى على الصلاة » فاقبلوا
على الصلاة تحذوهم طاعتهم لله ، وتساهت
صفوفهم ، وتولت وجوههم نحو أول بيت وضع
للناس ، وتحلقت حوله البشرية المسلمة منذ أربعة عشر
قرنا حين تخلع نفسها من دنياها وتنطلق من أغلال
الدنيا وحب الدنيا وأحابيل الشهوات ، وتتقف على
صراط الله وتسلم نفسها إلى الله .
حقا انها مواكب الإيمان تتوافد في إخلاص صادق
نحو حرم الله وحرم رسوله لا تكاد ترى على وجوههم

هواك رأيتها

الدكتور محمد محمد خليفة

لقد عاشت المدينة منذ شرفت بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تستقبل هذه الأفواج واضعاف هذه الأفواج ما شكت ضيقا في العيش ولا نضوبا في الماء ، وما زالت عيونها تتفجر قرون فتروى الظباء ، وما تبرمت يوما بالوافدين بل انها بهم تستقبل أعيادها : أعياد الايمان الذي يحمر القلوب ، وأعياد الحب الذي تحيا به الأرواح وأعياد الاخوة التي جمعت اجناس البشر من أرجاء الدنيا في ساحة هذا الحرم يعبدون الله ، ويتعلقون بأسباب رحماته .

ان أعياد الايمان وأعياد الحب وأعياد الاخوة تمر بها المدينة بل تعيش فيها خمس مرات في اليوم والليلة مع كل فريضة يؤديها المسلمون ، فاشراق الايمان وروعة الحب وصدق الاخوة تنساب مع هذه الجموع الى الحرم كلها اذن المؤذن للصلاة فترى الفرحة الغامرة ، وكأنها يحس الجميع أن كل فريضة تجمعهم في ظلال الحرم هي عيد روحى ، وكلهم يتننى المقام في المدينة ليكون له من يومه خمسة أعياد لا يفصل بين العيدين فيه غير ساعتين أو ثلاث .

وأي حياة أسعد من حياة الأعياد التي تغمر فيها البهجة الأرواح حتى لا تكاد تودع عيداً حتى تستقبل بعد ساعتين عيداً جديداً ؟

وعيد الفجر في المدينة أروع أعياد المؤمنين وأكثرها بهجة ، وكيف لا ؟ وقد نفصوا عن جفونهم النوم وانطلقوا من خيالات الاحلام يسبحون في روحانيتهم حينما سمعوا مكبرات الاصوات تهز المضاجع : « الصلاة خير من النوم » ويهز المدينة ترجيع المؤمنين في الدروب وهم ينسألون في فرحتهم المؤمنة : « صدقت صدقت » صلاة يجاوز ثوابها الف صلاة في آفاق الارض ، كيف لا تكون خيراً من نوم الحياة كلها بين احضان الاحلام ؟

ان مواكب الايمان تعيش أيامها وتمد خواطرها من ذكريات فجر الاسلام فترى جموعها منسابة الى سفح أحد فقير أسد الله حمزة فمسجد القبلتين فالخندق فالبيقاع ، وبين أسواره يذكرون مواقف الشهداء والصديقين من المهاجرين والانصار ويذكرون ما بذلوا في سبيل الله من مال وولد ونفس ..

انها الذكريات الحية حفظها التاريخ ، وخشعت لجلالها الاحيال يامواكب المؤمنين :

مع الديموع استقبلتم حرم رسول الله ومع الديموع تودعون حرم رسول الله حيث ترعاكم في رحلتكم الى أول بيت وضع للناس عين الله .

غير نور الايمان يتسرب بين تجاعيد وجوه الشيوخ ، وينساب اشراقه بين أسارير الشباب وابيضها واصفرها ، بل حتى كأنه يغير ماحم أسودها ، ويسرى فيه غيظ سواده كما يسرى نور الضبح في سواد الأفق فيخلع عليه بيضه ، انها مواكب الضارعين مدوا الى الله اكفهم يرجو من فيوض رحماته ، وقد بلل الدمع لحامهم ، وتفجرت صدورهم بالدعاء الحار يسألون ربهم الغفران ، ولن يخيب الله منيبا اليه يسأله الغفران .

ما أعظمك يارب ! أوكل هذه الجموع تسعها رحمتك ؟ وكيف لا وانت القائل : « ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ! »

وما أكثر فضلك على هذه الجموع التي زحفت من أوطانها الى حرمك وحرم رسولك تتلمس فيهما رضوانك وما يوصلها الى رضوانك . يالله ، وكيف تتسع المدينة لمئات الألوف يسيلون اليها من كل فج بأحبالهم واثقالهم ووسائل نقلهم ؟ وكيف تسع مطالب بطونهم من الطعام والماء ، فلا ينضب لها ماء ، ولا يقل بها طعام ؟ وكيف تنبئ لكل هذه الأفواج الوافدة المخادع الوثيرة أو غير الوثيرة ؟

هم ضيوف رسول الله ، وهيئات ان يضيق بهم رحاب الله ورزق الله وفضل الله . لا أقول ان ايمانهم أنساهم العيش ، وان حبهم الذي ساقهم الى المدينة أنسى جسمهم شهوات البطون ولا أتخيل لهم ما تخيل المتنبي من غذاء خيول سيف الدولة وشرايبها في قوله :

« وخيلا تغتذى ريح المواوى »

ويكفيها من الماء السراب ،

ولا أقول : انهم يفتنسون تراب المدينة تبركا به لان ذلك التراب سعد بأقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقدام أصحابه من المهاجرين والانصار ، ثم سعد برغائهم بعد ان اختارهم الله لجواره .

ولا أقول : ان مواكبهم لا تثقل لها ولا ظلال كمواكب الاطراف تعيش في الخواطر وتتحرك ولا تحس الخواطر أعباءها ولا أثقالها .

انهم بشر لهم أجسامهم وظلالهم واثقالهم ومطالب بطونهم وسعته المدينة فلم تضق دورها ولا قصورها ولا عمارتها بهم ولا بعشرات من أمثالهم لانهم ضيوف رسول الله ولن يضيق بهم رحابه .

نحن نعيس نسي زمن لا يؤمن الا بالقوة ولا يحترم اهله الا الاقوياء وديننا الاسلامي العظيم يدعونا الى الاحدية بسبب القوة ويامرنا بان نحقق لانفسنا ولاوطننا ما يحمل الغير على احترامنا وبحثنا على تجسيد الوحدة الوطنية بين افراد مجتمعنا والتالف والانسجام بين جميع الطبقات ، وبالتالف والانسجام بين جميع الطبقات وبالوحدة الوطنية بتحقيق القوة وينهض المجتمع الاسلامي وبالعامل الجاد المثمر الخلاق ترقى الامه وتعيش عزيزة الجانب موفورة الكرامة ورب العزة جل شأنه قد جعل عزة امنا في مود ايمانها وصلابة ابطالها وشدة باس رجالها وكمال اخلاق افرادها ولهذا فمن الجدير بنا نحن المسلمين - ان نعمل على استخدام الوسائل التي توصلنا الى هذا الهدف النبيل وهو العيش في عزة والحياة في كرامه والقوة في جميع الميادين وشتى المجالات .

المؤمن
القوى
خير
وأحب
إلى الله
من المؤمن
الضعيف

اذ ان الناس في هذا العصر بل وفيما سبق من عصور لا يرمون بحق الا اذا ظاهرت شجاعة الرجال وحمته سواند الابطال ولقد فرض المسلمون الاولون سلطانهم على غيرهم حين كانوا اقوياء وحملوا غيرهم على احترامهم عندما كانوا يدا واحدة ضد الاعداء وما دام الناس لا يعرفون غير لغة القوة ولا يحترمون الا الاقوياء ولا يرهبون الا المسلحين بسلاح الشجاعة والمؤمن قوى في كل شيء في عقيدته وفي ارادته وفي سلوكه وفي عقله وفي تفكيره وفي اخلاقه ، في فن الحرب وما يتصل بها وان يكون ذا نفس كبيرة نأبى الذل ولا تقبله وترفض الهون ولا ترضى به وان يجد في عمله ويكدح في سبيل ما ينشده من عزة وتقدم ولامنه من رفعة وسؤدد وللمجتمع من كفاية وقوة وعزة وتقدم ونهضة ورفق والمسلم مطالب بالحرص على كل ما يفيد ويفيد أسرته ، والمجتمع الاسلامي في تلك الحياة ، والاسلام الذي نتشرف بالانتساب اليه دين كل طموح وتطور وهو دين يمتثل التواكل والسلبية ولا يحب حياة العزلة والتأخر والضعف ، وعقيدة المسلم تحتم عليه ان يستمد قدرة الله وهو يعمل فلا يسمح لليأس بان ينسل الى نفسه ولا يثق بفوته ، وحدها اذ قد تتعرض طريقه لولا توفيق الله وتيسيره ، والعوائق والصعاب التي يعجز عن تذليلها والاسلام ينفر من العجز والكسل

فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور

الندم على شيء فأت ولا ينساق وراء الشيطان ويسبح في الأوهام والخيالات إذ إن ذلك لن يجني من وراءه سوى الأسف والضائع وشغل البال بما لا يفيد واضاعة الوقت فيما لا يجدي وهكذا يوجه الرسول الكريم اتباعه المؤمنين ويرشدهم الى انجح الوسائل التي تحفل لهم القوة وتأخذ بأيديهم الى النجاح في كل ميدان من ميادين الحياة وتسمو بهم وتسير في طريق العزة والكرامة .

إن الأمم القوية تعيش مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة وتحيا حياة عزيزة كريمة يدل لهيبتها الضعفاء ويحسوا باسمها الأعداء من أجل ذلك وصف الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم محمدا صلى الله عليه وسلم أصحابه بالشجاعة والقوة حيث قال سبحانه وتعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » وبشجاعة الرسول الكريم وأصحابه عزت الدنيا وصيت الأوطان ، وإذا اجتمع لامة قوة الايمان وصحة الاجسام وسلامة الاخلاق وحسن الاستعداد فابها بلا شك تحقق اهدافها وقبل غاياتها وتصل الى اعظم مستوى من الهيبة وتعيش في جو يوفر لها الحياة الكريمة العزيزة .

ومن أولى من الامة الاسلامية باتباع هذا النهج العظيم ونطبق ذلك الدستور المسمى ؟؟

إن أمة الاسلام لديها ثروة ضخمة من توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينقصها شيء لتعيش بعالم الدين الاسلامي نصا وروحا فني المسلمين أن يراجعوا أنفسهم ويتعلموا من الأخطاء ويحيوا اقوياء في جميع الميادين وشقي المجالات يعيشوا سعداء وليكونوا على مستوى المسؤولية ليصنوا اوطانهم ويحافظوا على تراثهم ومواردهم وعليهم كذلك أن يكونوا كالجسم الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى به سائر الجسم بالسر والحمى وليدركوا أنهم ليسوا أقل من غيرهم وليس الغير فوق مستواهم ولو تلفوا الى الوراء قليلا لاحسوا بأن المسلمين كانوا قاده للعالم وللشعوب اسانذة وذلك حين كانوا مترسمين خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل من وقفة تصحيحية لمسلمي اليوم ؟؟ وهل من ثورة قوية على عوامل الضعف وأسباب الخور ؟؟ لعل وعسى ، وأذا ذلك ترغف رايات النصر لنا وتعرض على الأعداء احترامنا وما أسمى الحياة في ظل القوة والشجاعة . نسأله سبحانه التوفيق والعون .

□ ٢٠١ □

ومن الاستكانة الى الكسل والبأس ومن الرضا بالقليل مع القسرة على كسب الكثير بطريق مشروع وإذا فلاسلام لا يقر التسول ولا يرضى عن الاستجداء ولا مجال في الاسلام لاحلام البقطة والحسرة على ما فات لانه دين بناء لا هدم دين حياة عاملة لا دين خنوع واسيسهم للعجز وهذا توجيه نبوي عظيم وارشاد محمدي حريم يرسم الطريقه المثلى التي يجب على المؤمن ان يطبقها على نفسه ليستعد وليسير في حياته على ضوئها ليربح بقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن انفقوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت هذا كان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان هو اشرف الخلق محمد صلى الله عليه وسلم : « ان المؤمن انفقوى افضل واعظم واحب الى الله من المؤمن الضعيف » ثم انه يحمل لنادستور القوة في اربع مواد :

١ | احرص على كل شيء نافع مفيد والعمل على اتباع الوسائل الموصلة الى تحقيقه .

٢ | الاستعداد من قوة الله تبارك وتعالى تلك التي لا يعجزها شيء .

٣ | المثابرة على الكفاح دون استسلام وبلا ضعف .

٤ | الصبر عند وقوع المصائب وعدم الاسترسال مع الأوهام او الخضوع لوساس الشيطان .

تلك هي المبادئ التي حددها الرسول الكريم ليكون المؤمن . فويا غير ضعيف عزيزا غير مهان كريما غير مسدد ولو نظرنا الى المادة الرابعة من دستور القوة في الحديث الشريف لوجدنا ان هذه المادة تغلق امام المؤمن باب الأوهام والاماني الباطلة لان المؤمن ينبغي ان يعيش لغده لا لامسه وأن يكون عمليا واقعيا وإذا كان الانسان في هذه الحياة عرضه للاخفاق احيانا وهدفا لاحداث الزمان احيانا اخرى ، فيستقبل ما يعترض طريقه بروح المؤمن الحقيقي بحيث يعلم علم اليقين ان كل ما يحدث انما هو قدر الله ومشيئته وان وقوع ما وقع لم يكن منه بد وفي الوقت نفسه يعاود العمل والكفاح وهو واثق من الوصول الى هدفه وليس من الحكمة أن يقول المؤمن لو كان كذا لحدث كذا وانما الحكمه بان يدع ما كان ليتفرغ لما سوف يكون وأن يدخر جهده كله للعمل الجاد والبناء فلا يبعثره في

أهل الإيمان

لهم الدرجات العُلا

يقول الله تعالى في سورة طه [انه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لا يمت في فيها ولا يحيى ، ومن يات مؤمناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى ، جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى] ...

« جرم » فعل ماض [الجرم] و [الجريمة] الذنب ، تقول منه [جرم] و [أجرم] و [اجترم] . و [الجرم] بكسر الجيم الحسد وجرم أيضاً بضم الجيم وقوله تعالى « ولا يجرمنكم شنآن قوم » أى لا يحمائكم ويقال لا يكسبنكم و [تجرم] عليه أى ادعى عليه ذنباً لم يفعله وقولهم [لا جرم] قال السقراء : هى كلمة فى الاصل بمنزلة [لا بد] و [لا محالة] فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة [حقاً] فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم ، ألا تراهم يقولون [لا جرم لآتينك] .

الاستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

بعد كل هذا احترامه فى جميع أموره الشخصية [كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه] صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولكن هؤلاء المجرمين الذين سلكوا مسلكاً معيياً مخالفاً بذلك كتاب الله وسنة رسوله حتى القانون الموضوع لحماية الفرد والجماعة ولم يكثرثوا بقوة الله وقهره ، ولم يعملوا حساباً للقانون الموضوع وظنوا ان لهم وهدم البقاء فى الحياة الدنيا ففعلوا فعلتهم وهم فى غفلة عن الموت وقوة سطوته ، ودخلهم القبر وظلمته ، ووقفهم فى الحياة الاخرى بما فيها من حساب وعقاب ، وشدة وباء ، مع التزام كل انسان هناك بطائره فى عنقه [فلا تعجبكم أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليضربهم بها فى الحياة الدنيا ويذهب أنفسهم وهم كافرون] صدق رب العزة جل جلاله . أى لا يهيك [يا محمد] من هؤلاء المجرمين كثرة أموالهم ولا كثرة أولادهم وهم الذين انخدعوا للسعادة والقوة والحسن الحصين لهم فى الحياة الدنيا ، والله هو الزاق ذو القوة المتين ، جعل الله هذا المال لهم وهؤلاء الأولاد عندهم لتمزيقهم بها فى الحساب الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون

والتحريض لقتله وايقاع الضرر به أو بإبنائه جريمة ، والتحريض لقتله لسلب ماله أو ابتزاز ماله أو بقصد حرمانه أو لنزوله الى درجة المهانة جريمة [يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين] وبهذا كله كان الجزاء المثل هؤلاء المجرمين « فان له جهنم » هى المأوى وهى المنزل وهى المقام ، أما الحالة التى يكون عليها هذا المجرم فى جهنم « لا يمت فى فيها ولا يحيى » أى لا هو بميت فيستريح ولا هو بحى فيعيش إنما مطمئناً ولكن كان العذاب مستمراً بشعور واحساس كلياً تضجيت جلودهم بدله الله بجلود أخرى غيرها ليستمر العذاب ، ويبقى الاحساس ، كما استقر التعذيب الذى أوقعه على الغير فى الحياة الدنيا ذلك أن مثل هذه الاعمال بابن آدم والتى تنافى مبادئ الانسانية فى أقل درجاتها ، وذلك الذى آمن بالدنيا فلم ير غيرها وآمن بسلطانه ونسى ربه ، وآمن بقوته « القسار فوق عبادته » فلو أنه آمن بدين نزل الى الارض من عند الله أنه شرائع وأحكام ، واتجه الاتجاه السليم فقرأ فى كتاب الله أن الانسان كرهه الله وأكرمه وبهذا التكريم جعله الله خليفته فى الارض وورثه الارض ايضا ، فوجب

وعلى هذا التفسير اللفظى لسكينة « الجريمة » يصبح تفسيرها صفة لكل من يخالف العرف والقانون السماوى أو الموضوع وعلى كل من يرتكب من الناس المحرمات أو الإيذاء وايقاع الضرر بين الناس وعلى الناس من سلب ونهب واكرام وتعذيب بالقول والعمل ، وعلى كل من يهدر كرامة ابن آدم سواء كان هذا الانسان عظيماً أو فقيراً ، غنياً أو فقيراً ، ما دام لم يرتكب ما حشنة أو يخالف أمراً أو لم يسمع بين الناس بالفحش فى قول أو عمل أو شهادة زور ، فقد عد المهدر لكرامة ابن آدم هذا مجرماً ، وهذا النص فى القرآن الكريم لا يحتاج الى ايضاح اذ قال فيه [انه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لا يمت فى فيها ولا يحيى] . الانسان خلقه الله وصانه من المهانة والاهانة ثم كرمه وأكرمه فى قول صريح [ولقد كرمنا بنى آدم] الآية ورغم أن الله عليم بذات الصدور وقد علم من ابن آدم هذا ما توسوس به نفسه فان الله أكرمه وألزم غيره بأن يكرمه ، وأن يكون الحكم على المخلقى من القضاء وحده ، اذ التعذيب لابن آدم جريمة ، وللحيوان جريمة - وأهدار حرمت ابن آدم فى بيته ولعرضه وشرفه وغسوته ورزقه وشهادة الزور عليه جريمة -

[ويحلفون بالله أنهم لكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون] أمثال هؤلاء الذين أخرجوا في حق الإنسان قال الله فيهم أيضا [الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليأسوم نفساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجدون] نسيم الله أي تركهم لأنفسهم وفي هذا يقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه « اشتراكية الإسلام » في باب « حق الحرية » قال « الحرية الإنسانية ، ونعني بها أن يكون الإنسان غير مملوك لأحد لا في نفسه ولا في بلده ولا في قومه وأمنته » إلى أن قال « ومنه ما جاء في أول ميثاق حقوق الإنسان الذي وضعته هيئة الأمم وتختلف به كل عام » التماسي يولدون أحرارا متساوين » الخ إلى أن قال « والإنسان الحر لا يملكه قومه ولا مجتمعه ولا دولته ، لأنه متساو مع قومه ومجتمعه في إنسانيته الحرة ، والدولة كيان معنوي ليقوم به أفراد من الشعب لخدمة الشعب ، لا لاستعباده ، حتى أن رئيس الدولة في الإسلام ليس إلا خادما للشعب ومن هنا جاء قول أبي بكر رضي الله عنه أول ما ولي الخلافة « إنما أنا واحد منكم لمست بخيركم » وقد كان أبو حازم يدخل على معاوية فيقول له « السلام عليك أيها الأمير » فإذا حاولوا أن يقولوا له يا حازم قل « السلام عليك أيها الأمير » أبي عليهم ذلك ، ثم التفت إلى معاوية فقال له « إنما أنت أجبر هذه الأمة استأجرك ربك لرعايتها »

ثم قال الدكتور مصطفى السباعي « عن حرية عدم اطاعة الحاكم إذا أمر بمعصية واستدل بالحديث الشريف عن عدم نفاذ أمر الحاكم إذا خالف الدستور والانظمة العامة ، والاصل في هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أحمد والحاكم « لا طاعة لخلق في معصية الخالق » ثم تكلم سيادته بإيضاح عن الحرية الدينية والعلمية والاجتماعية والإدبية حيث استدل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ألا أخبركم بالمؤمن ؟ المؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » رواء أبو داود والترمذي والحاكم .. وعلى هذا الاساسي أصبح المجرم ليس بمؤمن ، وليس بمسلم ، لان الناس لا يأمنوه على أموالهم وأرواحهم وأعراضهم ، ولم يسلموا أيضا من لسانه حينما قذفهم بشئ أنواع الشتمات والسباب لهم

ولاعراضهم وبناتهم ونسبائهم وتلقف التهم الباطلة والإشاعات الكاذبة ضدهم فضلا عن أن المسلم لم يسلم من يد هذا المجرم في تعذيبه والتفكيك به فاستحق حكم الله عليه حينما قال جل شأنه [فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى] ثم تكلم الدكتور مصطفى السباعي عن الكرامة في باب « حق الكرامة » واستدل بقول الله تعالى [ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا] وقد قال الألوسي في تفسير هذه الآية [أي جعلناهم قاطبة برهم وفاجرهم ذوى كرم أي شرف ومحاسن] ثم عدد أنواع الكرامة فجعل كرامة للأخاء الإنساني فقال « الإنسان أخ للإنسان » وكرامة للمساواة الحقيقية ثم للعدالة القضائية فقال عنها ، أن النص على كرامة المساواة الحقيقية لا يحقق للإنسان تفقعه بذلك الكرامة حتى يضمن القضاء تنفيذها وهنا يأتي دور القضاء بعد دور التشريع ، ولا يتمكن القضاء من القيام بواجبه هذا حتى يحقق العدالة لكل مواطن في الأمور التالية ،

أولا - أن يستمع إلى شكوى المواطنين من عدم تحقيق كرامة المساواة في الحقوق بينهم وبين ذوى الجاه والتفوذ من أغنياء وأقرباء ، فيستمع إلى الشكوى ويطلب إلى هؤلاء حضورهم إلى مجلس القضاء فإن لم يستمع إلى الشكوى رغبة وريهة - غدت كرامة المساواة التي أقرها القانون مهزلة من عوامل اضطراب المجتمع .

ثانيا - أن يتمتع المواطن بالعدالة في الإجراءات القضائية فيسوى بينه وبين خصمه في طريقة استدعاء الطرفين والاستماع إليهما وتكليفهما من ابداء الراى بحرية تامة من غير تمييز بين الفقير والغنى أو بين الضعيف والقوى أو بين المصور وذوى الجاه والتفوذ .

ثالثا - أن يحكم القاضي بما نص عليه القانون . كرامة المساواة الحقيقية بكل جراءة وعدالة فلا يفرق القاضي بين بعيد عنه وقريب منه ولا بين حاكم يخشى غضبه وبين رجل من عامة الناس وبهذه الأمور الثلاثة تتحقق عدالة القضاء ، وتتحقق كرامة المساواة وبذلك يسعد المجتمع وتقوم فيه الاشتراكية التي ينادى بها الإسلام . قال الله تعالى [ان الله يأمركم أن تؤدوا

الإمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل] وقال أيضا [يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين] هذا ما كتبه الدكتور مصطفى السباعي وهو لم يخرج عما جاء به القرآن الكريم . ومما تقدم ينضح [ان للإنسان كرامة] يجب على الحاكم أن يحفظ له بها وأن يحترمها فكانون يسير عليه ، ويجب أيضا على المحكوم أن يحفظ لنفسه وغيره بهذه الكرامة حتى يسود الاحترام بين الكل في وقام ومحبة وأخلاص وبذلك تقدم الأمة إلى كمال ثقافتها وسؤدها ماديا وأدبيا وروحيا .

ثم جاءت الآية الأخرى [ومن آتاه مؤمنا قد عمل الصالحات] أي من آتاه الله جل جلاله مؤمنا ليس فقط ولكن قد عمل الصالحات فالإنسان بمسئله لا بعلمه وماله ونفوذه وسيطرته ولكن بالعمل الصالح المرفى عنه من ربه وعند الناس . العمل القائم على أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم كان الجزاء الحسن [ماؤلك لهم الدرجات العلى] بدون تقدير لان الله يضاعف الاجر حسب مشيئته ، ووصف الله جل جلاله مكان هذا الجزاء فقال [جنات عدن تجري من تحتها الأنهار] ثم وعدهم الله جل جلاله بالخلد فيه حتى تطمئن قلوبهم بأن هناك عند الله الايمان والاطمئنان للصالحين من عباده ثم يقول جل جلاله [وذلك جزاء من تزكى] من فهم أوامر ربه ، فعمل لها وإن تدبر وفكر فأحسن التدبير والتفكير فوضع عمله موضع الرضا في الدنيا والآخرة لرب العالمين لا للنفوس الابارة بالسوء .

يا ابن آدم . أليست يجب ثم تقرر . وهذا المال أشد من سجن الدنيا وعذابها سل نفسك ونصفح أعمالك التي أهدرت فيها كرامة أخيك الإنسان سواء كان بالنعذيب أو التذليل أو بالقذف استعرض هذا كله في مكان تكون فيه منفردا بنفسك ثم اقرأ قول الله تعالى [أنه من يأت ربه مجبرا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى] ثم [ومن آتاه مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى] الآية ووزان بينهما .. أي الطريقين اسلم وأيهما أصليح ؟ اللهم زدنا تفكيرنا سليما في عقولنا يا رب العالمين ، وأدخلنا في عبادك الصالحين .

عودة فلسطين الأرض والأمة

الاستاذ أنور الجبري

- ٢ -

منذ عام ١٩٤٧، اختفى اسم فلسطين بعد أن سقطت في يد القوات الصهيونية بالخديعة والفدر حيث قامت دولة إسرائيل على الجزء الأكبر من فلسطين والحقت الضفة الغربية بالأردن وقطاع غزة بمصر .

وكانت بريطانيا قد انتدبت على فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عن طريق مشروع سايكس باكو الذي أعلن تقسيم الإجزاء العربية التي انفصلت عن الدولة العثمانية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى بين فرنسا وبريطانيا . فكانت ان انتدبت بريطانيا على العراق والأردن وفلسطين وانتدبت فرنسا على سوريا ولبنان وتسد وقعت الدول المتحالفة معاهدة سايكس بيكو عام ١٩١٦ وفي نفس العام وفي ١٠ يونيو ١٩١٦ قامت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين للتخلص من الحكم التركي واستقلال البلاد العربية بنساء على مفاوضات جرت بين العرب وبين مندوبي الحلفاء بما حقق للحلفاء معونة الدول العربية لها في إبان الحرب ، غير انه في عام ١٩١٧ استطاعت الصهيونية العالمية الحصول على وعد بلفور من بريطانيا الذي بمقتضاه منح اليهود إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين وذلك قبل ان يقرر انتداب بريطانيا لإدارة هذه البلاد . ولقد جاهد أهل فلسطين منذ اليوم الأول في سبيل معارضة الاحتلال البريطاني والغزو الصهيوني معا ، وقاموا بثورات متوالية متصلة لم تتوقف قدموا فيها الشهداء دون توقف ، ولقد استمرت الهجرة اليهودية متصلة حتى قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ . وفي إبان الحرب العالمية الثانية عقد مؤتمر الحركة الصهيونية في بلتيمور عام ١٩٤٣ حيث

□ ٢٠٤ □

فنترت الحركة الصهيونية عبارة الوطن القومي اليهودية بانها تعنى إقامة دولة صهيونية تستكمل كافة صفات القاعدة المستقلة للاستعمار العالى .

ثم قررت اللجنة الدولية التي أوفدت الى فلسطين عام ١٩٤٧ المطالبة بتقسيم فلسطين حيث وافقت الأمم المتحدة على هذا القرار ، الذى يقضى بتأسيس دولة عربية ودولة يهودية وقد رفض العرب قرار الأمم المتحدة وعلنوا مقاومة تنفيذه ، وأعلنت بريطانيا انها ستخلى عن الانتداب فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وقد هب عرب فلسطين يدافعون عن وطنهم ويردون العدوان اليهودى عليه والفوا قوات الجهاد المقدس بقيادة البطل الشهيد عبد القادر الحسينى ثم دخلت الدول العربية الحرب التي حققت بالخديعة والمؤامرة قيام إسرائيل وعلنت الهدنة فى يناير ١٩٤٩ وسيطرت إسرائيل على مختلف الأراضى وطردت أهلها العرب منها وكذلك استولت على النقب حتى العقبة منذ ذلك اليوم اختفى اسم فلسطين من الخريطة ومن الأوراق الرسمية وان بقى حيا قائما على كل لسان ثم كان العدوان الاسرائيلى عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ حيث سقطت جميع الاجزاء الباقية من فلسطين وهى الضفة الغربية وغزة فى ايدى العدو ولم تعد فلسطين موجودة لا بالفعل ولا بالقوة .

وكان ذلك هو أكبر تحدى واجهه العرب والفلسطينيين انفسهم الذين كانوا قد اعلنوا حركتهم وجهادهم منذ عام ١٩٦٠ فى صورة المقاومة الفلسطينية ، التي حفل تاريخها فى هذه السنوات الاربع عشر بالعمل المتصل فى كل مكان حتى هز الراى العام العالى واسمعه صوته وعرف العالم كله ان هناك شعبا فقد أرضه وانه لايد له من استعادتها .

ولقد كانت حرب العاشر من رمضان مقدمة لهذه الخطوة الحاسمة التي تحققت باعادة اعلان اسم فلسطين مرة اخرى فى هيئة الأمم وعودتها الى الوثائق الرسمية وتسجيلها فى سجلات الدوائر السياسية والدبلوماسية العالمية .

ولا شك أن هذا الحدث الخطير هو نقطة تحول لها أهميتها فى تاريخ الاسلام والعرب فى العصر الحديث بعد مرحلة الجزر الشديدة التي استمرت أكثر من ربع قرن .

ولا ريب ان استيلاء الصهيونية على بيت المقدس عام ١٩٦٧ كان خاتمة الخطوة التي بدأت عام ١٨٩٧ عندما عقد مؤتمر بازل بسويسرا وهو المؤتمر الصهيونى الأول ان اكتشفت فيه وثائق «بروتوكولات صهيون» والذي كان يحمل لواء الدعوة الى إقامة الدولة اليهودية ممثلة فى ذلك المشروع الذى قام به تيودور هرتزل والذي حمله من بعده (ماكس نوردا) ثم جولد مان وبن جوريون الخ . ويتصل هذا المشروع الذى تقدم به رئيس وزراء بريطانيا (رونالد كامبل) عام ١٩٠٧ والذي اجتمع له مختلف خبراء السياسة

تلبست الجولتان بالمطامع الاستعمارية والتبست اسباب الصراع بين الغرب والشرق ، واتخذت من نصوص التاريخ القديم كعلة للغزو والسيطرة .

ولقد كانت فلسطين منذ اقدم التاريخ عربية خالصة وقد التقت فيها الاديان السماوية الثلاث فاصبحت مثابة للسلام والحب والرحمة ومنذ تسليها امير المؤمنين عمر بن الخطاب والمسلمون قائلون عليها بالحق لم يتخلفوا يوما عن حمايتها والذود عنها وتكريم اهلها وحماية بيعهم وكنائسهم ورعاية زوارها ، وعندما حاولت القوى الصليبية الاستيلاء على بيت المقدس عجزت عن ان تمكن له بمثل ما مكنت له القوى العربية الاسلامية ومنذ استعادة العرب والمسلمون ظل موفور الكرامة والامن والسلام حتى احتلته القوى البريطانية عام ١٩١٨ تحت اسم خطين هو الثأر من العرب والمسلمين ثم كان احتلال القوى البريطانية الاستعمارية لفلسطين مقدمة لتسليمها الى الصهيونية بوعد بلفور ثم بقيام الحكومة التي مهدت لاستيلاء اليهود على ارضها وفتح باب الهجرة اليها حتى استطاعت بالفدر والخديعة عام ١٩٤٨ من طرد العرب والمسلمين واقامة اسرائيل على ارض العرب ثم كان تسلط اسرائيل في القضاء على العرب اصحاب الارض واستهانة هؤلاء في الدفاع عن ارضهم ووطنهم في معركة متصلة خلال خمس وعشرين سنة ومن خلال مواجهات ضخمة قدم فيها الفلسطينيون والعرب جميعا شهداءهم دون ان يتجزأوا انملة من حقهم في البقاء واذا كانت نكسة ١٩٦٧ قد اذنت بفقدان كل الارض فانها كانت اقوى منطلق واعظم حافز لاستعادة ارض فلسطين لعودة الامة اليها ولاقامة الدولة من بعد .

ومن حق الفلسطينيين اليوم ان يقوموا على تقرير مصيرهم واقامة السلطة الوطنية لشعبهم وتأسيس كياناتهم الوطنى على ارضه وعودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم حيث ما يقرب من مليون فلسطينى يمكن ان يعودون ، ولقد كسب الفلسطينيون بعد جهادهم الدامى تقدير العالم كله الذى احس بهم وعرف ازمتهم الحقيقية بعد ان ظلت هذه المفاهيم مطموسة ومضللة فى نظر اغلب اجزاء الراى العام العالى .

لقد تغيرت خريطة الشرق الاوسط تغيرا حقيقيا اليوم رد الحق الى نصابه وارصى قواعد العدالة وعادت امة حال الظلم دون تمكنها من ارضها وحقها مدى ربع قرن كامل . ولكن الامم والشعوب لا يمكن ان تموت مادامت قادرة على النضال بالدم والقضاء والاستشهاد .

وستظل فلسطين نبراسا امام المسلمين والعرب على ضرورة الحذر والحرص على المراقبة والاعداد وحراسة الثغور والمصابرة على النحو الذى دعانا اليه الاسلام [يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورباطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون] .

العالمين حيث تقرر انه لى لا تقوم نهضة اسلامية عربية او دولة اسلامية عربية كبرى جامعة فانه يتحتم اقامة حاجز بشرى من جنس معاد يفصل بين قارتى آسيا وافريقيا ، وقد كان هذا المؤتمر مشددا لى لتقدم الصهيونية فتعلن انها هى هذا الجنس المعاد الذى يمكن ان يحول دون الترابط بين عرب المشرق والمغرب وقد جرت هذه المخططات كلها فى اطار السياسة الاستعمارية التى تحركها الصهيونية العالمية وتستهدف من ورائها قيام دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات كوارثة للامبراطوريات القديمة بريطانيا وفرنسا .

ولذلك فقد كان « التوسع » هو طابع الدعوة الصهيونية التى استطاعت ان تهزم السلطان عبد الحميد الذى وقف حجر عثرة فى وجه المطامع الصهيونية حين رفض ما تقدم به هرتزل عن طريق امبراطور المانيا من وعد مفر الى الخليفة الاسلامى الذى حدد موقفه تماما من العرض الصهيونى فكان ذلك عاملا هاما فى التخلص منه واسقاطه كمتقدمة للسيطرة الصهيونية العالمية على فلسطين .

فالיום حين تعود فلسطين [الارض والامة] بقرار جامع لاغلب دول العالم يكون ذلك بمثابة فجر جديد للامة العربية والعالم الاسلامى ، لا يقل قسوة واثرا عن النصر الذى تحقق فى العاشر من رمضان .

ولا شك ان عودة اسم فلسطين هو مقدمة لعودة فلسطين نفسها بعد ان انتزع اسمها عام ١٩٤٨ وصفت ارضها تماما عام ١٩٦٧ ولم يعد لها شبر واحد من الوطن ، واصبح اهلها جماعات من المهاجرين الذين يعيشون على حواشى فلسطين يتطلعون الى العودة اليها .

ولا ريب ان لحركة المقاومة التى بدأت عملها منذ اليوم الاول للاحتلال البريطانى الصهيونى اثرها البعيد بما قدمت من ابطال وشهداء من امثال عز الدين القسام وعبد القادر الحسينى واحمد عبد العزيز وعشرات من المجاهدين الذين قادوا هذه المعارك الضخمة الى عشرات الالوف من الشهداء البواسل الذين قدموا ارواحهم رخيصة فى سبيل استعادة اسم فلسطين الوطن والارض . فقد قدمت فلسطين زهرة ابنائها شهداء الدم ايمانا بحقهم ، وكانت حركة المقاومة فى ذلك ملتزمة الطريق الصحيح الذى رسمه الاسلام للمسلمين فى مواجهة الغزو وزحف العدو . وما اشبه اليوم بالبارحة فقد كانت « فلسطين » هى الهدف الذى اتجهت اليه الحروب الصليبية التى انطلقت من الغرب فى اواخر القرن الخامس الهجرى ، والتى سيطرت على هذه المنطقة حتى اجلتها قوات المسلمين وكتائب الجهاد وكان تحرير فلسطين فى الاولى مقدمة لنهضة اسلامية كبرى وتجمع اسلامى كبير .

وقد جاءت الجولة الصهيونية على نفس النسق ، وعلى نفس المخطط السابق ، ولها من خلفياتها التاريخية ما يشبه ما كانت تحله الجولة الاولى . كذلك فقد

كثيراً ما يعتقد الناس على سلوك معين
ثم يغيرون مسلكهم عندما يقتنعون بفكرة
أو اتجاه معين في سلوك الحياة وبناء
على ذلك ساروا على اتجاه آخر *

حقيقة التربية الأخلاقية الإسلامية ومميزاتها في ضوء الدراسات التربوية القديمة والحديثة

الاتجاه الثاني : هو الذي يرى أن
التربية الأخلاقية هي تكوين بصيرة
أخلاقية عند المرء بها يستطيع التمييز
بين الخير والشر ويدرك تماماً ويقنع أن
الخير في الفضيلة والشر في الرذيلة
من أنصار هذا الاتجاه * الفيلسوف
الإلماني كانت الذي يمثل مذهباً أخلاقياً
متميزاً ويقرر رأيه في التربية الأخلاقية
بقوله « أن هذا التعليم (التربية
الأخلاقية أو تعليم الأدب على حد
تعبيره) يراد به أن يكون للفن بصيرة
يعرف بها ما هو حسن نافع وما هو
قبيح ضار .. وتعليمه الحقائق في
نفسها لتتربى فيه الفاضلة من ذات
نفسه لا من الخارج » ويقول أيضاً
« قلنا أن الإنسان لا يصل إلى الكمال
إلا بالتعليم ولكن التعليم إنما يكون
بالقلنة والبصيرة » *

ومن أنصار هذا الاتجاه أيضاً سير
رينتشارد نجستون الذي يقول عن
التربية الأخلاقية « أن رياضة الخلق في
مناها الضيق يمكن أن يقوم بها مدرب
الالعاب الرياضية والشجاعة وقوة
الاحتمال وروح الانضاق والنظام يمكن
تعليمها في ميادين الاستعراض الرياضي
ولا يحتاج هذا العمل إلى رجال يصلون
إلى مستوى من المراتب والدرجة كيمستوى
معلمي المدارس » ولكن ثمة شيئاً في
رياضة الخلق أعظم من هذا أن من
الأمور الشائعة وهو في الوقت عينه
من الأمور المجهدة أن ننسى أنه يجب
أن يهرن الخلق عن طريق الذهن كما
يهرن عن طريق السلب الأخرى وأن
حائناً من مهمة التربية هو أن تغني
خيال طلابها وتخصب مداركهم وبذلك
تدرب خلقهم « ولهذا ينصح أن يصير
المربي الجوانب الرفيعة والسامية
والمعظيمة من الأخلاق لتلاميذه » أن
معرفة الرفيع من الأمور تزود المرء
بالتوجيه والهدف والعزيمة مزودة
وبالهدف لأنها تظهر له الفتح من السمين
وجيب أن يعمل لبلوغه وتنبهه العزيمة
لأن اتخاذ المرء لنفسه مثلاً أعلى
يستحثه على العمل » *

الاتجاه الثالث : يرى أن التربية
الأخلاقية هي تلقين المبادئ الأخلاقية
للتلاميذ والقاء دروس في علم الأخلاق
والمدراس * وبالرغم من أن هذا
الفهم هو أكثر المفاهيم السائدة في
بلادنا فإنه أكثر المفاهيم السائدة في
التربية التي لقيت انتقادات من كثير من
المربين المحدثين *

أن التربية الأخلاقية لها الأهمية الكبرى لوقاية المجتمع من ازدياد الجرائم
المختلفة وشمى الانحرافات الأخلاقية وعن جميع الشرور التي تعاني منها
الأفراد والمجتمعات الإنسانية وهي الوسيلة الوحيدة أيضاً لبناء الفرد الخير
والمجتمع الخير غير أنه ليس كل تربية أخلاقية تحقق ذلك بل أن هناك تربية
أخلاقية فاشلة فبدلاً من أن تؤدي إلى التخلق تودي إلى اللاتخلق وهناك
تربية أخلاقية ناقصة لا تحقق الهدف الأساسي منها كما ينبغي ويجب *
أذن ماهي التربية الأخلاقية الحقيقية الناجحة الكاملة وما رأى فلاسفة
التربية ورجال التربية في طبيعة عملية التربية الأخلاقية ثم ماهي وجهة نظر
الإسلام في حقيقة هذه التربية وما مميزات التربية الأخلاقية الإسلامية
بالنسبة إلى وجهات نظر المربين عامة تلك هي النقاط الأساسية التي نريد
معالجتها في هذا المقال *

أبرز عقائد المربين

المادة والشيم « ويقول أيضاً « فإن
الشارعين لا يصيرون إلا محالي فضلاء
لا يتعويدهم ذلك » ويشرح ذلك بقوله
« أن الإنسان لا يحصل الفضيلة إلا
بالتكرار المستمر لأفعال العدل والاعتدال »
وبقوله يصير الإنسان عادلاً بإقامة العدل
وحكمياً بمزاولة الحكمة وشجعاً
باستعمال الشجاعة » *

ومن أنصار هذا الاتجاه جان جاك
روسو وجون لوك والإمام الغزالي الذي
يقول « وأن ترسخ جميع الأخلاق الدينية
في النفس مالم تعود النفس جميع
المعادات الحسنة ومالم تترك جميع
الأفعال السيئة ومالم تواظب عليها
مواظبة من يشاق إلى الأفعال الجميلة
ويتنعم بها ويترك الأفعال القبيحة ويتألم
بها » ومنهم كذلك ابن سينا الذي يقول
« والذي يحصل به الإنسان نفسه الخلق
ويكتسبه متى لم يكن له خلق أو ينقل
نفسه عن خلق صافد نفسه علة هو
المادة » وأعني بالمادة تكرير فعل الشيء
الواحد مراراً كثيراً زماناً طويلاً في
أوقات متقاربة » وأخيراً منهم ابن
مشكويه الذي يقول « فلاخلاق منها
ما يكون طبيعياً من أصل المزاج ومنها
ما يكون مستفاداً بالمادة والتدريب »
غير أن بعض المفكرين المربين لا يرون
أن يكون مجرد الاعتياد تربية أخلاقية لأن

ولندا أولاً يعرض وجهات نظره
المربين عامة ثم يعرض وجهة نظر
الإسلام ومميزاتها بعد ذلك فإذا بحثنا
الآن عن آراء المربين عامة في هذا
الصد لا نستطيع ذكرها كلها لكنرتها
ولهذا نحاول عرضها بتصنيفها تحت
نوعيات أو اتجاهات عامة وهي
الاتجاهات الآتية :

الاتجاه الأول : يرى أن التربية
الأخلاقية هي الإعتياد على المبادئ
الأخلاقية أي ممارستها من الصغر زماناً
طويلاً حتى تصبح عادة بحيث تصدر من
المرء تلقائياً من غير تفكير وروية كما
تصدر الأفعال الفريضة والطبيعية لأنها
تصبح عندئذ طبيعة ثانية كما يدعى
أصحاب هذا الاتجاه * وقد تبنى هذا
الاتجاه كبار الفلاسفة والمربين القدماء
ومنهم أرسطو الذي يرى أن التربية
الأخلاقية هي الإعتياد على السلوك
الأخلاقي أو الفضائل الأخلاقية وذلك
خلال التربية العقلية التي تكون في
أولها بالتعليم التجريبي يقرر ذلك بقوله
« أن الفضيلة على نوعين أحدهما
عقلي وآخر أخلاقي والفضيلة العقلية
تكتد نتج دائماً من تعليم اليه بسند
أصلها ونموها ومن هنا يجيء أن بها
حاجة إلى التجربة والزمان وأما الفضيلة
الأخلاقية فإنها تتولد على الأخص من

ولعل مرجع هذه الفكرة في المسدأ كان سقراط الذي كان يرى أن المسلم أو المعرفة بالخبر كاف لإتباعه ومعملا انتشرت هذه الفكرة في الأوساط التربوية حتى قالوا أن الإحلال الأخلاقي يرجع إلى الجهل بالخبر في حقيقة أو الي القفس في هذه المعرفة وينقد هذا مريون آخرون بأن اللااخلاعية تنشأ أساسا من وجود إرادة شريرة في الإنسان أو رغبة بعض الناس في الشر لا لجهلهم بالخبر على أي حال فأنسا الآن لسننا في موضع التكوين لهذه المفاهيم والآراء في صدد العرض ولهذا نواصل العرض ثم لم يبق هذه الفكرة على ما كان عليه سقراط بل أخذ ينتقل من الجسور إلى القشور حتى أصبحت التربية الأخلاقية مجرد تلقين المعلومات الأخلاقية بأساليب أمرية وتحذيرات خطابية جافة التي عرض صوراً منها الفيلسوف سينيوس بقوله « ألا ترى أيها الطفل أن أباك يفعل كذا وكذا ، أيها الطفل أنت صغير وهذا عمل الكبار ليس قيمة المرء مقدار نصيبه من مفاخر الحياة الدنيا وإنما حظ من الآخرة لذلك كان الأفضل إهمال الظلم والأخذ بالعفو لا تصدث ضوضاء أيها الفلام يجب أن تطيع والديك وما إلى ذلك من الأساليب الخاصة في تلقين الأخلاق دون بيان خصائصها ومدى ضرورتها للحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية وما يترتب على انتهاكها من مفسدات وشرور ونعاسات . وشقاوة في حياة الفرد والمجتمع .

الاتجاه الرابع : هو الاتجاه الروحي الصوفي الذي يرى أن التربية الأخلاقية ليست مجرد الاعتماد على الأفعال الأخلاقية الظاهرية المادية وليست كذلك مجرد خلق بصيرة أخلاقية وليست أخيراً مجرد تلقين وتعليم المبادئ الأخلاقية بل أنها فوق ذلك وأكثر من ذلك هي تطهير النفس من كل الرذائل والنوازع الشريرة وتحليتها بالفضائل الأخلاقية ظاهراً وباطناً وهذا الاتجاه تجده واضحا لدى المتصوفين . ذلك أننا نعرف موقفهم بصفة عامة من الأخلاق وكيف أنهم يتخذون مرحلة التخلية والتصفية مرحلتين أساسيتين للرقى الروحي وللوصول إلى عالم الروح والشهود وباعتبار أنه لا وصول إلى الله والتبسات في حضرته إلا بقطع هاتين المرحلتين فقد اهتموا بها اهتماماً لدرجة أن بعضهم قد قصر التصوف على هاتين المرحلتين فحسب وقال : « التصوف الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني » ويعرف التناهي التربية الأخلاقية أو الرياضية الأخلاقية على حد تعبيرهم بأنها « استبدال الحال المدمومة بالحال الحمودة » ومن مميزات التربية الصوفية أنهم لا يكتفون بتأديب النفس وتطهيرها من جميع الرذائل والتحلية

بالفضائل بل يهتمون أيضاً بتأديب جميع الأعضاء والجوارح فتدبون عن أدب المذنب من السمع والبصر واللسان واليد والرجلين وما إلى ذلك ولهذا يقول الدكتور أحمد صهي « أم يعرف تاريخ المذاهب الأخلاقية فيما أشهدوا في مخالفة النفس وتصفيته الناطق كما فعل الصوفية » ويسمى الدكتور غوستاف لويون هذا اللون من التربية بالتربية الباطنية أو بالتأديب الباطني على حد تعبيره وذلك مقابل التأديب الخارجي ويذبح الأول على الثاني لأنه هو الذي يمكن أن يدوم بينما التأديب الخارجي الذي يتم تحت الخوف والاضطرار بالتأديب الذي يؤمن عواقبه ويقول « تقاسس الأمة بما لديها من الرجال الصائرين لذلك التأديب الباطني » وباعتبار أن هذه التربية تؤثر في الشعور ومن ثم في سلوكه لاشعورياً فإنه يثبت أن ذلك يورث من الآباء كما أن الفضائل النفسية الأخرى تنتقل بالوراثة إلى الأبناء كما يثبت ذلك بعض العلماء .

الاتجاه الخامس : فيري أن التربية الأخلاقية هي تكوين استعداد أخلاقي بحيث ينشعب هذا الاستعداد إلى سلوك أخلاقي بسهولة ومن تلقاء نفسه في كل المواقف التي تتطلب عملاً أخلاقياً .

ويؤيد ذلك أنصار الاتجاه الاجتماعي أمثال أوجست كوت وليفى بربل ودور كايم واتباعهم يقول هذا الأخير ممجراً عن رأى جماعته « فإن تكوين الطفل أخلاقياً لا يعني أن نفرس فيه الفضائل الخاصة ثم تتبعها بثانية فثالثة والرابعة يكون في الاستعانة بالوسائل الملائمة لتنمية هذه الاستعدادات المسماة بل لخلقها خلقاً وبمجرد أن توجد هذه الاستعدادات لا تلبث أن تنشعب بسهولة تلقاء نفسها حسب ما تقتضيه تفاصيل العلاقات الإنسانية » ويكون تكوين هذا الاستعداد عن طريق غرس العناصر الأخلاقية الرئيسية في نظر هذا الاتجاه وهي روح الخضوع للنظام وروح التعلق بالهيلة الاجتماعية وأخيراً استقلال الإرادة بعد هذا المرض بهذه الاتجاهات في التربية الأخلاقية أحب أن أقول أنه ليس واحد من تلك الاتجاهات يمثل حقيقة التربية الأخلاقية بكاملها بل أن كل واحد منها يمثل جزءاً من حقيقة مفهوم التربية وأن كان هناك اختلاف فيما بينها في درجة الأهمية التي تحملها والجزء الذي يمثل من حقيقة مفهوم هذه التربية على أي حال تلك هي اتجاهات المربين بصفة عامة ولننظر الآن إلى اتجاه الإسلام أو وجهة نظره في تجديده حقيقة التربية الأخلاقية .

وجهة نظر الإسلام في تحديد

حقيقة التربية الأخلاقية .

إن مفهوم هذه التربية في نظر الإسلام هو تنشئة الطفل وتكوينه إنساناً متكاملًا من الناحية الأخلاقية والمربى لأن ذلك حياته مفتاحاً للخبر ومفتاحاً للشر في كل الظروف والأحوال .

هذا مفهوم عام وإذا بحثنا عن المفاهيم الخاصة وجدنا اهتمامات خاصة بمفاهيم المفاهيم التربوية التي راينساها سابقاً لدى الفلاسفة والمربين لأن ذلك مهمة لتكامل التربية الأخلاقية وذلك بصرف النظر عن درجة أهمية كل واحد منها .

فمن حيث تطهير النفس أولاً من جميع الرذائل الأخلاقية والإرادات الشريرة أمر لا غنى عنه في ميدان التربية ولهذا أوردت نصوص كثيرة في هذا الميدان منها قوله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » يريد ليطهركم ولينم نعمته عليكم .

لكن مجرد التطهير لا يكفي في ميدان التربية لأن من معاني التربية التنبيه أي تنمية الروح الأخلاقية ونزع الخبث من نفس المرء وقد استخدم في هذا الميدان التزكية في القرآن لأن التزكية تفيد التطهير مع التنمية أو تقوية دوافع الرازي ولهذا كان الإمام الفخر الرازي عليه وسلم يستخدم أساليب كثيرة يقوى بها دواعيهم إلى الإيمان والعمل الصالح . لأن التربية كانت من ضمن أهداف الإسلام ولهذا أيضاً جاء الإسلام بأساليب ووسائل للتربية ومن ثم أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغاً كما أرسله أيضاً مرياً « كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزككم » إذ قصد جاءت التزكية في قاموس المحيط وأساس البلاغة بمعنى التطهير والتنقية وقال صاحب أساس البلاغة « ويقال مجازاً رجل زكى أي زائد الخير والفضل ولذلك قال تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » ولذلك أيضاً قال تعالى « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أنزل من زكاتها وقد خاب من دسها » ويتكلم الإمام الفخر الرازي عن معاني التزكية هنا ويقول « فاعلم أن التزكية عبارة عن التطهير أو عن الإنماء وتكلم عن معنى « وقد خاب من دسها » فيقول « من دسها في المعاصي حتى انغمس فيها والمعنى الآخر أن من أعرض عن الطاعات واشتغل بالمعاصي صارها خاملاً متروكاً فصار كالشيء الدسوس في الاختفاء والخبول وتكون تنمية الروح الأخلاقية تحتاج إلى تمسك وتصوير

أخلاقي إذ لابد من وعي أخلاقي ليسدرك الإنسان حكم المبادئ الأخلاقية ولا بد من بصيرة أخلاقية أيضا ليستطيع المرء التمييز بين السلوك الخبير والسلوك الشرير وما يترتب على الفضيلة من الخيرات وما يترتب على الرذائل من مضار وشور ولهذا جاء الرسول معلما ومرييا معلما المبادئ وحكمها فقال تعالى « كما أرسلنا نبيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » ويقول الإمام الفخر الرازي عن سبب جمع الله تعالى بين التعليم والزكوة « عند تفسير قوله تعالى « قل هذه سبيلي آياك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » واعلم أن كمال حال الإنسان في أمرين أحدهما أن يعرف الحق بذاته والثاني أن يعرف الخير لاجل العمل به فإن أهل بيتي من هذين الأمرين لم يكن طائرا من الرذائل ولم يكن زكيا عنها ولهذا كانت من أساليب التعاليم الإسلامية التبصير بالحقائق وأن المرء أيضا على بصيرة بأساليب التربية « قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها » وأبصرهم فسوف يبصروا ومن ثم دعا الإسلام إلى تعليم الخير وتعلمه لأنه وسيلة التبصير وتكوين الوعي الأخلاقي فقال « إن الملائكة وأهل السماء والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير » وقال « من دل على خير فله مثل أجر فاعله »

لكن لا يكفي تكوين بصيرة أخلاقية إذ لا بد مع ذلك من تكوين الاستعداد الكامل للالتزام بالمبادئ الأخلاقية واجتناب الرذائل والشور في كل الظروف والمواقف بحيث لا يكفي بالتزام ذلك بنفسه بل يدعو غيره كذلك إليه ويحارب الشر أينما وجد وحيثما كان ويمكن التعبير عن ذلك بتكوين روح الخير أو تكوين الإنسان تكوينًا خيرا وقصد عبر الله سبحانه عن نمط الشخصيات الخيرة أو الصالحة فقال « يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين » فإذا وصل المرء إلى هذا المستوى فقد تكون أخلاقيا وأصبح إنسانا كاملا إذ أن الإنسان يكتسبه أخلاقيا بكل به أيمانه ودينه ومن ثم يصبح مسلما كاملا ولهذا قال الرسول « خيركم أسلمها » وأخيرا أكمل صورة للإنسان الذي يمكن أن تكونه التربية الأخلاقية هو ذلك الإنسان الذي يصل إلى مستوى يصبح فيه مفتاحا للخير ومفتاحا للشر في نفسه وفي مجتمعه وهذا ما عبر عنه الرسول بقوله « فطوبى لعبد جملة الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر »

وبناء على هذا كله يمكن أن نعرش عن آخر صورة للتربية الأخلاقية في نظر الإسلام بأنها تنشئة الطفل على المبادئ الأخلاقية وتكوينه بها تكوينًا من أخلاقي للالتزام بها في كل مكان وأشياء روحه بروح الأخلاق ذلك بتكوين مفاتيح وبصيرة أخلاقية حتى يصبح مفاتيح للخير ومغلاقا للشرور أينما كان وحيثما وجد باندفاع ذاتي إلى هذا وذاك عن إيمان واقتناع وعن عاطفة وبصيرة وذلك باستخدام جميع الأساليب والطرق والوسائل وتكوين ذلك الإنسان الأخلاقي لتحقيق وتكوين ذلك الإنسان الأخلاقي الخير وإنما قلت بالتنشئة أولا لأنها تعد الاعتياد والاعتقاد له فائدة من حيث أنه يجعل الطفل يعتاد على السلوك الأخلاقي ويجعل هذا السلوك سهلا عليه بطول المراتب ولهذا نجد الرسول كان يعود الأطفال الذين نشأوا في بيته على بعض المبادئ والآداب مثل آداب الإكل وكان يأمر بتعويد الأطفال على الواجبات مثل الصلاة إذا بلغوا سبع سنين قيل أن يصلوا إلى سن التكليف لكي يسهل عليهم آداؤها إذا بلغوا سن التكليف لكن مجرد الاعتياد لا يكون الأخلاق لأننا نجد كثيرا من الناس قد نشأوا على الاعتقاد في أسر متدينة فاذا أخرجوا عن أسرهم أو من مجتمعهم يتركون الواجبات ويخرجون سريعا عن الجادة ولهذا فإن الاعتقاد أثر تربوي في المراحل الأولى لكن من الخطورة بمكان الاكتفاء به بل لابد من أن يعقبه تبصير لقيم الأخلاق ولابد من تكوين إيمان قوى بالأساسيات النظرية للسلوك الأخلاقي ليكون التربي واقفا على أرضية صليية في مسلكه لا تزعزعه التيارات المتعارضة التي تهب من الشرق أو من الغرب ولا بد من تكوين عاطفة أخلاقية لأن مجرد التبصير لا يكفي أيضا إذ لابد من أن تكون وراء ذلك طاقة عاطفية تدفعه إلى السلوك الأخلاقي وهنا نجد أنفسنا مضطرين من استخدام بعض أساليب التلقين وطرقها لتكون تلك العاطفة وخاصة في بعض المراحل التربوية لسكن الإقتصار على طريقة التلقين في التربية الأخلاقية خطأ شنيع في ميدان التربية المتكاملة ولاقتصار تربية الآباء والمعلمين بصفة عامة الآن على التلقين في التربية نجد قلة التربية وكثرة الانحراف والأحداث

بعد ذلك لابد من تكوين قوة الإرادة لأن الكثير من الناس ومن الشبان يرون الاستقامة فضيلة لكن ضعف إرادتهم في المواقف الضاغطة والمثيرة لا يستطيعون التغلب على الشهوات والأهواء أو لا يستطيعون مواجهة المواقف الأخلاقية التي تتطلب الشجاعة والبسالة التي لا تكون بدون تكوين قوة الإرادة ولا يمكن تكوين استعداد أخلاقي متكامل بدون

تكوين قوة الإرادة الأخلاقية وأن تكون هذه الإرادة خيرة ثم لا بد من تطهير نفسه من الميول السيئة والإرادات الشريرة وبدون هذا التطهير سيكون الاستعداد ناقصا بل يكون خطيرا لأن المنسلا النفس واختلاطها بالذنبية والفنسية وبالآراءات الخيرة والشريرة يجعل الإنسان يعيش في صراع أخلاقي دائم . ولهذا كان موقف الإسلام البدء بالتربية الأخلاقية من تطهير الباطن من الرذائل وحماية الاطفال من تسربها إلى نفوسهم كان ذلك موقفا سليما لتكوين استعداد أخلاقي من البداية وتنمية هذا الاستعداد للنهوض بالفضائل والرقى في درجات التكامل لكن لا يمكن تربية الطفل على ذلك النحو وتسكين ذلك الاستعداد وتلك العناصر الأخلاقية الأساسية في نفس المرء بحيث يتشبع بها عقله وروحه إلا عن طريق استخدام كل الطرق والوسائل الخاصة بكل جانب من تلك الجوانب التربوية . وسنجد في الإسلام أنه قد بين تلك الطرق والأساليب والوسائل الخاصة بخلق المراحل التربوية الأخلاقية لتكوين كل عنصر من عناصر هذه التربية مثل عنصر العاطفة والصبر والإرادة وما إلى ذلك وسنشرح ذلك بالتفصيل مدعيا بالآيات القرآنية والأحداث النبوية في مقالات أخرى . من هذا كله نستطيع أن نقرر خصائص المفهوم الإسلامي للتربية الأخلاقية ومميزاتها في النقاط الآتية :

أولا - أن نظرة الإسلام إلى حقيقة التربية الأخلاقية تنسم بالمعنى والشمول بالنسبة إلى نظرة فلاسفة التربية لأنها لا تقتصر على وجهة نظر واحدة من أولئك المربين وليست مقابلة لوجهة نظر معينة أيضا .

ثانيا - أن وجهة نظر الإسلام متكاملة في هذه التربية لأنها تناول جميع الجوانب الإيجابية للتربية الأخلاقية المتكاملة وبالنظر الفاحصة يجد الإنسان أن كل العناصر التي ادخلها الإسلام في طبيعة التربية الأخلاقية ضرورية لابد منها لتكتمل هذه التربية ويكفي يكتمل التربي أخلاقيا وإذا نقص أي عنصر منها أدى الأمر إلى النقص في هذه التربية .

ثالثا - أن الإسلام دعا إلى استخدام جميع الطسرق والوسائل والأساليب التربوية على حسب تأثيرها ومقدارها اللازم في كل مرحلة من مراحل التربية الأخلاقية فالإقتصار على طريقة واحدة هذه التربية أو التركيز على بعضها دون البعض أقل مما ينبغي أو أكثر مما ينبغي أن يكون له أثر سلبي في التربية ولا يؤدي الأمر في النهاية

الحياة الأخرية

الأستاذ محمد الزطامي

أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، لدعوة الناس الى الإيمان بالله خالقاً ورازقاً ، ومحبيها ومميتها ، وإلى التمسك بالعمل الصالح حياة وسعادة وأماناً وفوزاً ، ولتصاف للناس الحياة الآخوية وتقريبها من مصادركهم ، ولتوضح لهم نوع الحياة فيها ، وما بها من ثواب وعقاب ، وجنة ونار ، ولتبين لهم أن الحياة الدنيا إنما هي بداية ومزرعة لما بعدها من حياة آخوية أبدية ، يجنى الإنسان فيها ثمار ما زرع ، وينال المطيع فيها جزاء أحسانه وفكرة عمله ، فوزاً بالجنة ورضوان الله ، ويحرم من النعيم ، ويصلى بنار السعير من كفر بالله ولم يطع أوامر الله وجحد حق الله عليه ، وحق نفسه عليه ، وحق الناس عليه قال تعالى :

أحدا من خلقه ، يجازى على الكفر والمعاصي بعدله بين خلقه ، ويجازى على الأعمال الصالحة بفضل الذي جعل الحسنة بعشر أمثالها وقد يضاعفها الى أضعاف مضاعفة وهو سبحانه عندما يقول :

« وأن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » إنما يبين سبحانه أن دستور العدل الإلهي أنه يعذب من يستحق العذاب من الجاحدين بحسب المشيئة التي يقتضيها عدله ، وأنه سبحانه أذ يغفر لعباده هفواتهم ، فما ذلك إلا بفضل وبما يعلمه تعالى من اقتصافهم بالإيمان الخالص من الشرك ومن عبادة غيره قال تعالى :

« أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . ويمكن أن يكون معناه أن الله يغفر لمن يشاء المغفرة من عبادة بالتمسك بالإيمان والعمل الصالح ، ويعذب من يشاء العذاب من عبادة بارتكاب ما لا يرضى الله وصدق قول الله :

« أن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً » .

ولما كتبه وكتبه وقضائه وقدره ، واليوم الآخر ، وحتى ندرك أن السعيد هو الذي يوفق الى سلوك طريق الخير باستعمال ادوات المعرفة التي توصل الى الإيمان والعمل بما في القرآن .. وأن الشقى هو الذي لا يهتدى بفطرته الى مبادئ الله فيخالف ما أمر به الله .

ولا يتمسك بما أنزل الله في كتابه الكريم قال تعالى :

« ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد » .

ويقول سبحانه : « ولكل درجات مما عملوا » ويقول عز من قائل :

« ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً .. قال كذلك أتتك آياتنا فخسيتها وكذلك اليوم ننسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه : وللعذاب الآخرة أشد وأبقى » . والله سبحانه العادل :

لا يسوئ بين المؤمنين والضالين في الحساب ولا يظلم

« كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ! »

وقال سبحانه :

« أن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » .

وقال عز من قائل :

« من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب » .

والله سبحانه ختم رسوله بالمصطفى عليه الصلاة والسلام ، وختم كتبه بالقرآن الكريم هداية ورحمة للعالمين ، وقد نزل القرآن الكريم فيه آيات بينات لقوم يعقلون ، فواضح أن الهدى من الله ولكن عن طريق العقل والالهام والاقتناع ، وبين أنه ليس من العدل أن يختل الناس إيماناً وعملًا ويتساوون جزاء ودرجة ، ونوه عن كل شيء في ملكوت الله ودلل عليه ، ودعا الى التفكير فيه وإلى التدبر في بديع صنع الله ، حتى نصل الى الإيمان بالله ، وحتى نصدق برسوله

ويقول عز من قائل :
« أولئك الذين اشتروا الحياة
الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون » .

ب - أما المؤمنون الذين آمنوا
بإله ورسوله وملائكته وكتبه
واليوم الآخر فأنهم يتمسكون بما
أمر به الله ويتقون عما نهى عنه
الله ، حتى لا يتعرضوا للعقاب
والعذاب يوم لا ينفع فيه مال ولا
بنون ، ويعملون العمل الصالح
الذي يستدعى الثواب يوم
القيامة ، ويعتقدون أن الله هو
الذي يعز ويذل .

ويعطى ويمنع ، ويجازى
بالخير خيرا ، وبالشرا شرا ،
فيقدمون الخير لوجه الله ،
ويؤدون المسئولية بأمانة ابتغاء
مرضاة الله ويحبون أسخياء
على أخوانهم من عباد الله .
ويقدمون النصح غير هيابين ،
ويقولون الحق غير وجلين ،
وتحملهم تقوى الله على أن
يقولوا للخطيء أن الخير في
غير ما ارتأيت لأنهم يحبون في
كف الله بعيدا عن الفسح والفساد
والرياء ولنا أسوة في أبي حازم
حيث روى أن الخليفة الأموي
الوليد بن عبد الملك طلب منه
ذات مرة موعظة فقال له : أعلم
أن هذا الأمر لم يصل اليك إلا
بموت من كان قبلك وهو خارج
من بين يديك بمثل ما صار لك ،
وليس عندك ما أريدك له ، وليس
عندى ما أخافك عليه ، فإن عدلت
فلك النجاة والا فعليك عذاب
عظيم .. وعندما قال له أرفع
اليها حاجتك قال : قد رفعتها إلى
من هو أقدر منك عليها ، فما
أعطاني منها قبلت وما منعتني
منها رضيت .. وصدق قول
الله ..

والذين هم من خشية ربهم
مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم
يؤمنون ، والذين هم ببرهم لا
يشركون ، والذين يؤتون ما آتوا
وقلوبهم وجله أنهم إلى ربهم
راجعون ، أولئك يسارعون في

والله سبحانه جعل الشفاعة
في الآخرة رحمة منه سبحانه
لعباده ولا تكون إلا بأذن منه ولمن
يريد سبحانه له الشفاعة لما
يعلمه من دخيلة أمره ، وأنه لا
يشرك به أحدا ، فما من أحد
يستطيع دفع عذاب قدره الله
واراد إيقاعه على العاصين قال
تعالى :

« ما كان للنبي والذين آمنوا
أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا
أولى قربى من بعد ما تبين لهم
أنهم أصحاب الجحيم » .

وعندما بعث رسول الله بعثا
من القراء لتعليم الناس القرآن
في بشر معونة وغدرت بهم قبائل
معونة بقيادة عمرو ابن الطفيل
الغنوي وقتلهم وحزن عليهم
رسول الله ، وصار يدعو قس
صلاته على القاتل بالطرد من
رحمة الله أنزل الله قوله « ليس
لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم
أو يعذبهم فأنهم ظالمون » .

والناس من حيث الإيمان بالله
واليوم الآخر فريقان : ١ - فريق
كالخفافش أعماه ضوء النهار ،
فهو جاحد للنور ، منكر لوجود
الله ورسوله وكتبه واليوم الآخر
وما فيه من ثواب وعقاب ، وجنة
ونار ، فهو كافر لا يعمل العمل
الصالح في دنياه ولا يرتبط
بمبادئ الله وهؤلاء يحرمون يوم
القيامة من رحمة الله ، ويحل بهم
سخطه وعذابه .

يقول سبحانه وتعالى : « ويوم
القيامة ترى الذي كذبوا على الله
وجوههم مسودة اليس في جهنم
مقرى للمتكبرين .. »

ويقول عز من قائل :

فأما الذين آمنوا فاعلموا أنه
الحق من ربهم وأما الذين كفروا
فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا
يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا
وما يضل به إلا الفاسقين ..

ويقول جل شأنه : « أفجعل
المسلمين كالجرمين ما لكم كيف
تحكمون ؟ ! » .

ويقول سبحانه : « بلى من
كسب سيئة وأحاطت به خطيئته
فأولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون » .

والله سبحانه جعل الشفاعة
في الآخرة رحمة منه سبحانه
لعباده ولا تكون إلا بأذن منه ولمن
يريد سبحانه له الشفاعة لما
يعلمه من دخيلة أمره ، وأنه لا
يشرك به أحدا ، فما من أحد
يستطيع دفع عذاب قدره الله
واراد إيقاعه على العاصين قال
تعالى :

« ألم تعلم أن الله له ملك
السموات والأرض وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير » .
وقال عز من قائل « بدیع
السموات والأرض وإذا قضي
أمرنا فإننا يقول له كن فيكون » .
وقال تعالى عن الملائكة « لا
يسبقونه بالقول وهم بأمره
يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى
وهم من خشية مشفقون » .
وقال سبحانه :

« من ذا الذي يشفع عنده إلا
بإذنه » .. وقال جل شأنه « ما
من شفيع إلا من بعد إذنه » .

وقال سبحانه :
« من يعمل سوءا يجز به ولا
يجد له من دون الله وليا ولا
نصيرا »

وذلك رسول الله صلوات الله
عليه وسلامه : يعلن أنه لا يملك
نفع نفسه وأنه يخاف من عذاب
ربه قال تعالى :

« قل انى أخاف أن عصيت
ربى عذاب يوم عظيم ! ويقول
سبحانه « قل انى لا أملك لكم
ضرا ولا نفعا ، قل انى لن
يجيرنى من الله أحد ، ولن أجد
من دونه ملتحدا »
ويقول عليه الصلاة والسلام :
يا فاطمة بنت محمد سلبنى من
مالى ما شئت ، فانى لا أغنى عنك
من الله شيئا »

وعندما استغفر رسول الله
صلوات الله عليه وسلامه للذين
يلمزون المطوعين من المؤمنين في
الصدقات أنزل الله
قوله : « استغفر لهم أولا تستغفر
لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
قلن يغفر الله لهم » ..

الخيرات وهم لهم سابقون ..
ويقول عز من قائل « اوتيت على
هدى من ربهم وأولئك هم
المفلحون » ويقول « أولئك الذين
هدى الله فيهداهم اقتده ! »

ويقول الصادق جعفر بن
محمد : ان من أخرجه الله من ذل
المعاصي الى عز التقوى اغناه بلا
مال واعزه بلا عشيرة « وأمنه بلا
انيس ، ومن خاف الله عز وجل
أخاف الله عز وجل منه كل شيء
ومن لم يخف الله عز وجل أخافه
الله من كل شيء ..

وأولئك المسلمون الأوائل
آمنوا بالله واليوم الآخر وما فيه
من ثواب وعقاب ، فحرصوا على
التمسك باخلاقيات الدين في
سلمهم وحريهم فلم يخشوا الا
الله ولم يستبدوا العون الا من
الله ولم يغتروا بالانتصار ، ولم
يفكروا عند الحرب في الفرار ،
ولم يجرؤ أحد منهم على إيذاء
أحد ، ولم يضم أحد منهم الشر
لأحد خشية الخالق العالَم
بالسرائر الذي يعلم خائنه الاعين
وما تخفى الصدور ، فانتفى
الظلم من مجتمعهم وتحقق
العدل .

وانتفت المساويء والشرور
وتحقق الامن ، وعاشوا اخوة في
الله متحابين فسادوا وراقبوا
الله سبحانه في أقوالهم وأفعالهم
راجين منه حسن الثواب خائفين
من عقابه يوم الحساب ، يوم لا
ينفع مال ولا بنون الا من أتى
الله بقلب سليم وصدق قول الله :
« وآتوا يوما ترجعون فيه الى
الله ثم توفى كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون » .

ومما رواه الامام أبو حنيفة أن
عبد الله بن رواحة كانت له راعية
ترعى غنما ، وقد أوصاها بتمهيد
شاة معينة حتى سميت ، وفي يوم
انشغلت الراعية : ففتك الذئب
بالشاة وقتلها ، فلطم أبى رواحة

الراعية على خدما ، وبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم
مغضب وقال لأبن رواحة : ضربت
وجه مؤمنة ؟

وما عسى الصبية أن تفعل
بالذئب ؟ وما زال يكرر ذلك حتى
اعتقها الصحابي خوفا من يوم لا
ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى
الله بقلب سليم .

وذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاء اليه رجلان من
الانصار يختصمان في موارث
تد درست وتقادهم عهدا ، وليس
عندهما بينة فقال عليه الصلاة
والسلام : « انكم تختصمون الي
وانما انا بشر ، ولعل بعضكم
يكون الحن في تبليغ حجة من
بعض ، وانما أقضى بينكم على
نحو ما اسمع برأيي فيما لم ينزل
علي فيه ، فمن قضيت له من حق
أخيه شيئا فلا يأخذه فانما اقطع له
قطعة من النار يأتى بها
انتظما » اي ملتصقة « هي عنقه
يوم القيامة » .

فبكى الرجلان وقال كل
منهما : حق لآخي . فقال عليه
الصلاة والسلام : أما اذا قلتما
فأذهبا فاققسما ، ثم توخيا الحق
بينكما ، ثم استئتما ، أي اضريا
قرعة ثم ليحلل أي يسامح إكل
منكما صاحبه والمسلمون اليوم
أصبحوا يحيون في عالم خائف
نفسيا ، قلق قلبيا ، جائع روحيا
ولا أمن له ولا شبع الا بالايمن
بالله واليوم الآخر وبإدراك أن
الايمن هو الذي يجعل الانسان
قويا في دنياه سعيدا في أخراه ،
لان الاعتماد على القوة
الجسمانية لا يغنى لأنها قد تخون
وقد تدفع الى المعاصي ، ولان
الاعتماد على المال لا يغنى لانه
يفنى وقد يغري بالفساد .. اما
الايمن فانه مضمون العقبة
يحقق لصاحبه سعادة الدنيا
والآخرة .

قال تعالى : فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره .

ويقول جل شأنه : ذلك بأن الله
هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه
على كل شيء قدير . وما اصدق
القول .

المأثور : « والله لتموتن كما
تبعثن ولتبعثن كما تستيقظون ،
وتنحاسب على ما تعملون ،
ولتجزون بالاحسان احسانا ،
وبالسوء سوءا ، وانها لجنة أبدأ
أو النار أبدا » . ومن الواجب
على كل منا أن ينجح ضميره
وأن يذكر دائما ماله ومصيره ،
وأن يذكر اليوم الآخر وما فيه من
ثواب وعقاب فيخاف الله ،
ويرجو ثوابه ، ويخاف عقابه ،
ويعمل العمل الصالح الذي يرضى
عنه الله ، ويتعد عن كل ما
يشقيه في دنياه وأخراه ، ويتذكر
النار وأهلها وهم يستغيثون فلا
يغاثون ويطلبون الطعام والماء فلا
يجابون وانما يقال لهم : ذوقوا
جزاء ما كنتم تعملون . حتى
يتعد عن مسبباتها يقول الحق
سبحانه وتعالى : « وإن
يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل
يشوي الوجوه بشئ السراب
وساعت مرتقا » .

ويقول جل شأنه : ونادى
أصحاب النار أصحاب الجنة أن
أفيضوا علينا من الماء أو مما
رزقكم الله قالوا أن الله حرمهما
على الكافرين .

وصلوات الله وسلامه عليه
يقول : اعرف الله في الرخاء
يعرفك في الشدة] .

وما اصدق قول القائل :
هما امران : فوز أم شقاء
تلاقي حين تنظر في الكتاب
فاما أن تخلد في نعيم
واما أن تخلد في العذاب



من معالم المدينة الفاضلة في الإسلام

جاء الإسلام لينظم شئون الأفراد والجماعات على وجه تقصر عنه النظم البشرية . ولذلك نجد أن القرآن الكريم اشتمل على كثير من المبادئ والنظم التي تنفع الناس في أحوالهم الخاصة وشئونهم العامة والتي تكفل النظام بينهم . وتوجد روح المودة والمحبة في قلوبهم وتؤدي إلى ارتقائهم وسعادتهم ما تمسكوا بها وحافظوا عليها ووقفوا عند حدودها . منها ما يتعلق بالبيوت والأسر . ومنها ما يتعلق بالمعاملات العامة بين الناس بعضهم وبعض . وسنورد هنا بعض ما سنه الإسلام من هذه الآداب العالية التي تشف عن كمال الذوق ورقة العواطف فأنها معالم للمدينة الفاضلة وأعلام للآداب الكاملة تحكم علاقات الناس بعضهم ببعض إذا رعوها حق رعايتها في تعاملهم وتخطبهم .

الريثور جمعية على الخولي

□ ٢١٢ □

ندب الإسلام المسلم إلى البشاشة عند اللقاء بأخيه الإنسان . والبشر علامة الصفاء النفسى والميل القلبي وفى هذا دعوة إلى المودة والمسامحة ونسيان الماضى بآلامه وخلافاته . فإنه يعسر على المتصافحين بعد هذا البشر وهذا الإقبال أن يتنازعا على تواقه الأمور فإن كان بينهما شئ أزاله حسن اللقاء والاستبشار قال صلى الله عليه وسلم . إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسنهما بشرا .. » ومن مآثور القول : أن البر شئ هين . وجه طلق وكلام لين . كما روى أن أبا هريرة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « أن الله يحب السهل الطلق الوجه » وقال . اتقوا النار ولو بشق تمرة . فمن لم يجد فيكلمة طيبة : وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيمولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح » فالحديث يضع لين الكلام وخفض الجناح فى مصاف تلك الخصال العالية . ولذلك يهيب الإسلام بأبنائه أن يبتعدوا عن كل صفات الغطرسة والتجبر والتطع والتي هى من صفات أهل الجاهلية فنجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول مخاطبا أصحابه « اتدرون على من حرمت الأسر » قالوا الله ورسوله اعلم قال « على الهين الذين السهل القريب » فإذا علم الناس أن النار حرمت على من هذه صفته فحرى بهم أن يتنافسوا فى التخلق بها .. وما أسيرها على المؤمن الصادق كما يقول صلى الله عليه وسلم « المؤمن ألف مألوف ولا خير فيه من لا يألوف ولا يؤلف » وعن عائشة قالت « استأذن رجس حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بنس أخو العسيرة هو » فلما دخل أنبسط إليه ولأن له القول . فلما خرج قلت يا رسول الله حين سمعت الرجس هنت كذا وحذا ثم تطلقت فى وجهه وأنبسطت إليه . فقال يا عائشة متى عهدتني فاحشا أن من شرب الناس منزلة عند الله تعالى يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه . » ولقد عد القرآن الكريم فى أوائل الصفات التى يتحلى بها عباد الرحمن هذه الأخلاق الهينة اللينة « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما »

السلام والمصافحة ،

السلام شعار الإسلام وتحية أهله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام » . وفى هذا إشارة إلى أن الكلام قبل السلام سوء أدب يستحق فاعله أن يجازى

عليه باغفال شأنه وإهمال أمره وعدم الاعتداد به . وعن بعضهم قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم استأذن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجع وقل السلام عليكم وادخل والحكمة في التوصية بإفشاء السلام بين المؤمنين هي توثيق أواصر المودة بينهم قال عليه الصلاة والسلام « إلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم » قالوا بلى يا رسول الله قال : أفشوا السلام بينكم » ولذلك ندب الإسلام إلى العمل بهذا الأدب حتى مع أهل بيت الإنسان . روى جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحكمكم لم يدخل بيته » وهذا ظاهر فإن الإنسان إذا دخل بيته وسلم على أهله فإن هذا يكون أوجب للوثام والألفة بينه وبين أهله وعند ذلك لا يجد الشيطان منفذا ينزغ به بينه وبين أهله . . . ولقد اهتم الإسلام بأمر السلام حتى سن له نظاما على حسب ما يكون الإنسان عليه من حال فقال صلى الله عليه وسلم « يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير » .

عليه باغفال شأنه وإهمال أمره وعدم الاعتداد به . وعن بعضهم قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم استأذن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجع وقل السلام عليكم وادخل والحكمة في التوصية بإفشاء السلام بين المؤمنين هي توثيق أواصر المودة بينهم قال عليه الصلاة والسلام « إلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم » قالوا بلى يا رسول الله قال : أفشوا السلام بينكم » ولذلك ندب الإسلام إلى العمل بهذا الأدب حتى مع أهل بيت الإنسان . روى جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحكمكم لم يدخل بيته » وهذا ظاهر فإن الإنسان إذا دخل بيته وسلم على أهله فإن هذا يكون أوجب للوثام والألفة بينه وبين أهله وعند ذلك لا يجد الشيطان منفذا ينزغ به بينه وبين أهله . . . ولقد اهتم الإسلام بأمر السلام حتى سن له نظاما على حسب ما يكون الإنسان عليه من حال فقال صلى الله عليه وسلم « يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير » .

ولقد كان العرب في الجاهلية قبل الإسلام يعدون عادة المصافحة بين الناس من عادات الجاهلية . فلما جاء الإسلام أبطل هذا وأذاع النبي صلى الله عليه وسلم هذه العادة بين العرب . روى البراء بن عازب رضي له عنه أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فسلم عليه فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه . فرد عليه ومد يده إليه فصافحه . فقال البراء يا رسول الله ما كنت أرى هذا الأمن أخلاق الأعاجم . فقال له « ان المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما » كما سن النبي صلى الله عليه وسلم تحية الانصراف أيضا فقال ، إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس . ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة » والسلام تحية أهل الجنة فيما بينهم « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجزى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم . دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واجر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » .

توقير الزائر :

سن النبي صلى الله عليه وسلم توقير الزائر . وهو من سمات أهل المدينة السامية . وقد روى أنه عييه اتصاله والسلام ربما يزوره زائر وهو جالس على وسادة ولا يكون فيها سعة يجلس معه عليها فينزعها ويضعها تحت الذي يجلس إليه فإن أبي عزم عليه حتى يفعل . وقد أمر أصحابه أن يستنوا بسنته . وروى أنه دخل بعض بيوتهم فدخل عليه

الاستئذان :

وعلم الإسلام الناس أدب الاستئذان عند دخول بيوت غير بيوتهم لما في عدم الاستئذان من إزعاج أهلها والإطلاع على ما يكرهون إطلاع غيرهم عليه من أمورهم . قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم أرجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » والاستئذان اليوم يعتبر من خلال التي تعد من مميزات أهل المدنية فتراهم يحرسون عليه ولا يتسامحون فيه . وانت ترى أن الإسلام قد سنه لأهله منذ أجيال كثيرة .

أرفع أنواع الديمقراطية :

وقد اعتاد أهل المدنية اليوم أن يسموا تواضع الكبار للفقراء والمساكين ديمقراطية . وقد سبقهم الإسلام فجعل التواضع لأهله شرعة تحقيقا لمبدأ المساواة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . من تواضع لله رفعه وقال : لو كان المتواضع في قدر بئر لبعث الله إليه من يرفعه . وقال : ان الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد . وعن ابن أبي عمير : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا ياتف ولا يتكبر أن يمشی مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته .

هذا بعض ما اشتمل عليه الإسلام من الآداب الاجتماعية العالية . وغرض من فيض مما سببه الإسلام لأهله من سمات المدنية الفاضلة . وفي ذلك دليل على أن الإسلام شرع ليكون دينا عاما يصلح لجميع الأمكنة في كل العصور ويلائم أرقى الحالات الاجتماعية والنفسية . ويفوق ما عليه المتمدنون اليوم من رقة ولف . وليس بعد هذه السنن النبوية والعادات الإسلامية مذهب لمن يتطلب أقصى غايات المدنية . . .

ظلال في طريق النبوة الرسول والاستفال بالتجارة

عادت حليلة السعدية ومعها الطفل محمد — صلوات الله وسلامه عليه — إلى مكة راضية عن نفسها بما قدمته له من رعاية، وبما اختصته به من حنان وما أضفته عليه من عناية، وعادت حليلة حامدة لله ما نعمت به من خير، وشاكرة له سبحانه ما نالته من بركة، وما تدفق عليها من بر، وما تمتعت به في قربه من حياة ناعمة هادئة، وما شعرت به من اطمئنان وهدوء نفسي وعادت حليلة لترد الأمانة لاهلها وهي أشد ماتكون جزعا لهذا العمل الذي لا بد أن تكون له نهاية ..



كان على حليلة السعدية أن تعطى الطفل لأمه ليعيش بين أحضانها كما يعيش غيره من الأطفال، ويستمتع بذراعيها الحائيتين كما يستمتعون، ولتعوضه أمه أمانة بنت وهب بعض الذي فقده من حنان الأم مدة غيابه، ورعاية الأب الذي فقده ..

الاستاذ عبدالحق صمارة

ولا يتخيل الانس والسعادة الا في زمالة
أتراب البادية، ولا المرح واللذة الا في
اللعب معهم والحديث اليهم ..

يقول الاستاذ أمين دويدار في كتابه
صور من حياة الرسول صفحة ٥٩،

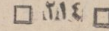
« ولكن، أين هو الان؟ أنه بين
أهله ونويه، وفصيلته التي تؤويه،
في حضن أمه الحبيبة، حيث الحنان
الطبيعي الذي لا يمانه حنان، وحيث
الحب الخالص الذي ينبعث ماضيا بلا
حساب، وفي رعاية أهله وعشيرته،
من الآباء والأمهات، والأعمام والعماات
والأخوال والخالات، والأخوة والأخوات
.. هو اذن في مكانه الطبيعي الذي
لا ينبغي أن يكون الا فيه »



ومضت الأيام، ومات جده عبد
المطلب بعد أن تركه في رعاية عمه
أبي طالب، وبعد أن أخذ العهد والحقاق
على أن يرعاه كما يرعى أولاده، ويحنو

وعاش محمد في مكة يرعى الغنم
بعد وفاة جده عبد المطلب يرعى غنم
عمه أبي طالب، وغنم أهله بأجياد،
يمرح مع الصبية حيث يمرحون، ويمارس
معهم من ألوان المرح والاستمتاع
ما يمارسون الا أن يكون في هذا المرح
وهذا الاستمتاع بعض ما يؤذي السمع
أو النظر، أو يخدش الحياء والضمير،
أو يؤلم النفس، فانه كان يبعد عنه
وبين هذا الاستمتاع، وبين العمل الذي
لا ترتاح اليه نفسه، أو يرضى عنه
ضميره المرفف الحساس،
فقد كان في هذه الحالة ينفرد بنفسه
ليمارس هواياته المفضلة عنده، من نظر
وتأمل، ومن بحث وتحليل عله يصل
إلى شيء يريح باله، أو يهدئ من
تفكيره، فانه لم يبعد نهائيا بعد أن
نزع نفسه عن حياة البادية التي كان
يسودها الهدوء، ونفلقها السكنينة،
فانه ظل فترة طويلة وهو يعيش بخداله
في جـو هذه البادية، يحس حياتها
السهلة، ومعيشتها السانحة،
ويستشعر الحنان والحسب في عطف
ظفره حليلة، ورعاية أخته الشيماء،

واسنقر محمد بين أهله وعشيرته،
لم تنقص بعض الأيام فرحتهم به، ولم
تهتز لبعده منزلته في قلوبهم قيد أنملة،
بل أن هذه الفرحة وهذه المتزلة كانتا
يزدادان مع الأيام، ويقويان كلما مضت
الاعوام، وكلما كبرت سنه وارتفعت
هامته، وكلما لسوا من أخلاقه وصفاته
مالم يكونوا يلمسونه وهو لم يزل طفلا
صغيرا .. وأن الحقيقة تقتضينا أن
نشير إلى أنه طوال السنوات الأولى
لطفولته لم يمارس عملا أو يات فعلا
بجانب الفضيلة والخصال الحميدة ..
وليس من شك في أن ذلك كله كان
يتوجه من العلى القدير الذي أراد أن
يحفظ نبي الإنسانية، الذي بشرت به
الكتب السماوية من قبل أن يولد، ومن
قبل أن يوحى إليه، والذي أعلنت هذه
الكتب والتبوات أن يومه المشرق لا بد
أت لا ريب فيه، وأن العالم يومها
سينقلب إلى صورة مضبوطة، وأن
النور سوف يسطع ويحل محل الظلام
الذي يخيم على كل ركن من أركان الدنيا
والذي كان يعيش في قلوب الناس
فيملها فسادا وظلما ..



عليه كما يحنوا عليهم ، ويمنع عنه السوء والاذى كما يمنع عن اولاده .. وصفت الايام ومحمد بنو وينمو جسمه وعقله ، ويتفتح ذهنه الى كل صغيرة وكبيرة ، ويدقق النظر في كل ما يحيط به ، ويوازن بين ما يدور حوله من أحداث مقلبا النظر في هذه وتلك ، فاذا استراح الى واحدة منها اقبل عليها واخذ بها ، وان عافت نفسه واحدة اخرى اعرض عنها ونجاهلها .. وحاول ان يمنع عنها من يلوثون به من اترابه على قدر ما يستطيع .

وعندما بلغ - صلوات الله وسلامه عليه - الثانية عشرة من عمره ، عرضت لعمه ابي طالب رحلة الى الشام في تجارة .. وراح العم يعد لها عدتها ، ويهيئ لها امرها ، ولما علم النبي خبر هذه الرحلة تعلق بعمه ورغب في ان يصحبه .. ويتحدث ابن اسحاق عن هذه الرحلة وعن كل ما يحيط بها فيقول في سيرة النبي ، الجزء الاول صفحة ١١٦ ، طبعة مكتبة محمد علي صبيح .

« ثم ان ابا طالب خرج في الركب تاجرا الى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، واجمع المسير تعلق به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون - فسرق له ابو طالب وقال ، والله لاخرجن به معي ، ولا يفارقني ، ولا افارقه ابدا ، او كما قال ، فخرج به معه ، فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له ، وكان اليه علم اهل الصنمانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب ، اليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون - يتوارثونه كابرا عن كابر ، فلما نزلوا في ذلك العام ببخيري ، وكانوا كثيرا ما يمرن به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم مااما كثيرا ، وذلك فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون انه رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في صومعته ، في الركب حين اقبلوا ، وغمامة نظله من بين القوم قال ، ثم اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه ، فنظر الى القمامة حين اظلت الشجرة ونهضت اغصان الشجرة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته ، ثم ارسل اليهم فقال ، انى صنعت لكم طعاما يا معشر قريش ، فانا احب ان تحضروا كلكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبيدكم وحرکم ، فقال له رجل فيهم ، والله يا بحيرى ان لك لسانا اليوم لا فما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نموت بك كثيرا ، فما شأناك اليوم ؟ قال له

بحيرى ، صدقت ، قد كان ما تقول ؟ ولكم ضيف ، وقد احببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما تاكلوا منه كلکم ، فاجتمعوا اليه ، ونظف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين القوم لحدثاته سنة ، في رمال القوم نحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده ، فقال ، يا معشر قريش ، لا يتخفن احد منكم عن طعامي ، قالوا له ، يا بحيرى ما تخلف عنك احد ينبقى له ان يأتيك الا غلام ، وهو أحدث القوم سنا ، فتخلف في رمالهم ، فقال ، لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، قال ، فقال رجل من قريش مع القوم ، واللوات والعزى ، ان كان للؤما بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام اليه واحتضنه واجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا ، وينظر اشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرى ، فقال ، يا غلام ، اسالك بحق اللات والعزى الا ما اخبرتنى عما اسالك عنه وانما قال له بحيرى ذلك لانه سمع قومه يظفون بها ، فزعوا ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له ، لا تسالن باللات والعزى ، فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضها ، قال له بحيرى ، فبالله الا ما اخبرتنى عما اسالك عنه ، قال له ، سلتني عما بدا لك ، فجعل يساله عن اشيائه من حاله في نومه وهيبته واموره ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كفيه على موضعه من صفته التي عنده .



وليس من شك في ان لهذه القصة دلالات كثيرة منها على سبيل المثال ، - ١ - ان النبوات رسالة النبي - صلوات الله وسلامه عليه - قد سبقت بعنه وتكليفه بتبليغ الرسالة ، تحدث بها اهل الكتب السماوية ، وعلمهم المظلمون على هذه الكتب ، المدرسون لها ، وان كان بعضهم قد اخفى ما علمه خوفا على منزلته بين قومه او حرصا على الإبقاء على تجارة يتكسب منها ، او طمعا في منصب يحاول ان يحتفظ به ، او خوفا من عدا قومه له ، او انتظارا لما تنكشف عنه الايام المقللة من امر هذا النبي الذي يمضى رهبة للمالين ، فان هو أدركه زمنه فكر ودبر امره واخط لنفسه الطريق الذي يسلكه

٢ - ان الله سبحانه وتعالى كان يشمله برعايته منذ طفولته يكلوه ويحفظه

وان عين الله الساهرة ابدا كانت تحفظه وتلاحظه اينما ذهب ، وان رحنه بالطفل الذي لم يشند عوده بعد كانت زاد النبي وعدته ، وانما كانت تحرسه بنما سار او رحل .

٣ - ان جميع من اتصلوا بمحمد منذ سنواته المبكرة يشهدون بانه جدير بمحبتهم ، جدير بال منزلة التي ينزلها من قلوبهم ، وهو لم ينزلها بقوة فرضها او سلطان له ، وانما نزلها باخلاقه وصفاته ، واكتسبها بحلو عشرته ان يحيطون به ، وليش اذل على ذلك من اعتبار احد رجال القافلة المتجهمة الى الشام في تجارة القوم وعدم دعوته لمشاركهم طعام الراهب عملا غير كريم ، بل ولؤما منهم .

٤ - ان النبي - صلوات الله وسلامه عليه - حتى في هذه السن المبكرة كان لا يأتي عملا يغضب الله ، ولا يتفق مع المتطوطين ، ولا يجارى الاخلاق الفاضلة ، ولعل اكبر دليل على ذلك في هذه الرحلة رفضه ان يقسم باللات والعزى ، وقوله ، فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضها ، يقول الاستاذ امين دويدار في كتابه « صور من حياة الرسول » ، صفحة ٧٩

« كان شابا في حياصة الشيباب ودوافعه ، وزعاعته ، ولكنه لم ينزل الى ما ينزل اليه الشيباب من عبث ولهو ، ولم يكن يرضى لنفسه ان يهبط الى المستوى الذي يندس الرجولة او يناني الكرامة .. كان في مكة ببوت كثيرة للهو ، فيها الضمر والميسر ، وفيها الفناء والسمر ، وفيها اللعب والمجون ، وفيها كل ما يرضى جموح الشيباب من لذة ومنازع ، وكان للشيباب في تلك البيوت مآرب شتى ، تهفو اليها نفوسهم وتسعى لها أرجلهم ، الا محمد بن عبد الله ، فقد عزى بطبعه عن كل ذلك ، ونصالي بنفسه عن مواطن الريبة وهواضع الخبسة ، فما رأى يوما قط لاهيا ولا عابثا ، ولا اثما ولا فاهشا ، ولا معاقرا خيرا ولا قبرا « لعب القمار » ولا مندنسا في نزوة من نزوات الشيباب الجاهجة ، بل كان ضمته الجد والمفان وطابعه الوقار والكمال ، مع سماحة في الطبع ، وطلاقة في الوجه ، وهلاوة في اللسان جعلته محبا الى كل من يعاشره او يحادثه او يلقاه » .

ولم يبق ابن هشام عند هذا الحد الذي انبأ عليه من قصة الراهب بحيرى مع النبي محمد في رحلته الى الشام مع عمه ابي طالب ، فقد استمر في حديثه فاشار الى بعض الظلال التي تفرص طريق النبوة فقال ،

« فلما فرغ - اي بحيرى - اقبل على عمه ابي طالب ، فقال له ، ما هذا

الغلام منك ؟ قال ، ابني ، قال له بحيري ، ماهو بابنك ، بما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ، قال ، فانه ابن أخى ، قال ، فما فعل أبوه ، قال ، مات وامه حبلى ، قال ، صدقت فأرجع بابن أخيك الى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت ليغيثه شرا ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به الى بلاده .

وفى هذا الحديث دلالة أخرى جديدة على أن طريق النبوة لم يكن مفروشا بالورود ، ولم يكن مستقيما سهلا يخلو من العقبات أو الصعاب ، ولكن كانت به ظلال تعترض مسيرته ، بدليل أن العارفين علم الكتب السماوية ، الواقفين على أسرارها - ومنهم بحيرى هذا - كانوا يخافون على النبي المبشر به من كيد اليهود وغدرهم ، وكانوا يحذرون القافلة من السير الى أرض لهم فيها نفوذ وسلطان .

وكان محمد حين رغب في أن يصحب عمه أبا طالب في رحلته للتجارة الى الشام في سن الثانية عشرة ، وأن كان تفكيره ورجاحة عقله ليسوا من ذلك كثيرا . . . وليس من شك في أن هذه الرحلة - ولو أنها جاءت في سن مبكرة قليلا - إلا أنها كانت ذات أثر في حياة النبي - صلوات الله وسلامه عليه - وفي اتجاه تفكيره . . . وفى ذلك يقول الدكتور حسين هيكال في كتابه حياة محمد ، صفحة ١١٢

« وفى الرحلة وقعت عينا محمد الجبلتان على فتحة الصحراء وتعلقنا بالنجوم الالامعة في سمائها الصافية البديعة ، وجعل يمر بمدن ووادى القرى وديار يهود ، وتسمع أذناه الرعدان الى حديث العرب وأهل البادية في هذه الفازل وأخبارها وماضي نبئها . . . وفى هذه الرحلة وقف في بلاد الشام عند الحدائق الغناء الياض التي أنسته حدائق الطائف وما يروى عنها ، والتي تبث له جنات الى جانب جدد الصحراء المقفرة والجبال الجرداء فيمسا حول مكة ، وفى الشام كذلك رأى محمد أخبار الروم ونصرانيهم ، وسمع عن كتابهم وعن مناوئة القرش من عباد النار لهم وانتظارهم الواقعة بهم . . . ولئن كان في الثانية عشرة من سنه لقد كان من عظمة الروح ، وثكاء القلب ، ورجحان العقل ، ودقة الملاحظة ، وقوة الذاكرة ، وما الى ذلك من صفات حياه القدر بها تمهيدا للرسالة العظيمة التي أعدها له - كان له من ذلك كله ما جعله ينظر الى ما حوله ومن حوله نظرة الفاحص الحق ، فلا يستريح الى كل ما يسمع ويرى ، فيرجع الى نفسه يسألها ، أين الحق من ذلك كله ؟ »

□ ٢١٦ □

ومن نظرت الى العالم من حوله ، وتعرفه على أهله ووجوهات نظرتهم فيما يعرض لهم من أحداث ، ومن أنصاه باناس لم يكن بينه وبينهم معرفة من قبل - ووقعه على معلومات كانت بعيدة عن تفكيره أو لم تكن موضع تفكيره ، بدأت صفحة جديدة في حياة الرسول ، صفحة كلها تفكر وتامل ، وكلها نظر واستنتاج على قدر ما هياه له ذهنه في تلك السن ، حياة التعرف على الناس والأشياء ، وعلى العوالم التي تحيط به ، وحياة الانسجام الى الراى ، والاشتراك في المناقشة ، ثم التدبر في فيها تحويه هذا الراى أو هذه المناقشة من وجوهات مختلفة .

والى جانب هذا كله افاد محمد - صلوات الله وسلامه عليه - من رحلته هذه فائدة كبيرة ، كانت فيها بعد ذات اثر فعال في مجرى حياته ، فقد تعلم من صحبته لمحبه ، ومن كان معها في القافلة من أهله وعشيرته طرق التجارة واسرارها ، وقد مكثه من الآلام بهذه الأسرار ومعرفة خبايا التجارة ووسائلها في رحلة واحدة قام بها لأول مرة . . . نقول ، تعلم أمورا كثيرة منها : ١ - انه - صلوات الله وسلامه عليه - من أهل مكة ، ومكة - كما تعرف منذ القدم - مدينة ذات كيان مالى وسياسى مستقل ، ولعل ذلك راجع الى تأثير البيئة الجغرافية التي لم تمكن على مدى العصور أحدا من الغزاة الطامعين في غزوها ، من السيطرة عليها أو فرض نفوذها عليها ، فقد كانت مكة في بداية القرن السادس كما يقول الأستاذ أحمد إبراهيم الشريف في كتابه مكة والمدينة في عهد الجاهلية والرسول ، صفحة ٩١ ، ٩٢ : « مدينة ذات كيان مالى وتجارى مستقل ، ومركزا دينيا مرموقا أقيم حول الكعبة التي كانت محط انظار كثير من الحجاج الذين كانوا يؤمنونها لزيارة البيت الحرام والتقرب للانصام المنصوبة هناك ، وكان أهل مكة قد أجروا الترتيبات المفصلة التي كانت تتضمن سلامة طرق الحج المؤدية الى مدينتهم ، وبيع المؤن والتجهيزات للوافدين إليها ، وتكفل حفظ النظام ومراعاة الآداب العامة أثناء تادية الشعائر الدينية عند الكعبة . . . ولما كانت العناية بالحج وبتصرف المعاملات التجارية هما المهنتان الرئيسيتان عند أهل مكة ، فان حياة البلد كانت تحت طبقة المنتفعين الإكفاء ، رجال لم يؤمنوا بالعنف ، واعتمدوا على حل كل المشاكل بالطرق السلمية . .

« وظلت مكة ذات كيان مالى وسياسى مستقل ، لان شبه الجزيرة العربية لم تقع في يوم ما - بصورة فعالة -

تحت حكم سلطة مركزية ، فان تأثير البيئة الجغرافية كان يبق داتها في وجه نمو الاشراف المركزى في شبه الجزيرة العربية ، وكانت الخصائص الأساسية لتلك البيئة ، هي العلاقات المزعزعة بين مجتمع منوط يسوده الاستقرار وأخر لايزال بدويا رحالا ، والتقليل المداخل بين ذئك المجتمعين . .

« ومكة مثل طيب لظاهرة التداخل هذه ، ولكي نفهم مركز مكة في القرن السادس وعند ظهور الاسلام ، وهو الوقت الذى بلغت فيه مكة ذروة مجدها ، علينا ان نأخذ بعين الاعتبار لا دور القبائل الرحل وبطونها فحسب ، بل ينبغي أن نلم بالعلاقات الخارجية للجزيرة العربية ، فان الجزيرة العربية كانت تزود المناطق المجاورة لها بالمنتجات المرغوب فيها من حاصلات الجزيرة نفسها ، كما كانت موانئها حلقات اتصال للتجارة الدولية ، والحركة التجارية قائمة على قدم وساق تروح وتغدوين مناطق البحر المتوسط والشرق الهندي وذلك عبر الطرق التجارية التي تتخلل شبه الجزيرة العربية ، والتكثير منها يفتقر مكة .

وليس من شك في أن مكة ، وهذه تاريخها القديم ، وهذه حياتها ومكانتها الاقتصادية عاكسة على التجارة وتبادل السلع والمنتجات بين الشمال والجنوب ، وبين الشرق والغرب . . . ليس من شك في أن يكون أهلها حاذقين لاساليب التجارة ، وأن تكون مهنة التجارة تسرى في عروقهم ، وليس من شك في أن يكون الرسول - عليه الصلاة والسلام - قد افاد من هذا كله ، ولم يكن من غير المستغرب أن تهفو نفسه ، وهو لا يزال فى هذه السن المبكرة الى صحبة عمه ابى طالب في رحلته ، وممارسة ذلك العمل الذى تهفو اليه نفوس أهل مكة جميعا .

٢ - ومحمد - صلوات الله عليه - من أصل قرشى ، تجرى في عروقه صفات القرشين ، فهو يرجع من ناحية ابيه الى عبد مناف ، ويرجع من ناحية أمه الى زهرة ، وهما غصنان من أغصان النوبة الكبرى التي هي قریش ، نيا والتقىا وانبرا ثم رتبهما التي انشقتا من محمد ابن عبد الله ، وعن أمته بنت وهب ، اللذين التقيا في شرعة الهبة ، واجتمع بلقائهما كثير من خصائص الاصل والبيئة الكبرى حتى لكانها أصل مع الاصل ، أو فرع واحد انتهى الى خصائص الاصل .

ومن الامور المقطوع بصحتها لانها ثابتة في القرآن الكريم أن القرشين كانوا أهل تجارة ، والله سبحانه وتعالى بين

عليهم أن ألف بين قلوبهم ، وجمعهم على الالتقاء حول بيته الحرام وتقديسه وتعظيمه ، وأمرهم بالأخلاص والطاعة لرب هذا البيت الذي جمعهم حوله ، ومكنهم من رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف للشام يتاجرون فيها ، وينالون نصيبهم من الدنيا ، وما يخصهم من البر والخير الذي يتزودون به لمستقبل الآيام ، وإلى أن يحين موعد الرحلتين التاليتين ، وهم في قعودهم أو ارتحالهم آمنين مطمئنين من أغارة عدو عليهم ، أو طامع في تجارة يسطو عليها .. يقول الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسيره لجزء عم ، طبعة دار الشئب ، صفحة ١٢١ :

« كان قريش رحلتان : إحداهما لليمن زمن الشتاء ، والأخرى إلى الشام في فصل الصيف .. يذهب التجار فيها للكسب ، واجتلاب الربح ، والاستكثار من الرزق ، وكانت قوافل قريش معروفة عند العرب ، محترمة في نفوسهم ، لأنهم سكان مكة وجيران بيت الله ، فكانوا يذهبون آمنين ويعودون سالمين ، لا يسهم السوء ، على كثرة ما كان من النهب والسلب .. »

« فكان احترام البيت ضربا من القوة المعنوية التي كانت تحمي بها قريش من أسفار أرباب التجارة منها .. ولهذا آلفت نفوسهم تلك الأسفار وتعلقت بالرحيل لاستمرار مادة الرزق » .

٣ - لقد مارس القرشيون أساليب التجارة ، أسرارها عليها في أسفارهم وتزبنوا على عمليات البيع والشراء ، وعرفوا كيف يناقشون الناس بالحسنى فحببوا إليهم في التعامل معهم ، والإخذ منهم ، والعطاء لهم .. ولا غرابة بعد هذا ، خاصة إذا علمنا أن الجزيرة العربية وقعت في دائرة النزاع الدولي الذي كان قائما بين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية ، ..

« وقد بذلت محاولات كثيرة من جانب الإحيائي الروم للسيطرة عليها ، ولكن رجال مكة الحريصين على موقف الحياد عارضوا كل تدخل في شؤونهم ، وكانوا يتعاملون مع رجال الدولة من النرس ومن الروم على السواء ، كما كانوا يخدرون النفلل مع الإعراب من أهل البادية » كما يقول الأستاذ إبراهيم الشريف في كتابه مكة والمدنية صفحة ٩٢

٤ - وهذا الموقع الجغرافي لمكة ، وحرص أهلها على التعامل مع الناس جميعا على قدم المساواة ، والاتصال بهم جميعا دون تفرقة بين أفراد هذه القبيلة أو تلك ، وممارسة طرق الاحتكاك بهم ، قد أفاد كله القرشيين في صلاتهم بالناس سواء من القبائل التي تحيط بهم وتقيم على مشارفهم ، أو أولئك الذين

يغدون من بلاد بعيدة طلبا لما يحتاجونه من ألوان التجارة ، وليس من شك في أن هذا الاتصال كان مفيدا لهم في الوقوف على أخلاق الناس ، وعاداتهم وتقاليدهم ، وكسب ما هم في حاجة إلى كسبه من هذه الأخلاق والتقاليد والعادات ، وليس من شك في أن محمدا - صلوات الله وسلامه عليه - وهو القرشي الأصل - الذي ألباح الرقيق القلب ، المرفه الحس ، الدقيق النظر ، كان أكثرهم فهما لما يدور حوله وكان أكثرهم استفادة منه .

٥ - وبكة بحكم موقعها ومكانتها الدينية ومركزها المالي ، كانت مركزا لعديد من الأسواق التي كانت تخرج من وظيفتها الأصلية ، وهي التجارة ، وأشهرها سوق عكاظ التي كان يؤمها العرب من جميع أنحاء الجزيرة ، والتي كانت تقوم وسط سهل منبسط بين مكة والطائف ، وكذلك كان هناك سوق مجنة وذى المجاز .. يقول الأستاذ إبراهيم الشريف في كتابه « مكة والمدنية في الجاهلية وعهد الرسول » صفحة ٨٢

« وكذلك كانت توجد في منطقة مكة سوق مجنة وذى المجاز ، ويقضى العرب في هذه الأسواق حوائجهم ، ثم يرتحلون إلى مكة لحجهم ، كما كانت توجد أسواق أخرى في أنحاء شبه الجزيرة العربية منها دومة الجندل ، وضفار ، والشعر ، وعدن وصنعاء ، وعدة أسواق أخرى محلية تاتيها القبائل للاحتياز .. »

« وقد كانت عكاظ كما قلنا أعظم هذه الأسواق وأشهرها ، وطالما خرجت هذه الأسواق عن وظيفتها الأصلية التي يفهمها الإنسان من السوق ، ومن البيع والشراء ، إلى أمور أخرى لا علاقة لها بالسوق التجارية وهي ، المفاخرات والمباهاة ، والمسابقات في قول الشعر ، وإغذاء الأسرى ، وكثيرا ما كانت تعقد فيها مجالس الصلح والتحكيم بين القبائل ففحل المشاكل المعقدة ، والناس مطمئنون إلى حرمة الأشهر الحرم التي تنعقد فيها السوق ، فهي مجتمعات سياسية ذات أهمية ، ومؤتمرات تقرر فيها كثير من الأمور التي لها صلة بساسة القبائل ويصلاتها بعضها ببعض .. »

وكان محمد - صلى الله عليه وسلم - أسعد الناس لفشيانهم هذه الجائس حيث يفتح ذهنه على مسائل كثيرة من أمور العرب وشؤونهم ، وحيث يستفيد من تجارب من يكبرونه سنا ، وحيث يتمرن على الجلوس بين القوم يناقش ويجاور ويشارك في اتخاذ الإراء التي يوفقون بها بين المتخاصمين ، ويهددون من ثورات النفوس ، ويقضون على

مسيبات الحقد والضغينة فيتحنون الزماء ويعيدون المياه إلى مجاريها ، وكان - صلوات الله عليه - سعيه كذا الاستماع إلى المناظرات التي تدور بين القبائل العربية ، وإلى الملقبات ومسابقات الشعر ، حيث تستقيم له اللغة ، ويجنى من هذه ونك زادا لأيامه وانطلاقة لسانه ، وحسن التحدث مع الناس ، ومناقشتهم في الأخذ والعطاء .

خرج من هذا كله أن طريق النبوة كانت تحق به الظلال ، وأن هذه الظلال كانت تعترض الطريق منذ مولده ، بل ومن قبل مولده ، كما عرفنا ذلك من قصة الفيل الذي أراد بها إبرة هدم الكعبة وتحول أنظار العرب إلى بيت آخر غير بيت الله الحرام ببكة ، ثم لازمت هذه الظلال الرسول الكريم بعد مولده ، فقد كانت تحوطه وهو صبي حيث ولد بيتيا محروما من عطف الأب وخائنه ثم من بعده ماتت أمه فضاقت بنفسه بفقد الصدر الحنون ، ثم لم يلبث أن مات جده عبد المطلب ، وفقد الحنان ، وفقد النصير الذي يؤزره ويساعده على تحمل أعباء الحياة ومتاعب العيش .. وما نحن الآن نرى هذه الظلال تتعقبه ونحسها في خوف أهله وعشيرته المقربين من أذى يهود وغدرهم إذا هم علموا أمره ووقفوا على جليلة خبره ، غير أن عين الله كانت دائما من ورائه ترعاه وتحوطه وتمنع عنه الأذى والسوء

ثم أن هذه الحياة التي عاشها الرسول الكريم في مكة في مسهل شبيهة واصطحابه لعمه أبي طالب في رحلته إلى الشام للتجارة ، قد فتحت ذهنه على أمور كثيرة من أمر البينة التي تحيط به ، والناس الذين يتعامل معهم ، ووجهت نظره إلى وسائل أفاد منها بعد ذلك ، ولعل من أوضحها اشتغاله بالتجارة في مال السيدة خديجة التي اطمأنت إلى أخلاقه ، وسمعت عن الكثير من صفاته ، وحسن معاملته للناس ، وتصرفه في الأمور ، التي علمت الكثير من أمانته وصدقه حتى لقبه الجميع بالصادق الأمين .

لقد ارتاحت نفس خديجة إلى هذا كله فآثرتة على رجال قريش جميعا ، وطلبت إليه أن يتصرف في تجارتها كيفما يشاء ، وكيفما يترأى له .. ولقد كان الرسول عند حسن ظنها فعاد من رحلته الأولى ولأول مرة يخرج منها في مال خديجة وقد أفاء الله عليه بالنعم الكثيرة ، والأرباح الوفيرة ، وكان عمله مع السيدة خديجة بداية حياة جديدة ومرحلة كلها خير وبركة .

بقية مقال حقيقة التربية الإسلامية

تربيته وفقاً لذلك المفهوم وتدريبه في جميع المبادئ الأخلاقية . والآن وأنى في نهاية هذا المقال أهيب بالمربين والباء باتخاذ التربية الأخلاقية الإسلامية على النحو الذي شرحته الأساس الأول في تربية الأبناء وأن يهتموا بها في الدرجة الأولى أو أكثر من أنواع التربية الأخرى وذلك إذا أرادوا أن يكونوا من أبنائهم أناساً خيرون في حق أنفسهم وفي حق مجتمعاتهم أيضاً والله ولي التوفيق .

كما يفعل بعض الدارسين إذ أن ذلك الاتفاق في الجزء لا في الكل فإن كل اتجاه من تلك الاتجاهات يمثل جزءاً من حقيقة التربية المتكاملة في نظير الإسلام .

خامساً - تدريب الطفل في جميع تلك المبادئ الأخلاقية وتربيته على أساس ذلك المفهوم الواسع الشامل لمبادئ الأخلاق الإسلامية لأن مجرد تعليمه ذلك المفهوم لا يكفي بل يجب إضافة إلى ذلك

إلى انسجام في شخصية المتربي الأخلاقية وموازنة في السير على الطريق المستقيم .

رابعاً - يقتضى هذا وذاك عدم الأخذ بأى اتجاه تربوي سابق لدى فلاسفة التربية ومحاولة التوفيق بينه وبين الاتجاه التربوي الإسلامى لجرد أن هناك اتفاق بينه وبين وجهة نظر الإسلام . ثم محاولة حمل جميع التصوصات الواردة في الإسلام وتناولها على ذلك الأساس

الحث على الاضحية

عن عائشة [رضى الله عنها] أن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال : « ما عمل ابن آدم عملاً أحسن إلى الله من هراقه دم ، وأنه لتأتى يوم القيامة يقرونها وأظلافها وأشعارها ، وأن الدم ليقع من الله [عز وجل] بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً » .
وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ، « من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا » .

وعن زيد بن أرقم قال : قلت أو قالوا : يا رسول الله ، ما هذه الاضاحى ؟ قال : سنة أبيكم إبراهيم . قالوا : ما لنا منها ؟ قال : [بكل شعرة حسنة] قالوا : فالصوف . قال : « بكل شعرة من الصوف حسنة » .

وعن ابن عباس قال قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : « ما انفقت الورق [الدراهم] فى شيء أفضل من نحيرة فى يوم عيد . يستفاد من جملة هذه الأحاديث مشروعية الاضحية ولا خلاف فى هذا بين علماء الفقه وإنما الخلاف فى نوع مشروعتها هل هى واجبة أو سنة ؟ .

ويستفاد أيضاً أنها أحب الأعمال إلى الله ، وأنها تأتى يوم القيامة على الصفة التى ذبحت عليها ويقع دمه بمكان من القبول قبل أن يقع على الأرض ، وأنها سنة إبراهيم [عليه السلام] وأن للمضحى بكل شعرة من شعرات اضحيته حسنة ، وأنه يكره لمن كان ذا سعة تركها ، وأن الدراهم لم تنفق فى عمل صالح أفضل من الاضحية إذا وقعت بقصد التسنن والافتداء بسيدنا محمد [عليه الصلاة والسلام] وتجروى عن المقاصد الفاسدة ، وكانت على الوجه المطابق لشرعيتها .



□ ٢١٩ □

بيت المساجد الجامعة ومساجد الأحياء والقرى

ذكرنا في حديثنا أن تخطيط الأحياء في المدن المستحدثة في عصور الإسلام كان مرتبطاً بالتجمع القبلي لفرق الجند الذين كانوا أول من يسكن مثل هذه المدن الجديدة ، ثم يتبعهم من يلحق بهم من المستوطنين الذين يجذبون مثل هذا التجمع السكاني من أهل الحرف والصنائع .
وقد يكون العكس فنخطط الأخطاط للصنائع والحرفيين ويتوزع الجند في أماكن باطراف المدن استعداداً للتنفيذ والتعبئة عندما يدعو داعي الجهاد .

من أركانه مقننة . ثم وسع فيه عبد العزيز بن مروان سنة تسع وسبعين حتى تضاعفت مساحة المسجد القديم أربع مرات .

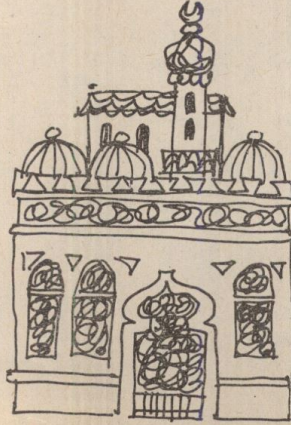
وجاء قرة بن شريك فهدم المسجد سنة اثنتين وتسعين وأعاد بناءه وزاد فيه حتى ضمت مساحة بيت عمرو ، والطرق المحيطة .

ثم تناولته الزيادات على يدى ولاية بنى العباس على فترات متباعدة حتى كانت زيادة عبد الله بن طاهر وإلى بنى العباس على مصر في عهد المأمون سنة ٢١٢ هـ ، وظلت مساحة المسجد على حالها منذ ذلك الحين دون زيادة ، وإن أعيد البناء وتغيرت عناصره جيلاً بعد جيل ، على عهد خماسوية بن أحمد بن طولون ، ثم على عهد الفاطميين ومن تلاهم من الدول والسلطين .

ولست هنا بصدد التاريخ لهذه المساجد الجامعة أو غيرها ، وما لحق بها من زيادات ، فقد أوردت كتب التاريخ والسيرة أخبار ذلك مفصلة بل إن كتب العمارة

المغيرة بن شعبة بالتوسعة والزيادة ، وكذلك فعل زياد بن بعده .

ومسجد عمرو بن العاص ظل كما هو حتى زاد فيه مسلمة بن مخلد الانتصاري سنة ٥٢ هـ وجعل له أربع مآذن في كل ركن



الأمير
عبد المجيد وافي

وقد كان تخطيط القسطنطين على النمط الأول وتخطيط البصرة والكوفة على النمط الثاني .

والذي أوقفنا عليه كتب السيرة ورواياتها ، أن المساجد الجامعة لم تكن تلبث أن تضيق بروادها كلما اتسعت المدن وزاد عمرانها وخاصة أيام الجمع مما يحصل الولاة على أن يوسعوا فيها جيلاً بعد جيل .

وقد مر بنا في بحثنا - أتعرض له المسجد النبوي الشريف من زيادات وتوسعات ، بدأت في عهد النبي صلوات الله وسلامه عليه ، واستمرت في عصر الخلافة وعصور الولاة ، وما تزال إلى يومنا .

ومسجد البصرة الذي أسسه أبو موسى الأشعري ، قد زيد ووسع في خلافة معاوية بن أبي سفيان زيادة كبيرة ، وبنى يومئذ بالأجر والجص وسقف بخشب الساج ، ثم زيد في ولاية زياد بن أبيه ، ثم ابنه عبيد الله بن زياد ، ثم في عهد الخليفة العباسي « المهدي » ثم هرون الرشيد

ومسجد الكوفة الذي أسسه سعد بن أبي وقاص ، عاد عليه

الاسلامية ، قد حاولت احصاء العناصر قديما وتنوعا كما جاءت كتب الرحالة أمثال ابن جببر ، وناصرى خسرو ، وابن بطوطة لتؤكد بوصفها ما ورد فى كتب التاريخ والسير ، وقارنت كتب العمارة بين الوصفين .

ولكن تعرضى لذلك جاء عرضا واستطرادا فى مناسبة الحديث عن المساجد غير الجامعة ، أو مساجد القرى والاحياء .

وإذا كان فقهاء المالكية قد افتوا كما ذكرت بأن تعدد المساجد القريبة من بعضها مما يكره ، بل مما يجب منعه الا اذا اتسعت المحلات والمدن فان فقهاء الحنفية كانوا يفتون بقطع الجسور بين شقى بغداد عند صلاة الجمعة حتى تصبح المدينة وكأنها مدينتان يعزلهما النهر .

ونعود فنقول ان ذلك كان قبل تعدد المساجد الجامعة فى المدينة الواحدة ، وقد جاء على القاهرة عهد وفيها من المساجد الجامعة ، جامع عمرو العتيق ، وجامع ابن طولون ، والجامع الأزهر ، والجامع الحاكمى ، والاخيران ينتسبان الى دولة الفوالم ، وقبل ذلك كان المسجد الجامع ينتسب الى عصر وينفرد بذلك وحده .

أما المساجد الصغيرة ، فأنها انتشرت منذ الصدر الاول كما رأينا فى توجيه عمر بن الخطاب لولاة الامصار ، فى مصر والعراق والشام .

وإذا كانت الحركة العمرانية لم تبق لنا على الكثير من مساجد الاحياء الاولى أو أثر منها ، الا أن مسجد قباء ومسجد القبلتين فى المدينة ، قد بقيا اسما وأن تعاونت يد الولاة على إعادة بناء ما تهدم منها حتى لم يبق من الاصل شيء الا المكان .

ولم تخرج مساجد الاحياء فى تخطيطها عن السنة الموروثة عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، كما أنها لم تظل قاصرة على شعائر الجماعات الخمس اليومية ، بل قد أصبحت عاصرة فى صلاة الجمعة والعيدى .

وقد تحتفظ بعض تلك المساجد المحدودة بعنصر المساحة المكشوفة « الصحن » رغم صغر مساحتها ، وقد تتجاوز عن ذلك .

وقد اقيمت المساجد الاقدم من تلك المساجد الصغيرة ، ملتزمة بنظام السقوف المسطحة بالاعمدات الحاملة للعوارض أو الاكتشاف والدعامات ، وأخذ بعضها بنظام العقود الحاملة للسقوف ، قبل أن تتطور العقود الى قبسات أو قباب .

ولا تلتزم تلك المساجد بمساحة ، وإنما يفرض المكان عليها اتساعه ، فقد تكون مربعة أو مستطيلة عرضا أو طولاً ، بل أننا نرى فى عصرنا الحاضر المساجد تبنى تحت العمائر السكنية ، أو فى بعض طوايقها . ولعل مصليات الطررق الطويلة ، أو جسور الترع ، مما دعت اليه حاجة اتساع العمران .

الا أن تلك المساجد المحدودة المساحة فى الاحياء والاطاط لم تكن غفلا من العناية والتنسيق . سواء منها ماينشأ حديثاً ، أو ما يرى من مساجد أثرية تنتسب الى عصور اسلامية مختلفة ، يرجع بعضها الى العصر الايوبى والمملوكى بمصر ، وحصص وحصاه ، أو ما يرجع الى العصر الخلافى وعصور الطوائف ، فى قرطبة وأشبيلية وطليلة فيما رأيت بعينى رأسى بمصر وسورية والاندلس الأسباني . وربما كان ضيق المساحة عاملا من عوامل بنح النفقة والاسراف فى الزخارف ، والمغالاة فى خامات البناء ، حتى أنها لتوجب الاعجاب ، وتستوقف النظر لدراسة العناصر الفنية المعمارية من دارسى الفنون والآثار .

ولم تعدم مثل هذه المساجد الصغيرة أن ينالها بعض من رشاش الفكر الاستشراقى المنحرف ، لتصبح شبيهة بكنيسة كذا أو كذا من سورية أو مصر

والاندلس ، بل ربما نسب الشبه التخطيطى والتكوين المعمارى بكنيس يهودى أو معبد روماني ، لعله لم يخطر على بال بساني المسجد أو مخططه .

الا أن الباحث المخلص الذى يلتزم بالفكر المستقيم ، لا يلقى الى مثل تلك الافتراءات نظراً ، ويعين الاخلاص يرى أثر الحاجة ودوافعها وراء التطور الطبى الذى دعا الى وجود مثل تلك العناصر ، ولزومها فى انشاءات المدن والامصار .

ولعل أقرب أمثلة لتطور العمارة المسجدية الصغيرة تحت ضغوط الحاجة العمرانية ، من مساجد الاحياء ، تلك المساجد المعلقة التى ترتفع بناء على عدد من الحوانيت ، وفاء بحاجة السوق ، واستغلالا لمساحة تحت البناء حتى لا تترك بلا توظيف أو منفعة .

ومثل تلك المساجد يدل على مرونة الفكر الاسلامى ، ومهارة الاعداد المعمارى ، والجمع بينهما بما لا يفسد على الناس فى صلواتهم ، وما يبتكر للجمع بين حاجة الدين والدنيا فى بناء واحد .

وما نراه فى مصر من اقامة المساجد تحت العمارات السكنية أو فى بعض طوايقها ، ربما يذكرنا بمسجد الدباغين فى طليطة والذى يرجع الى عصر الاسترداد المسيحى ، لارض الاندلس من يد المسلمين فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين .

وقد ظل ذلك المسجد يومئذ غير معروف لفترة أخفته التقيّة وتجنب اعلان العبادة ممن استضعف ولم يستطع الهجرة يومئذ .

ولى عود الى هذا المثال من مساجد الاحياء ، بتفصيل يبرز حيلة المصر على التمسك بعبادته ودينه ، وأثر الصراع السياسى والدينى ، على العمارة والحفاظ على العقيدة .

هدانا الله سواء السبيل

تعتبر صناعة النسيج في
الوقت الحاضر من أهم
الصناعات ، كما أنها تعتبر في
نفس الوقت من أقدم الصناعات
التي عرفها الإنسان، فقد اشتهر
المصريون القدماء بدقتهم في
صناعة المنسوجات وخاصة
الكتانية التي بلغت من الدقة
ذروتها

على أن صناعة النسيج كانت صناعة
بدوية حتى أواخر القرن الثامن عشر ،
ولقد حدث تطور كبير في هذه الصناعة
في مطلع القرن التاسع عشر بسبب
استخدام الآلات بدلا من الأيدي العاملة .
وقد ذاعت شهرة مصر في المنسوجات
قبل ظهور الإسلام ولقد وصلت هذه
الشهرة إلى بلاد العرب في الجاهلية ،
ولذلك نجد العرب عندما فتحوا هذه
البلاد كانوا يعملون على الاستفادة
منها في هذه الصناعة .

ولقد كان من تقاليد العرب وميولهم
ما ساعد على تقدم صناعة النسيج
على أيديهم في العصور الوسطى ،
فنجدهم كسوة الكعبة ، ومنح الخلع ،
وميلهم الطبيعي إلى التكاثر من الثياب
والى اقتناء الفاخر منها وذلك لاعتقادهم
أنها تضفي على من يلبسها قيمة وعظمة ،
وكان من شأن هذه العوامل أن تمهد
السبيل للوصول إلى درجة السكينة في
هذه الصناعة .

وكان منح الخلع تقليدا عرفه المصريون
القدماء ، كما عرفه ملوك إيران قبل
الإسلام ، وقد أحياء في الإسلام النبي
صلى الله عليه وسلم ، وسار على
طريقه الخلفاء من بعده ، ومن حيث الميل
إلى التكاثر واقتناء الفاخر من الملابس
فقد زاد عند العرب على أثر تدفق الثروة
بين أيديهم من الإقطار التي فتحوها ،
فاتبلوا على المنسوجات يسرفون في
اقتنائها ، ويحملون النسيج على التسابق
في اجادة نسجها ، وابتداع الأنواع
المختلفة منها .

وكانت الإقمشة من السلع التي تفضل
عند الإهداء في المناسبات المختلفة قبل
الإسلام وبعده . فيقول المسمودي في
مروج الذهب أن ملك الصين أهدى إلى
كسرى أتو شروان ثوبا حريرا فيه صورة
الملك جالسا في إيوانه ، الصورة
منسوجة بالذهب وأرض الثوب لازورد .
وقد أهدى ملك الروم إلى أبوزيد عدة
أشياء من بينها ألف ثوب من الديباج
الخزائني المنسوج بالذهب الأخضر وغيره
من الألوان .

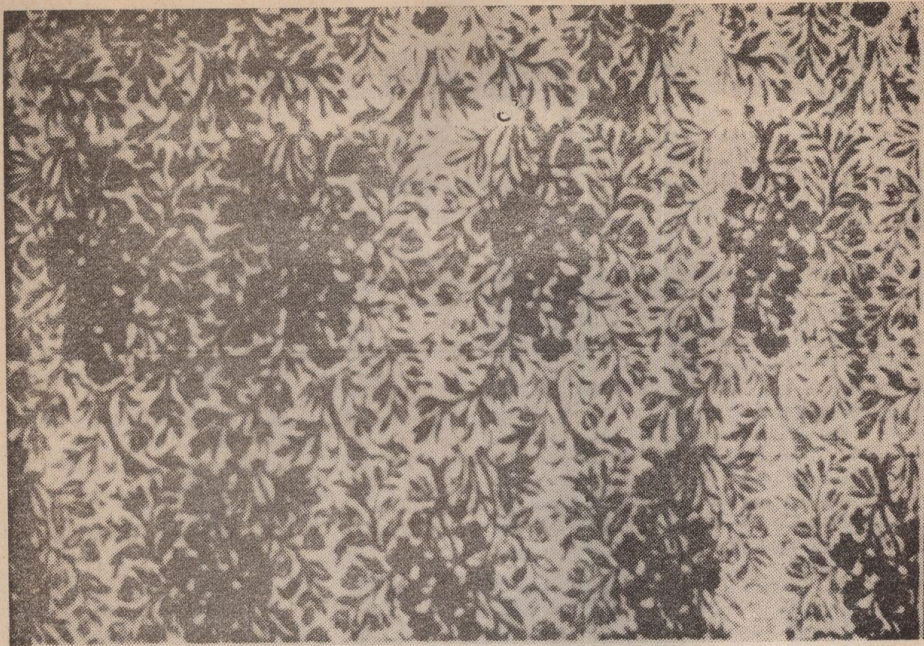
وكانت المنسوجات أيضا يتصدق بها
الخلفاء والأمراء والأغنياء على المحتاجين
في المواسم والأعياد ، وكانت لها مكانة
ممتازة بين صادرات البلاد الإسلامية .

تاريخ النسيج وأنواعه في العصر الإسلامي

الأستاذة
شريسة احمد نصر



لوحة [رقم ١] غطاء قبر من الحرير لحمة رسدى
منسوج بطريق القباطى من صناعة تركيا القرن الثامن
عشر الميلادى ..



لوحة [رقم ٢] قطعة من نسيج الزردخان المصنوع من الحرير والقطن من المرجح أن تكون من صناعة أصفهان * أواخر القرن السابع عشر الميلادي .

الثوب من الخيوط الحريرية ، وقد اتخذ الخلفاء ذلك حقا لهم وهدموا اختصاصا به أنفسهم دون غيرهم ، واعتبروه من علامات سلطنتهم ، واعتنوا به عناية خاصة فانشأوا في قصورهم مناسج حكومية وأطلقوا عليها اسم دور الطراز .

ولقد ذاعت شهرة دور الطراز في مصر بما أنجزته من المنسوجات السككانية والحريرية التي صدرت منها في العهد الإسلامي إلى البلاد الإسلامية كسوريا والعراق . ووجدت بساجرا قطعة نسيج كثرانية من القرن التاسع عشر عليها كتابة مطرزة بالحرير الأحمر تدل على أنها صنعت بمدينة تيس .

ولقد ورث العصر الأيوبي والملوك عن العصر الفاطمي أسلوب صناعتهم الإقشيشية ذات الزخارف المنسوجة ولكنها كانت أقل شيوعا عن العصر الفاطمي .

هلى أن أقشيشة العصر الأيوبي والملوك المطرزة كانت أكثر بساطة إذا ما قورنت بأقشيشة العصر الفاطمي المطرزة بخيوط الذهب والحرير المختلف الألوان .

نسيج القبايطي : من المعروف أن أقدم المنسوجات الفنية المزخرفة هو نسيج القبايطي ، وإذا تتبعنا نشأة هذا النوع من النسيج تبين لنا أنه وجد في مصر منذ العصر الفرعوني ، واستمر خلال عصورها التاريخية وبدون انقطاع وفي تطور مستمر إلى العصر القبطي فالعصر الإسلامي ، وإلى الآن يستخدم

المسماة بدور الطراز ، وكلية « طراز » أطلقت على الشريط المحتوي على كتابة منسوجة أو مطرزة ، وأطلقت أيضا على الإقشيشة المزخرفة بهذه الطريقة ، وأيضاً على المصانع التي تنتج هذه الإقشيشة .

وقد كان لإنشاء دور الطراز في جميع البلاد الإسلامية أهمية كبرى عند حكام المصريين الأموي والعباسي ، ولقد جرت عادة الخلفاء خلق هذه الثياب على كبار أصحاب الوظائف ورفقائه سنة على الأقل ، واعتبرت هذه الخلع بمثابة الأوسمة والنياشين في العصور الحديثة ، وقد كان يفتي اسم الخليفة في شريط « الطراز » تسجيلاً لحكمه وسلطانه .

علما بأن الطراز كلمة إيرانية معربة . وكان من عادة ملوك إيران قبل الإسلام أن يزينا ملابسهم بصور الملوك ، وبأشكال معينة تميزها عن غيرها ، وأشجارا لن يلبسها بالجاه والسلطان ، وكانوا يخلعون هذه الثياب على حاشيتهم ومن يرضون عنهم .

وقد ورث المسلمون عنهم هذه العادة ، وأول من نقل الطراز إلى العربية من ملوك المسلمين عبد الملك بن مروان الأموي ، ولكن بدلا من استخدام الصور كتبوا أسماء خلفائهم مصحوبة بصيغة خاصة من صيغ الدعاء أو المدح ، وقد كانت هذه الكتابة تنسج أو تطرز بخيوط من الذهب أو الفضة أو بلون مخالف للون

وقد كانت صناعة النسيج في الدلتا صناعة منزلية ، فكان النساء يغزلن الرجال ينسجون ، وكان تجار القبايطي يدفعون لهم أجرهم كل يوم ، ولم يكن في وسعهم أن يبيعوا منسوجاتهم إلا للسباسة الذين تعينهم الحكومة ، وكانت أجرة النسيج في أوائل القرن الثالث الهجري نصف درهم كل يوم .

وقد كانت تجارة المنسوجات الخارجية تحت رقابة شديدة ، تكاد تكون محتكرة من الحكومة . ولم تكن ديبق وحدها المركز الهام لصناعة المنسوجات في مصر في هذا العصر ، بل كانت هناك مراكز أخرى منتشرة في البلاد لا تقل أهمية عن ديبق أن لم تفقها ، منها على سبيل المثال كيا وردت في كتب الرحالة العرب ، فالبيقوبى [٢٨٢ هـ] ذكر أسبيوط واهناس والبهنسا وتيس وشطا والقيوم والقيس وأخميم .

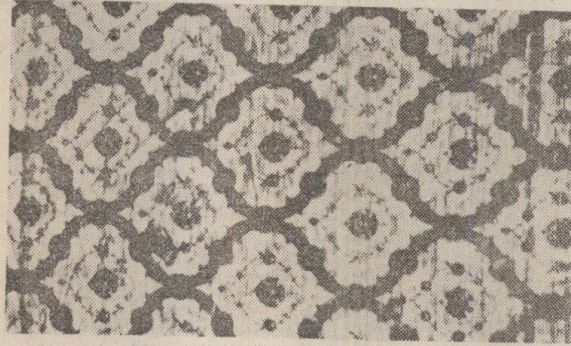
وابن حوقل [٣٣١ هـ] أضاف إلى ما تقدم طبا ودميرة وتونة والشمونين وكرر ذكر البهنسا وشطا وتيس . وكرر الهذاني [٣٣٤ هـ] ذكر تيس وديبق وشطا وأضاف الاسكندرية . وذكر الاصطخرى [٣٤٠ هـ] الاشمونين ودمياط .

ولم يحدث فتح العرب لمصر تغييرا يذكر في حياة القبط ، وقد كان هؤلاء صناعا مهرة استخدمهم العرب في العمل بمصانع النسيج الجديدة التي أنشأها العرب وهي

عن منسوجات القطيفة خاصة في القرن
العاشر الهجري [السادس عشر الميلادي]
في إيران وتركيا ، وكانت المنسوجات
الوبرية من الحرير في معظم الحالات ،
ونادرا ما نجدها من القطن الذي كان
يستخدم في الزخارف البيضاء الناصعة .
على أن منسوجات القطيفة في القرن
العاشر الهجري [السادس عشر الميلادي]
أصبحت تحتوي على زخارف نباتية قريبة
من الطبيعة إلى حد كبير وذلك لأن الوبر
أصبحت قصيرة فلم تطف على الرسم .
ومما هو جدير بالذكر أنه ليس أدل
على قوة حيوية الفن الإسلامي وعظيمة
شخصيته من متابعة ابتكاراتها التي شملت
جميع الفنون ، وجميع النواحي ، وجميع
العصور . ومن السير حقا أن نحضر
مميزات الفنون الإسلامية . فقد امتاز
كل عصر من العصور بأشكال زخرفية
خاصة ، بل أن التطور والابتكار لم يقتصر
على عهد معين ، أو إقليم خاص ، فقد
كان لكل فنان شخصيته التي تميزه عن
غيره ، وكان لمنتجاته خصائص ينفرد بها .

معين على سطح أو سطحي المنسوج
الوبري وذلك حسب الفرض من الاستعمال
والبروز يعرف باسم الوبرة التي قد
تكون مستديرة الشكل على هيئة حلقات
كما في أقمشة [القوط والبشماكير
والبرانس المستعملة للاستحمام وتستخدم
للخفيف] أو مقطوعة الأطراف كأنسجة
القطيفة المستعملة في الفرش وبعض
ملابس السيدات .
وكانت زخارف المنسوجات الوبرية في
العصور القديمة قاصرة على الزخارف
الهندسية البحتة ، هناك بعض القطع
عليها رسوم آدمية وحيوانية رسمت بطريقة
هندسية .
وفي أوائل العصر الإسلامي اختلفت
تقريبا المنسوجات الوبرية ، فلم يعثر
على قطع لها قيمتها الفنية ترجع إلى هذه
الفترة : وأن كان اسم منسوجات القطيفة
أو المنسوجات الوبرية قد تردد كثيرا في
مراجع العصور الوسطى ، وقد كثرت
المنسوجات الحريرية وهذا لوفرة المادة
الخام ورخص ثمنها ، وقد بدأنا نسمع

في صناعة الأكلية . ولذلك يمكننا القول
بأن نسيج القباطي مصري من حيث النشأة
والفكرة والوسيلة ، ومن هنا حق للعرب
إطلاق كلمة [قباطي] عليه .
وقد انتشرت صناعة القباطي في معظم
بلاد الشرق الأوسط وخاصة إيران .
ومنذ القرن السادس عشر ، أقيمت
إيران وتركيا على إنتاج منسوجات القباطي
عندما كانت أوربا تنتجه بأسماء مستعارة
[جوبلان] و [أيسون] .
نسيج الزردخان :
ومن المنسوجات التي انتشرت في
القرن السابع الهجري [السادس عشر
والزردخان كلمة فارسية معناها دثار
السلاح .
على أن الاستاذة الدكتور سعاد ماهر
تري أنه لعل السبب في اتخاذها اسما
لهذه المنسوجات أن الزروع المتخذة من
الزرد المانع وغيرها من الأسلحة ، كانت
تغطي ببطقة من نسيج سميك مزرقي
من الحرير الأصفر والأحمر وغير ذلك .
نسيج الديباج :
كما عرفت العصور الوسطى نسيج
الديباج . وإذا بحثنا في المعاجم اللغوية
نجد أن الديباج من الديج ، وهو النقش
والقزير ، وقيل الديباج هو التلط ، وقيل
هو الزرق أي الثوب الرقيق حسن الصنعة
وجاء أيضا أن الديباج ضرب من الثياب
الخضر تبسط . وجاء في وصف الخوير
الاستيرق ما خشن من الديباج ، ومازق
من الحرير فهو ديباج . والبندس نوع
رقيق من الديباج . أما في دائرة المعارف
فجاء فيها : الديباج نسيج من الحرير
مختلف الأجناس استعمل كثيرا في العصور
الوسطى في الشرق .



لوحة [رقم ٣]

غطاء قبر من الديباج المصنوع من الحرير الخالص وخيوط الذهب والفضة
مصانع أصفهان أو يزد . أوائل القرن السابع عشر الميلادي .



لوحة [رقم ٤]

ستر من القطيفة الحمراء . من المرجح أن تكون من صناعة أصفهان .
القرن السادس عشر أو السابع عشر الميلادي .

المنسوجات الإسلامية وزخرفتها

في مصر في العصرين العباسي

والطولوني :

دخل الإسلام مصر على يد

عمر بن الخطاب أيام الخليفة

عمر بن الخطاب ، وظلت مصر

في [النيابة] أيام الخلفاء

الراشدين ودولة بني أمية ودولة

بني العباس . وفي أيام

العباسيين كان الولاة الذين

يعينون على مصر من الأتراك

الذين يبقون في بغداد ويرسلون

نوابا عنهم يديرون شئون مصر

ويرسلون لهم الفائض من الإيراد

وفي سنة ٢٥٤ هـ قدم إلى مصر أحمد ابن طولون التركي نائباً عن الأمير [بابك] الذي قلد مصر من قبل الخليفة وقد استطاع بدهائه أن يستقل بمصر وينشئ الدولة الطولونية .

ومما يلاحظ أن فتح العرب لمصر سنة ٦٤١ م لم يحدث تغييراً يذكر في حياة القبط ، وقد كان هؤلاء صنّاعاً مهرة استخدمهم العرب بكثرة في بناء المساجد والقصور وفي العمل بمصانع النسيج الجديدة المهمة بدور الطراز . وقد أطلقت كلمة طراز على الشريط المشتمل على كتابة منسوجة أو مطرزة . كما أطلقت على الأقمشة المزخرفة بهذه الطريقة ، وكذلك على المصانع التي تنتج هذه الأقمشة . وقد نسجت تلك المصانع التي كان بعضها مقاما في قصر الخلفاء أنفسهم ثياب فاخرة محلاة بشريطة « الطراز » . وجرت عادة الخلفاء أن يخلعوا هذه الثياب على كبار أصحاب الوظائف مرة على الأقل كل سنة ، واعتبرت هذه الخلع بمثابة الأوسمة والنياشين . وكان اسم الخليفة ينقش في شريط « الطراز » تسجيلاً لحكمه وسلطانه .

وقد ذاعت شهرة دور الطراز في مصر بما أنتجه من المنسوجات الكتانية والحريية والتي كانت تصدر إلى البلاد الإسلامية كسوريا والعراق . وقد وجدت « بسامرا » قطعة نسيج كتانية من القرن التاسع الميلادي تشتمل على كتابة بالحبر تدل على أنها صنعت بمدينة « نيس » قرب بور سعيد ، وكان يعمل بها الثياب الدبقية ، كما اشتهرت

المنسوجات الإسلامية

وزخرفتها في مصر

في العصر

العباسي والطولوني

الأستاذة زينب أحمد طه طه

المنسوجات المصرية في القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة ، ودليل ذلك قطع المنسوجات التي عثر عليها في بعض المدن بالوجه القبلي وفي القسطنطينية وهي من الصوف أو الكتان ولهذا لا يظهر اختلاف كبير بين الأقمشة التي كان يصنعها نساجو القبط لأدنى ملتهم وبين ما كانوا يصنعونه للعرب في عهد الدولتين العباسية والطولونية .

وكانت الزخارف متعددة الألوان ، وأكثرها رسوم طيور أو حيوان أو أشكال آدمية صغيرة في جامات بيضية الشكل متعددة الإضلاع أو موزعة توزيعاً غير منظم ، وفيها أشكال هندسية وخطوط متقاطعة ودوائر متماسكة كما ظهرت الكتابة العربية على المنسوجات منذ القرن الأول الهجري . وفي متحف الفن الإسلامي قطعة من الكتان الأبيض تشبه الأقمشة القبطية وعليها شريط من زخارف به حلقات فيها طيور تقليدية ومنسوج على هذه القطعة بالخط الكوفي البسيط سطر بالحبر الأحمر نصه « هذه العمامة لمسؤول بن موسى عملت في شهر رجب من الشهور المحمدية من سنة ثمان وثلاثين » .

وفي بعض المناطق قطع من النسيج عليها زخارف تشبه الرسوم التي توجد على الجص والخشب اللذين يرجعان إلى العصر الطولوني مما يرجح أن هذه القطع نسجت في هذا العصر .

وفي المتحف الإسلامي عدد من قطع النسيج باسماء الطولونيين . ومن المعروف أن الجسزية التي كانت مصر

بأنوالها الخمسة آلاف وبأنواع الأقمشة الأخرى مثل القصب ، وهو نسيج رقيق جدا من الكتان كان يعمل للمعالم والبذنة والبقلمون وهو النسيج المنوج المتغير الألوان ، وتصنع منه كسوة السروج وأغطية الحاف الملكية . وقد ذكر « ناصر خسرو » الرحالة الفارسي الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي أن إنتاج دور الطراز السلطانية في نيس اقتصر على الخلفاء ولم يكن ينصرف فيه ببيع أو عطاء لأحد غيرهم .

ومع هذا فلم تكن نيس المدينة الوحيدة التي يصنع بها النسيج في مصر بل وجدت إلى جوارها مدينة « تونه » حيث صنعت الكساوي الكتانية الفاخرة الخاصة بالكمية . كما اشتهرت « دبيق » بمنسوجاتها الحريية ، ودبيط بأقمشتها الكتانية البيضاء البديعة التي يملك متحف المتروبوليتان منها قطعة مؤرخة ٣٢٨ هـ [٩٣٩ - ٩٤٠ م] . وذاعت شهرة مصانع أخرى بالإسكندرية وبمدينتي أخميم وأسيوط اللتين كانتا مركزين عظيمين لصناعة النسيج في العصر القبطي وكثيرا ما صدرتا إلى بيزنطة وروما نفائس المنسوجات التي كانت تصنع في الكتان والأديرة .

وكان الأسلوب الصناعي السائد هو انخاذ لحبات الأقمشة من الحزير أو الصوف وسدانها من الكتان . على أنه وجدت بعض الأقمشة مصنوعة كلها من الحرير [سداتها ولحبتها] وغالبها ما كانت توشى بخيوط الذهب .

وقد ظلت الزخارف القبطية غالبية على

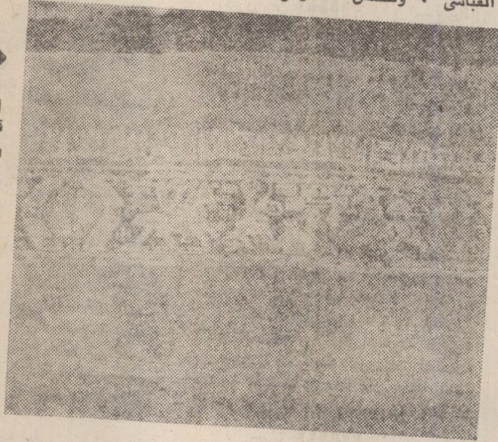
بالحرير والموجودة على بعض هذه القطع تاريخ عام ٢٨٢ هـ [٨٩٥ م] واسم الخليفة العباسي المعتضد [٨٩٢ - ٩٠٢ م] . ونلج من الكتابات الكوفية التي تزين منسوجات تلك الفترة تنوعا زخرفيا كبيرا ، إذ تنتهي حروف بعضها بانصاف مراوح بخيلية [الكوفي المشجر] .

وتوجد قطعة عليها كتابات باللون الاسود تتضمن اسم الخليفة الطيع لله [٩٤٦ - ٩٧٤ م] ولهذه القطعة أهمية خاصة إذ توجد في أماكن مختلفة منها خيوط مذهبة ، مصنوعة من الكتان البني المجدول مع اشربة رفيعة من الجلد المطرون بالذهب . ويرجع أقدم ما نعرفه من الاقمشة ذات الخيوط المذهبة على النحو السابق الى القرن العاشر ، والراجح أن هذا الاسلوب اسلامي صرف وليس بيزنطيا كما يعتقد البعض .

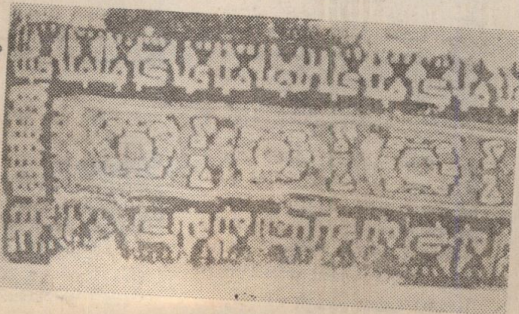
اعداد : زينب أحمد مصطفى طاحون
استاذة مساعدة بالمعهد العالي للاقتصاد
الانزلي .



[لوحة رقم ١]
قطعة قوام زخارفها
رسوم فرسان
واشخاص وطيور
وحوانات وصلبان
- القطعة محفوظة
بمتحف الفن
الاسلامي بالقاهرة .



[لوحة رقم ٢]
جزء من وشاح أو
شال من الصوف
الاسود من العصر
الطولوني - القطعة
محافظة بمتحف
التروبوليتان .



طيور محورة تحويرا شديدا نسجت باللون الابيض والاصفر والاسود على أرضية حمراء ، وظاهرة التحوير الشديدي التي تلاحظها على الرسوم الادمية والحيوانية هي خاصية من خصائص منسوجات العصر الطولوني .

وقد سار العمل في دور الطراز على تزيين الاقمشة المنسوجة من كتان بزخارف من الحرير ، ومن أقدم المنسوجات التي عثر عليها من انتاج دور الطراز قطعة بمتحف الدولة ببرلين سجل عليها اسم الخليفة هارون الرشيد واسم النسيج مروان بن مرعي ، وقد نسج ما عليها من الكتابات الكوفية والاشكال الهندسية بخيوط من الحرير المتعدد الألوان . وفي متحف الفن الاسلامي بالقاهرة قطعة تشبه السابقة عليها اسم الخليفة الامين بن هارون الرشيد [٨٠٩ - ٨١٣ م] وهي من صناعة مصر .

ويوجد بمتحف التروبوليتان مجموعة طيبة من الاقمشة التي تزيينها اشربة « طراز » وزخارف أخرى من العصر العباسي ، وتتضمن التصويع المطرزة

ترسلها الى الخليفة العباسي ثم الهدايا التي أرسلها ابن طولون الى الخليفة المعتضد ، وكذلك التي أرسلها خبارويه من بعده الى المعتضد كان فيها شيء كثير من المنسوجات النفيسة : ومن هذه واحدة باسم الخليفة المعتضد تاريخها ٢٧٨ هـ وتشبه قطعة أخرى باسم المعتضد أيضا وجدتها البعثة الألمانية في « سامرا » وهي محفوظة الآن بالقسم الاسلامي بمتحف برلين . وهناك قطع أخرى باسم الخليفة المكتفي بالله والامير الطولوني هارون بن خبارويه تاريخها ٢٩١ هـ .

وظل الخلفاء العباسيون في عهد الاخشيد يستمدون من مصر أكثر ما يلزمهم من المنسوجات النفيسة المحلاة بكتابات كوفية تتضمن العبارات والادعية المعروفة غير أن أسماء الوزراء لم تصمد تظهر في تلك الكتابات .

ومن المنسوجات التي تنسب الى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة مجموعة من القطع يرجح أنها من صناعة الفيوم ، والذي يرجح ذلك ورود اسم هذا الاقليم في كتابة على قطعة منها محفوظة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة [لوحة رقم ١] . وفي هذه القطعة شريط أحمر به جمال بيضاء وخضراء مرسومة في اسلوب تخطيطي بسيط دون مراعاة للنسب أو محاكاة للطبيعة ، وتحت هذه الرسوم كتابة بيضاء أو بنية حروفها غريبة ولها ذاتية خاصة ونص هذه الكتابة [سعا] ده ونعمه كائلة لصاحبه مما عمل في طراز ببطور [؟] من كور الفيوم . واسم هذه البلدة غير معروف ولكن الكتابة تدل على نسبة هذه المجموعة من المنسوجات الى اقليم الفيوم . ومن بين هذه المجموعة قطعة قوام زخارفها رسوم فرسان واشخاص في مناطق مسدسة وطيور وحوانات وصلبان صغيرة [لوحة رقم ١] .

وكان قماش اللشاش المستخدم عادة في العمام والوشحة ، ينسج من الكتان الاسود أو من الصوف المحلي بالاشربة المنسوجة . وتشتمل اشربة الطراز في منسوجات العصر العباسي بمصر على كتابات كوفية متنوعة وبعضها ما وصلنا من هذه الاشربة يحمل تاريخ أو مكان صناعة القطعة .

ويتمتع التروبوليتان بمجموعة من المنسوجات تمثل النوع المتقدم . ومن القطع الجديرة بالاهتمام جزء كبير من وشاح أو شال من الصوف الاسود [لوحة رقم ٢] محلى بالاشربة مختلفة العرض ومنسوجة من الصوف والكتان باللون متعدد ، وتتكون زخارف الشريط الرئيسي من جامات تضم تعبيرات زخرفية مختلفة ويفصل بعضها عن بعض أشكال



الطرز المغولي الهندي السجاجيد الهندية

الأساتذة
فتحية فورم



بدأت بشائر الطراز الهندي الإسلامي الوطني في عهد الأسرة التيمورية المعروفة بأسرة [كبار المغول] ورأى لها « بابر » وتطور هذا الطراز وانتشر فيما يسمى بعهد الباتانيين . وفيه معارضة واضحة للتيارات الفنية الهندوسية وظاهره يذكر بالاشكال الإيرانية . لكنه في الحقيقة يغترف من تقاليد ثابتة ويتبع تطورا أصيلا . وفي عهد همايون [١٥٢٠ - ١٥٥٦ م] الذي عاش سنين عديدة في بلاط الشاه تاهماسب قبل خلعهم يمكن التثبت من وجود نفوذ فارسي ، ما لبث أن انتهى في عهد أكبر [١٥٥٦ - ١٦٠٥ م] نتيجة لنهضة المثل الوطنية العليا التي بلغت أوجها في عهد خليفته جيهان جير ، والشاه جيهان [١٦٢٨ - ١٦٥٩ م] ثم تلاها الجمود تدريجيا .

الضيقتين من الصحن الكبير ذي البوابة وبناية بوابة شايخة على هيئة الجوسق في أحد الجانبين العريضين . وقد شيد شاه جيهان في مجموعة القصر في أجرا : مسجد اللؤلؤ (١٦٤٨ - ١٦٥٥ م) وقد بلغ الذروة في دقة شكله واتقانه .

وهو مشيد من الحجر الرملي الأحمر من الخارج ودخله كله من الممر الأبيض وبه عقود مستننة أنيقة .

وكانت القصور الهندية في القرن الخامس عشر تنبع إلى حد ما طراز العصر الباتاني وفي مقدمتها مقر راجان سنغ في جوالبار .

وبذلك ارتبطت الفترة المغولية بماضي الإسلام في هذه المنطقة . وبقيت العناصر الهندية مفضلة في عهد أكبر لتساحه الديني .

ثم تراجعت في عهد خلفائه أمام الفكرة الهندية الإسلامية وتعد العاصمة الجديدة « فاتح بورسكري » أهم منشآت أكبر .

الاقمشة :

أحرزت صناعة الديباج المقصب والمخمل تقدما كبيرا في الهند الإسلامية خلال القرن السابع عشر مما يوحى باستنادها إلى صناعة المنسوجات في إيران - وامتاز أسلوب العرض بأعواد الأزهار المصفوفة في زوجين متقابلين أو أزهار مفردة أحيانا .

وكانت هناك تنوعات ولكن من الميسر تمييزها دائما عن المنتجات الإيرانية . وعلى كل فقد استمر التطوير بوجه عام في نطاق الفن الشعبي المذهب .

السجاجيد الهندية في العصر المغولي : اشتهرت الإبسطة الهندية بجمال رسومها وألوانها الرائعة وفخامتها هذا ولا تختلف الإبسطة الهندية المغولية عن التصوير الهندي المغولي في أنهما أخذتا أصولهما جميعا عن الفن الإيراني .

وكانت مدينة أجرا هي عاصمة الهند في أول ذلك العهد ، ثم حلت محلها مدينة فاتح بورسكري التي أنشأها أكبر سنة ١٥٦٩ م واستمرت حتى سنة ١٥٨٣ م . وتلتها لاهور ، ثم أجرا مرة ثانية . فمدينة دلهي في النهاية .

وشهد القرن السابع عشر عهدا جديدا من الازدهار الفني لم يبق منه مع الأسف غير أطلال .

والى جانب أباطرة المغول برز أمراء مسلمون آخرون كان لهم شأن في ازدهار الحضارة والفن خلال القرن السادس عشر والسابع عشر خاصة في المنسوجات وتصوير المصغرات بصورة لا مثيل لها في البلاد الإسلامية الأخرى .

وقد احتلت الأضرحة المقام الأول في العمارة الإسلامية بالهند خلال المرحلة التالية وقد امتازت بفخامة أشكالها وأهميتها البارزة من حيث المظهر المعماري العام واتخذت القباب هناك شكلها المميز الشبيه بزهرة اللوتس أو البصلة .

وأهم هذه التينات في القرن السادس عشر هو ضريح شيرشاه في ساهسارام ويبدو ككله منسقة بارزة في الماء تحف بها شرفات بديعة رائعة - أما ضريح الإمبراطور أكبر المشيد في حداثق سيكندره .

فيبدو بهوا مديدا ذا أوراق هوائية متعددة الطبقات .

المساجد .

وفي بناء المساجد احتفظ المغول بالتقاليد القديمة وروى تلاميذ الباني لأظهار فخامتها - وبعد المسجد الكبير في بيجابور من أهم الأمثلة في القرن السادس عشر . وبه قاعة كبرى مقببة في الوسط . وقباب صغيرة فوق كل مربع بقاعة الدعام .

وفي مسجد [فاتح بور سكري] ثلاثة أبهاء متجاورة للصلاة بأحد الجانبين

ويقول المؤرخ أبو الفضل: " رغب
الإمبراطور أكبر [١٥٥٦ - ١٦٠٥]
أن تصنع بالهند أنواع عديدة مختلفة من
المسجات الفاخرة - فمهد بهذا إلى
نفر من أهل الخبرة والدراية الذين
انتجوا الكثير من الروائع المدهشة وبهذا
قل اهتمام الناس بالابسطة الإيرانية
والطورانية .

مع أن التجار استمروا يستوردونها
من جوشقان [بين قاشان وأصفهان]
وخرزستان [وعاصمتها مدينة تستر]
وهمان وسيزوار [بإقليم خراسان] .
وقد أقام ببلاد الهند كثيرا من ناسجي
الابسطة بكافة أنواعها وبرجع اليهم
الفضل في ازدهار تجارتها هناك .
وأنشئ كثيرون منهم بالمدن المختلفة
ولا سيما أجا وفتح پور ولاهور .

ويمكن القول أن ما نسج من ابسطة
هندية في ذلك العصر تأثر تأثرا واضحا
بالابسطة الإيرانية - وقد عهد النساجون
الهنود الذين عملوا في مصانع الدولة
أيام أكبر وجهانجير [١٦٠٥ - ١٦٢٨]
وتحت إشراف أساتذتهم من الإيرانيين
إلى محاكاة الابسطة المحلاة برسوم
الازهار والمصنوعة في إيران . وتحفظ
المناحي العالية والمجموعات الخاصة
بعدد من الابسطة المغولية الهندية -
يوجد أهمها بمجموعة مهراجا جابور .

وتعرف تلك الابسطة باسم الابسطة
الهندية والأصفهانية . وهذه الابسطة
التي كانت تنسب إلى إيران خطأ -
يمكن تمييزها عن الابسطة الإيرانية
بأنشغالها على اللون البني المائل إلى
الحمرة والبرتقالي الداكن وهي ألوان لم
تكن معروفة في الابسطة الإيرانية
الأصفهانية ثم لم يلبث النساجون الهنود
أن أدخلوا في رسومهم العناصر الطبيعية
من نبات وازهار وموضوعات آدمية .

وتجلى في رسوم الابسطة الهندية
الحرية في التعبير أكثر مما في رسوم
الابسطة الإيرانية التي اتخذت نماذج
للسابقة ويرى ذلك واضحا في عدد من
الابسطة ذات الصور أحدها بمجموعة
ويندر المتحف الإلهي بواشنطن . والآخر
بمتحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطن .

ويوجد بمتحف المتروبوليتان ببساط
كبير يبيع بعد من أقدم الابسطة المغولية
الهندية ويرجع تاريخه إلى حوالي عام
١٦٠٠ وقد جاء هذا البساط وغيره من
مجموعة لورد بساكفيل وتزينه رسوم
الاشجار والشجيرات التي تتخللها
الاشكال الحيوانية - ومع أن الموضوع
مستمر من الابسطة الإيرانية إلا أنه أكثر
وضوحا وحرية من حيث التركيب العام
للموضوع الزخرفي . ومن حيث الواقعية
في تصوير المناظر الطبيعية والدقة
الظاهرة في استخدام الألوان . التي
يظهر من بينها الأحمر المائل للصفرة
القائبة .

وفي المتحف السابق ببساط كبير يبلغ

طوله ثلاثون قدما . ورسومه في غاية
التناسق والانسجام بما تصويه من
التفريعات الزهرة والأوراق المسنة
والمراوح النخيلية ، على الأرضية
الحمراء . ويتكون اطاره من جامات
وخرطوشات ومراوح نخيلية وسحب
صينية . ويظهر من التصميم التأثير
الواضح بابسطة هراة وكرمان غير أن

ألوانه الداكنة . وبعض تعبيراته الزهرة
تجعله ذا أسلوب هندي خالص . والكثير
من تفاصيل هذا البساط تذكرنا ببساط
هندي مشهور تملكه شركة جرولرز بلندن
- وقد صنع بالمصانع الإمبراطورية في
لاهور لروبرت بل ، الذي أهداه للشركة
عام ١٦٣٤ .

ويمكن إرجاع البساط المصور في هذا
المقال إلى عصر شاه جيهان . وعلى
الرغم من أن موضوع الرسم مستمد من
أحد أبسطة هراة إلا أنه يمتاز بوجود
بعض التعبيرات الزهرة الهندية الأسلوب

وشغل أرضية توزيع منظم لجامات
صغيرة ، موصولة بفروع تحمل أوراقا
نباتية كبيرة ومراوح نخيلية وأزهار
الزئبق وغيرها من الازهار ذات الألوان
الجميلة على أرضية حمراء خضراء -
وأطار البساط هندي أصيل وتزينه
اشكال الزهور والنباتات الطبيعية

الزهرة على أرضية زرقاء مائلة إلى
الخضرة - وتظهر الوبرة الصوفية
الجميلة بلمعة حربية . أما الألوان
وتنسيقها فنلج فيها الذوق الهندي لا
الإيراني ويزيد في جمالها ما احتوته
من رقة ولطف وشاعرة الزخرفة برسوم
النباتات الطبيعية التي نشاهدها في أطار
ذلك البساط كما توجد لتزيين جميع
الابسطة مما صنع للشاه جيهان ورجال
بلاطه . وبمجموعة مهراجا جابور عدد

وقير من الابسطة من عصر شاه جيهان
وقد صنعت للقصر الذي بنى في
مدينة غير حول عام ١٦٣٠ .
وهناك نماذج كثيرة في مجموعة
مهراجا جابور . وتبدو زخارفه كتعريشة
عنب تتخللها النباتات الطبيعية . وتضم
مجموعة اللتان بمتحف المتروبوليتان
عددا من أبسطة من هذا النوع .
وتتكون التعريشة في أحدها من تفرعات
أزهار ومراوح نخيلية على أرضية حمراء
خضراء داكنة .

وقد فاق النساجون الهنود عصر شاه
جيهان ، من ناحية دقة الصناعة وجمالها
أساتذتهم الإيرانيين .

فلاحظ أن السجادة السابقة ذات
التعريش تحتوي على ٧٠٢ عقدة في
البوصة المربعة . وفي مجموعة اللتان
قطعة من بساط من الصوف تشتمل
البوصة المربعة فيه على ١٢٥٨ عقدة .
وأننت الهند كذلك أبسطة حريرية
وبلغ من ازدهار العقد في بعضها أن
بدت كالأقمشة المخملية .

ويرى ذلك في جزء من بساط
بمجموعة اللتان تزينه المناظر الطبيعية
وتضم البوصة المربعة منه عددا غير
مألوف من العقد مقداره ٣٥٥٢ عقدة .

المراجع العربية
[١] فنون الإسلام الدكتور زكي محمد
حسن سنة ١٩٤٨ الطبعة الأولى .
[٢] الفن الإسلامي د . آرستكونيل
[٣] الفنون الإسلامية م . س .
ديماند سنة ١٩٥٢ .

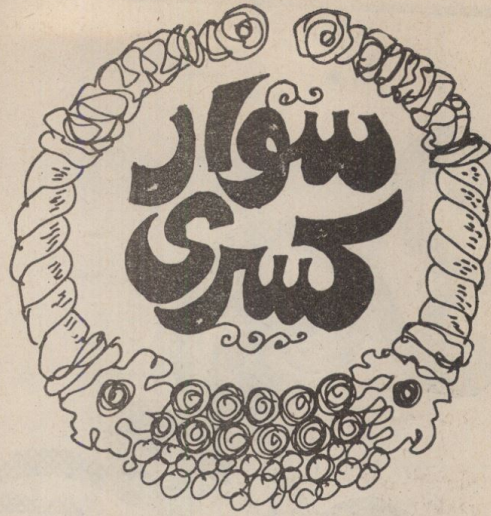
ترجمة أحمد محمد عيسى .
[٤] تاريخ الزخرفة : محمد توفيق
جاس سنة ١٩٦١ .
صورة بساط هندي مفصل من القرن
السابع عشر .



جزء مفصل من بساط هندي القرن [١٧]



□ ٢٢٩ □



الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي



□ ٢٢٠ □

اليوم : هو الرابع من شهر ربيع
الاول - ٢٠ من يونيو عام
٦٢٢ م .

والمكان : هو الطريق بين مكة والمدينة
على بعد أميال من مكة .
« وهناك هناك رجالان تشبحان بيسيران
بعيدا بعيدا ، على جملين يمرحان
ويختلان في جوف الصحراء » .

الذى يدلها الطريق ، فلبس سراقة سلاحه ،
وامتطى جواده ، وانطلق في أثرهم يسير بين
الصخور والجبال .

وكاد سراقة يبلغ الرسول ، حتى لقد سمع
قراءه وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات
وما هو الا أن ساخت رجل فرسه في الأرض ،
فنزله من فوقها وأقامها ثم ركبها ، حتى كساد
يصل الى الرسول صلوات الله عليه وسلامه
وأبى بكر ، وهتف قائلاً :

يا محمد ، ان قومك قد جعلوا نيك الدية ،
وانى خرجت أطلبك ، وأطلب بطلبك المجد
والشهرة ، والمال ، وكبا به فرسه مرة
أخرى ، فأقبلها ، وضرب القداح يستشير
الالهة ، أيستأنف السير ، وأشارت عليه
الالهة : ان لا ، ولكنه ركب جواده ، وانطلق
في أثر محمد وصحبه ، حتى أصبحوا منه على
مقربة شديدة ، فلكن جواده ، ولكنه كبا به
كبوّة شديدة ، والقي به بعيدا ، حتى كان
سراقة يقول فيما بعد ، وهو يقص قصته :
لقد شعرت حينئذ أنه قد قدر أن تفوز قضية
محمد ، فأقلعت عن فكرة اغتياله أو أسره ،
وهتفت : أنا سراقة ، أنظرونى أكلبكم ، فوالله
لا أريكم ولا يأتيكم منى شيء تكبرهونه ،
والتفت الرسول وصاحبه اليه ، فماقترب
منهما ، وقص عليهما قصص الناس وما
يريدونه بهما ، وعرض عليهما سراقة الزاد
والمتاع ، فلم يأخذا منه شيئا ، وقال له :
أكتم عن الناس خبرنا ، وطلب الى محمد أن
يكتب له كتابا يكون آية بينه وبينه ، فأمر
الرسول أبا بكر أن يكتب له الكتاب . . وفجأة
يلتفت الرسول صلوات الله عليه وسلامه الى
سراقة ويقول له : كيف بك يا سراقة اذا
لبست سوارى كسرى ومنطقته وتاجه ؟ ثم
يسكت ، ويسكت سراقة بهورا متعجبا
مشدوها ، وكأنه قد انتقل من دنيا الناس الى
عالم الاساطير :

كبرى - سواره وتاجه !!

ورائد الرجلان في هذه الرحلة الطويلة في
طريق الساحل بين مكة والمدينة هو عبد الله
ابن أريقط .

وخلفهما من بعيد يعدو شاب قوى جلد على
جواد أصيل ، وهو يحث جواده لبلحق
بهما . .

أما الرجلان فهما من هما ، وما أدراك من
هما ؟

رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله
عليه ، ورفيقه أبو بكر الصديق رضى الله
عنه .

وأما الشاب الذى يعدو خلفهما بفرسه فهو
سراقة الكنانى . .

كان محمد صلوات الله وسلامه عليه في
هذا اليوم في رحلته الخالدة ، وهجرته المأجدة
الرائدة هذه الهجرة التى أعز الله بها
الاسلام ، وجعلها فتحا مبينا للمسلمين .

وكان قد خرج مهاجرا من مكة ومشركيها ،
ليشيد للاسلام صرحا منيعا في المدينة بين
الانصار والمهاجرين ، وكان رفيقه في هذه
الرحلة الميمونة الصديق أبا بكر . . هذه
الهجرة التى كانت معجزة للاسلام وبنى
الاسلام ، ويوما مجيدا ، حفظ قصته الزمن ،
وردت بطولته الاجيال . . بل لقد وقف
التاريخ حيال الهجرة معجبا مشدوها ، يتدبر
ليفهم آيتها الكبرى ، ويمعن ليدرك أسرارها
المعجبية ، وأثارها العظيمة على الحياة
والانسانية .

وأما سراقة فكان غنى من مكة خرج حين
هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه
وأعلنت قريش عن جائزة قدرها مائة جبل لمن
يقبض على محمد وصاحبه - يبحث عن الرسول
صلى الله عليه وسلم ورفيقه ليردهما الى
بلدهما مكة ، حتى ينال الجائزة الموعودة ،
وكان سراقة رجلا قويا ، متين البنين ، أخبره
اعرابى انه رأى ثلاثة نفر مروا عليه يعتقد
انهم محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه والراؤد

ويضي الركب لطيفه ، ويسير محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه ورفيقهما متجهين صوب المدينة ، ويعود سراقه الى مكة مختفيا عن الانظار ، مبهورا بما رأى وبما سمع ، ويصل الرسول الى المدينة فى الثانى عشر من ربيع الاول - ٢٨ يوليو عام ٦٢٢ م ويستقبل فيها استقبالا لم تشهده المدينة من قبل .

- ٢ -

وتجر الايام ، وتمضى الاعوام ، ويلتقى الرسول صلى الله عليه وسلم ربه تعالى ، ويموت من بعده خليفته أبو بكر ، ويحيى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وتمتد الفتوحات الاسلامية ويمضى جيش المسلمين فى فتح امبراطورية فارس ، وتهزم جيوشها فى موقعة القادسية عام ١٤ هـ ، ثم يتحدر جيش المسلمين الى المدائن فيأخذها ويصلى فيها سعد بن ابي وقاص صلاة الفتح ، ثمانى ركعات وغنم المسلمون غنائم لا تحصى ، وشاهدوا فرسا محملا بذخائر كسرى : حليته ووشاحه ودروعه الخلاة والجوهر ، فأخذوه . ثم شاهدوا فرسين آخرين فأخذوهما وكانا يحملان حقائب ، فيها تاج كسرى وثيابه المصنوعة من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر كما استولى المسلمون كذلك على درع كسرى ومعها درع هرقل ودرع خاقان ملك الترك ودرع ملك الهند ، ومما استولوا عليه تمثال على صورة فارس كله من الذهب ، وسرجه من الفضة ، وصدرة محلى بالياقوت والزهرد وعليه فارس كله من الفضة ، وتمثال آخر لثاقفة من فضة محلاة بالذهب وعليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر ، وقسم قائد الجيش سعد بن ابي وقاص الغنائم بين المسلمين . وحمل تاج كسرى وجواهره ، الى عمر ، ولما شاهدهما عمر قال : ان توما ادوا هذا لذوو امانة ، فقال على : لقد عففت نعتت الرعية .

وكان من الغنائم بساط لكسرى طوله ستون قراعا ، وعرضه مثلها ، فيه طرق وانهار واشجار ورياض ، فبعث به سعد الى الخليفة

ومن بن الخطاب .

- ٢ -

ولم يلبث عمر ان دعا سراقه بن مالك الكنانى ، فدخل عليه ، فاستدناه منه ، وألبسه سوارى كسرى وتاجه ومنطقته ، وقال له عمر : ارفع يدك وقل الله اكبر الحيد لله الذى سلب السوارين كسرى بن هرمز الذى كان يقول : انا رب الناس ، وألبسهما

□ ٢٢٢ □

سراقه رجلا اعرابيا من مدلج . ورمى عمر صوته ينادى الناس ، ثم أركب سراقه ، وطيف به فى المدينة ، والناس من حوله يحتفلون بالنصر ، ويصدقون الرسول الاكرم اظهار المعجزة جليلة ، حين بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم سراقه بأنه سيلبس سوارى كسرى ، بشره بذلك وهو مهاجر من مكة الى المدينة ، فارا بدينه من مكة ومشركيها ، بشره بذلك والمشركون يكادون يفتكون به ، والرسالة معرضة للخطر ، بشره بذلك وهو لا يملك من اسباب الدفاع عن نفسه ورسالته شيئا ، ولا يحلم أحد بان جيوش الاسلام ستفتح العالم كله فى اقل من قرن من الزمان .

انها حقاً لمعجزة من معجزات نبي الاسلام ، وسر من أسرار الرسالة حقته الايام ، وما أكثر معجزات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآياته الباهرات ، وصدق الله العظيم فيما يقول فى كتابه الحكيم : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

لقد كان موكب سراقه فى المدينة موكبا خالدا ، شهدته الانسانية وهى تتبسم ابتسامة الجد والفرح ، وسطع نور الرسالة فى كل مكان ، رسالة الحرية والاخاء والمساواة ، رسالة الحضارة والمدنية والعلم والعرفان ، رسالة الاسلام عقيدة التوحيد والعدل والحب والسلام .

- ٤ -

وكما ثبت كلمة الله بهذا النصر المبين ، تمت كلمة الله من قبل هجرة رسول الله الى المدينة ونجاته من أيدي المشركين هو وصحبه الكريم وكان موكب أهل المدينة فى استقبال رسول الله وصاحبه أبى بكر مع بساطته - من أروع المواكب الخالدة فى تاريخ الانسانية الطويل الممتد .

وكان هذا الموكب مقدمة لمواكب رائعة منتصرة فى بدر وفى خيبر وفتح مكة ، ومقدمة لموكب رسول الله والمسلمين فى عرفة يوم حجة الوداع .

انها مواكب الايمان والحق والتوحيد والحرية التى حملها الاسلام للناس كافة . ولولا الهجرة لعاشت الانسانية حتى اليوم فى الظلام والوثنية والاستعباد ، ولما سارت مواكب العلم والتقدم والحضارة تشق طريقها فى كل مكان .

ولولاها لما كان احتفال المسلمين فى المدينة بسراقه الكنانى ، وهو احتفال النصر العظيم .

الحمد لله



الشعر الإسلامي

الحمد لله

بأسرار الكعبة المشرفة وقبر الرسول عليه الصلاة والسلام

الحجاء

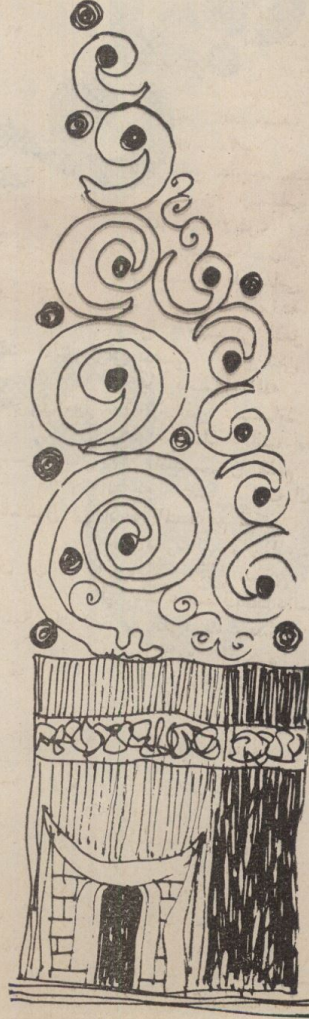
ولما ذهبنا للحجاء ونوره
وضاعت لنا تلك الربوع الزواهي
وفاح أريج المسك في كل بقعة
من الأرض أخطوها فيا طيب خطوبها
كان تراب الأرض مسك وعنبر
واين أريج المسك ممن طيب شمها

الكعبة المشرفة

لدى الكعبة الفراء طابت مشاعري
وأيقنت أن هذا محط رحالي
هناك حططت الحمل أوزاري التي
ينوء بها ظهري وقلبي وصدرها
وأسلمت وجهي للكريم الذي له
من العفو والإحسان ما ليس خافيا
ولما تجلى وجهه ربي برحمته
فعمت جميع الأرض حتى الرواسيا
تفكرت في هذا البناء وما به
من السر ، يبدو شامخا متعاليا
إذا أبصرت عينك في طوله الذي
يحد ، وفي عرض له متوازيا
عجبت لما لا يدرك الفهم كنهه
أملء السما والأرض : ملء فؤاديا
بناء من الأحجار لكنه اكتسى
بنور من الرحمن يسخر بالضيا
فلو أبدلت أحجاره من زبرجد
وماس وياقوت ، وصيغ لآليا
لما كان في هذا الحلال الذي بدا
وكان كمثل النار تخبو لآليا
أرادة مولانا إذا شاء رفعة
لشيء : ترى فوق السماء الاراضيا

عين زمزم

ومن زمزم أروييت قلبي وغلتي
وديني وإيماني ، وقد كنت صاديا
إذا نقتها بالحس : لم تدر طعمها





لقد زال غنى الرق : يوم ملكنى
فانعم بملك كان فيه غنائيا
غنى من الدنيا بحدك سيدى
آدم على الحب مولى المواليا
لقد ذلت كل الصعاب لانتى
تذلت فى حبي لكم واتباعيا
حبيبى رسول الله ، جدى ، وسيلتى
أريدك فى الآخرة ، فخذ بيمينيا
فانت رحيم العالمين فضمنى
الى صدرك الحانى ، وكن بجواريا
وانت الذى أولاك ربى سماحة
وعزا ، فهب لى العز يا نور قلبيا
وانت الذى أولى بنفسى ، ومن تكن
له يا رسول الله : أصبح ناجيا
حبيبى رسول الله : انى عاتذ
بخير معاذ : أنت أنت معاذيا
الوذ بمن لاذ النبيون كلهم
به يوم حشر : أنت أنت ملاذيا
ايقل أن ادعو الكريم فينتنى
عن الفتى - لا والله - أنت غنايا
مناى من الدنيا رضاك : فان تكن
على ابنك غضبانا فيا سوء حظيا
وحاشاك أن تغضب على ابنك سيدى
وقد أشعل الوجد المبرح صدريا
وقد قلت : ان المرء مع من أحبه
وها انذا : من ذا له مثل حبيبا

رؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام فى المنام

لقد زارنى سرا ، وها أنا زرتة
جهارا ، وبى من لوعة الشوق ما بيا
ووالله كم قبلت صفحة خده
سعيدا ، فاعطانى الكريمة حانيا
وصار يرضينى ، وقد كنت راضيا
فانعم بجدى راضيا ومرضيا
أزاح رسول الله غنى متاعبى
بلمسة حب أثلجت حر قلبيا
فيا ليت ربى يصطفينى لحبه
فألقاه فى يوم القيامة راضيا

□ ٢٢٥ □

وان ذقتها بالروح : يا طيب ما هيا
عجيب بها ماء ، وليس كمثله
مياه السما والمزن : ينهل هاميا
إذا أعجبت سحب السماء بمائها
لشرب : فمن يشقى مزيد سقاميا
ومن لقلوب مسها فانتك الاذى
فابليس يقويها ، وما زال غاويا
إذا شربت منها نفوس على الضنى
أزالت - بعون الله - كل المعاصيا

قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام

ولما وردت النور : قبر محمد
فيا طيب ملاقيته واثانيا
كسا القبر ربى كل نور وبهجته
وروح وريحان به المسك ذاكيا
واقراءت مولاي السلام وهزنى
من الوجد والتبريح : ما هز قلبيا
وما كنت ادرى أى حسن لقيته ؟
أحسن اللقا ، أم حسن رد سلاميا ؟
بكت طويلا بانتحاب ، وليتنى
بكت الى أن أسلم الروح صاغيا
أحب بكاء عند قبر محمد
يود الفتى لو ينقضى العمر ذاكيا
تذكرت أوصابى ، وكنت اخالنى
لدى قبره واع ، وما كنت راعيا

مناجاة الرسول عليه الصلاة والسلام

وقلت له : يا سيدى جد بنظرة
الى عبدك العانى : تعيد صوابيا
إذا لم تسعنى فى رحابك سيدى
فمن أرتجى ، بل من يكن لى مواسيا ؟
إذا أنت لم تعطف على فمى لننا
بدفع أذى ابليس ، من لتجائيا ؟
وانت الذى أرجو واقصد دائما
لدفع أذى النيران فى يوم بعثيا
حبيبى رسول الله : هل أنت مسعدى
بعطف فأنجو من غواشى الفواشيا

الشاعر على الجعبر طي

□ ۲۳۶ □

...

...

• • •

جروب مجالات قديمة - تلجرام

إن
من أشعر
حكمة

ما أعظمك
يا رسول
الله

فضيلة الشيخ
محمد خليل الخطيب

الحمد لله ذي الاحسان والسر
والملك والمن بالاجساد والنعيم
سبحانه فطر الاكوان اجمعها
وبث فيها من الاسرار والحكم
وصير المصطفى تاج الانام ومص
باح الظلام ورب الجود والمهم
أمدده وبه مد الوجود وقد
أبان تشريفه للناس بالقسم
اثنى عليه بأسمى الخلق خالقه
فأى قدر لمجد الخلق كلهم
باب القبول ، ومفتاح الوصول
وتنوير العقول وهاد سائر الامم
من مثله وآراه الله حضرته
بعينه وحماها سائر النسم
وقد حباه كتابا بينا عجزت
عن سورة منه لمن العرب والعجم
وقد وقاه ضلالا عم بيئته
طفلا وكهلا وفي ابان محتلم
سبحانه رحمة للخلق أرسله
وهاديا شفيعا يوم مزدهم
وبعد فالمصطفى روى به علقت
وكم أرانيه جل الله في حلمي
وما لجأت به لله في نوب
الا وصرت به في عصمة العصم
كم حل مشكلة عندي وكم كرب
جلى وكم نعم منه وكم وكم
أحبته وهو أهل الحب اجمعه
هل غيره فيه ما فيه من التميم
مدحته بل به مدحي مدحت ومن
يمدح امام الورى يفلح ويعتتم
وليس لى مارب الا شفاعته
وأن ارى جاره فى ساحة الكرم
وطالما نال بالامداد مادحه
وصلا بغير مديح فيه لم يرم
وهالك بعض مديحى فى سيادته
فارتع بروضاته واهنا وطب وهم
واهتف بمدحته تلاقى بحضرته
وتبلغ الفوز فى الدارين من أم
يا ربنا بخطيب الانبياء أنل
أبن الخطيب رضاء غير منجزه
واغفر لاشياخه والتابعين ومن
أحبه أو قلاه . وارض بهم
وصل رب على طهه وشيعته
مسلمها ، وانلنا حسن مختتم

أهداب عيني تصلى

الشاعرة رومية القايني

يارب زدني مع الايمان ايماننا
وجنب النفس أحقادا وأضغانا
واملاً فؤادي بحب الناس انهم
من صنع ربي خلاقا ورحمانا
والنفس صنعها الهى من غوايتها
فالنفس امانة بالسوء الوانا
واشغل فؤادي بدين الحق يعصمني
من كل سوء وما نلقاه بهنانا
وانفع بى الناس فى كل الامور فما
اجل أن ينفع الانسان انسانا
واغفر الهى ذنبي اننى بشر
فغفرو من نرتجى يمحو خطايانا
وامدد يديك لنا يا منعمنا كرماً
انا عبيدك تعطينا وترعانا
وكل خفقة قلب فى جوانحننا
تسبح الله شكرنا وعرفانا
وكل عرق سرى فى عمقه دمنا
يوحد الله ايماننا واذعاننا
أهداب عيني تصلى كل آونة
صلاة عبد تقى بات سهرانا
والقلب تتم انفسا مقدسة
باسم الاله تسايحنا وقربانا
ودمع عيني على الخدين منهرا
يترجم الحب والتقديس شكرنا
ان ضاع يا رب عند الناس مكرمة
فعدك الخير كم نلقاه طوفانا
انى اراك معى فى كل سائحة
تضفى ظلالك اكراما واحسانا
انى قصدتك فى كل الامور فمن
سواك يبذل يا ربى عطيانا

شركة المقاولات المصرية «مختار ابراهيم» سابقاً

راعى شركات المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الانشاءات المعدنية
٨ شارع شامبليون - القاهرة ق ٧٧٢٢١ / ٧٨٠٠١ / ٧٤٤٣٥

مع عاماً في بنائ المشروعات الكبرى في داخل وخارج الجمهورية

تعتبر شركة المقاولات المصرية «مختار ابراهيم سابقاً» من كبرى
شركات المقاولات بجمهورية مصر العربية ومن أقدم شركات المقاولات
في تنفيذ المشروعات الكبرى.. وقد قامت الشركة بتنفيذ مشروعات
ضخمة وهيوية بلغت قيمتها الإجمالية حتى ميزانية ٧٣/٧٤ ما يربو
على ٦٠ مليون جنيه في كافة الانشاءات الهندسية والعمرانية من:
إنشاءات مدنية في أعمال المواصلات ومحطات المياه: منشآت بترونية
منشآت صناعية.. إنشاءات سكنية خطوط الأبراج الكهربائية..
محطات محولات.. مشروعات كهربائية.. استصلاح أراضي..
كما تقوم الشركة الآن بتنفيذ مشروعات هامة خارج الجمهورية
وفي مستوى كبرى شركات المقاولات العالمية.

بالجزائر: مشروع كبرى ولايات الريف الجزائري والمساهمة في
مصنع الحديد والصلب الجزائري الدرفلة على المار وتوسيع مصنع
الحديد والصلب الجزائري.

ليبيا: ٧٠٠ مسكن «الينة/ درنة» بالجمهورية العربية الليبية.
المملكة العربية السعودية: الشركة العربية للمقاولات

مؤمل الحج

جاءت اليه مواكب الايمان
من كل ارض اقربت مشقة
تسعى الى الانسام والريحان
خلعت نياجا طالما من فوقها
رمزت الى الدنيا وفي ايمان
ورمت باطماع تجسم شرها
من فوق اعناق بني الانسان
وافت تظهر امرها من غيرها
وتود تنظيفا من الادران
وتعود ثانية الى مكوناتها
ذاك الذي ينساب .. بالايمان
فطرته كف الله حين تخلقت
اوشاحه بمشيئة الرحمن
ذاك الحجيج يسعى يقدم نفسه
لله عن حب .. وعن احسان
بشراء بالامال حيث تحققت
برغائب النبضات والوجدان
بشراء بالنور الذي من حوله
يبدو كآيات من الرضوان
يعلو على كل الوجوه .. فانما
يعلو بنور مشرق .. فتان
من فوق سيماه الذين تسابقت
خطواتهم .. للحج .. في حسابان
ورأوا وميض النور يشرق ساطعا
ويطوف .. كالهالات بالامعان
يا ليتهم لو يغفون لقاءهم
فيما يعزز .. موكب الفرسان
في ساحة الميدان هذي امني
وقفت تبارز جفل الطفيان
نادت على التاريخ انا امة
عربية .. الامجاد والبنيان
لا .. لن نهون .. ولن نلاقى ذلة
ابدا .. فنحن طلائع الشجعان
يا ايها الركب الذي في جمعه
نور الاله .. يشع .. كالطوفان
هيا ادرسوا شوري جميع اموركم
وتفهموا .. لكائد الشيطان
كونوا رجالا مثلما عودتم
من قبل .. فيمافات من ازمان
وكذاك بالامس القريب صنعتهم
مجدا .. علا .. وعلا بكل نفعان
واليوم ينتظر الوجود جميعه
عقبى .. نتيجة .. ساحة الميدان
فتماسكو .. وتأزروا واستعصموا
بالله .. في سر وفي اعلان

الشاعر
أحمد عثمان المرامني



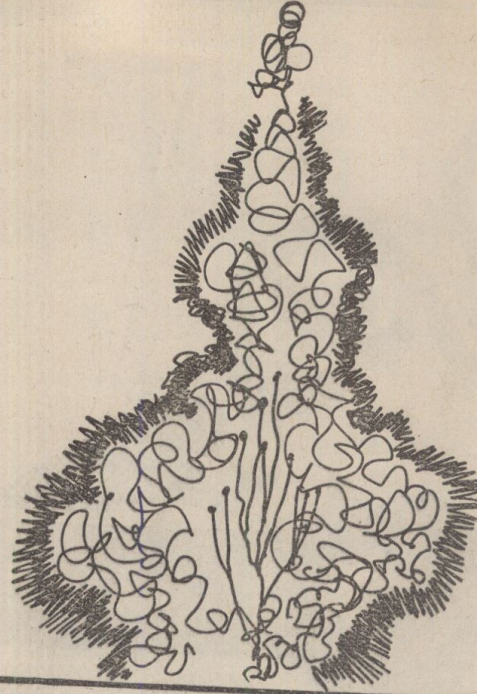
□ ٢٤١ □

بعد هذا الذي قدمناه في
مقال سابق ، وعلى صفحات
هذه المجلة القراء **تحدث القرآن**
الكريم مرة أخرى عن قضية
خلق الإنسان ومادة تكوينه ،
وذلك الحديث هو في واقع الأمر
منسجم انسجاما كاملا مع
ما أثبتته العلم فيما بعد ، وما على
القارئ إلا أن يرجع إلى طبيعة
هذا الخلق ، وإلى حقيقة هذه
المادة التكوينية التي لعبت
الدور الأساسي في تكوينه ،
وفي نشأته ، جنينا ، ناميا ،
متطورا ، حتى انتهى به الأمر :
إلى أن صيرته القدرة [خلقا
آخر فتبارك الله أحسن
الخالقين] .

فلقد تحدث القرآن في سورة
الإنسان عن هذا الخلق ، وعن
طبيعة تلك المادة ، فقال :
[في أجزاؤ ودقة وحسم ،
وروعة] :

« أنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج »
وغنى عن البيان ، أن الأمشاج : جميع
مشيج ، ومعناه : ما تألف من عناصر
مختلفة ، ومواد متباينة ، أو متشابهة .
تحدث القرآن الكريم عن طبيعتها فيما
عرضناه من حديث سابق بأنها : « نطفة
من منى يبنى » [القيامة] ، أو أنه
« خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب
والترائب » [الطارق] .

كما تحدث القرآن الكريم نفسه عن
الموضع الذي تتبع منه هذه المادة
التكوينية وتعتبر مصدرا لها ، بل حدده
تحديدا يستل على كل الإعجاز القرآني
بكل أنواعه ، لاسيما الإعجاز العلمي ،
ذلك : أن العلم قد انتهى في أبحاثه
أخيرا إلى ما أثبتته القرآن قديما : أنه
فيما يتعلق بالذكور فإن مكان الخصية منذ
المرحلة الجنينية تقع فيما بين المبرود
الفقرى ، وعظام الصدر . ومع أن
الخصية : وهي [المعمل الذي يمد
الحياة بالحيوانات القوية] ، تتحرك
من مكانها حتى تستقر في الصفن ،
حيث الظروف الملائمة لتكوين الحيوانات
القوية ، الصالحة لتأدية وظائفها ،
إلا أنه يستمر ارتباطها بمكانها الأول :
ما بين عظام الصلب والترائب ، حيث
تأخذ غذائها الدموي ، والعصبي من
نفس مكانها الأول .



حديث القرآن والعالم عن خلو الإنسان ومادة تكوينه



أولا : تحتوي قناة [فالوب] في نهايتها على أجزاء مثل الاصابع تعمل على مسك البويضة في وقت التبويض .

ثانيا : انفجار حويصلة [جرافيان] وخروج البويضة والسائل الحويصلي بانفداف وتدفع يساعد على اتجاه البويضة في اتجاه قناة [فالوب] استعدادا للقاء الحيوان المتوي للذكر .

ثالثا : أحداث تيار بواسطة الهديبات الموجودة بالنسيج الظلالي البطن لقناة [فالوب] .

رابعا : الحركة الدودية التي تحدث بواسطة الطبقة العضلية اللاارادية الموجودة في جدار قناة [فالوب] .

وعند التحدث عن النقطة الثانية :

وهي الكشف عن حقيقة المسادة : التي تكون [نقطة الإمشاج] التي تحدث عنها القرآن الكريم ، والتي تكون نتيجة لاختلاط نقطة المرأة ، مع نقطة الرجل ، فيتكون منهما هذا المشيج المتكامل : نجد أنه ينتج نتيجة لاتحاد البويضة مع الحيوان المتوي في قناة [فالوب] وذلك بعد أن يقطع الحيوان المتوي رحلته على طول مهبل الأنثى ، ثم عنق الرحم ، ثم التجويف الرحمي ، ثم معظم قناة [فالوب] ، وذلك بواسطة ذيله المتحرك ، حتى يلتقي بالبويضة المنتظرة لقاؤه هناك ، واتحاد البويضة مع الحيوان المتوي يتم عن طريق انزيم خاص يسمى [الهياورونداز] الذي يفرز من رأس الحيوان المتوي ويؤثر على جدار البويضة فيساعد على اختراقها ..

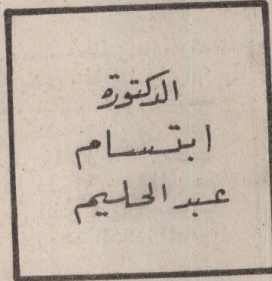
وبذلك نكون [الزيجوت] الذي يتحرك في قناة فالوب إلى أن يصل إلى الفراغ الرحمي وينبت نفسه في الجدار الخلقي لجسم الرحم ..

وما أروع وما أعظم وما أصدق قوله تعالى : « ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » [المؤمنون] .

.. فما تلك الا نقطة الإمشاج بعد اللقاء الحيوان المتوي الذكرى ببويضة الأنثى ، واختلاطهما معا ، واتحادهما ببعضهما في مزيج منسجم متكامل ، بشكل خلق الإنسان في أساسه ، ومادته الحية التي يتكون منها وتتألف عناصره ، وليس بعد هذه الدقة المحسنة في التعبير القرآني عن قضية خلق الإنسان ، ومادته التكوينية ، قول لقائل : أن العلم قد نفى أن يكون للمرأة ماء ومعنى بشكل عنصرا فعلا في حياة الإنسان وتكوينه ، وصديق الله - عليه السلام - قوله « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » [النساء] .

وتأكيد ما أثبتته القرآن دون تناقض أو تعارض .

فبعد التحدث عن النقطة الأولى : التي تدور حول دور المرأة كمصدر أساسي في خلق الإنسان ، ومادته التكوينية ، وهو عنصر ، ودور لا يقل عن دور الرجل : نلجأ إلى الوصف التشريحي والوظيفي لجهاز الأنثى التناسلي : فنجد أن لكل أنثى مبيضان ، ورحم ، في وسط .. حوضها : يقع احد هذين المبايض : في الجهة اليمنى من الرحم ، ويقع الآخر في جهته اليسرى ، وتوجد قناتي [فالوب] على جانبي الرحم : طول كل منهما : عشرة سنتيمترات ، وكل قناة لها فتحتان : فتحة تطل على التجويف البطني ، وفتحة في التجويف الرحمي ، ويوجد بكل مبيض العديد من الحويصلات التي تسمى بحويصلات [جرافيان] وتكون في أول الامر غير ناضجة ، وتشتمل على



خلية كبيرة في الحجم سببيا [تكون البويضة فيها بعد ٤ وتحتيط بذلك الخلية طبقة واحدة من الخلايا الحويصلية ، وعندها تنضج حويصلة [جرافيان] [تنضج حويصلة واحدة كل شهر] نجد : أن الخلايا الحويصلية تنقسم ، وتكون العديد من الطبقات ، وتلك الخلايا : تفرز سائلا ، يجمع فيما بينها ، ويسمى بالسائل الحويصلي ، وينسج الجزء المليء بالسائل ، ويكرر حتى يصير جزءا واحدا ، وتزيد الحويصلة شيئا فشيئا ، حتى تصبح مغطاة بطبقة واحدة من الخلايا وأثناء ذلك : نجد أن البويضة تنضج ، وينتج عن الارتفاع المفاجيء في معدل تكوين السائل الحويصلي ارتفاع مفاجيء آخر في الضغط بداخل الحويصلة ، فتنفجر الحويصلة ، وينفجر معها سطح المنضج الأكثر انمعاها المواحه لها ، وتخرج البويضة إلى التجويف البطني وهولها محبوسة من الخلايا الحويصلية تسمى بالتاج المشع [كورونارادياتا] .

ثم تنتقل البويضة من التجويف البطني إلى قناة [فالوب] تلك المكانة التي اندمجا الخالق ، فأبدع في خلقه ، وأعجز .

أما فيما يتعلق بالمرأة : فإن المبيض [وهو المستودع للبويضات التي تنطلق بانتظام ، في دورات متلاحقة منتظمة ، وتكون العنصر الفعال الأساسي في تكوين الجنين عندها يتاح لها فرصة اللقاء بالحيوان المتوي للذكر] فإن حسدبث القرآن الكريم أيضا عن مكان هذا المبيض في مرحلته الجنينية ، هو حديث لم يختلف عما أثبتته العلم فيها بعد ، حين يؤكد أن موضع المبيض منذ مرحلته الجنينية ، يقع أيضا بين الصلب والرقائب ، أو على وجه التحديد : تحت الكلية تماما ، أي عند الضلع [الثاني عشر] . ثم في مرحلة جنينية لاحقة : تنزل كل من المبايض إلى الحوض ، لتكون بالقرب من فتحة قناة [فالوب] ، وحتى تتيسر له الظروف لكي تنتقل البويضة منه إلى القناة ، ومع ذلك فقد ثبت تشريحيًا أن هناك اتصال بين مكانها الحالي في الحوض ، ومكانها الأول ، وذلك : لأن الشريان الذي يغذي المبيض يخرج من شريان الأورطة بخذاء الكلية ، كما أن الأوردة تتجمع لكي تصب في الوريد الأجوف السفلي في المبيض الأيمن ، أو في الوريد الكاوي الأيسر في المبيض الأيسر .

وأخيرا : ثبتت نقطتان ، ختامًا لهذا البحث حتى نكتيل صورته تمامًا ..

— النقطة الأولى :

دور المرأة كمصدر أساسي في خلق الإنسان ، ومادته التكوينية ، وهو دور وعنصر فعال ، لا يقل في أهميته عن دور الرجل .

أما النقطة الثانية :

فهي الكشف عن حقيقة [المسادة] التي تكون [نقطة الإمشاج] التي تحدث عنها القرآن ، والتي تختلط بم نقطة الرجل فيكون منهما هذا المشيج المتكامل لا سيما بعد أن فرر الكثير من العلماء أن ليس للمرأة ماء !!

ورأينا : أن العلم لم يعرف الكلمة الأخيرة بعد ، ولن يعرفها ، بسبب ما يتجدد من أبحاث في كل يوم ، وأن قضايا القرآن الكريم ، لا سيما فيما يتعلق [بجانب الخلق] وهي مسألة تعتبر القرآن الكريم فيها مصدرا حاسما ، وكتيبته فيها هي الكلمة الأخيرة ، التي لا معقب لها.. ولذلك كان على الباحثين : أن يجعلوا [القرآن] هو المصدر الذي عليه الممول في هذا الموضوع ، وأن يحاولوا فهم النص القرآني بما يجده من تجربة ، ويتضح لهم من خبيرة ، عندئذ : سوف يصلون إلى تحقيق ،

هذا

خالق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه

الدكتور أحمد محمد عوف

« أتى يهودى الى الرسول الكريم ومعه عظام رميم يفكره بين يديه وقد بلى متسائلا » أتري الله يحيى هذا بعد ما رام أجابه الرسول الكريم نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت الآية الكريمة « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه » قال من يحيى العظام وهى رميم فكان جواب القرآن المنطقى « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » . وهنا يفهم القرآن السائل بالقول المنزل « أليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم » بلى وهو الخلاق العليم

فالتقرآن .. دوما يتساءل وفى هذا التساؤل اعجاز معجز للماديين والدهريين .. فقلنا يقول تعالى « أنتم أشد خلقا أم السماء بناها »

فالمخلق والخلق مشكلة فلسفية تناولها الفلاسفة منذ فجر التاريخ الانساني بالتحقيق والناقشة والسرد والايهام بالله خالق الكون .. أو بالكفر بكل خلق سوى الخلق المادى .. الا أن المنطق الفكرى دائما نراه [مهما كانت ادعاءات المفلسين] يسود كل آراء يكتفوا أن نقال حول فكرة الخلق الطبيعى لأن القرآن الكريم فى حوار الفكرى حول فكرة الخلق نراه يطرح تساؤلا ذات معان .. عندما يقول [أم خلقوا من غير شيء .. أم هم الخالقون] وهذا السؤال يؤكد قاعدة أوردها المسلماء واجمعت بصحتها قوانين المادة الافتراضية والموضعية التى تنص : على أن الشيء لا يخلق من لا شيء وأن الوجود لا يعبر من لا وجود وأن من العدم لا يأتى سوى العدم

والقرآن عندما قال « وخلق كل شيء فقدره تقديرا » .. فلان المتطلع الى قوانين المادة ودرسى التركيب الذى لها ولعناصرها ليجد أن كل عناصر هذا الكون قد خلقت حسب قوانين ثابتة

متراپطة .. لأن كل شيء مهما كان نفعه أو مهما كانت صفته وقيمته قد خلق حسب تقدير متكامل دقيق .. فخلق الانسان فى القرآن قد أبانه الله سبحانه وتعالى حسب المفهوم العلمى لمسلم الاجنة .

فى قوله تعالى [ثم خلقنا النطفةعلقة .. فخلقنا المعلقة مضفة .. فخلقنا المصفة عظاما .. فكسونا العظام لحما .. ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين] . وفى هذا المعنى قال سبحانه [فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضفة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا] .

فيقال هنا .. أن التراب معناه الغذاء الذى ينبش ليتغذى عليه الانسان والنطفة هى التى الذى يبنى والمعلقة هى التلقيح ما بين الحيوان المتوى والبويضة لتكون (الزيجوت) ، (وهنا يذكرنى القول فى التفسير أن المعلقة هى دم مختلر .. لكن هذا رأى مخالف لروح المعنى لأن الانسان لم يخلق من دم فاسد كما يفهم من جل التفسير ولكن المعلقة ما تعلق بالشيء أى هذا المخلوق الذى تكون على التو ومعلق فى جدار الرحم فالمعلقة

هى المخلوق المعلق فى رحم الام .. هذا وجب على التنويه اليه للاخطاء التى وردت فى التفسير حول هذا المعنى [والزيجوت ينمو بعد ذلك الى قطعة هلامية فى حجم المصفى المخلقة [التى يجرى فيها عملية التخلق] .. وهذه المصفى ما زالت غير مصورة [تفسير مخلقة] أى غير ذات خلقه لمصورة الجنين المرتقب حتى ينمو ويكبر فى الأرحام الى ما يشاء الله الى أن يتشكل طفلا مصورا

فأالله سبحانه أبان لنا أنه قادر على الخلق ، فلو تصورنا أن الخلاق كانت تمثل إمام الله ليتشكلها من موادها .. هذا منطق لا يقبله عقل لأن قدرة الله [جل شأنه] لا حدود لها .. لأنه يقول للشيء [كن فيكون] ولكن تلك الأمثال يضربها للناس ليتصوروا مسدى قدرته تعالى على الخلق .. لأن الانسان حسب تكوينه ترابى .. وهذا نهايته بعد موته .. لأن جسم الانسان فى تطيقنا لخواه نجاهد يحوى على عناصر مماثلة لمكونات الصلصال والتراب علاوة على الماء الذى يحتويه جسمه ..

وقال تعالى عن الجنين [يخلقهم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث] وفى هذا بين الله تعالى أن الاجنة تعيش فى ظلام فى السائل الامينوسى [داخل الرحم الموجود فى التجويف البطنى للام وهذا المسلم الجنين أبعد ما يكون عن الهواء والضوء وفى هذا الجو ينمو الجنين من الدور الهلامى الى الدور الذى يتشكل فيه الهيكل العظمى للجنين فى شكله الرخو وبعده نجد أن العظام يكسوها اللحم .. وهذا هو المعنى المقصود به فى قوله تعالى [خلقا من بعد خلق] وهذا يفسر لنا أيضا قوله تعالى [الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة] لأن الجنين فى أطواره الأولى يكون معرضا للتأثر بأى تأثير مباشر عليه وحساسا لبعض المواد الطبيعية كالكتين والمشروبات الروحية لدرجة أن هذه المواد قد تسبب نزيفا بالرحم واسقاطا للجنين .. لكن بعد الشهور الأولى يقوى وضع الجنين ويكون لديه القدرة للحفاظ على وضعه فى أعصاب الرحم .. فيتجمل الصدمات لدرجة كبيرة ويكون أكثر ثبوتا فى مكانه الكامن فيه .. ومن هنا تكون القوة التى تعمره بعد الضعف الذى كان يلم به ..

فأالله سبحانه وتعالى خلق فسوى وخلق الانسان فى أحسن صورة .. والله هو الخالق لأنه خلق لنا كل شيء فقدره ..

والله هو البارى لأنه برى لنا كل شيء فجسده .. وأخيرا [هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه] ..

صدق الله العظيم



□ ٢٤٥ □

السيدة فاطمة الزهراء

رضي الله
عنها

الاستاذ توفيق أبو عامر

وكانت رضى الله عنها على هدى
أيها صلى الله عليه وسلم فى جوده
وسخائه ، لأنها سمعت أباهما صلى الله
عليه وسلم وهو يقول : « السخاء
شجرة من شجر الجنة ، أغصانها
مقلية الى الارض ، فمن أخذ منها
غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة » .
وكذلك سمعت الرسول حين
قال : « السخي قريب من الله ، قريب
من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد عن
النار ، وإن الله سبحانه وتعالى جواد
يحب الجواد » .

١٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه أبو بكر وعمر ، فقال عمر
لعلى : يا أبا الحسن ، لو نذرت
عن ابنك نذرا أن الله عافاهما ،
فقال : أصوم ثلاثة أيام شكرا
له ، قالت فاطمة : وأنا أيضا
أصوم ثلاثة أيام شكرا لله ، وقال
الصبيان : ونحن نصوم ثلاثة
أيام ، وقالت جاريتهما فضة :
وأنا أصوم ثلاثة أيام . فالبهيم
الله العافية ، فاصبحوا صياما
وليس عندهم طعام ، فانطلق على
الى جار له من اليهود يقال له
شمعون يعالج الصوف ، فقال
له : هل لك أن تعطبنى جزء من
صوف تغزلها لك بنت محمد
بثلاثة أصوع من شعير ؟ قال :
نعم ، فاعطاه . فجاء بالصوف
والشعير ، فآخبر فاطمة فقبلت
وأطاعت ، ثم غزلت تلك
الصوف وأخذت صاعا من الشعير
فطحنته وعجنته وخبزته خمسة
أقراص لكل واحد قرص . وصلى
على رضى الله عنه مع النبي
صلى الله عليه وسلم المغرب ، ثم
أتى منزله فوضع الخوان
فجلسوا ، فحينما كسر على رضى
الله عنه أول لقمة اذا بمسكين
واقف بالباب ، فقال : السلام

رضي الله عنها خير من يؤثر على
نفسها اقتداء بابيها صلى الله
عليه وسلم فى سنته وسيرته ،
وحفاظا لتلك الخلقة الكريمة ، فهى
من آل بيت عرفوا بالمسروء
والإيتار ، وقد ذكر ابن الجوزى :
أن النبي صلى الله عليه وسلم
صنع لفاطمه رضى الله عنها
قميصا جديدا ليلة عرسها
وزفافها ، وكان لها قميص
مرفوع ، واذا بسائل على الباب
يقول : أطلب من بيت النبوة
قميصا خلقا ، فارادت أن تدفع
اليه القميص المرفوع ، فتذكرت
قوله تعالى [لن يسأوا البر حتى
تنصفوا مما تحبون] ، فدفعت اليه
القميص الجديد ، فلما قرب
الزفاف آتاها جبريل عليه السلام
بقميص من سندس أخضر ، فما
رأته نساء يهوديات حضرن
الزفاف حتى أسلمن وأسلم
بعدهن أزواجهن .

وفى مسامرات الشيخ الأكبر ،
وفى تفسير البيضاوى عن عبد
الله بن العباس رضى الله عنها
قال فى قوله تعالى : [يوفون
بالنذر ويخافون يوما كان شره
مستظيرا] أن الحسن والحسين
رضي الله عنهما مرضا ، فعادهما

وفى دلائل الإمامة بسنده عن
الحسين رضى الله عنه ، عن أمه
فاطمة رضى الله عنها قالت : قال
لى أبى رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « أياك والبخل ، فإنه
عاهة لا تكون فى كريم ، وأياك
والبخل ، فإنه شجرة فى النار ،
وأغصانها فى الدنيا ، فمن تعلق
بغصن من أغصانها أدخله
النار ، والسخاء شجره فى
الجنة ، وأغصانها فى الدنيا ،
فمن تعلق بغصن من أغصانها
أدخله الجنة » . كما أنها سمعت
زوجها عليا رضى الله عنه
يقول : « ومن يبسط يده بالمعروف
إذا وجده يخلف الله له ما أنفق
فى دنياه ، ويضاعف له فى
آخرته » .

وكان الإيثار من شعار
المصطفى صلى الله عليه وسلم ،
ولقد قالت بعض زوجاته رضى
الله عنهن أنه صلى الله عليه
وسلم : ما شبع ثلاثة أيام متوالية
حتى فارق الدنيا . « ولو شئنا
لشبعنا ، ولكننا نؤثر على
أنفسنا » . وقد قال الله سبحانه
وتعالى : [ويؤثرون على أنفسهم
ولو كان بهم خصاصة] . ولقد
كانت السيدة فاطمة الزهراء

عليكم يا أهل بيت محمد . أنسا مسكين من مساكين المسلمين . أطمعوني مما تأكلون ، أطمعكم الله من موائد الجنة ، فوضع على اللقمة من يده ثم قال :

فاطمة ذات المجد واليقين
يا بنت خير الناس أجمعين
أما نرين البائس المسكين
جاء إلى الباب له حنين
كل امرء بكسبه رهين
فقال فاطمة رضى الله عنها
أمرك سمع يا بن عم وطاعة
مالي من لوم ولا ضراعة
غذيت بالسلب وبالبراعة
أرجو إذا انفقت من مجاعة
أن الحق الأبرار والجماعة
وأدخل الجنة في الشفاعة

قال : فعمدت إلى ما في الخوان فدفعته إلى المسكين ، وابتوا جياعا ، وأصبحوا صياما لم يذوقوا إلا الماء القراح . . ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته ، ثم أخذت صاعا فطحنته وعجنته ، وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرص ، وصلى على المغرب مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى منزله ، فلما وضعت الخوان وجلس سيدنا على رضى الله عنه ، وكسر أول لقمة إذا بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف على الباب وقال : السلام عليكم أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين ، أطمعوني مما تأكلون ، أطمعكم الله من موائد الجنة ، فوضع على اللقمة من يده وقال :

أفاطم بنت السيد الكريم
قد جاءنا الله بدأ اليقين
من يطلب اليوم رضا الرحيم
موسعده في جنة النعيم
فأميت أسيده فاطمة رضى الله عنها وقالت :

فصوف أعطيه ولا أبالي
وأثر الله على عيالي
أمسوا جياعا وهم أمثالي
أصغروهم يقتل في القتال

ثم عمدت إلى جميع ما كان في الخوان فأعطت اليتيم إياه ،

وابتوا جياعا لم يذوقوا إلا الماء القراح ، وأصبحوا صياما . وعمدت فاطمة إلى باقى الصوف فغزلته ، وطحنته الصاع الباقي وعجنته وخبزته خمسة أقراص ، لكل واحد قرص ، وصلى على رضى الله عنه المغرب مع الرسول ثم أتى منزله ، فغربت إليه الخوان فجلس وعندما بدأ يكسر أول لقمة إذا بأسير من أسارى المسلمين بالباب فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد . أن الكفار أسرونا وقيدونا ولم يطمعونا فوضع على اللقمة من يده وقال :

فاطمة ابنة النبي أحمد
بنت نبي سيد مسود
هذا أسير جاء ليس يهندي
مكبل في قيده المقيد
يشكو اليأس الجوع والتشدد
من يطعم اليوم رحمه في غد
عند العلى الواحد الموحد
مايزرع الزارع يوما يحصد
فأقبلت باضه رضى الله عنها تقول :
لم يبق مما جاء غير صاع
قد دبوت كفى مع الزراع
وإنسى والله لقد أجاعا
يارب لا تهلكهما ضياعا

ثم عمدت إلى ما كان في الخوان فأعطته إياه ، فأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء . وأقبل على وأباه نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين والحوسين يرتعشان من شدة الجوع ، فلما أبصرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال يا أبا الحسن ، أشد مايسوعنى ما أدرككم . انطلقوا بنا إلى ابنتي فاطمة . فانطلقوا إليها وهى فى محرابها ، ولقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع ، وغارت عيناها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيها إليه وقال : « واغوثاه ! أهل بيت محمد يموتون جوعا » . ولم ينته الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه حتى هبط عليه أمين الوحي وهو يرفع إليه سورة [هل أتى] وفيها أجمل الثناء

وعاطر الذكر لاهل البيت : قال الله سبحانه وتعالى : [إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييرا . يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويظمعون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسورا . وجزاهم الله بما صبروا جنة وحريرا . متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زهيرا ودائية عليهم ظلالها وشفف سطوحها نزديلا . ويضاف عليهم بانيه من فضة وأخواب كانت قواريرا . قواريرا من فضة قدروها تقديرا . ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسيلا . ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا . وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا . عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا . أن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا] .

لقد شكر الله سعيهم على هذا الايثار الذى لا نظير له فى عالم المبرات والاحسان ، وأورثهم فى دار الآخرة الفردوس يتقلبون فى نعيمه ، وجعل ذكركم خالدا ، وحياتهم قدوة ، وجعلهم أئمة المسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن كتاب بشارة المصطفى لابی جعفر الطبرى ، عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة ، فلما انفلت جلس فى قبلته والناس حوله ، فبينما هم كذلك إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب ، وهو لا يكاد يتمالك ضعفا وكبرا ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم

أهل الجنة . وكان بازائه المقادير
وابن عمر وعمار وسلمان رضى
الله عنهم ، فقال : وأزيدكم ؟
فقالوا : نعم ، يا رسول الله ،
فقال : أتاني الروح الأمين جبريل
وقال : أنها إذا هوى قبضت
ودغنت يسألها الملك أن تقي قبرها :
من ربك ؟ فتقول : الله ربي .
فيقولان : من نبيك ؟ فتقول :
أبى .

ألا وأزيدكم من فضلها أن الله
عز وجل وكل بها رعيلا من
الملائكة يحفظونها من بين يديها
ومن خلفها وعن يمينها وعن
شمالها ، وهم معها في حياتها
وعند قبرها بعد موتها ، يكثرون
الصلاة عليها وعلى أبيها وبسملها
وبنيها ، فمن زارني بعد وفاتي
فكانما زارني في حياتي ، ومن
زار فاطمة فكانما زارني ، ومن
زار عليا فكانما زار فاطمة ، ومن
زار الحسن والحسين فكانما زار
علي ، ومن زار ذريتهما فكانما
زارهما .

فعمد عمار إلى العقد وطيبه
بالمسك ، ولفه في بردة يمانية ،
وكان له عدد اسمه سهم ابتاعه
من ذلك السهم الذي أصابته
بخيبر . فدفع العقد إلى المملوك
وقال له : خذ هذا العقد فادفعه
إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأنت له ، فآخذ العقد فأتى
به رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأخبره بقول عمار ، فقال
الذي صلى الله عليه وسلم :
انطلق إلى فاطمة فادفع اليها
العقد وأنت لها ، فجاء المملوك
بالعقد وأخبرها بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأخذت
فاطمة رضى الله عنها العقد ،
وأعتقت المملوك ، فضحك
الفلام .

فقال فاطمة رضى الله عنها :
ما يضحك يا غلام ؟
قال : اضحكتني عظم بركة
هذا العقد ، أشبع جائعا ، وكسى
عريانا ، وأغنى فقيرا ، وأعققت
عبدا ، ورجع إلى ربه .

صلى الله عليه وسلم ، والرسول
جالس بين أصحابه ، فقال :
يا رسول الله ، لقد أعطتني فاطمة
بنت محمد هذا العقد ، وقالت :
بعه فعسى الله أن يعوضك ما هو
خير منه ، فبكى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فقام عمار بن
ياسر رضى الله عنهما ، فقال :
يا رسول الله ، أأذن لي بشراء
هذا العقد ؟ فقال صلى الله عليه
عليه وسلم : اشتره يا عمار ، فلو
اشترك فيه الثقلان ما عذبهم الله
بالنار ، فقال عمار لساعري :
بكم تباع هذا العقد يا عرابي ؟
قال : بشبعة من الخبز واللحم
أذهب بها جوعتى ، وبردة يمانية
أستر بها عورتى ، وأصلى فيها
لربى ، ودينار يبلغنى إلى أهلى .
وكان عمار قد باع سهمه الذى
نقله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يبق منه شيئا ، فقال : لك
عشرون دينارا ، ومائتا درهم ،
وبردة يمانية ، وراحتي تبلغك
إلى أهلك ، وشبعة من خبز البر
واللحم ، فقال الاعرابي : ما
أسخاك بالمال أيها الرجل !

وانطلق به عمار رضى الله عنه
فوفاه ماضين له ، وعاد الاعرابي
إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم : أشبعت
واكتسيت ؟ فقال الاعرابي :
نعم ، يا رسول الله ، واستغنيت
بأبى أنت وأمى ! فقال صلى الله
عليه وسلم : فاجز فاطمة
بصنيعها ، فقال الاعرابي : اللهم
انك اله ما استحدثتك ، ولا اله
لنا نعبده سواك ، وأنت فى كل
حين ، اللهم أعط فاطمة ما لا عين
رات ، ولا أذن سمعت ، فأمس
رسول الله صلى الله عليه وسلم
على دعائه ، وأقبل على
أصحابه ، فقال : إن الله قد
أعطى فاطمة فى الدنيا ذلك ، فأتا
أبوها ، وما أحد من العالمين
مثلى ، وعلى بعليها ، ولولا على
ما كان لفاطمة كفاء أبدا ،
وأعطاهما الحسن والحسين ، وما
للعالمين مثلهما ، سيدا شباب
أسباط الانبياء ، وسيدا شباب

يستجلبه الخبز ، فقال الشيخ :
يأبى الله ، أنا جائع الكبد
فأطعمنى ، وعارى الجسد
فأكسنى ، وفقير فأرشنى ، فقال :
ما أجد لك شيئا ، ولكن الدال
على الخير كفاعله ، انطلق إلى
منزل من يحب الله ورسوله ،
ويحب الله ورسوله ، ويؤثر الله
على نفسه ، انطلق إلى حجرة
فاطمة - وكان بيتها ملاصقا ببيت
الرسول صلى الله عليه وسلم
الذى ينفرد به لنفسه من
أزواجه - يابلل ، قم فقف به
على منزل فاطمة . فسانطلق
الاعرابي مع بلال ، فلما وقف
على باب فاطمة ، نادى بأعلى
صوته : السلام عليكم يا أهل بيت
النبوة ، ومختلف الملائكة ،
ومهبط جبريل الروح الأمين
بالتنزيل من عند رب العالمين .

فقال فاطمة : من أنت يا هذا ؟
قال : شيخ من العرب ، أقيمت
على أبيك سيد البشر مهاجرا من
شقة بعيدة ، وأنا يابنت محمد
عارى الجسد ، جائع الكبد ،
فواسينى ، يرحمك الله تعالى .
وكان لفاطمة وعلى رضى الله
عنها ورسول الله صلى الله
عليه وسلم على تلك الحال ثلاث
ليال ما طعموا فيها طعاما ، وقد
علم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذلك من شأنها ، فعمدت
فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ
بالقرظ كان ينام عليه الحسن
والحسين ، فقالت : خذ هذا أيها
الطارق ، فعسى الله أن يتيح لك
ما هو خير منه ، فقال الاعرابي :
يابنت محمد شكوت اليك الجوع
فناولتنى جلد كبش ، فماذا أنا
صانع به مع ما أجده من سغب ؟
قال : فعمدت فاطمة رضى الله
عنها ، لما سمعه هذا من قوله ،
إلى عقد كان فى عنقها أهدتها
إياه . طية بنت عمها حمزة بن
عبد المطلب رضى الله عنهم ،
فنزعت من عنقها ، ودفعت به إلى
الاعرابي وقالت : خذه وبعه ،
فعسى الله أن يعوضك به ما هو
خير منه ، فآخذ الاعرابي العقد
وانطلق إلى مسجد رسول الله

لقد صدق هؤلاء الصحابة مع ربهم فصدقهم ، وعاهدوه نصرته دينه فكتب الله لدينهم ولهم العزة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين !

وإذا كان من الجائز أن يخدع الإنسان غيره ، فإنه من المستحيل أن يخدع نفسه لذلك كان الصحابة لا يباليون الموت لاختراق الحق وإبطال الباطل يقينا منهم بأن الموت في هذه الحالة هو الحياة الحقيقية وأن القعود عن المواجهة هو الموت الحقيقي .

أثبت ابن سعد في الطبقات الكبرى أن عبد الله بن عمرو حينما توجه المسلمون إلى ملاقاته مشركي قريش في موقعة أحد قتال لابنه جابر الصحابي المشهور : أني أرجو أن أكون في أول من يصاب غدا ، فأوصاه ببنات عبد الله خيرا ، وهو لا يتمنى أن يصاب اعتباطا وإنما لأجل أن ينتصر الدين .

وأثبت ابن الأثير في أسد الغابة ولما أراد عبد الله ابن عمرو - التوجه إلى أحد دعا ابنه جابرا فقتل يا بني : أني لا أراي إلا مقتولا في أول من يقتل ، وأنى والله لا أدع بعدى أحدا أعز علي منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن على ديننا فاقص عني ديني واستوصي بأخواتك خيرا ، قال : فأصبحنا ، فكان أول قتيل جدعوا أنفه وأذنيه .

هكذا كان الصحابة يحبون بالقول والعمل والسلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما يحبون أنفسهم وأولادهم وأهلبيهم ، لأنه دعاهم إلى ما يحبيهم فاستجابوا : « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم »

ويكفي النقيب الأثنى عشر الذين كانوا كغلاء على قومهم من الانصار أن الله اختارهم لهذه

عبد الله بن عمرو بن حرام

كلمة الله
دون حجاب

الاستاذ عبد المنعم حسن الدرفوي

ذلك أن الحياة بين العرب قبل الإسلام كانت تقوم على العصبية ولاء للقبيلة والعشيرة ، ولكن العرب بعد أن اعتنقوا الإسلام تحولت العصبية لديهم ولاء للدين الجديد ، ففعلوا الأناسيل وانتصروا على أعدائهم ، وقهروا على ضعفهم المادى وقلة عددهم أغنى الأمم وأعتاها غنى وسلاحا وسطوة وجبروتا .

ولم تعرف الإنسانية في القديم ولا في الحديث ، ولن تعرف ذلك التسابق والتنافس بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنيل الشهادة حين يحمى وطيس المعركة ويشند أوار الحرب واللقاء ، فقد كان الأحياء منهم يحسدون الشهداء ويتبنون اللحاق بهم .. بل إن هؤلاء الصحابة كانوا لا يقفون عند التبنى ، وإنما يخوضون الحرب في اقبال لا يعرف الأدبار وأقدام لا يعرف الاحجام وخطو إلى الامام لا يعرف النكوص على الاعقاب والرجوع إلى الوراء ، بل كانوا يبحثون عن الموت ويفرون من الحياة لا اعتباطا ولا استهانة بأرواحهم ولكن من أجل هدف يعلو على الحياة وهو إقامة شريعة الله .

أجمع أصحاب السير على أن عبد الله بن عمرو بن حرام كان أحد السبعين من الانصار الذين يابعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الكبرى على حرب الأحمر والأسود من الذين ينفقون في وجه الدعوة الإسلامية ، مهما تكلفهم هذه البيعة من تضحية في النفس والمال ، ومهما تكن النتائج ، ولن تكون الا خيرا على أي حال والله أعلم على أمره .

أن الإسلام لم ينتصر لانه حق وكفى ، فالحق ، وإن كان قيمة ثابتة لن يقهر الباطل ، وإن كان مجردا من القيمة ، الحق كلمة جوفاء . إذا لم تصحبها القوة كما يقول عمر بن الخطاب ، فالحق لن يقهر الا بالرجال المؤمنين به .

ولكن الإسلام كحق انتصر لأن الله تبارك وتعالى قد قضي له حماسة يزودون عنه بالمهج والأرواح ، ويسترخصون في سبيله كل مرتخص وغال ، ويبذلون من أجل نصرتهم النفس والنفيس .

المهمة الجليلة ، وأذن فلا جرم أن يكون عبد الله بن عمرو عظيما عند الله وأن تكون له منزلة خاصة عند رسول الله تتضح في الروايات التالية :

● عن جابر قال : لما قتل أبى يوم أحد أتيتته وهو مسجى ، فجعلت أكشف عن وجهه وأقبله والنبي يرانى فلم ينهني .

● عن جابر قال : لما قتل أبى يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكى وجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهونى والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينهانى . قال : وجعلت عمى فاطمة بنت عمرو تبكى عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تبيكه أو لا تبيكه ، فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتوه .

● عن جابر قال : أصيب أبى وخالى يوم أحد فجاءت بهما أمى قد عرضتهما على ناقه أو قس على جمل ، فأقبلت بهما إلى المدينة ، فنادى بتادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادفنوا القتلى في مصارعهم ، قال فردا حتى دفننا في مصارعهما .

● عن جابر قال : نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مالى أراك منكسرا مهتما ، قلت يا رسول الله : قتل أبى وترك ديننا وعيالا ، فقال : ألا أخبرك ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب ، وأنه كلم أباك كفاحا - أى مواجهة - فقال : يا عبدى سلنى أعطك ، قال أسألك أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية قال : أنه قد سبق منى أنهم لا يردون إليها ولا يرجعون ، قال : يارب أبلغ من ورائى ،

فأنزل الله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا .. الآية »

● عن جابر قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج لدفن شهداء أحد قال : زملوهم بجراحهم ، فأتى أنا الشهيد عليهم ، ما من مسلم يكلمهم - بجرح - في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة يسيل دما اللون لون الزعفران والريح ريح المسك .

● عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفنوا عبد الله بن عمرو وعمرو بن الجحوح في قبر واحد لما كان بينهما من الصفاء ، وقال : ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا في قبر واحد .

وكان عبد الله بن عمرو رجلا أحمر أصلع ليس بالطويل ، وكان عمرو بن الجحوح رجلا طويلا ، فعرفا فدفنا في قبر واحد .

وروى أن عبد الله أصابه جرح في وجهه فوضع يده على جرحه ، فأميطت يده عن جرحه فانبعثت الدم ، فردت يده إلى مكانها فسكن الدم .

● قال جابر : فرأيت أبى في حفرتة كأنه نائم وما تغير من حاله قليل ولا كثير عقيل له : فرأيت اكفانه . . . ؟ قال : أتيسا كفن في نمرة خير بها وجهه ، وجعل على رجله الحرمل ، فوجدت النمرة كما هي والحرمل على رجله على هيئته وبين ذلك ست وأربعون سنة ، فشاورهم جابر في أن يضرب بمسك نابى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا تحدثوا فيهم شيئا ، وحولا من ذلك المكان إلى مكان آخر .

ومما يؤيد أيضا أن أجساد

الشهداء لا تأكلها الأرض أن جابر بن عبد الله بعد ستة أشهر من دفن أبيه أراد أن يدفنه وحده ، فأخرجته من القبر ، فإذا الأرض لم تأكل شيئا منها لا قليلا من شحمة أذنه .

وكان من بركة رسول الله عليه السلام وكرامة صاحبه عبد الله ابن عمرو أن صان أولاده من هم الذين قال جابر : أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت أن أبى ترك عليه ديننا وليس عندنا إلا ما تخرج نخلة . فلا يبلغ ما يخرج نخلة سنتين ما عليه ، فانطلق - رسول الله - معى لكيلا ينحش على الغرماء أصحاب الدين ، فقال فمضى - رسول الله - حول بيد - مجمع التمر - من بيادر التمر ودعا ثم جلس عليه وقال : أين غمأؤه . . . ؟ فأوغاهم الذي لهم وبقي مثل الذي أعطاهم .

وعبد الله بن عمرو بن حرام ابن ثعلبة ابن حزم ابن كعب ابن سمية ، ويكنى أبا جابر وأمه الرياب بنت قيس بن القريم بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وأمها هند بنت مالك بن عامر بن بياضة .

وكان لعبد الله بن الوليد جابر شهد العقبة وأمه أنيسه بنت غنمة ابن عدي بن سنان بن عمرو بن سواد من الخزرج ، وروى عنه ابنه جابر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه . وفي الاستيعاب لابن عبد الله أن الذي قتل عبد الله بن عمرو أسامة الأعور بن عبيد وقيل بل قتله سفيان بن عبد شمس أبو أبى الأعور السلمي ، في شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من أعلام "محافظة الدقهلية" في القرن الماضي وأوائل هذا القرن

الأستاذ إبراهيم محمد الفحام

كانت « المنصورة » - عاصمته إقليم الدقهلية - في القرن الماضي ، مدينة متواضعة ، تكاد تماثل - من حيث اتساع رقعتها ، وتعداد سكانها ، حواضر بعض المراكز ، التي تتبع هذا الإقليم ، في الزمن الماضي .
وبرغم ذلك ، فقد ذكر علي باشا مبارك ، في كتابه [الخطط التوفيقية] أنه كان بها في ذلك العصر ، « نحو عشرين مسجدا عامرا بالجمعة والجماعة وفي كثير منها تقرأ دروس العلم الشريف » .

العلمية ، حتى تفقه على يديه كثير من الفلاحين البسطاء ، في المسائل الفقهية الدقيقة ، فضلا عن حصولوا عنه قدرا أوفى من العلم ، استكملوه بعد ذلك بالجامع الأزهر .

وكان - رحمه الله - لا يترك فرصة سائحة ، دون أن يعلم جاهلا أو يفيد سائلا . بل كان إذا ركب مع الكاري في سفر ، شرع طول الطريق في تعليمه عقائد التوحيد ، وفرائض الصلاة والوضوء ، بطريقة مسلية نافعة .

وكان يفد عليه في قريته كثير من العلماء الأفاضل ، ليعقدوا معه بعض الندوات العلمية ، التي يؤمها منابت من أبناء المنطقة .

وكان من أولئك العلماء ، العلامة الشيخ عبد الهادي نجا الإيباري ، الذي كان يزامله في دراسته الأزهرية .

ومما يروى عنه ، أن الحكومة العثمانية ، بعثت إلى الخديو عباس تطلب منه رأى العلماء في مسألة فقهية فطلب الخديو من الشيخ الأنابى - شيخ الأزهر - الإجابة عنها ، وأخذ رأى العلماء فيها ، فكلف الشيخ محمد عبد الجواد القاياتى ، بالسفر إلى قرية

وقد سجل الشيخ إبراهيم السنودى وقائع ذلك الخلاف وتطوراتها ، في كتابه المسمى [سعادة الدارين ، في الرد على الفرقتين] .

وكان الشيخ إبراهيم السنودى ، على صلة دائمة بأستاذه العالم الجليل الشيخ أحمد أحمد الحلوانى ، نزيل قرية [رأس الخليج] التابعة لمركز شربين .

وقد ولد الشيخ أحمد الحلوانى في تلك القرية سنة ١٢٤٩ هـ [١٨٣٣ م] وتلقى علومه الأولى بها ، عن والده ، الذي عنى بتحفيظه القرآن الكريم ، وبعض المقون ، كما قرأ عليه بعض الكتب مثل شرح الكفراوى في النحو ، والستين مسألة في الفقه ، تأليف الشيخ أحمد الزاهد ، ثم توجه إلى مدينة [طنطا] حيث تلقى قدرا من العلم بالمسجد الإحدى ، وأكمل دروسه - بعد ذلك - بالجامع الأزهر الشريف حيث أخذ عن كبار علمائه ، أمثال الشيخ الباجورى ، والشيخ البلاتى ، والشيخ الأنابى ، والشيخ الخضرى والشيخ السقا ، ثم عاد إلى قريته ، وشرع في تدريس العلوم الإسلامية والعربية ، فوفد عليه كثير من أبناء تلك المنطقة ، على اختلاف مستوياتهم

وكان يؤدي تلك الدروس ، بعض الأئمة المتفرغين ، فضلا عن بعض قضاة الشرع الحنيف ، وبعض العلماء من أبناء المدينة ، والمنطقة المحيطة بها ، الذين أتروا البقاء فيها ، لاداء رسالتهم التعليمية والإرشادية ، قريبين من قراهم التي نشأوا فيها وأحبوها ، بعينين عن أضواء الشهرة ، والخاصب المجزية ، التي كانت تتاح لزملائهم ، الذين اختاروا سكنى القاهرة .

وكان من أشهر العلماء الذين قاموا بدور بارز في ذلك المجال ، الشيخ عبد الرازق الراعى ، القاضى الشرعى ، والد الأديب مصطفى صادق الرافعى ، والشيخ إبراهيم السنودى المنصورى ، إمام وخطيب مسجد ولى الله الشيخ ربحان ، والشيخ محمد راضى البوليلى مفتى الدقهلية ، غير أنه قد نشب بين هذين الشيخين خلاف شديد ، بسبب ميل الأول إلى أهل التصوف ، بينما كان الثانى يعارض بعض عقائدهم وعاداتهم ، ويشجع المناوئين لهم ، وقد انتهى ذلك الخلاف ، بعقد مجلس علمى ، بمسجد سيدى جيب بالمدينة في سنة ١٣١٢ هـ [١٨٩٤ م] حضره بعض العلماء وكبار الموظفين ، وترددت أصداة الخلاف على صفحات جرائد المقطم والإهالى والمؤيد .

محمد الطاهري المتصوري في القصة والتوحيد ، ورسالة في الجنس ، ورسالة جمع فيها فوائد من فتاوى ابن حجر ، ورسالة جمع فيها فتاوى العلامة عبد الوهاب السبكي ، ورسالة بمسماة « غلظة الكتاب » في معرفة الحساب » - ورسالة بمسماة « التامين في التظمين »

وذلك فضلا عن عدة مؤلفات اخرى مفقودة .

ومن العلماء الاجلاء الذين اوجبهم ذلك الاقليم ، فأتروا ان يهودوا اليها ، ليؤدوا رسالتهم فيه ، بعد ان اتوا دراسهم بالجامع بآزهر الشريف ، الشيخ رضوان العدل - الذي ولد في [جزيرة القبا] بالبحر الصغير ، بمركز دكرنس سنة ١٢٦٤ هـ [١٨٤٧م] وحفظ القرآن الكريم في قرينه ، ثم سافر الى الأزهر حيث تلقى علومه على مشاهير علماء عصره كالوصفي ، والسقا ، والنباشي ، والخضري ، والدعشوري وغيرهم . ثم اقبل بالعلامة الشيخ عمر جعفر الشبراوي ، فآخذ عنه طريق السادة الخلوتية ، ثم عاد الى موطنه ، حيث واطب على تعليم ابنائه ، وابناء القرى المجاورة ، وارشادهم الى احكام دينهم وآدابهم . وخلف - رحمه الله - مؤلفات عديدة مثل [الجوهر المتين] في الصلاة على خاتم النبيين - خلاصة الكلام ، في مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام - روض المحتاجين ، لمعرفة قواعد الدين - صفوة الخلاصة ، في مولد مزيل الوسيطة - الوصي الرضوانية - الوسيطة ، في الصلاة على صاحب الفضيلة []

ولقد كان لاولئك العلماء - وغيرهم فضل كبير ، في تربية جيل من ابناء القرى ، المأين بامور دينهم ، المتحلين بفنائله ، بقدر ما كان لهم الفضل ، في حبس الكثير من مريدتهم ، على استكمال دراساتهم الدينية ، واكمال رسالتهم ، ورفع مشاعر العلم الساطعة التي ورثوها عنهم .

وكان مثل ذلك يحدث في بلدة [دكرنس] حيث كان يدعو العلامة السيد محمد ابو الليالي ، ونجيبه العلامة الشيخ علي ، فيهرع لاستقباله والامادة من علمه ، كثير من ابناء تلك المنطقة ، ويعدون فترة اقامته بين ظهرانيهم ، موسما من مواسم العلم التي لا تنسى ، ولا تعوض .

كما كان يبادله زيارته العلمية ، الشيخ محمد الجبل ، شيخ علماء بلدة [المحلة الكبرى] وكان كل منهما يزور الآخر في حشد من العلماء والمريدين

وكانت رحلاته العلمية لا تنقطع الى كثير من البلدان والقرى ، باقليم الدقهلية والشرقية ودمياط والغربية .

وعندما توفي - رحمه الله - في سنة ١٣٠٨ هـ [١٨٩١ م] اهتزت لذلك مشاعر الالاف من عارفي فضله والمتفهمين بعلمه . وخلف مؤلفات عديدة ، طبع منها [شذا المطر] في زكاة الفطر - مواكب الربيع ، في مولد الشيخ - طراز الصلح الاحمدى - المورد الندى ، في المولد الاحمدى - الجبال المبين ، في شرح الجوهر المتين - البشرى ، في اخبار المعراج والاسراء - صفوة البشرى - الحكم الجرم - فصل القضية - الوسم في الوشم - الدور الثلاثة ، في عمل الشباك - رفع الارتيك على النتيجة - النبذة السننية - الاشارة الاصفية - وسائل الرحمة - القطر الشهدى ، في اخبار المهدي - الحلواء في مدح بني الزهراء - قطع اللجاج في الاجاج - حلاوة الارز ، في حل اللغز - القامع في الصادح والباغم []

كما خلف عدة مؤلفات لم تزل مخطوطة مثل مذكراته في ثلاثة اجزاء ، ورسالة في شرح ابيات العلامة الذهبي ، في اوقات الصلاة في الشهور القبطية ، ورسالة في شرح منظومة العلامة الشيخ

[راس الخليج] ومعه خطاب الى الشيخ الحلواني ، للاقتناس براهيه في تلك المسألة ، فوصلها ليلا ، حيث اجتمع بالشيخ ، وعاد برده على ذلك الخطاب .

وكان ممن ترددوا عليه بقرينه ايضا الشاعرة العلامة حفنى بك ناصف ، الذي تنظم عليه ، منذ عهد الدراسة بالآزهر وظل يقصده في عطلات الصيف واجازاته حيث يلازمه ، وباخذ عنه .

وقد الزمه الشيخ الحلواني - في احدى زيارته له - ان ينظم (مثنى الكافي ، في المروض والقوانين) منتظمة ، وسماه [القول السيد الشافى] .

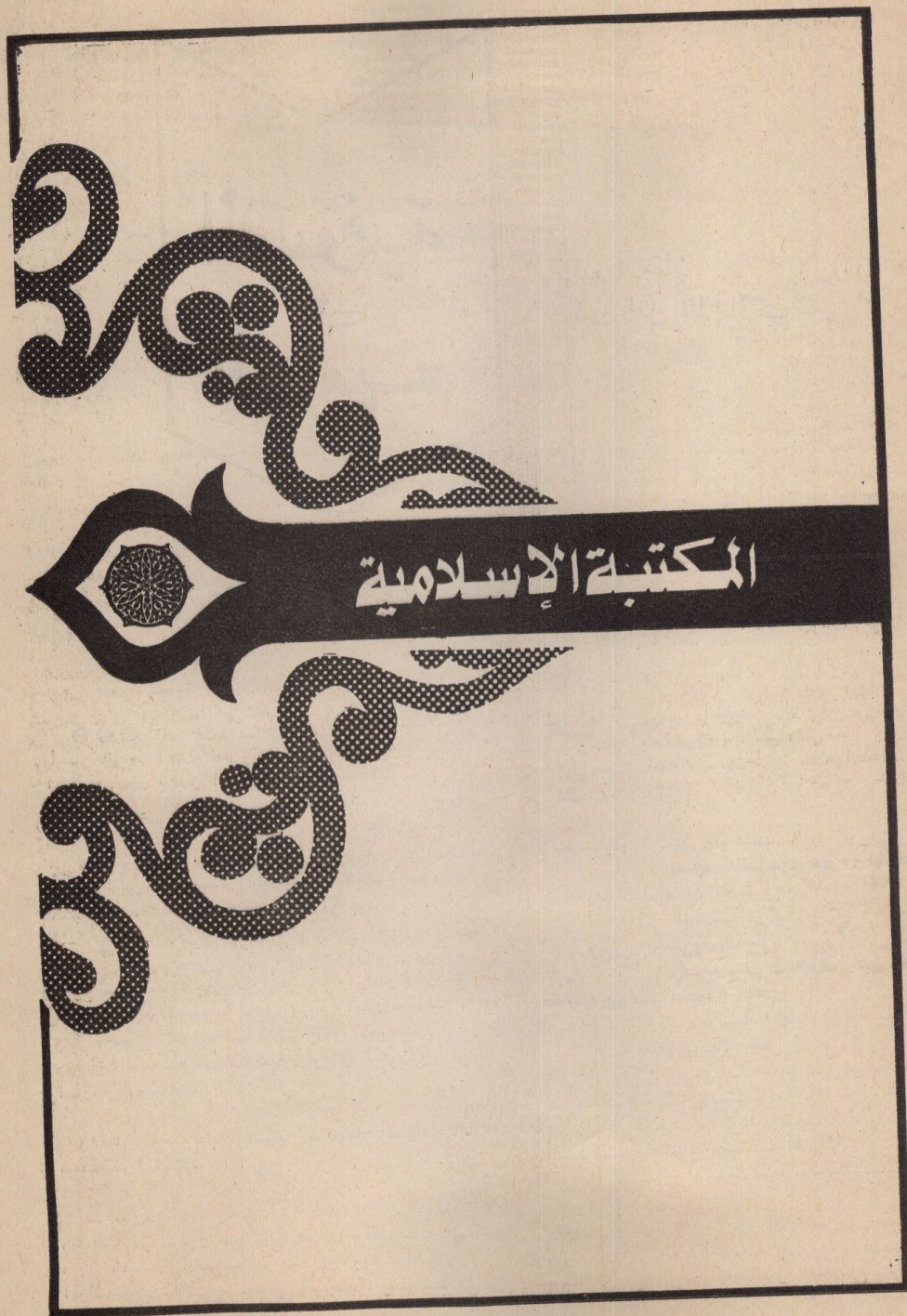
وكان حفنى ناصف يحفظ كل مايقوله استاذة من شعر ونثر .

ومن علماء دمياط وادبائها الذين كانوا يترددون عليه في قرينه ، ويشاركونه ندواته ومجالسه ، سليمان عياد ، وعبد الفتاح الدرس ، والشيخ على الملايلى .

كما كان يشاركه تلك الندوات والمجالس العلمية العامة ، مصطفى ابو العز بك من قرية [ميت ابي غالب] القريبة ، والشيخ محمد الشار ، شيخ علماء بندر شربين ، الذي اخذ الطريقة الخلوتية - مثل الشيخ الحلواني - عن العارف بالله الشيخ عمر جعفر الشبراوي .

وكان بعض اعيان المنطقة مثل محمد ابو احمد شهاب الدين باشا ، عمدة بلدة [بلقاس] واحمد ابو الفتوح باشا من اعيان تلك البلدة ، يدعونه الى بلدتهم لعقد مجالسه العلمية العامة فيها ، ويدعون لحضورها كثيرا من العلماء والاعيان ، الذين يستقبلونه في مواكب هائلة .





□ ٢٥٢ □

تأليف الأستاذ
حسن كامل المطاوي

الصوفية في الهامهم

عن
وتحليل
فتحي الرباعي

الاسلوب ، أن يجذب القارئ الى هذا الموضوع الصعب أقصد « التصوف » . يقول في مقاله « تربية النفس في جنب الله » مستشهدا بأبيات قالها الشيخ على عقل في الهاماته :

لا تحارب بالعذل قلب محب
عالج الشوق عمره ومهاننا
وتلطف به فقد حكم الشوق
عليه فن يفيق جنانا
اعزوني أو اعزلوني فأنسى
لست أختي الملام من حيث كانا
انما اللوم في المحبة عندي
لا يزيد المحب الا افتقانا
جرب الحب مثلما جرب العاشق
تلق الملام ينكس هواننا
قد رضينا بالله لا يسواه
ما لقيناه رضا رضينا هواننا
قد تناءيت عن سواه بكلي
وسعت سره احساننا

ويقول أيضا في باب « الصوفي جسمه بين الخلق يسعى ، وقلبه في الملكوت يرعى » .. ان انقطاع الصوفي في البيئة ، انما هو انقطاع بالقلب لا

● ● ● لقد سبق أن قدمت في المكتبة الاسلامية أحد أجزاء كتاب « الصوفية في الهامهم » للاستاذ المتصوف حسن كامل المطاوي . واليوم نقدم له جزءا جديدا بنفس العنوان ، صدر عن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، والاستاذ المطاوي غزير الانتاج في هذا المجال . اذ اصدر اخيرا كتابا بعنوان المربي يبين فيه اثر التصوف في التربية النفسية . واما كتابنا هذا فقد تناول فيه الكثير من الموضوعات الهامة المتصلة بالتصوف ، ويلقى كثيرا من الاضواء على جوانب عديدة تحتاج الى مناقشات وتحليلات مثل الروح في اتصالها بالله تعالى ، والتوكل عند الصوفي ، والاستعانة بأهل اليقين عند الصوفية . وامر جنم الاشباح في الارواح ، وتحية الروح ، ورقائق الصوفية في التوحيد ، وذكر الله وأثره في التربية الروحية .

وهناك موضوعات كثيرة عالجها المؤلف .. سنتعرض لها بالتحليل .

لقد نشرت موضوعات هذا الكتاب .. كمقالات مسلسلة في مجلة « منبر الاسد » ، وهي لذلك تتقدم فيها خاصية التخصص الشديد . فقد استطاع المؤلف ، بما له من براعة في العرض ، وسلاسة في

الحس . وقد تقلب الانبياء والمرسلون عليهم صلوات
لله بين الناس باجسادهم . أما قلوبهم فكانت مع الله
نزول . وتفصح السيدة رابعة العدوية عن خلوة
لقلب بالله ، مع تقلب الاجسام في الناس ، فتقول :

ولقد جعلت في الفؤاد محدثي

وابحت جسمي من اراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس
وحبيب قلبى في الفؤاد انيسى

وعن الروح واتصالها بالله ، يقول الاستاذ العارف
بالله الشيخ على عقل رضى الله عنه في فضل التقوى ،

الحب فيه حارت العقلاء

هو قوة للمرتجى وضياء
وله على الارواح أكبر عصمة

وهو الامان والنفوس وقاء
فاذا عشقت الله عشقا صادقا

كن بعد ذلك صاح كيف تشاء
الحب ان ملك النفوس أعزها

والعاشقون بربهم علماء
فاذا اتقينا الله جل جلاله

قضيت حوائجنا وسال الماء
ان المرید اذا صفت أخلاقه

لم يبق فيه من الصفاء رياء
واذا هو اتخذ المهيمن جسامه

فمقامه بين الرجال سماء
والاصل في الدنيا المحبة والهدى

لولا الهدى لم تخلق الاشياء

③ أما التوكل .. فهو مقام عظيم ، من مقامات
اهل اليقين ، وقد قال تعالى « وعلى الله فتوكلوا ان
كنتم مؤمنين ! وليس معنى التوكل ان يترك المؤمن

اتخاذ الاسباب ، بل معناه ان يرى المسبب قبل
الاسباب فيركن اليه قبل ان يركن الى الاسباب . وان
كانت له مواهب . نظر الى الواهب قبل ان ينظر الى
المواهب ، وبذلك يخرج من حوله الى حول الله
وقوته . ويقول تعالى لاحبابه صلى الله عليه
وسلم - « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » .
فالتوكل يتخذ ربه تعالى وكلاء يستعين به ، ويعتمد
عليه وكفى بالله نصيرا .. وقال تعالى « ومن يتوكل
على الله فهو حسبه » .

ان التصوف الحق لا يعرف الضعف ، أو الخمول ،
أو الجهل ، أو العزلة ، بل هو جهاد للنفس بغير
غرائزها المركوزة في الطبع ، حتى تصفو من كدراتها
ورعوناتها ، فتسبح عن الحيوانية ، الى الملأ الاعلى ،
الذى اراده الله تعالى .. والتصوف هو طهارة القلب
واليد واللسان والجوارح . ويقول الامام الغزالي
رضي الله عنه : « ان الحب الذى استحوذ على قلب
الصوفي ليس هو حب الانسان لله فحسب ، بل هو
حب الله لجميع البشر ، فمن خلال هذه العقيدة فهو
يحب الإنسانية كلها حبا تعبديا ، وليس هذا الحب هو
الأخوة التى يوصى بها الفلاسفة باسم العقل . انه
لشئ أكبر مما تفهم الفلاسفة ! »

④ وكتاب « الصوفية في الهامهم » للاستاذ حسن
كامل المطاوى .. يعتبر من الكتب القيمة حقاً ،
وخاصة هذا الجزء .. ونحن في انتظار استكمال
باقي الاجزاء فمكتبتنا الصوفية .. في أشد الحاجة
الى المزيد من هذه الدراسات . وخاصة من الذين
ارتقوا الى مراتب عليا .. فى التصوف . وكان
سلوكهم فى حياتهم الخاصة والعامة .. نبزاسا
للمريدين الذين يسلكون هذا النهج العظيم .



جهود المسلمين في الجغرافيا

هذا المؤلف واحد من سلسلة الآلاف كتاب وقد ألفه الاستاذ نفيس أحمد الاستاذ بالكلية الإسلامية بكلكتا سنة ١٩٤٧ وقد ترجمه للعربية الاستاذ فتحي عثمان . ويؤكد المؤلف أن جهود المسلمين في ميدان الجغرافيا قد نالت حظها الاساسي في الغرب على ايدي المستشرقين ونفر من دارسي الفلك والرياضيات .. وان كان التعرف على دور المسلمين الاول في الجغرافيا قد حال دونه ضياع عدد كبير من المؤلفات النفيسة التي اشار اليها ما تبقى في ايدينا من مصادر والى بقاء كثير منها دون اكتشاف - كما لم يعرض كثير منها على بساط البحث والمناقشة في كثير من الاحوال بصورة صحيحة - ومع ذلك فان ما أسداه المسلمون الى علم الجغرافيا يميز مرحلة بذاتها في تاريخ الفكر الجغرافي والمعرفة الجغرافية . ويشمل آفاقا واسعة الى درجة مذهشة ، وله آثار بالغة المدى .

عرض وتقديم : محمد فاوي عيسى

وهناك لون آخر من الكتابة الجغرافية يطالعنا بوصف تفصيلي لاقليم خاصة معينة منها مؤلف الفطيل البيداري سنة ١٠٧١م وهو نوع من الدراسة الطبوغرافية لدنية بغداد ووصف ابن جابر الاسكندرية ومناخها ووصف عبد الطيف لمر .

وقد قسم المؤلف جهود المسلمين الجغرافية الى اربعة أقسام تيسيرا لدرس تلك الجهود وتبينها وهي :

- ١ - الجغرافيا الوصفية .
- ٢ - تقدم المفاهيم الجغرافية والتفسير الجغرافي .
- ٣ - فن الخرائط .
- ٤ - الجغرافيا الفلكية والرياضية .

ففي مجال الجغرافيا الوصفية نجد ان العرب قد اكتسبوا مصارف الاغريق والرومان عن الاراضي والبحار وفاقوهم اذ كانوا اكثر تحرفا على مناطق اخرى كانت المعلومات عنها لا تزال مهفوفة بالغموض .

لقد زار التجار العرب ارجاء اوربا الشمالية الشرقية ، وبسطوا نشاطهم عليها وخاصة في جنوب روسيا وبولندا . بل ان الاقطار الاسكندنافية لم تفلت من مجال نشاطهم وصمموا كثيرا من المخطوطات من هذه الاطراف وطبيعتها وسكانها .. وكانت كتابات ابن فضلان [٩٢١م] اول مصدر موثوق عن تلك الاصقاع . وقد تم الكشف حديثا عن حملات عربية قديمة الى الشمال حتى روسيا وفنلندا والسويد والمانيا .

الحادة بين الاقاليم المختلفة حيث تباينت مراكز الثقافة المتعددة من الاندلس حتى تخوم الصين - ومع سيادة اللغة العربية على غيرها من اللغات القومية الاخرى ادى تجانس التعبير وتجانس الاعتقاد الديني الى نمو الثقافة العامة . وظفرت الجغرافيا بعناية المسلمين اذ تسعروا مبكرين بحاجتهم الى تحديد دقيق لوضعهم . وقد نالت الجغرافيا الفلكية والرياضية وصناعة الخرائط مكانتها . وانتبهت للحج الاسلامي الى زيادة التمسك والتقارب بين المسلمين - وبالتالي الى زيادة حب الاستطلاع والمعرفة بالديار والطرق - وتبادل الآراء وحكايات تجارب السفر - ومن الشواهد العلمية ان روايات الحجاج المسلمين كان راقية في مستواها وكبيرة في قيمتها العلمية .

ومع ظهور جهاز البريد ، ومد شبكة الطرق والمواصلات في الاسبراطورية الاسلامية ، تولدت دواعي لظهور كتب مدة تعالج هذه التاهية ، منها كتاب المسالك والممالك . بل ان رجالا عديدين قطعوا سبيلهم بجيوبون العالم الاسلامي . ومنهم من زار المناطق النائية غير الاسلامية ، وقد اودعوا خلاصة تجاربهم في قصص رحلاتهم حيث تنتشر المعلومات الجغرافية القيمة بين ثناياها . ومن بين رحالة البر ابن حوقل ، المسعودي ، المقدسي ، الإدريسي ، ابي العباس القباني ، الاشبيلى ، وابن البيطار المالقي وابن بطوطة . ومن رحالة البحر ابن ماجه ، سليمان المهدى وغيرهما ، وقد خلف هؤلاء وأولئك من ورائهم مؤلفات جغرافية لها أهمية بالغة المدى .

ففي العصور القديمة بلغت جهود الاغريق والرومان ذروتها فيما كتبته كلاوديوس بطليموس الاسكندري [الجغرافيا والجسطنى] ومن وقتها فصاعدا لم تعد الكتب الاغريقية والملاينية تحوى معلومات جديدة واخذ العصر المظلم في الجغرافيا يقيم شيئا فشيئا . وتغلب هذه الظاهرة على تاريخ القرون الاولى من العصر المسيحي - فرجسل حجة مثل القديس امبروز يقول ان البحث في طبيعة الارض وموضوعها لا يعود على الإنسانية بشيء يحقق من آمالها في الحياة الاخرى - كما نجد في كتاب الراهب الرحالة كونيلاس هذا الوصف للارض : « مسطحة مستطيلة ذات زوايا قائمة يبلغ طولها من الشرق الى الغرب ضعف عرضها من الشمال الى الجنوب - ويكتنفها المحيط .. ومن ورائه الفردوس العظيم » .

وتجدد انفسنا امام اساس يناقض ذلك تماما حين ننصدي للحكم على طابع العمل الجغرافي للمسلمين الاول الذين ابتغوا روح الاغريق القديمة وساروا بها الى مدى ايمد في اغناء الفكر الجغرافي . وقد كفل علم العرب لعلم الاغريق الحفظ والازدهار . كما هيا له في عسدد من المسائل الترقى والاحكام .

وقد انبثقت عناية العرب بالجغرافيا من واقع حياتهم . فالنجوم الثابتة والكواكب السيارة وتقلبات الطقس كانت موضع اهتمامهم . ولقد عاونت على نجاح المسلمين المعقربة الذاتية والمناقشة

وفيه فصول عن علم الفلك البحري والطرق البحرية في بحر العرب . ومياه شرق أفريقيا وسواحل خليج البنغال والملايو والهند الصينية والطرق خلال كثير من جزر المحيط الهندي والرياح الموسمية فيه . وقد ابان ذلك تفصيلا كما وصف رحلات هامة .

ويعتبر الخوارزمي من أوائل صانعي الخرائط العرب . وقد ألف كتابه : « صورة الأرض » موضحا بالخرائط كما قام باعداد خريطة للنيل . كما يقرن اسمه بالانتاج الجغرافي في عصر المأمون للخريطة الشهيرة التي أعدت للخليفة المأمون وتعاون على اخراجها مالا يقل عن سبعين من رجال العلم .

وقد قام البيروني بعمل خريطة مستديرة للعالم في كتابه التفهيم لبيان موضع البحار . كما كان الإدريسي بغير شك من صناع الخرائط المشهورين . فقد قيل أنه أعد سبعين خريطة للمناطق الداخلة في تقسيمه الجغرافي للعالم .

وجهود المسلمين في الجانب الفلكي والرياحي من الجغرافيا جزء من تلك الحركة العقلية العلمية التي بدأت في العصر العباسي على نطاق أوسع . ويمكن تتبع نمو وانتشار هذه الحركة إذا ما أشرنا إلى المدارس الأربع

الرئيسية في بغداد ومصر وشمال أفريقيا والأندلس . ففي مدرسة بغداد بعد أن أصبح المسلمون سادة على مناطق كثيرة لها ماض عريق في مصر وفارس والعراق والشام والهند وغيرها فقد أصبحت معارف القدماء في متناول المسلمين ، وتعاون العلماء على ترجمة

هذه المؤلفات . وبدأ العصر العلمي للحضارة الإسلامية باعلاء المأمون عرش الخلافة الذي كان لشخصيته القوية

ورعايته السخية لطلب العلم خير علة لتقدم العلم والتعليم في شتى فروع . وقد كان للفلكيين نصيب من التقدير .

وقد أجريت أول مجموعة من الأرصاد المنظمة بالآلات دقيقة في جنديسابور

يفارس خلال النصف الأول من القرن التاسع وقد أعاد من ذلك الفلكي أحمد التهاوندي . وكانت النتيجة اعدادة الزيج المشتمل سنة ٨٠٣ م . والزيج

عند العرب صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص بكل كوكب عن طريق حركته وما أدى اليه وضعه من سرعة وببطء واستقامة ورجوع وغير ذلك .

وهناك غير ذلك من انتاج الفلكيين الآخرين .

وفي مصر — في نهاية القرن العاشر الميلادي — أسس العزيز [٣٧٥ هـ - ٩٩٦ م] مرصدا بالقاهرة اختصه الحكيم

وقد اهتم العرب بالملاحة من أزمان بعيدة . وكانوا يعملون بصفة أساسية في تبادل التجارة مع العرب الذين أسسوا مراكز لهم حول شواطئ آسيا الجنوبية وآسيا الشرقية حتى جزر سومطره وجاوة وملقا . وأعقب ذلك

في منتصف القرن السابع الميلادي بزوغ فجر جديد للعرب منذ أن ظهر الإسلام بقوته العظيمة الروحية والاجتماعية

والسياسية . وقد امتدت سيطرة العرب البحرية على الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الأحمر والبحر المتوسط حتى غرب المحيط الاطلنطي . وامتد

نشاط العرب التجاري حتى جزر الملايو وسومطره وجاوة ووصل الإسلام إلى هذه المناطق دون أي عون سياسي .

وقد قامت غلبة العرب في ميدان التجارة بتلك البحار على أساس من روح المخاطرة فيهم وكفائتهم في ركوب من البحار .

مع قيام صلات ودية بين المسلمين وغيرهم في هذه المناطق . فليس هناك من مثال واحد على أية مشاحنة تصل

إلى حد القتال بين فرد من المسلمين وبين أحد الحكام أو الأهالي . ثم ظهر البرتغاليون فيما بعد . وهنا يحدثنا التاريخ عن الصراع المرير الذي لم يقتصر هؤلاء الغربيون على أن يصلوا بنساره العرب المسلمين . بل شملت عدوانهم

المسلمين وغير المسلمين على السواء . وكانت الملاحة العربية تنائر بالطقس

واتجاهات الرياح وشدها . وكان اقلاع السفن يتأثر مباشرة بتغير الفصول . وقد كان لاختراعهم البوصلة أهمية كبيرة .

كما كان للخبرة الطويلة بشأن الرياح والطقس والمجاري المائية ما عوض عن القصور القائم في الأجهزة الدقيقة الأخرى التي نملكها اليوم . وقد كان للعرب

مصطلحات في علم ظواهر الجو كما كان لهم مؤلفاتهم أيضا ومنها ما كتبه شهاب الدين أحمد بن ماجد من تعليمات لركوب

البحر في المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي وبحر الصين العربي ومياه جنوبي شرق آسيا . وقد نشر

ابن ماجد كتبه البحرية الثلاثين بين سنة ١٤٦٢ - ١٤٩٠ م وأعظمها أهمية كتاب الفوائد الذي يتناول فيه أصول الملاحة

ويعرض فيه أيضا منازل القمر والأبرة المغناطيسية والطرق البحرية في الهند والجزر العشرة الكبرى . والرياح

الموسمية مع تقديم بيان تفصيلي عن المراسي والمناطق الضحلة والشواطئ والتسحاب البارزة في البحر الأحمر .

وهناك أيضا سليمان بن أحمد ابن سليمان المهدي وهو من معاصري ابن ماجد وقد كتب خمسة

أبحاث في تعليمات الملاحة في النصف الأول من القرن السادس عشر منها : العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية

وفي أفريقيا ضرب العرب في الصحراء تحيطهم حمية الدعوة الإسلامية فوصلوا إلى السودان والسنغال والتيجر مع بسط نفوذهم التجاري أو السياسي على طول ساحل أفريقيا الشرقية . وملكوا بلاد الصومال وزنجبار وموزمبيق وجزائر الكومور وغيرها . وأن جدة معلومات الإدريسي عن أفريقيا وقيمتها الجغرافية لتثيران إعجاب الجغرافيين المحدثين .

وقد كشفت دراسة المؤلفات الجغرافية السابقة على الإسلام عن معرفة ضحلة هي كل ما تهيأ للغرب عن قلب آسيا

ولم تكن تزيد على هذا القدر معلومات المؤرخين أمثال هيرودوت . ولكن المسلمين ما كانوا يفتخرون ما وراء الهند حتى

اندفعوا مسرعين صوب آسيا الوسطى لاكتشاف شأقتها ووديانها . وفي أول أدوار الكتابة الجغرافية ظهر الجغرافيون

الحليون مثل الجيهساني [٨٩٢ م] والجرديزي مؤلف زين الاخبار والبليخي والبيروني الذين أضافوا معلومات قيمة عن الجهات التي تناولوها بالبحث والرحالة

أمثال الجويني وابن بطوطة وعبد الرازق قد خلّفوا أوصافا نافعة ذات جوانب متعددة . وكان للجغرافيين المسلمين أيام

المغول أثرهم على العلم الجغرافي في الصين . فقد اعتمدت الخريطة الصينية الرسمية لعام ١٣٢١ م — كما يشير بذلك

البرت هيرمان — على علم الجغرافيين المسلمين ، أو أن الذين قاموا بعملها هم الجغرافيون المسلمون أنفسهم . ولم يكد

المسلمون يفتحون السند وجنوب البنجاب الغربي حتى بدأ العالم العربي يستقبل معلومات ممتازة عن الهند . ووضع

البيروني مؤلفه الخالد [كتاب الهند] الذي بسط في مواضع عديدة منه صورة جغرافية مفصلة للبلاد . ومن بعده قدم

الإدريسي وأبو الفدا وابن بطوطة معلومات وافرة عن الهند حتى لم تعد غارقة في تيه من الأسرار — واهتم الجغرافيون المسلمون بكل التواحي الثقافية والاجتماعية

وخطوط الطول والعرض لآماكن عديدة ومسالك السير والطرق والمراحل . ولم يكن التقدم الملحوظ في البحث مقصورا على ميدان الجغرافيا الوصفية والإقليمية والطبيعية .

وبالنسبة لفن الخرائط . فلم يحرز العرب شأوا بعيدا فيه . وقد يكون من أسباب ذلك ما عرف عن العرب من حب

النقش والتزيين ومن هنا آثروا البهاء والرواء على الدقة والضببط . كما وأن صناعة الخرائط الغربية لم تكن تعدو

محاولات لتجميل الكتب الدينية بالرسوم وكان الجغرافيون العرب يستلهمون الوحي من بطليموس إلا أن معارفهم

الجغرافية قد تقدمت شوطا عما كانت عليه الحال أيامه . بل أنهم طرحوا كثيرا من آراء بطليموس لمخالفاتها لبعض الحقائق .

ثالث الخلفاء الراشدين

ان العقيدة لا يمكن ان تلفى الخصومات والاحداث والا كانت العقيدة معطلة لحياة الامم .. لان هذه الخصومات والاحداث من طبيعة الحياة ، ومن طبيعة البشر منذ الازل الى الابد .. لكن العقيدة تجدد القيم والمبادئ التي تدور عليها الخصومات والاحداث .. ودور العقيدة بهذا المعنى سيحينا لفهم تلك الاحداث على وجهها الصحيح .. على وجه لا يريب في عمل العقيدة .. وبالذات العقيدة الاسلامية .

هذا مجمل القضية التي نحن بصدها فاذا طرقنا بالإيضاح والتفصيل فيمكن القول بان المؤرخين على اختلاف مشاربهم لم يختلفوا اختلافهم في الامر الذي بين ايدينا ، امر عثمان بن عفان .. ولا هم اختلفوا في تقييم اثر اعدامهم في تاريخ الامة الاسلامية مثل اختلافهم فيه ومن هنا كان التاريخ لمعهد عثمان وسيرته ذا طرافة لا تخلو من خطورة ، وكلامها بطبيعتها يستلزم مزيدا من الدقة في البحث والحرض في الحكم على الاحداث والاشخاص

ويقتر المؤلف في مقدمة كتابه بصعوبة الموضوع الذي يعالجه خوفا من الوقوع في خطأ التحيز بدافع العاطفة أو التعاطف .. صحيح ان عثمان لم يكن اول خليفة يقتل فان عمر بن الخطاب قد قتل من قبله غيلة وهو يقيم الصلاة ولكن هناك فارقا بين المالكين ، فمصر قتله غلام دخیل على الاسلام اما عثمان فقد قتل بيد اناس مسلمين تجمعهم اياه عقيدة واحدة .. وهنا تكمن صعوبة الموضوع الذي يعالجه الكاتب .. هذا الموضوع الذي يثير سؤالا جوهريا .. هو ، ماذا فعل الاسلام اذن بنفوس الناس وماذا تغير فيهم من صفات الجاهلية اذا كان الخليفة عثمان يقتل بايدي مسلمة ؟

ثم ينه الكاتب الى ان هذا السؤال قائم على خطأ كبير وفهم خاطيء لجوهر العقيدة .. فهي لا تبطل الخصومات ولا تنهى الخلق والنزاع والا كانت قيذا على الخلق والابتكار والتجديد ، وتمطيلا لحياة الامة وتاريخها وفكرها .

كانت القاعدة الاساسية التي اقام عليها ابو بكر وعمر نظام حكمهما هي ان يسير سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المسلمين ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . وسيرة النبي في المسلمين معروفة فقد كان قوامها تحقيق العدل الخالص بين الناس امتثالا لقول الله في كتابه العزيز « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم ، شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

لقد كان النظام السياسي للدولة الاسلامية منذ عهد الرسول نظاما عربيا خالصا وضع الاسلام له حدوده المألفة وخطوطه العريضة .. وكان يقوم على مبدأ الشورى الذي يتماشى مع الروح العربية ويبعد كل البعد عن النظام الوراثي وهذا المبدأ يتضح في بيعه ابي بكر وعمر وعثمان وعلى .

من بعد بالكثير من عتابه * وكان من ثمرة ارساد العلواء المصريين الزنج الحاكمي

وكان للبيروني وابن سينا وغيرهما نشاطهم العلمي الضخم - وينظم كتاب البيروني المسمى القانون المسعودي كثيرا من جهود الفلكية والرياضية * وقد ألفه مسعود * كما ان له كتابا اخرى في هذا المجال * وقد تعددت خدمات البيروني للجغرافيا وتماثلت * وقد قام بقياس وتحديد مساحي لما يسمى « بالحدائق » عدد من الاماكن في دقة ملحوظة * كما أدخل طريقة بسيطة لعمل التماذج الجسمية * وقام بشرح حدوث التناقص الطبيعية والابرار الصناعية باستخدام قوانين توازن الموائع * وعالج علم طبقات الارض وعلم المعادن * كما بحث في الارض ومحورها وحركتها * وقد عاش ابن سينا بجانب البيروني وغيره في ذلك الحشد من علماء ذلك العصر * واشتهر بمناقشاته الفلسفية وحذقه في ممارسة الطب * ولكن ابحاث الفلك والطبيعية قد اخذت منه جهودا غير عادية . وفي كتاب [تاريخ الحكماء] قائمة لواء اربعين كتابا ألفها ابن سينا من بينها رسائل في الاجهزة الفلكية . وفي الاندلس تالقت قرطبة واشبيلية وطليطلة وقرنطة في سماء المجد من اواسط القرن العاشر فصاعدا - ومن سوء الحظ ان ضاع كثير من المؤلفات - كما ان الكتب اللاتينية التي تدوين عليها للصادر الاسلامية تنتسك للواجب العلمي في التعريف بفضل تلك المصادر او تمنع في تحريف الاسماء وتشويه مادة الموضوع .

وفي شمال افريقيا - في طنجة وسنة وفاس ومراكش وغيرها وفي فارس والشرق كانت الابحاث الفلكية مزدهرة .

وقد اقترن كل ذلك بتأسيس أحدث المراصد بالنسبة الى ذلك الوقت * وقد كانت الجهود الاسلامية في ميدان الجغرافيا تؤلف جزءا هاما من ذلك التعبير الجديد عن البحث العقلي الذي ميز قوام التمدن الاسلامي * ويقترن نمو هذه الجغرافيا وتقدمها الى حد كبير بمطلع فجر روح علمية جديد تميزت بوضع المنطق فوق السلطة ولم يكن العرب بهال مجرد متقلدين بل كانت لديهم خصائص من العزم والعقل والكفاية المتديزة مما ابرز الطابع الفريد لتلك الخصائص على كمال ما تسلموه او استعاروه من الغير .

وكانت حرية العرب العقلية الاخاذة مذهلة حقا في زمنهم الذي كان عصر تسليم مطلق وانقياد اعمى للسلطة .

تأليف الأستاذ
سالم عرفات سالم
عرض:
محمود مصطفى فايد

عثمان بن عفان

رضي الله عنه

الحاسمة . ورغم انه لم يحضر بدرا الا ان الرسول اعلمه من
الديرين الذين شهدوا بدرا .
وقد حزن عثمان على موت زوجته حزنا شديدا . ولما سأل
النبي عن سبب حزنه فقال لقد انقطع الصهر بيني وبينك فطيب
النبي خاطره وزوجه اختها ام كلثوم غير انها لم تلبث ان توفيت
في السنة التاسعة للهجرة فحزن عثمان عليها كثيرا فكان مما
واساه رسول الله به ان قال « لو كان لنا نائلة لزوجناك » .
وزواج عثمان من رقية وام كلثوم هو الذي جعل المسلمين
يلقبونه بعد ذلك بذى النورين .

مكانته عند النبي :

استعان الرسول بثمان في كثير من امور المسلمين فكان
سفيره لدى قريش . وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .
واحد الستة الذين نوى رسول الله وهو راض عنهم . وقد
روى عن الرسول مائة وستة واربعين حديثا . وقال فيه
الرسول « ان الملكة لتسكني من عثمان » وكان عثمان كريما
سخيا لم يقتصر عن معونة المسلمين وكان انفع المسلمين في
احكام الدين واحفظهم للقرآن والسنة .

بيعته بالخلافة :

لما طعن عمر بن الخطاب خشي ان يضطرب الامر بعد وفاته
اذا ترك موضوع اختيار خليفة من بعده دون تحديد فاختار
سنة من الصحابة الذين مات رسول الله وهو راض عنهم
ووعدهم بالجنة وهم علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وسعد
ابن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلعت
ابن عبيد الله بن عمر . واوصى بان تكون الخلافة لواحد منهم
وبعد مشاورات كثيرة مال اكثر المسلمين الى جانب عثمان بن
عفان واعلن عبد الرحمن بن عوف ببيعة المسلمين لعثمان بالخلافة
وبدا عثمان فترة حكمه بان اقر الولاية في ولايتهم فلم يعزل
احدا .

الفتوحات الاسلامية في عهد عثمان :

احتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب المكانة العظمى في الحياة
الاسلامية فهو الذي سير الجيوش ونظم الولايات وحل مشاكل
التشريع ، وكان عهده بحق من اخطر المهود في تاريخ الاسلام
فهو عهد الفتح والتوسع وتكوين الدولة العالمية الاسلامية وقد
امتدت الامبراطورية الاسلامية في عهد عمر من اقصى فارس
شرقا الى حدود برقة وطرابلس غربا ومن بحر قزوين في
الشمال الى بلاد النوبة في الجنوب .

ولما نوى الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ وخلفه عثمان
ابن عفان لم يمتنع هذا بتسكين الثورات التي كانت تنور في وجه
المسلمين من آن لآخر بل امر جيوشه بالتقدم في جميع الاتجاهات
متجاوزين حدود الدولة الاسلامية فاتحين بلادا جديدة عملا
بسياسة « خير وسائل الدفاع .. الهجوم » فتقدم الجنود

الذين فقد كان انتخاب عثمان عن طريق الشورى وقد تابع
عثمان في بداية عهده سياسة الرسول والخلفين من بعده
الى ابعد حد ، فقد مضى العام الاول من خلافته دون ان يعزل
احدا من ولاية عمر فبلغت الامبراطورية الاسلامية في عهده
اقصى اتساعها كذلك باثر عثمان الى تجهيز اسطول المسلمين
لواجهة التحدي البحري من جانب الروم ولصد غاراتهم على
الدولة الاسلامية .

على انه ما كاد العام الاول من خلافة عثمان ينتهي حتى
اخذ عثمان وولاته يحدون كثيرا من التغيرات على نحو اعتبره
المعاصرون مخالفا لسنة السلف ، مما كان له ابعاد الاثر في
اشتداد السخط والتذمر ضده في الامصار الاسلامية .. وما
كان من قتله في النهاية .. تلك القطة البشعة وهو شيخ وقور
تجاوز الثمانين .

● ● ●

نشأته :

ولد عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس
ابن عبد مناف ابن قصي الاموي القرشي بعد ميلاد الرسول بخمسة
سنين في مدينة الطائف اخصب بقاع الحجاز . وامه اروى
بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وامها
البيضاء بنت عبد المطلب عمه الرسول . وقد نشأ عثمان في
نعمة وعيش رغد فقد كان ابوه تاجرا واسع الثراء وكان يحمل
قوافله الى الشام وفي احدى هذه الرحلات مات ابوه عن ثروة
عظيمة وترك ابنه بين الصبا والشباب . وهنبا بلغ عثمان مبلغ
الرجولة كان ربعة لا بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه رقيق
البشرة اسمر اللون كبير اللحية ، اصابه الصلع بعد ان كان
كثير الشعر ويرتدي احسن الملابس ويأكل اجود الطعام .
اسلامه :

عاد عثمان يوما من الشام فسمع بالدعوة الجديدة التي كان
النبي قد اخذ يدموها . ولقي عثمان ابا بكر فشرح له قواعد
الاسلام وهداية الدين الجديد فوجد خاشعا ، فصحبه ابو بكر
الي حيث يكون رسول الله ، فلقبه النبي قائلا « يا عثمان اجب الله
الي جنته » فقال عثمان « فوالله ما ملكت حين سمعت قوله ان
اسلمت وشهدت ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله » .

ذو النورين :

اسلم عثمان وتزوج رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم واقام معها بمكة بزاوئ تجارته ويشارك اخوانه السابقين
الى الاسلام في الاخذ بما ينزل به الوحي . ولما اشتد اذى
قريش لاتباع النبي نصحبهم بالهجرة الى الحبشة . وكان اول
الذين ذهبوا اليها أحد عشر مسلما رجالا ونساء فكان عثمان
وزوجته رقية اسبق هؤلاء الى الهجرة .. ثم لحق بالنبي بعد
ذلك الى المدينة . واتخذ الرسول امين سره فكان يكتب الوحي
احيانا . ولما خرج النبي مع اصحابه في غزوة بدر لم يخرج معه
عثمان ، لاشتغاله بتريض زوجته رقية التي ماتت يوم ورود
البشير الى المدينة بنصر المسلمين وهزيمة قريش في تلك الوقعة

المسلمين شرقا الى حدود الهند والصين وشمالا الى ما وراء بحر الجزر وغربا الى ابواب القسطنطينية وتضمون الاندلس وجنوبا الى السودان والحيشة *

غزو أذربيجان وأرمينية [سنة ٢٥ هـ] :

كانت مقاطعة أذربيجان وما جاورها غربا آخر ما أخضعه المسلمون من ولايات فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب... وفي أوائل عهد عثمان بن عفان نقضت هذه البلاد عهدها وانتمت عن دفع الجزية فأرسل اليها عثمان جيشا أخضعها ، أما أرمينيا التي تجاورها فقد فتحها خالد بن الوليد في عهد عمر ، وقد انتهت فترة الثورة في أذربيجان ونارت هي الأخرى إلا أنها عادت خاضعة في عهد عثمان *

غزو الإسكندرية [سنة ٢٥ هـ] :

رغم الهزيمة التي لحقت بالروم في الشام وأرمينيا على يد المسلمين إلا أن الأمل كان يرأدهم في الاستيلاء على الإسكندرية بما لهم من قوة بحرية ضاربة بل والاستيلاء على مصر كلها وكان عمرو بن العاص قد فتحها في عهد عمر قام الروم بأعداد حملة بحرية ضخمة واستطاعوا التغلب على الحامية العربية في الإسكندرية وقتلوا كل أفرادها ودمروا معظم المدينة ثم توغلوا في الدلتا ، وقد عهد عثمان بن عفان الى عمرو بن العاص بمهمة طرد الروم من مصر لخبرته الواسعة ولشهرته في قهرهم وخوفهم منه . وأسرع عمرو الى مركز قيادة المسلمين . وكان من رأى عمرو أن يترك الروم ينتشرون في البلاد ويميتون فيها فتسادا فيكرههم الناس ويكونوا عونا للمسلمين ضد الروم . وقد خالف عمرو بذلك رأى الناس جميعا من أصحابه ومرافقيه . ثم سار الروماني الذي يوقه عددا وانتهت المعركة بهزيمة الروم الذين فروا الى الإسكندرية في حالة ارتباك شديد فتحصنوا بها وعانت القوات العربية الكثير في حصار الإسكندرية وكان السبب في قوة حركة مقاومة الروم بالإسكندرية هو وجود أسطولهم في مياه الإسكندرية يزود جيشهم بالعتاد ويحمي ظهورهم . وأخيرا تمكن القائد عمرو بن العاص من اقتحام المدينة عنوة وهزم الجيش الرومي وقتل قائده ودمر معظم أسطوله وبذلك استولى العرب على الإسكندرية للمرة الثانية *

عزل عمرو بن العاص عن مصر [سنة ٢٦ هـ] :

كان القنظر بعد هذه الإحداث أن تعود ولاية مصر الى عمرو ابن العاص يتولى تدبير أمورها بما عرف من عدل وحسن بصره بالأمور ولكن عثمان رأى أن يقتصر عمرو على إمارة الجند وأن يكون عبد الله بن سعد ، بن أبي السرح والي مصر وصاحب خراجها . فرفض عمرو ما أراده له عثمان ورجع الى مكة وفي نفسته الكثير من الحفيظة على عثمان *

فتح إفريقية [سنة ٢٧ هـ] :

لضرورة حربية رأى عبد الله بن سعد بن أبي السرح أن تغزو إفريقيا الشمالية أمر ضروري لتأمين مصر فآذن له الخليفة وأمدّه عثمان بجيش كبير كان يضم جلة الصحابة وتخطى طرابلس الى تونس حيث التقى بالجيش البيزنطي ولم يحرز أى منهم نصرا حاسما الى أن أرسل عثمان ، ابن الزبير حيث تنازل له عبد الله بن سعد عن قيادة الجيش الإسلامي ووضع خطة للقتال تقوم على أساس تقسيم الجيش الى فرقتين وهزم الإعداء شر هزيمة وبعد هذه الموقعة أصبح شمال إفريقيا كله مفتوحا للمسلمين

غزو قبرص [سنة ٢٨ هـ] :

وافق عثمان على فكرة معاوية بن أبي سفيان بإتشاء أسطول لغزو قبرص ورودى في البحر المتوسط وتم فتح قبرص على يد معاوية .. وبذلك أصبح للمسلمين قوة بحرية مرهوبة الجانب وفطن الروم لهذه القوة الفتية للمسلمين فاعدوا لها عدة *

معركة ذات الصواري [سنة ٣٤ هـ] :

أعد الإمبراطور الروماني العدة لداهية المسلمين فجمع أسطولا يتكون من خمسمائة سفينة وتقابل مع الأسطول الإسلامي

القادم من الشام يحالفه الأسطول الإسلامي القادم من مصر * ودارت معركة رهيبة تم للمسلمين فيها النصر * وقد تابع المسلمون بعد ذلك في عهد عثمان بن عفان سياسة التوسع والفتح ففتحوا بقية ولايات بلاد فارس وخراسان *
حكومة عثمان :

في بداية الفصل الرابع يتحدث المؤلف عن العوامل الخفية التي مهدت للفتنة .. فمنذ تولى عثمان الخلافة كانت هناك تيارات خفية تمهد للثورة وللقتل عثمان . ولقد كان لهذه التيارات أثرها في حياة الأمة العربية كلها فوجه الكثير من شئونها توجيها هيمن على الإمبراطورية الإسلامية وعلى التاريخ الإسلامي كله من بعد *

● أول هذه العوامل التنافس بين بنى هاشم وبنى أمية الذي يرجع تاريخه الى مائة عام قبل النبي والذي ظهر واضحا في الحديث عن الشورى وبيعة عثمان التي انتهت بعدم اقتناع بنى هاشم بها . وكانت لها أكبر الأثر في حكومة عثمان . كذلك أبرم العرب من غير قریش بسلطان قریش كان له أثر عميق في تلك الحكومة *

● شعور الأعاجم وشعور اليهود والنصارى باستغلال العرب عليهم وكان هذا الشعور اشد وضوحا في فارس منه في الشام ومصر *

● والواقع ان هذه العوامل كانت من الضعف في عهد عمر وفي السنوات الاولى من عهد عثمان . فلم يكن لآى من الحليفين أن يخشاها . فقد كان عمر يظن أن ما يبدو من ظواهر الإمتعاض يرجع الى سوء تصرف الولاة .. وتولى عثمان الخلافة ولم يكن أحد يسعى به الظن في أوائل عهده *

وكانت الأحوال مستقرة في أوائل عهد عثمان وإن كان عثمان استفتح عهده بأن زاد في عطاء الناس ووسع عليهم مما زاد في رضاهم . وترك للمهاجرين حرية التنقل في البلدان المفتوحة عكس ما كان يفعل عمر . وقد قام عمر بإعادة بناء مسجد النبي بما يضفى عليه الهيبة لانه كان مركز الحكم . كذلك وسع عثمان المسجد الحرام بمكة . ومن أشهر أعمال عثمان جميعه الناس على قراءة واحدة للقرآن وإهراق ما سوى مصحف عثمان من المصاحف . وهذا أثار عليه كثير من الناس *

وكان لاتباع عثمان سياسة تعيين ولاته وعياله وقصر مناصب الدولة على أقربائه اشتداد المعارضة ضده في أواخر أيامه . وانحرفت عنه من أجل ذلك القلوب ونظرت اليه قریش بغير عين الرضا ، كذلك ترك عثمان للأغنياء أمر الزكاة يدفعونها كما يشاؤون . كذلك أخذ المسلمون على عثمان أنه أعاد معه الحكم ابن أبى العاص وأهله الى المدينة وكان الرسول قد أخرجه منها بسبب إيذاء الحكم للرسول . ونقم المسلمون على عثمان أنه عزل ولاية عمر عن الأمصار وولاهها نوى قرياه *

كانت الكوفة موطن الثورة الأساسى في خلافة عثمان وكثيرا ما أظهر أبناؤها تذمرهم من أمرائهم وولائهم . وكان لدماية عبد الله بن سبا أثرا كبيرا في فى تاليب المسلمين على عثمان ونشر مذهب الوصاية بمعنى أن عليا وصى محمد وأنه خاتم الأوصياء بعد محمد خاتم الأنبياء وأنهم أبنا بكر وعمر وعثمان ياللعدى على حق على في الخلافة . فيها الإذهان الى الاعتقاد بأن عثمان اغتصب الخلافة من على وصى الرسول *

ومن الشخصيات التي عارضت عثمان ، أبو ذر الغفارى الذى دعا الى اصلاح أحوال المسلمين وتخفيف الفسوق بين الأغنياء والفقراء *

مقتل عثمان :

لما ثارت الفتنة التي ذكرنا طرفا منها لم يلبث الثوار بعد حصارهم لدار عثمان أن هاجموا الدار وأشعلوا فيها النار .. ونالت الطعنات على عثمان وكان مقتله يوم الجمعة ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥ هـ *

رحم الله عثمان بن عفان الذى تستحي منه الملائكة ونرفعه الآيات الى أعلى فمماوالذى قال فيرسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم انى رضيت عن عثمان فأرض عنه » .
والله الموفق والمستعان *

من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

تأليف:
الدكتور أحمد الحوف

عرض وتقديم : على عيار

بها عند اعلان دعوته واصراره عليها ؟ وعدم الرجوع عنها على قلة الناصر والمعين ، وضحي بها ليلة هجرته ، وفي ايام هجرته ، وضحي بها في الفزوات التي دافع فيها عن كيان الدعوة .

● وكانت دعوته من اقوى الدعوات ، لانها لم تجعل حجابا بين العبد وربيه ، ووساطة بين الانسان ومعبوده ، فאלله اقرب الى مخلوقه من حبل الوريد ، ففضى بهذه الدعوة على كل وساطة وكهانة وادعاء .

● والكتاب الذي نعرض له في هذه الصفحات يركز على الجانب الاخلاقي في شخصية صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم ، هذه الشخصية التي سنظل مجالا خصبا لكثير من الدراسات التي تتناول جوانب العظمة في شخص الرسول عليه السلام ، وفي حياته ، وفي سيرته ، وفي علاقته بربه وبالناس ، وفي اخلاقه التي تتسامى عن الانتظار فلا يدرك احد ايها اعلى مكانا .

● وقد قدم المؤلف كتابه بتمهيد اعطى فيه ايجازا للمذاهب الاخلاقية فتحدث عن العرف والفتنة المادية ، والسمعية الشخصية ، والسعادة العامة ، والصبر ، والوسطية ، والقوة .

وقد بين المؤلف وجهة نظر اصحاب هذه المذاهب في الاساس الذي يقوم عليه صرح الاخلاق ثم اتبع ذلك بمطلب كل مذهب ، مقرر ان علينا ان نبد النظر الى ينبوع آخر مجرا من المهرج والتناقض على تعاقب الازمان والايام وهو الاسلام .

الاخلاق الاسلامية

● واذا كانت الاخلاق الاسلامية تنبع من الاسلام الا ان لا يهدى الى الاخلاق الفضلى والمثل العليا سواء فان محور هذه الاخلاق هو التقوى .

● في اواخر القرن السادس الميلادي ، ونور محمد الرسول صلوات الله عليه لم يشرق على البشرية بعد ، كان العالم في جميع ارجائه يروح تحت نير الاستعباد ، ويعكف معظمه على عبادة غير الله ، فشعوب باسرها تستذلها قلة من الرجال يلقبون احيانا بالباطرة ، وحيانا اخرى بالقيصرة ، وحروب بعضها في اثر بعض ، تثار اشباعا لنهمة الفزرو والفتح فحسب حتى بات العالم على شفا الهاوية ، ولكن رحمة الله تداركته ، فاخترت محمدا النبي العربي ليورد البشرية الى السلام والطمينة ، والى التراحم والتعاون ، والى الايمان واليقين .

● وقد كانت رسالته صلى الله عليه وسلم من اشق الرسالات واخطرها ، لهذا الجو الماصف الذي كان يجتاح العالم حينذاك ، ولكن الخلق العظيم الذي تخلق به الرسول الكريم ، والصبر الجميل الذي تحلى به طوال حياته ، والقوة الخارقة في الاعداد والتنظيم ، وما كان يمتاز به من بلاغة ومنطق سديد ، كل اولئك مكن لرسالته ، واصل دعوته ، فآمنت به هذه الملايين من البشر ايماننا زافرا لا يغبو ولا يفتر .

● ولقد استطاع الرسول الكريم ان يجعل دعوته مثلا لكل الدعوات ، ومنارا لمن اتى بعده من المصلحين ، فجعل من حياته دستورا للحاكمين ، ومن سيرته شاخصا يهتدى به الاحياء على مزاياهم .

● لقد كانت حياته متناهية في البساطة ، غاية في السمو والترفع ، وكانت سيرته حافلة بالوان التضحيات ، فضحي بنفسه مرات ومرات ، وضحي

على مخالفتها إلا بعد تردد واحجام ، ثم يندم على ما أخرج
وقد يؤدى الندم الى توبة نصوح لا رجعة بعدها الى الإناء .
وذلك أن عليها رقيبا عندنا من الدين نفسه ، ورقيبا من
الضمير الحى الذى أبطله الدين ورباه ، ورقيبا من العقل
السليم الذى صقله الدين وهدهد .

غاية الاخلاق الاسلامية

● تبين لنا من السطور السابقة أن الاخلاق الاسلامية
متفردة بان الدين ينبعها ، وبأن التقوى محورها ، ومميزة على
المذاهب الاخلاقية بخصائصها ، وهى — كما يقول المؤلف —
تمتيزة ايضا بغايتها وهى السعادة ..
السعادة التى تظل الفرد والامة ، وتجعل الحياة الدنيا جنة
صغيرة يجتازها الناس الى الحياة الآخرة وهى الجنة الكبيرة
التي نعيمون فيها بما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم
يخطر على قلب بشر .

شفف النبي بمكارم الاخلاق

● لقد اصطفى الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم
من أكرم دوحه وتمهده فى طفولته وشبابه الى أن اختاره ليكون
مبشرا ونذيرا فوباه أشرف تربية ، وأدبه أحسن تأديب .

أدبه بمثل قوله تعالى

— « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین »
الأعراف .
— « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتي هي أحسن » النحل
— « واصبر على ما أصابك أن ذلك من عزم الأمور »
لقمان

وكان « خلقه القرآن » كما تقول السيدة عائشة رضى الله
عنها .. وقد قرن مكارم الاخلاق برسائله فقال
— « انها بعثت لاثم مكارم الاخلاق » .
وكان لا يفتأ يحض المسلمين على التحلى بالفضائل ، وينفهم
من الرذائل
— « أكثر ما يدخل الناس الجنة ، تقوى الله ، وحسن
الخلق » .
— « من سعادة المرء حسن الخلق » .
— « انكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعواهم ببسط
الوجه وحسن الخلق » .

— « أن العبد لينبغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم » .
لقد كان صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى كل فضيلة ،
وحسبه من التشريف الإلهى أن الله تعالى أقسم بحياته فى قوله
— « لعمر ك انهم لفى سكرتهم يعمهون » الحجر
ولم يقسم الله — كما يقول المؤلف — بحياة أحد غير محمد
عليه الصلاة والسلام . وقد وصفه على بن أبى طالب بقوله
— « كان أجود الناس كفا ، وأجرا الناس قلبا ، وأصدق
الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم
عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه » .

من صفات النبي عليه السلام

● شرع المؤلف ابتداء من الفصل الثالث وحتى نهاية
التصنيف الواحد والعشرين فى الحديث عن اخلاق النبي فتكلم عن
هذه الصفات

« الشجاعة ، الكرم ، العدل ، العفة ، الصدق ، الإمانة .
الصبر ، الحلم ، العفو ، الرحمة ، أيتار السلام ، الزهد .
الحياء ، التواضع ، الوفاء ، الشورى ، طيب العشرة ، حب
العمل ، البشرى والفكاهة » .

وللتقوى — كما يقول الدكتور الحوفى — دلالة دينية تشمل
طاعة الله تعالى والرغبة فى ثوابه ، وتشمل خشية سبحانه
والخوف من عقابه .

والنقى — وهو يعلم أن الاسلام ينبوع الاخلاق وأن التقوى
محورها — لن يكون الا كريما شجاعا عادلا آمينا عفيفا صادقا
وفيا رحيما غيورا متحليا بكل فضيلة مبرا من الجبن والبخل
والفجور والفدر والكنب ومن كل رذيلة .

● وقد ترددت مادة التقوى فى القرآن الكريم بهذا المعنى
تسعا وثلاثين ومائتى مرة .. منها قوله تعالى

— « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » النجم
— « للذين أنقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار »
آل عمران

— « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
وليسجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » التوبة
— « وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا
عليهم فليقتلوا الله وليقولوا قولا سديدا » النساء .

خصائص الاخلاق الاسلامية

تتميز الاخلاق الاسلامية على الاخلاق الوضعية بعدة خصائص
هدهده المؤلف على الوجه التالى

■ الخيرية المطلقة

● كفل الاسلام الخير الكامل المبرا من الاثرة ، ولانه
كذلك ، فقد استمد الاخلاق المثلى التى تحقق الخير المحض
لل فرد وللناس جميعا فى كل البيئات وفى جميع الحالات وفى
كل الاوقات .

■ الصلاحية العامة

● تنفرد الاخلاق الاسلامية بأنها تكفل الخير لجميع الناس
فى كل زمان ومكان وبأبناها سمحة وميسورة ليس فيها ارهاق
ولا تكليف بما لا يطاق ، وصدق الله تعالى فى قوله
— « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » البقرة .
— « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » البقرة
— « ان الله بالناس لرؤوف رحيم » الحج

■ الثبات

● اذا كانت الاخلاق الاسلامية — كما قلنا — نابعة من
الدين ، وكفيلة بالخير المطلق ، وصالحة للناس جميعا فهى —
اذا — تنقسم بالثبات والدوام والاستقرار ، لأن المشرع الحكيم
راعى فيها كفاية الخير الدائم العام .

■ الالتزام المستجاب

● والاخلاق الاسلامية تستمد من ينبوعها قوة نافذة
وتستند الى سلطان روى يدها بأعظم الدوافع على الاستمسك
بها ويحفز الناس الى عمل الخير حفزا منوطا بالثواب ، ويردعهم
عن فعل الشر ردعا مرهوب العقاب .

■ الرقابة المحيطة

● على أن الاخلاق الدينية أكثر حصانة من الاخلاق
الوضعية ، لأن الهيمنة عليها أشد وأقوى ، فلا يجترئ انسان

● ● ● وهين يتكلم المؤلف عن هذه الصفات فانه يتحدث عن حقيقة كل صفة ، ومصدرها ، ومظهرها ، والغاية منها ، وهى الرسول عليه الصلاة والسلام عليها ، وهو يعطى أمثلة على كل صفة من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وعلاقاته بأصحابه رضوان الله عليهم وحديث أصحابه عنه عليه السلام ، ومقارنته بين ذلك وبين تفسير أصحاب المذاهب الاخلاقية لهذه الصفات .

● ● ● ولا اعتقد ان فى قدرتنا ان نعرض لسلك هذه الصفات كما عرضها المؤلف ، والا فانا سوف ننقل الكتاب كله ، ذلك ان الدكتور الحوفى حرص على تقديم نماذج مكثفة من شيرة النبي عليه السلام — نظرا وتطبيقا — وهى نماذج لا بد منها فى مثل هذه الدراسة التى تتناول بكل الحب شخصية نبي الاسلام وهو قدوة المسلمين وامامهم والمثل الاعلى فى حياتهم .

● ● ● حسنا — اذا — ان نقتطف من ثمار حقيقة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ما تنفع له هذه الصفات ، وما نرجو ان ينفعنا الله به .

الشجاعة

● ● ● مظاهر شجاعة الرسول عليه الصلاة والسلام متعددة الألوان ، متنوعة الضروب تجمعها شجاعة الراى وشجاعة الحرب

لقد قضى حياته قبل البعثة ساخطا على مايرى من فسساد العقيدة ، وضلال العقول ، وعبى القلوب ، وانحلال الاخلاق ، وحين اجتباها الله لرسالته ، وجهر بالدعوة ، ثبت على تبليغها ثباتا سيظل حديث التاريخ ، وهين خاض غمار الحرب ردا للعدوان ، ودفاعا عن الدين كان فى مقدمة جنده ، حتى ليقول الامام على رضى عنه

— « كما اذا همى الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب منه الى العدو ، ولقد رايتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ، وهو اقربنا الى العدو ، فكان يومئذ أشدنا باسا » .

وقال عبد الله بن عمر — « ما رايت أجد ، ولا أجود ، ولا أشجع ، ولا أرمى من رسول الله » .

وكان صلى الله عليه وسلم يحض المسلمين على الشجاعة ويحببها اليهم ، فمن أقواله فى ذلك

— « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد » .

— « ان الناس اذا راوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » .

— « مثل المجاهد فى سبيل الله — والله اعلم بين مجاهد فى سبيله — كمثل الصائم القائم ، ونوكل الله للمجاهد فى سبيله بان يتوفاه ان يدخله الجنة او يرجعه سالما مع اجر أو غنيمة » .

— « لا يكن احدكم امة ، يقول .. انا مع الناس ، ان احسن الناس احسنت ، وان اساءوا اسأت ، ولكن ، وطنوا انفسكم ، ان احسن الناس ان تحسنوا ، وان اساءوا ان تتجنبوا اسائتهم » .

الكرم

● ● ● لم يكن جود النبي صلى الله عليه وسلم لكسب محبة او انقاء منقصة او لاجتذاب المادحين ، وانما كان فى حياية الدين وفى مهاربة الذين يصدون عن سبيل الله . وكان فى الانفاق على الفقراء من المسلمين ، وفى رعاية اليتامى والايتامى ، وفى تحرير الارقاء .

وكان كرمه عليه السلام ايقارا على نفسه واهله ، فهبوا يعطى احوج ما يكون الى ما يعطيه ، وكان ينفق فى سبيل الله ما استطاع ان ينفق ، وما سئل شيئا قط فقال : « لا ، انا رجل غسالة ، فاعطاه غنيا سدت ما بين جبلين ، فارجع الى قومه وقال .. اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة قال جابر ..

— بينما رتول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبي ، فقال ، ان امي تستنكسك درعا — أى تريد قميصا تكتسى به — فقال رسول الله .. من ساعة الى ساعة يظهر ، فعد اليها . فذهب الصبي الى امه فقالت له .. عد اليه ، فقل له .. ان امي تستنكسك الدرع الذى عليك — أى تطلب قميصك انت — فدخل رسول الله داره ، ونزع قميصه ، واعطاه الصبي ، وقعد عريانا ، واذن بلال ، وانظر المسلمون ، فلم يخرج النبي للصلاة .

العدل

● ● ● استقى النبي عليه الصلاة والسلام العدل من التربية الالهية والاخلاق القرآنية ، وكانت فطرته السليمة مهية للعدل منذ شبابه ، ومظاهر عدله متعددة متنوعة منها ..

— سرق امرأة مخزومية ، فاحزن قريشا شأنها ، فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله ؟ ومن يجترء عليه الا اسامة بن زيد حبيبه ؟

فكلمه اسابه ، فقال رتول الله صلى الله عليه وسلم .. انتشف فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب ، وجاء فى خطبته قوله ، انما اهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اتقوا عليه الحد ، وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

العفة

● ● ● بلغ عليه الصلاة والسلام أعلى الدرجات فى جميع ضروب العفة وانواعها ، فقد كان المثل الاعلى فى الفضائل كلها ، والعفة موصولة بها كالامانة والعدل والقناعة والايتار ومن حظه على العفة قوله

— « لان يحتطب احكم حزمة على ظهره خير من ان يسأل احدا فيعطيه او يمنعه » .

— « عز المؤمن استغناؤه عن الناس » .

— « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ، فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله تعالى ايتانا يجد حلوته فى قلبه » .

الصدق

● ● ● اجمع الذين عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم وخاطبوه منذ صباه على انه صادق أمين ، لم يسموا من فمه اكذوبة قط ، ولم يشكوا فى خبر من اخباره ، او يستريبوا فى قول من أقواله ، ومن حديثه عليه السلام عن الصدق

— « عليكم بالصدق ، فان الصدق يهدى الى البر ، وان البر يهدى الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكون صديقا ، وان الكذب يهدى الى الفجور ، وان الفجور يهدى الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عنه الله كذابا » .

— « لا تزال امتي صالحا امرها ما لم تر الامانة مغنما ، والصدق مغرما » .

الامانة

● ● ● امانة الرسول عليه الصلاة كفضاله كلها شاملة متعددة المظاهر ، وقد عرف العرب امانة الرسول فكانوا يسمونه « الامين » ، ومن حظه على الامانة

« لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا صلاة له »
 « أيها رجل أصاب مالا من غير حله ، وأنفق منه لم يبارك له فيه ، وإن تصدق لم يقبل منه ، وما بقي فزاده إلى النار ، إن الخبيث لا يكثر الخبيث ، ولكن الطبيب يكثر الطبيب »
 « أربع إذا كن فيك ، فلا عليك ما فاتك من الدنيا »
 حفظ أمانة ، وصديق حديث ، وحسن خليفة ، وعفة في طعمة »

الصبر

● ليس أدل على صبر الرسول صلى الله عليه وسلم من موقفه حين دخل مكة ظافرا منتصرا بعد أن أخرج منها هو وصاحبه بغير حق إلا أنهم يقولون « ربنا الله » فقد جمع القوم ودار بينه وبينهم هذا الحوار
 « ما تظنون أني فاعل بكم ؟
 « خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم »
 « اذهبوا فانتم الطلقاء »
 يقف الرسول منهم هذا الموقف وقد أخرجوه ، وآذوه ، وفعلوا معه كل ما هو سيء وقبيح ، بل إنه كان يدعو لهم قاتلا « اللهم اهد قومي فانهم لا يطعمون »
 ومن أحاديثه في الصبر
 « دخل رسول الله على جماعة من صحابته ، فقال ..
 « مؤمنون أنتم ؟ فسكتوا ، فقال عمر ، نعم يا رسول الله ، قال ، وما علامة إيمانكم ؟ قالوا ، نشكر على الرخاء ، ونصبر على البلاء ، ونرضى بالقضاء ، فقال صلى الله عليه وسلم ، مؤمنون ورب الكعبة »
 « الصبر نصف الإيمان »

الحلم

● كان الرسول عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى في الحلم لأن الله أدبه فأحسن تأديبه ، ومن حظه على الحلم ، « ابتلقوا الرفعة عند الله ، قالوا ، وما هي يا رسول الله ؟ قال ، تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتحلم من جهل عليك »
 « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تقعدوا بشيء من عبئه ، تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل ، وحلم يكف به السفينة ، وخلق يعيش به في الناس »

العفو

● كان القرآن الكريم ينبوع الأدب النبوي فكان عليه السلام قريب الصفح ، كثير العفو ، وكان عفو عن مقدرة وعن سباحة نفس
 « من أقواله في العفو
 « من عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم المصرة »
 « ثلاث من كن فيه أوأه الله في كتفه ، ونشر عليه رحمته ، وادخله جنته ، من إذا أعطى شكر ، وإذا قدر غفر ، وإذا غضب قتر »

الرحمة

● وصف الله نبيه بالرحمة في قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين ووفى رحيما » وقد تعددت مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم وتنوعت ، فوسعت المسلمين وغير المسلمين ، واتسعت للصدقات والإعفاء ، وشملت الأحرار والأرقاء ، وامتدت إلى الكبار وإلى الصغار ، واستوعبت الناس والحيوان ، ومن فضله على الرحمة
 « خاب عبد وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة البشر »

« خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه »
 « وشري بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بأصبعه
 « إن الله يحب الرقيق في الأمر كله »

إثثار السلام

● النبي لصبره وحلمه ورحمته وغفوه وكرمه داعية إلى السلام ، ومؤثر للوئام على الخصام ، وهو بتربيته القرآنية رسول سلام ومحبة يأجد سبيلا إلى سلام ومحبة ، فإن لم تكن من الحروب مندوحة فليقابل القوة بالقوة ، ومن حظه على السلام
 « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين »
 « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيمنى خيرا »
 « اقتتل أهل قباء حتى تراموا بالحجارة ، فأخبر الرسول بذلك ، فقال ، اذهبوا بنا تصلح بينهم »

الزهد

● كان زهد رسول الله المثل الأعلى في الزهد ، لأنه كان زهد المختار القادر المؤمن بأن الاستمتاع بالباح حلال ، المؤثر على نفسه فقراء الأمة ومصلح الإسلام ، ومن حظه على الزهد
 « إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فليظنر إلى من هو أسفل منه فهو أجدر ألا تزددوا نعمة الله تعالى عليكم »
 « إذا أصبحت أمانة في سرك ، معاني في بدك ، عندك قوت يومك ، فعلى الدنيا قضاء »
 « زهد في الدنيا يجيك الله ، وازهد فيها في أيدي الناس يجيك الناس »

الحياء

● كان صلى الله عليه وسلم شديد الحياء ، حتى لقد وصفه مخالطوه بأنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها ، فهو عفيف النظرة ، مهذب الكلمة ، مؤثر لصحية على نفسه ، سريع الغفو ، طيب العشرة ، صبور ، حليم ، بالمؤمنين ووفى رحيما ، من أقواله في الحياء
 « الحياء خير كله »
 « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له »
 « إن الله إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء »

التواضع

● كان رسول الله مثلا أعلى في تواضعه ، لأنه أعلى الناس قدرا عند الله وعند الناس ، ولكنه لا يتعالى عليهم ، بل ينزل في غير امتنان تنزل العظيم الذي يحب صحبه ، كما يحب أخوته وبنيه ، ويعلم أنهم يحبونه ويحلمونه ويؤثرونه على أنفسهم وكان هذا التواضع لا يزيده إلا جلالا في عيونهم ومحبة في قلوبهم
 « ومن حديثه في التواضع
 « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة ، فتواضعوا يرفعكم الله »
 « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغى أحد على أحد »
 « يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في مثل الذر تظوهم الناس لهوائهم على الله تعالى »

الوفاء

● كان رسول الله أوفى الناس ذمة ، وقد عظم وفاؤه واتسع فشم كل ضروب الوفاء فكان عليه السلام وفيا لعممة الله عليه ، وبكل عهد عاهد عليه ، وللاهل والزوج والولد والإقارب والصحب وللوطن وحتى للحيوان
 « قال عليه السلام خصلة منهن كانت فيه خصلة من التفاف حتى يدعها ، إذا اتنين خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »

وزارة الإنتاج الحربي

المؤسسة المصرية العامة للمصانع الحربية

وصناعات الطيران



العالم الإسلامي
بمناسبة

عيد الأضحى المبارك

أعاده الله على الأمة الإسلامية باليمن والبركات
وبالنصر المؤزر .. تحت قيادة الرئيس المؤمن

محمد أنور السادات

« كل معروف صدقة » ومن المعروف أن نلقى أخاك بوجه
« تلاقى »
« أنى لا مزح ولا أقول إلا الحق »

نتائج البحث

● لكل دراسة — كما يقول الأستاذ الدكتور أحمد الحوفى — نتائج تنتهى إليها ، وحقائق تشيد عليها ، فما نتائج هذه الدراسة ؟ وما حقائقها ؟
لقد اتضح أن المذاهب الأخلاقية لا تخلو من تصور وعيوب ، لأنها من وضع أفراد مهما ببلغوا من ذكاء العقل وصواب الراى وحسن التية ، فانهم متأثرون ببيئاتهم وبيزاجهم وبتفكيرهم ، ولهذا تبينت آراؤهم وتنافرت أهدافهم ، ولم يصلح مذهب من مذاهبهم لأن يكون دستوراً ثابتاً يكفل الخير للبشر على اختلاف البيئات والأعصار .

وقد تبين لنا أن الأخلاق الإسلامية هي المثل الأعلى الذى يجب على الناس أن يستشرفوه ، لأن ينبوعها الدين ومحورها التقوى ، وغايتها سعادة الأفراد والجماعات . وتجلى من الوقفات القصار امام أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم أنه برسائله الخالدة وبأبديه الإلهى ، وبأخلاقه القرآنية الإنسان الكامل ، والمثل الأعلى .
ولقد رعى النبى على هذه الاخلاق الفضلى صاحبته فاشترتها قلوبهم فاستحقوا أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس ، ثم رعى الصحابة جيلا بعدهم ، وسقوه من هذا القبول القوي ، فنبع فى الامة من حمل مشاعل الهداية فى كل مكان . وكثيرا ما حاول الدارسون أن يكتشفوا السر الذى مكن المسلمين فى نحو قرن واحد أن ينقلوا من قلة تبعية مستضيفة الى كثرة متحضرة مدهوية ، ففرضوا ملك الفرس والروم ، وانتشروا فى بقاع الأرض هداة ومعلمين ، ودعاة الى الحق والخير والحرية .
لكن هذه القوة التى حاروا فى الكشف عنها ، ليست سرا محجبا ولا خفيا — كما يقول الدكتور الحوفى — لأنها وليدة العقيدة ، وما تحصله العقيدة من تقوى وخلق ، فقد كان المسلمون شجعانا أسخياء بانفسهم وأموالهم فى سبيل الله ، وفى نصره الحق ، وفى حماية العقيدة ، وفى فداء الوطن .
وعلى الامة الإسلامية اليوم ، وهى تستعيد أمجادها ، أن تعلم علم اليقين أنه لا سبيل لها الا دينها ، ولا علاج لامراضها الا تقواها ، وليس لها من سلاح أقوى من مكارم الاخلاق ، وأن لها فى رسول الله الاسوة المثلى ، والقوة العظمى والضوء الهادى الى سواء السبيل .

● ونختتم هذا العرض بما بدأ به المؤلف كتابه
سيدى يا رسول الله .
ماذا يستطيع البيان — وهو قليل — أن يبلغ من تقرب علاك ؟
وماذا يخط القلم وهو قليل فى تصوير مسجياتك ؟

ومن أين للقطرة أن تصف البحر ؟
وأنى لذرة الرمل أن تصور الجبل ؟
ومن أين للهباء أن ترسم الشمس ؟
أن قصارى ما يبلغه جهد القلم أن يشير فى هيبته الى مقامك الاسمى ، ومكانك الاسنى ، ومحلك الرفيع .

أن مئات الملايين من أتباعك فى أشد الحاجة الى أن يتعلموا بالنظر الى أخلاقك العظيمة ، لعلهم يتأسسون بها فرادى وجماعات فانت مثلنا ورائدنا وأنت الاسوة والقوة والامام .

● من خصائص الإسلام أنه استن الشورى لتبيين الآراء وتحصيلها ، والاهتداء الى خيرها ، وكفل لكل فرد حرية الراى مالم تعارض أصلا من أصول العقيدة أو العبادة ، لهذا أمر القرآن الكريم بالشورى « وأمرهم شورى بينهم » وأمر رسوله أن يستشير المسلمين « وشاورهم فى الامر » فكان عليه السلام يستشير أصحابه فيما لم ينزل به وحى ، وكان كثيرا ما يعمل بشورتهم ويحصل من رايه ، ولهذا قالت السيدة عائشة « ما رأيت رجلا أكثر مشاورة للرجال من رسول الله » ومن حظه على الشورى .
« من أراد أمرا فشاور فيه أمرا متسلما وفقه الله لارشده أمره »
« المستشار مؤتمن » اذا استشير فليشرب بما هو مبالغ لنفسه .
« من أشار على أخيه بشئ يعلم أن الرشده فى غيره فقد خانته » .

طبيب العشرة

● النبى عليه السلام صبور وحليم ورهيم وعفو وكريم وصادق وعفيف وأمين وزاهد ومتواضع ، وطبيب العشرة نيرة من ثمرات هذه الوحدة ، ولقد أحب المسلمون النبى حبا سما على حبههم لأنفسهم وأبنائهم وأموالهم ، لأنه رسول الهداية ، ولأنه كان يمتلك قلوبهم بطبيب عشرته ، وحلاوة رفقه فيشعرون أنه على رفعة قدره واحد منهم ، ومن حظه على طبيب العشرة .
« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .
« لا يهل المؤمن أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه » .
« من الجفاء أن يدخل الرجل منزل أخيه فيقدم اليه شيئا فلا يأكله ، والرجل يصحب الرجل فى الطريق فلا يساله عن اسمه واسم أبيه » .
« شكت اليه امرأة أن زوجها قد ضربها ضربا شديدا ، فقام فانكر ذلك ، وقال ، « يظل أحكم يضرب امرأته » ثم يظل يمانعها ولا يستحي » .
« أن الله يحب السهل الطلاق الوجه » .

حب العمل

● الإسلام عقيدة وشريعة وعمل ، والعمل يشمل العبادات والطاعات والنشاط المبدول فى كسب الرزق وفى تهيئة الانتاج والخيرات ، لهذا أمر الله عباده بالسعى فى مناكب الأرض ابتغاء فضله ، قال تعالى « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض » وابتغوا من فضل الله ، وانذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . ولم يكتف الرسول عليه السلام بالارشاد والتصيح ، لأن التصالح فى حاجة الى قوة ، بل نصح وكافح ، وقال وعمل بما قال ، فكان أعظم مثل يحذى . ومن حظه على العمل .
« ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده »
« أن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده »
« أن أطيب ما أكل الرجل من كسبه »

البشر والفكاهة

● اذا كان البشر هميدا فهو أحمد من رسول الله الذى نشأ على الاخلاق الكريمة . فكان مسج النفس ، طاهر القلب ، دائم البشر ، أكثر الناس ابتساما فى وجوه أصحابه ، وكان فى بيته — كما تقول السيدة عائشة — ألين الناس بساما ضحاكاً ، ومن فكاهاته .
« جاءت اليه امرأة فقالت ، يا رسول الله ، أجهلى على بعير ، فقال ، بل تحملك على ابن البعير ، فقالت ، ما أصعب به ، أنه لا يجهلى فقال ، ما من بعير الا وهو ابن بعير » .
ومن أقواله فى إباحة الفكاهة



س ١ - من منصور اسماعيل عطية الصفتى - قلين -
كفر الشيخ

يقول الله تعالى فى سورة سبا

«ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر
واسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه
بأذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب
السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل
وجفان كالجواب وقدور راسيات ، اعملوا آل داود
شكرا ، وقليل من عبادى الشكور »

فما معنى : عين القطر ، جفان ، محاريب
وما تفسير الايتين ؟

الجواب

عين القطر أى معدن النحاس وقد أذابها الله
لسليمان واساله كما الان الحديد لابييه داود عليهما
السلام فنبع النحاس لسليمان كما ينبع الماء من العين
فلذلك سماه « عين القطر » فالنحاس يسيل لسليمان
كما يسيل الماء من العين .

والجفان : هى الصحف والقصاص الكبيرة التى
تشبه الجوابى فى ضخامتها

والجواب - جمع جابية - وهى الحيطان الكبيرة
التي يجبى فيها الماء ويجمع

والمحاريب ، هى المساكن والمباني الحسنة الشريفة
المصونة عن الابتذال وقيل هى المساجد وامساكن
العبادة .

والقدور الراسيات هى الاوانى العظيمة التى ترسو
على قواعدها فلا تزول لضخامتها .

والايتان الكريمتان بيان لبعض ما انعم الله به على
سليمان بعد ذكر ما انعم به على داود عليهما السلام
فى قوله تعالى « ولقد آتينا داود منا فضلا ، يا جبال
ابوى معه والطير والنا له الحديد ، ان اعمل سابغات
وعدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون
بصير » يقول الله تعالى عقب ذلك « ولسليمان الريح
غدوها شهر ورواحها شهر » الخ أى وسخرنا لسليمان
الريح تغدو به اول النهار مسيرة شهر بالسير العادى
وتروح به آخره مسيرة شهر بالسير العادى ، واذنا
له النحاس فهو يسيل له كما يسيل الماء من العين %
وسخرنا من الجن من يعمل بين يدي سليمان بأذن الله
ومن ينحرف من الجن عن أمر الله بطاعة سليمان فيها
يريد من عمل يذقه الله من عذاب النار الشديدة
المستعرة .

وهؤلاء الجن يعملون لسليمان ما يشاء من المباني
والمساجد والقصور ويصنعون له التماثيل والصحاف
الكبيرة التى تشبه الحيطان فى كبرها والاوانى
الضخمة التى تسو على قواعدها لا تزول عنها
لمعظمتها وضخامتها .



أنت
تسأل

والهفتى
يجيب



فضيلة الامام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الجامع الأزهر

« اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور »
 « قلنا اعملوا يا آل داود عملا تشكرون الله به
 شكرا على ما أنعم به عليكم .. وقليل من عبادى من
 يذكر نعمى فيكثر شكرا »

يقول الزمخشري فى تفسيره « الكشاف »
 الشكور . المتوفر على أداء الشكر ، الباذل وسعه فيه
 قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا
 وكدها وعن ابن عباس رضى الله عنهما : من يشكر
 على أحواله كلها ، وعن داود أنه جزا ساعات الليل
 والنهار على أهله فلم تكن ساعة من الساعات الا
 وانسان من آل داود قائم يصلى .

وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقول : اللهم
 اجعلنى من القليل ، فقال عمر ما هذا الدعاء ؟ فقال
 الرجل : انى سمعت الله يقول : وقليل من عبادى
 الشكور [فانادعوه ان يجعلنى من ذلك القليل : فقال
 عمر : كل الناس أعلم من عمر - راجع ابن كثير
 والبيضاوى والكشاف - نسال الله ان يوفقنا لذكره
 وشكره وحسن عبادته .

س - ٢ - من ثروت أحمد داود - مشرف صحى -
 عزة غطريف - الصونيا مركز كفر صقر شرقية

نظرا لبعده عن المسجد فإنه يصلى المفجر وبعض
 الفرائض الاخرى جماعة مع أسرته المكونة من أمه
 وأخيه وزوجته وزوجة أخيه . ويسأل ان كان يصلح
 أمه له وهل تصح صلاه زوجة أخيه خلفه معهن
 وهل ينالون ثواب الجماعة ؟

الجواب

تجوز امامتك اذا كنت مستوفيا لشروط صحة
 الامامة وهى الاسلام والبلوغ والعقل والذكورة
 والقراءة وهى [حفظ ما تصح الصلاة به من القرآن
 الكريم] والسلامة من الاعذار كالرعاف والفسافة
 والغمثمة وأن يكون مستوفيا لشروط صحة الصلاة
 كالطهارة وستر العورة وغيرها - فاذا توفرت فيك
 هذه الشروط صحت امامتك لهؤلاء فى صلاة الفجر
 وغيره ماعدا فريضة الجمعة على أن تكون متقدما
 عنهن بمقدار ذراع حتى لا تفسد الصلاة بمحاذاتك
 لهن لأن محاذاة الرجل للمرأة تبطل الصلاة عند فقهاء
 الحنفية اذا كان الغرض واحدا ونوى الامام امامة
 المرأة وهو ما يتفق مع موضوع السؤال ولا مانع من
 اقتداء زوجة أخيك بك مع باقى الأسرة بشرط أن تكون
 مرتدية ملابسها الشرعية التى لا تظهر شيئا مما يحرم
 ظهوره من جسمها والا ترى منها ما يحرم على
 الاجنبى رؤيته من المرأة لانها اجنبية عنك وكونها
 زوجة أخيك لا يبيح لك رؤية شيء مما يحرم على
 الاجنبى رؤيته .

أما ثواب الجماعة فإنه سيكون لكم بفضل الله
 تعالى ومشيئته وعلى قدر اخلاصكم ونيتم « فانما
 الاخص بالنيات وانما نحل امرىء ما نوى » - ومع ذلك
 كله فان جماعة المسجد افضل وأكثر ثوابا ما لم يكن
 فى ذلك حرج ومشقة - « وما جعل عليكم فى الدين من
 حرج » و « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
 العسر » .

س ٢ : من نفس السائل :

هل لبس الأرجل للذهب حلال أم حرام ، وهل يحل
 لبس وزن معين منه لأنى أرى أناسا كثيرين يلبسون
 الذهب ولا يعرفون أن كان حلالا أو حراما ؟

الجواب :

لبس الذهب حرام للرجال قليلا كان وزنه أو كثيرا ،
 ودليل ذلك ما روى عن عبي رضى الله عنه « ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرة بشاله وذهبها
 بيديه ثم رفع بهما يديه وقال : ان هذين حرام على
 دخول امنى حل لائناها ! » وهذا الحكم مجمع عليه ولا
 يستثنى من ذلك الا شد الاسنان بالذهب للضرورة عند
 بعض الفقهاء ، ومنع ذلك البعض الاخر لان الضرورة
 يمكن دفعها بشد الاسنان بالفضة .

س ٤ : من ظافر . ع . من الموصل .

هل الاستمتاع أثناء الحيض والطهر فى أرداف
 الزوجة من غير ايلاج فى الموضع المحرم حلال أم
 حرام ، وإذا كان حراما - على سبيل الافتراض - فما
 الفرق بينه وبين سائر المداعبات ؟

الجواب :

الاستمتاع بالزوجة أثناء الطهر حلال بجميع أجزاء
 جسمها - فيما عدا أتيانها فى البر - لقوله صلى الله
 عليه وسلم : « من أتى امرأته فى دبرها فقد كفر بها
 أنزل على محمد . وفى رواية « ملعون من أتى امرأته
 فى دبرها » وأما أثناء الحيض فيحرم جماعها بصريح
 القرآن الكريم : « ويسالونك عن الحيض قل
 هو ادى فاعتزلوا النساء فى الحيض ولا
 تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فاتوهن من حيث
 أمرهم الله » كما يحرم الاستمتاع بها بين السرة الى
 الركبة من أمام المرأة وخلفها خشية أن يؤدي
 الاستمتاع بشيء من ذلك الى الجباع ، فان من حام
 حول الحمى يوشك أن يواقعهم وما أدى الى الحرام فهو
 حرام . ولذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان يأمر السيدة عائشة بالانزاع وهى حائض حين
 يريد الاستمتاع بها ، ولذلك كان الفرق كبيرا بين
 الاستمتاع بها بين السرة والركبة حتى فيما دون

الفرق وبين سائر المداعبات الأخرى التي لا تؤدي إلى الوقوع في المحرم .

س ٥ - من وسائل لم يذكر اسمه ورمز اليه بالمعذب المذنب

يقول أن مشكلته تتلخص في أنه تزوج منذ خمسة وعشرين عاماً ، وفي السنة الأولى من الزواج عليه الشيطان على أمره ، فالتقى بأم زوجته اللعناء المحرم مرتين تحت تأثير جمالها وسبابها وطمس نسبها ، ثم تاب إلى الله وأتاب ، ولم يعد لذلك أطلافاً ، وعاش مع زوجته هذه المدة الطويلة وهو في طاعة الله وعبادته ، وانجب من زوجته ثمانية أولاد بنزوح أعمارهم بين الثامنة والثالثة والعشرين . ومنذ أيام مائل سمع أحد العلماء يروي حديثاً شريفاً أثناء إلقاء درس في الدين . ومعنى الحديث « من نظر إلى امرأة بشهوة حرم عليه زواج بناتها » وهو الآن في ضيق شديد لا يدري ماذا يفعل . ويسأل :

١ - هل فسخ عقد زواجي بزوجتي عقب تلك المفعلة ؟

٢ - هل معاشرتي لزوجتي طوال تلك المدة كانت معاشرة محرمة ؟

٣ - وإذا كان الأمر كذلك فما هو الحل ؟ هل تسرح زوجتي ؟

٤ - هل تقبل توبتي التي بدأتها منذ عشرين عاماً ؟

الجواب :

يقرر فقهاء الحنفية أن من زنا بالمرأة حرمت عليه أصولها وفروعها ، وتأخذ دواعي الزنا كالقبيلة واللمس حكم الزنا . فالزنا بالمرأة يحرم على الزاني الزواج بأبها وإن علت وببنتها وإن سفلت ، فإن كان متزوجاً وفعل شيئاً من ذلك فسخ العقد .

ويرى الشافعية رضوان الله عليهم أن الزنا لا يحرم المصاهرة كما لا يحرم ذلك شيء من دواعيه . فالزنا بالمرأة لا يحرم الزواج بأبها أو بنتها ، ولا يفسخ عقد من زنى بأم زوجته أو ببنتها . ويترتب على هذا أن :

١ - عقد الزواج لم يفسخ عند الشافعية .

٢ - وأن معاشرتي لزوجته تلك المدة كانت حلالاً هندهم .

ولا مانع وهذا ما نراه في مثل حالة السائل وظروفه - من الأخذ بهذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وعلى الأخص وأن الزوج قد أنجب من زوجته

وعاشرها هذه المدة الطويلة وهو مؤد حق الله وملتزم طاعته ، ولذلك غاننا نرجو من الله قبول توبته التي بدأها - كما يقول - منذ عشرين عاماً . ونأمل أن يستمر على التوبة وحسن الإنابة ، والعمل الدؤوب في طاعة الله سبحانه وعبادته . والله تعالى يقول : « إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً » ، ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يقبَل إلى الله مقبلاً .

س ٦ - من الطالب نصر الدين محمد البرلسي - تلبننت مخرج طنطا

يقول : عندنا بعض الناس إذا حنفوا وحنثوا في يمينهم يذمهم لبعض الشيوخ بحجة أنه يرد لهم دينهم دون أن يكفروا عن يمينهم . فما أترأى في ذلك ؟

الجواب

إذا كان الحالف قد حلف بالله تعالى أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته على أمر في المستقبل أنه سيفعله أو لا يفعله ثم حنث في يمينه بزمته الكفارة - ولا يسقط الكفارة عنه شيء مما أورده السائل في سؤاله - والكفارة هي إطعام عشرة مساكين لكل مسكين وجبتان غداء وعشاء أو غداءان أو عشاءان أو فطوراً وسحوراً إذا كان صائماً من أوسط ما يطعم الحالف أهله أو كسوتهم فمن لم يجد صام ثلاثة أيام . لقوله تعالى « لا يؤاخذكم الله بالإيمان فكفارته أطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام » ذلك كفارة ليمينكم إذا حلفتم واحفظوا إيمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون .

س ٧ : من نفس السائل

إذا أراد الإنسان أن يتوب فهل يشترط أن يكفر عما مضى من أفعاله المحرمة أو يتوب دون أن يكفر عنها ؟ وهل قبل الله توبته ؟

الجواب

من شروط التوبة رد المظالم إلى أصحابها ودفع الحقوق لأربابها وقضاء ما تعلق بذمته لله سبحانه كصلاة وصوم وزكاة حسب استطاعته ومقدرته كما يلزمه قضاء ما بذمته للناس وعليه أن يكفر عن أفعاله المحرمة إن كانت لها كفارة كاليمين وغيره ثم يتوب إلى الله توبة نصوحاً بنية خالصة وعزيمة صادقة وندم على ما ارتكب من ذنوب واستغفار لما حصل من آثام عازماً على عدم العودة إلى ما يغضب الله بكثرة من الطاعة والعبادة - والله تعالى هو المستول أن يغفر ذلته ويقبل توبته فهو سبحانه القائل « وهو الذي

يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون»

س ٨ - من ابراهيم محمد محمود - الجيزة

يسأل عن النوافل التي تؤدي مع الصلوات المفروضة وهل هناك نوافل أخرى غير الصلاة كاصيام والزكاة؟

الجواب

النوافل هي العبادات الزائدة التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤديها المسلم تطوعاً زيادة عن العبادات التي فرضها الله تعالى صلاة كانت أو صوماً .

ونوافل الصلاة منها ما هو مرتبط مع الصلوات المفروضة ومنها غير المرتب معها فالنوافل الراتبة : هي ركعتان قبل صلاة الصبح وتسمى ركعتا الفجر وأربعه قبل الظهر وركعتان بعده وأربع قبل صلاة الجمعة وأربع بعدها وركعتان بعد صلاة المغرب وركعتان بعد صلاة العشاء وهذه هي النوافل أو السنة المؤكدة وغير المؤكدة هي أربع قبل صلاة العصر وست ركعات بعد صلاة المغرب وأربع قبل العشاء وأربع بعده - وأكدها ركعتا الفجر ولذلك فأنها تقضى مع صلاة الصبح إذا فات وقتها ما عدا باقى النوافل فأنها لا تقضى ومن النافلة المؤكدة صلاة الوتر وهي واجبة في مذهب الحنفية ومن النوافل المندوبة غير المرتبة مع الفرائض صلاة الضحى وهي أربع ركعات فصاعداً ، وركعتان بعد الوضوء قبل جفائه وركعتان تحية المسجد قبل الجلوس وينوب عنها كل صلاة أداها عند دخول المسجد ولو لم ينوبها تحية المسجد وهذا في غير المسجد الحرام فإن تحيته هي الطواف بالكعبة وصلاة ركعتين بعد الطواف - ونذب صلاة الليل - وهي ما تسمى بالتهجد ومن الصلوات السنونة صلاة العيدين : عيد الفطر وعيد الأضحى بعد ارتفاع الشمس قدر رمح أو رمحين .

وفي الصوم يسن صوم يوم عاشوراء مع التاسع ويندب صوم ثلاثة أيام من كل شهر عربي ويندب أن تكون الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وصوم الاثنين والخميس وصوم ست أيام من شوال متفرقة أو موصولة وما سوى ذلك فصومه نفل وتطوع ما لم تثبت كراهته .

أما التثفل بالزكاة فهي الصدقة غير الواجبة أما الواجبة فهي زكاة المال إذا توفرت شروط الوجوب وزكاة الفطر وما عداها فهو صدقة نافلة .

والحج النافلة هو حج بيت الله الحرام لمن سبق أن أدى فريضة الحج .

س ٩ : من أحد المواطنين

دخله يتكون مما يأتي :١

١ - معاش شهري من الدولة .

٢ - إيراد شهري من حصة في عقار يمتلكها منذ ٢٦ عاماً .

٣ - إيراد سنوي من إيجار حديقة مبالغ آلت اليه عن طريق الميراث من عشر سنوات ويذبح كل عام ضحية يتصدق بثلاثها ويتصدق شهرياً بمبلغ من المال على فقراء المساجد .

ولزوجته دخل يتكون مما يأتي :١

١ - إيراد شهري من حصة تمتلكها في عقار منذ ٣ سنوات .

٢ - عدد من شهادات الاستثمار ذات العائد الجارى مودعة من سنتين .

٣ - شقة تمتلكها في الاسكندرية لمصيف الاسرة فقط ولا تستغل ويسأل عما يأتي :

١ - ما هي البنود التي تستوجب دفع الزكاة وهي الربيع .

٢ - وهل الضحية تدخل في الزكاة ؟

٣ - هل يشترط بالضرورة أن تعطى الصدقة أو الزكاة لشخص معدم أم يجوز إعطاؤها لشخص محدود الدخل .

٤ - هل الالتزامات المالية كاقساط القروض التي تسدد بسوايا للبنوك أو الضريبة التي تدفع للدولة تخصم من الدخل قبل حساب الزكاة أم ليس لها شأن بها .

ملحوظة : - هذا الدخل كله يصرف عن آخره نظراً لحالته مرض الزوج ولا ارتفاع تكاليف المعيشة .
الجواب :

جميع الموارد التي ذكرها السائل لنفسه ولزوجته توجب زكاة المال على كل منهما إذا بلغ الإيراد نصيباً فارغاً من الدين ومن الحاجة الأصلية وحال عليه الحال والقدر الواجب أخراجه هو ربع العشر فقط أى ٢.٥ في المائة وليس الربع كما يقول السائل .

والالتزامات المالية كاقساط القروض التي تدفع للبنوك والضرائب التي تدفع للدولة تخصم من الإيراد كله قبل دفع الزكاة وتجب الزكاة فيما بقى بعد خصم

ليس

اسطوانات صوت القاهرة

إحدى شركات اتحاد الإذاعة والتلفزيون



أنت تقدم
لعملائها
بمناسبة
بدء موسم
الحج

- المصنف المحجود كاملاً للشيخ عبد الباقى عبد الصمد
- مسجلة على اسطوانات وشرايط كاسيت
- المصنف المحجود كاملاً للشيخ محمد فليل المصري
- شيخ المقرئ المصرية «مسجلة على اسطوانات ١٢ بوصة
- تسجيلات نادرة لأعجب الأصوات:

الشيخ محمد رفعت
الشيخ محمد صديق المنشاوي
الشيخ محمد النازكي
الشيخ عبد العزيز على فرج



- مناسك الحج والعمرة والزيارة إعداد وتقديم:
- الأستاذ أحمد مزاح مسجلة على اسطوانات ١٢ بوصة



- أمثرت أجيزة
- البيلك اب - والحراميونات
- أمثرت أجيزة

الكاسيت براديو سيرور راديو
تعمل على شرايط كاسيت عادية
وشرايط كروم ديوكسيدان الحماية
الفائقة بضمان ٦ شهور

لدى الشركة
مركز لخدمة
الأجهزة
وصيانتها .



تباع بفروغ
الشركة وجميع
محلات بيع
الاسطوانات

جميع اللزائعات والضحية شعيبة قائمة بذاتها وهي سنة على القادر عليها وقيل انها واجبة ولا يحسب ثمنها . او ما يتصدق منها على الفقراء من مال الزكاة كما لا يحسب من مال الزكاة ما يتصدق به على فقراء المساجد وشهادات الاستثمار تعتبر قيمتها مالا مهلوکا لصاحبها فاذا بلغت قيمتها نصابا وجب فيها الزكاة اذا حال عليها الحول والواجب هو ربع العشر عن كل سنة .

أما الشقة التي تمتلكها الزوجة فلا زكاة عليها لأنها للاستعمال الشخصي ولا تستغل في غير ذلك فلا زكاة فيها . والمصارف التي يجب دفع الزكاة اليها هي الاصناف الثمانية المبينة في الآية الكريمة وهي قوله تعالى « انها الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والفارين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم » آية ٦٠ سورة التوبة - ولا يجب بالضرورة ان يكون الفقير الذي تدفع له الزكاة معدما بل يجوز دفعها لمحدود الدخل اذا لم يبلغ دخله نصاب الزكاة لان دخله اذا بلغ نصابا صار به غنيا لا يجوز دفع الزكاة اليه .

بقي أن نقرر ان ما ذكره السائل في نهاية سؤاله يستلزم عنه الزكاة لان شروط وجوبها لم يتحقق ما دام يصرف دخله كله - كما يقول نظرا لمرضه ولارتفاع تكاليف المعيشة - والله أعلم .

س ١٠ من المواطن وجدى عبد الرحمن سلامة القاهرة .

توفيت والدتي عام ١٩٥٢ ثم توفي جدى لأمى عام ١٩٧٣ عن أربع بنات وولدين وأنا وأختى اولاد ابنته التي توفيت قبله فهل لى وأختى حق فى تركه جدى لأمى ؟

الجواب

إذا كان الأمر كما ورد فى السؤال ولم يترك المتوفى سوى ابنيه وبناته الأربع واولاد ابنته المتوفاة قبله فان لاولاد ابنته المتوفاة قبل وفاته نصيب أمهم لو كانت حية فتقسم التركة على البنات الخمسة والولدين على اعتبار البنت الخامسة موجودة حين وفاة والدها للذكر ضعف نصيب الانثى وما يصيب البنت وهو هنا تسع التركة يأخذه اولادها وصية واجبة اذا تحققت شروطها المنصوص عليها فى المادة ٧٦ من قانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ يتقسم بينهم قسمة الميراث بالتساوى بينهم ان كانوا ذكورا أو للذكر ضعف نصيب الانثى ان كان بينهم اناث تطبيقا للسلادة المذكورة والباقي بعد نصيب أصحاب الوصية الواجبة يتقسم بين اولاد المتوفى تعصيا للذكر ضعف نصيب الانثى - والله أعلم .



□ ٢٧٢ □

عناية الإسلام بإصلاح الأسرة

في مقالنا السابق عن «عناية الإسلام بتربية الفرد المسلم» عرفنا أن الإسلام اهتم بالفرد جسدياً وعقلياً، وروحياً. ولما كان الفرد هو اللبنة الأولى لبناء الأسرة فإننا نجد أن الأسرة - أيضاً - هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع كله وإذا فسدت فسدت المجتمع كله. لذا كان حديثنا اليوم عن «عناية الإسلام بإصلاح الأسرة» ليصلح المجتمع وبالتالي تتصلح البشرية. وبالنظر في كتاب الله عز وجل نجد - لأول وهلة - كيف كانت عناية الإسلام بالأسرة ورعايتها. فمثلاً إذا نظرنا في سورة «البقرة» نجد ما قد تحدثت كثيرا عن شئون الطلاق، والأيتام، والمحيض، والرضاع. وفي سورة «النساء» نجد ما قد بينت نظم الميراث، وتمدد الزوجات وحماية المرأة. وفي سورة «النور» نجد ما قد كتبت عن التشريعات المختلفة لحماية الأسرة من التفكك والانحلال. وفي سورة «المجادلة» نجد ما قد أبرزت قضية «الظهار» التي كانت سبباً في مجادلة المرأة للنبي صلى الله عليه وسلم. وفي سورة «الطلاق» نجد ما قد تحدثت بأسهاب عن معظم ما يتعلق بأمر الطلاق.

الدكتور صلاح سيد بسويح

□ ٢٧٤ □

هذا عدا الآيات الكثيرة التي ورد ذكرها في سور متعددة تتحدث عن الأسرة وما يتصل بها. كذلك بالنظر في سنة المصطفى صلوات الله وتسليماته عليه وآثار السلف الصالح نجد الحديث عن الأسرة وما يتعلق بها لا يكاد ينتهي. وفيما يلي سنبين هذا الاجمال بشيء من التفصيل والله المستعان. أول شيء عني به الإسلام لبناء الأسرة هو الزواج القائم على أساس من الدين والخلق الحسن، والذي يربط بين زوجين برباط المودة والرحمة. قال تعالى: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يفتكرون»، وقال أيضاً: «هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها...»، وقال كذلك: «وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم» وقد فسر الإمام القرطبي ذلك بقوله: «زوجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف».

وقد رغبت السنة النبوية الشريفة في الزواج بل اعتبرت القادر على الزواج ولم يتزوج بعيداً عن سنته قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عباس بسند حسن: «من رغب عن سنتي فليس مني وإن من سنتي النكاح فمن أحبني فليس مني بسنتي» وقال أيضاً: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». أخرجه البخاري بسند من رواية ابن مسعود.

وإذا كانت المرأة إحدى الدعائم الهامة التي تقوم عليها الأسرة فلا غرو أن يهتم بها الإسلام ويضعها في الموضع اللائق بها سواء كانت زوجة أو أما أو جدة أو بنتاً... وعن المرأة كثر الكلام قديماً وحديثاً. ومهما قل القائلون، وافترى المفترون فلن نجد حديثاً عن المرأة يكرمها ويعطيها حقوقها كحديث الإسلام عنها. ويكفي في القرن العشرين عصر المدنية والحضارة أن نسمع في أبرز البلاد تقدماً أصواتاً نسائية تعلق مطالباً بضرورة إعطاء المرأة حقوقها، وتقوم المظاهرات وتعلق الصيحات من أجل ذلك..

ولكن لننظر ماذا فعل الإسلام للمرأة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان؟ يوم أن كانت المرأة عبارة عن سلعة تباع وتشترى في كثير من الأحيان. نجد أن الإسلام أعطى لها حرية التعاقد. فمثلاً عقد الزواج ليس اجبارياً بالنسبة للمرأة بل لها أن ترضى ولها أن تمتنع. روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تنكح الإيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن». قالوا يارسول الله وكيف أذن لها؟ قال: «أن تستأذن». وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله إن البكر تستأذن قال: رضاها صحتها» وقد حدث أن قضى النبي صلى الله

وهم أبناء عشر ۞ وفرقوا بينهم في المضاجع ۞
والقدرة الصالحة من الوالدين للأولاد خير طريق
للاخذ بيدهم دائماً الى طريق النجاح والفلاح .

وأذا كنا نذكر هذه الحقوق بالنسبة للأولاد على
الإباء فلا ننسى في مجال الأسرة السعيدة في الإسلام
أن يحسن القول في حقوق الإباء والأمهات على
الأولاد . ويتلخص ذلك في قوله تعالى : « واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً » ،
وقوله : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا
على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك
إلى المصير ! » ، وقوله : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه
وبالوالدين إحساناً أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو
كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب
أرحمهما كما ربياني صغيراً » ۞

ويكفي في هذه الحقوق أن النبي صلى الله عليه
وسلم جعل بر الوالدين بمنزلة الحج والجهاد في
سبيل الله جاء رجل فقتل يا رسول الله اشتبه الجهاد
ولا أقدر عليه . قال : هل بقي من الديك أحد قال ۞
أى . قال : قابل الله في برها ۞ فإذا فعلت ذلك فانتبه
حاج ومعتبر ومجاهد . هذه الأسرة التي عنى الإسلام
بإصلاحها لأبد لها من قيادة حكيمة . من يا ترى
يصلح لهذه القيادة ؟ الرجل أم المرأة ؟ لم يتركنا
البارئ عز وجل تفكر لأنه أدرك بمن خلق « ولكنه تروى
لنا حل هذه القضية في قوله تعالى ۞ « ولهن مثل الذي
عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » هذه الدرجة
بينها سبحانه وتعالى في قوله ۞ الرجال قوامون على
النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا
من أموالهم ! . فقد بينت هذه الآية لمن تكون قيادة
الأسرة ورياستها . ثم بينت السر في اختيار الرجل
وهو أنه المسئول عن كل متطلبات الأسرة بعد أن فصله
المولى تبارك وتعالى . ولهذا كانت النبوة مختصة
بالرجال ، وكذلك الملك الأعظم - كما قال ابن كثير -
لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري : « لن
يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ! » . وليس معنى هذا
امتناناً للمرأة بل وضع الأمور في نصابها . وحتى
تعيش الأسرة في أمن وسلام لأبد وأن يكون الحب ۞
والفهم ، والتعاون ، والإخلاص . . أساساً لحياتها
ومعاملاتها .

أما إذا طرأ على الأسرة شيء يفسد عليها حياتها
ويعكر عليها صفوها . فقد عالج الإسلام بحكمة فائقة
هذا الشذوذ . . كيف ذلك ؟ موعدنا أن شاء الله ليبين
هذا العلاج في العدد القادم ، والله الموفق لما فيه
الخير للفرد ، والأسرة ، والمجتمع .

□ ٢٧٥ □

عليه وسلم برد عقد ثيب بغير رضاها . روى
البخاري عن خنساء بنت خدام الانصارية رضى الله
عنها أن أباهما زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحه . وفي
حالة مماثلة حدثت لبكر زوجة بغير رضاها حينئذ
تجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل الى أبيها
فجاء فجعل الأمر اليها فقالت يا رسول الله اني أجزت
ما فعل أبى ، ولكنى قد أردت أن أعلم النساء أن ليس
للأباء من الأمر شيء .

كذلك للحفاظ على بناء الأسرة حدد الإسلام حقوق
الزوج والزوجة وكذا واجبات كل منهما . لئلا يبنى
الأسرة متينا لا يتأثر بأي عامل من العوامل المهلكة ۞
فواجبات الزوج نحو زوجته أو حقوقها عليه أن
يدفع لها مهراً يذكر عادة ، عند التعاقد ، ويهيء لها
حياة اقتصادية في حدود استطاعته ، معنى هذا كما
قرر الفقهاء أن المرأة المسلمة المتزوجة ليس عليها شيئاً
من أعمال المنزل كالطبخ والفرش والكنس بل ليس
عليها أن ترضع ابنها وإذا فعلت شيئاً من ذلك فهي
متبرعة . قال تعالى : « اسكنوهن من حيث سكنتم من
وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وأن كن أولات
حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم
فأتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم
فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ومن
قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسه
أشئاً ما أتاهما سيجعل الله بعد عسر يسراً » . وقال عز
من قائل : « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن
فغسى أن تفكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .
وقال صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين إيماناً
أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم » . أما
واجبات الزوجة نحو زوجها أو حقوقها عليها فتتلخص
في قوله تعالى : « .. لتسكنوا إليها » هذا السكن
يحققه ويبيته قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما
رواه ابن ماجه : « ما استفاد المؤمن - بعد تقوى الله
عز وجل - خيراً له من زوجة صالحة . أن أمرها
إطاعته ، وأن نظر إليها سرته ، وأن أقسم عليها
أمرته ، وأن غاب عنها حفظته في نفسها وماله » .
وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الأمام
مسلم : « الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة
الصالحة » .

هذه الواجبات والحقوق بالنسبة للزوجين . أما
إذا كان هناك أولاد فإن الوالد عليه بعد السكن
والطعام والكسوة أن يحسن تربية أولاده فتساعده في
ذلك والدتهم . وأهم شيء في ذلك التربية الدينية
الصحيحة . قال صلى الله عليه وسلم : « مروا
أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها

مجلة منبر الإسلام

تكرم الفائزين بمسابقة "جريدة المساء" الدينية

التقى السيد محمد توفيق عويضة الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالسعداء الذين فازوا بجوائز مسابقة المساء الدينية في حفل التكريم الذي أقيم لهم مساء الثلاثاء ١٢ ذى القعدة ١٣٩٤ هـ الموافق ٢٦ نوفمبر ١٩٧٤ م وذلك في مقر جريدة المساء .

وقد تعددت الجوائز وتنوعت ، فقد فاز الثلاثة الأول بتذاكر للحج ، وفاز كل من الرابع والخامس والسادس بمجموعة أسطوانة المصحف المرتل ، وفاز كل من السابع والثامن والتاسع والعاشر بمجموعة أسطوانة المصحف المجود ، وفاز كل من الحادي عشر حتى العشرين بمجموعة من كتب التراث الإسلامي ، بينما فاز كل من الحادي والعشرين إلى الثلاثين بمبلغ عشرة جنيهات لكل منهم وقد حضر الاحتفال الأستاذ مصطفى بهجت بدوي رئيس مجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر ورئيس تحرير الجمهورية والأستاذ عبد الحميد حمروش ، العضو المنتدب بالدار والأستاذ رشيد اللثي .

وتقدم الفائزون واحدا بعد الآخر يتسلمون جوائزهم من الأستاذ محمد توفيق عويضة .
وفيما يلي أسماء الفائزين ، وجوائزهم :

الثالث :

الاسم : مقدم / محمد محسن عبد الرحمن درويش
المهنة : مأمور قسم شرطة الخليفة

بتذاكر الحج

أسماء الفائزين

الأول :

الاسم : محمد يحيى عبد الرازق على الجعار
المهنة : طالب بالمعهد العالي الصناعي شبين الكوم

الثاني :

الاسم : فريد عبد الحميد شاهين
المهنة : موظف بشركة المحاريك والهندسة

بالمصحف المرتل

أسماء الفائزين

الرابع :

الاسم : عبد الكريم عبد الواحد علوان
المهنة : عهدة مسجد السيدة زينب

الخامس

- الاسم : عبد الله السيد احمد
المهنة : موظف بالجهاز المركزى للمحاسبات
السادس :
الاسم : اسماعيل احمد حسن حسين
المهنة : أخصائى رياضى

أسماء الفائزين

قراءة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد والشيخ مصطفى اسماعيل والشيخ محمود الحصرى والشيخ محمود البنا

السابع :

- الاسم : عبد الرحيم عبد الجابر محمود
شارع مجاهد ندا - المساكن الشعبية

الثامن :

- الاسم : فاطمة على فهمى
شارع الدكتور شاهين بالمعجزة

التاسع :

- الاسم : عزام محمد مرسى غانم
المهنة : موظف بشركة اطلس

العاشر :

- الاسم : محمد عاصم عبد المنعم حسن
المهنة : مخرج بالتلفزيون

أسماء الفائزين

مجموعات الكتب

الحادى عشر :

- الاسم : محمد احمد عبد الله
المهنة : ضابط شرطة سابق

الثانى عشر :

- الاسم : سيد عبد المجيد مصطفى
٣ شارع العطرى بالعباسية

الثالث عشر :

- الاسم : آمال حسين مصطفى بغدادى
٢١ شارع ابن الرشيد بالجيزة

الرابع عشر :

- الاسم : محمود عبد الحميد خليفة
١٥ شارع الجبرتى بمنشية البكرى

الخامس عشر :

- الاسم : حمدي احمد على عفيفى
المهنة : رقيب مؤهلات

السادس عشر :

- الاسم : احمد محمد جلال صالح
المهنة : طالب زراعى

السابع عشر :

- الاسم : كامل احمد على
مسجد ابو العلا بالفتن

الثامن عشر :

- الاسم : محمد سيد محمد عمر
٨٧ شارع الجمهورية

التاسع عشر :

- الاسم : عبد الحميد يوسف الشيشينى
١٤ متحف النيل بالروضة

العشرون :

- الاسم : عصمت عبد العزيز موسى
المهنة : طالب بآداب القاهرة

أسماء الفائزين

جبلج ١٠ لكل منهم

الواحد والعشرون :

- الاسم : عبد الباسط ضيف الله محمد
المهنة : طالب بكلية الشريعة

الثانى والعشرون :

- الاسم : صلاح الدين عبد الخالق بيومى
المهنة : كمنسارى بالسكة الحديد

الثالث والعشرون :

- الاسم : محمد محمد محمد قسيوط وشهرته انور قسيوط
المهنة : مدرس بالبعوث الاسلامية

الرابع والعشرون :

- الاسم : مجاهد حسن شلبى
المهنة : عامل

الخامس والعشرون :

- الاسم : السيد احمد محمود عبد الغفار
المهنة : موظف بالقوات المسلحة

السادس والعشرون :

- الاسم : سليم محمد عبد الله مصطفى
مساكن المظلوم بالشرابية بشبرا

السابع والعشرون :

- الاسم : احمد عبد المعطى الغنام
سراى القبة شارع المحطة

الثامن والعشرون :

- الاسم : حسن عبد الفتاح عامر
المهنة : طالب

التاسع والعشرون :

- الاسم : جمال سعد ابراهيم صالح
المهنة : طالب بآداب القاهرة

الثلاثون :

- الاسم : فوزى عبد الغنى حمادة جعفر
المهنة : مدرس

مع تمنيات مجلة منبر الاسلام بالتوفيق لكل القراء •

٤ - يخلع الثياب المخيط ويلبس ثوبي الاحرام وينوي الاحرام بالحج والعمرة افرادا أو قرانا أو تمتعا فالأفراد هو أن يحرم بالحج ثم بعد الفراغ من أعماله يحرم بالعمرة وهو أفضل الكيفيات عند الشافعي والقرآن هو أن يحرم بالحج والعمرة معا في أشهر الحج وهو أفضل الكيفيات عند أبي حنيفة والتمتع هو أن يحرم بالعمرة أولا وبعد فراغه من أعمالها يحرم بالحج وهو أفضل الكيفيات عند مالك ويلزم المقارن والمتمتع دم وهو شاه تجزئ في الأضحية فإن عجز عنها فيصوم عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله . وعلى الحاج أن يقرن التكبير بنية الاحرام بالحج فيقول بليك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك وسعديك والخير كله بيدك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط .

٥ - يغتسل عند دخول مكة ويقول عند الدخول اللهم ان هذا حرمك وامنك فحرم شعري ولحمي ودمي على النار . فإذا وقع بصره على البيت قال لا اله الا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام اللهم هذا بيتك عظمت وكرمته وشرفته فزده تعظيما وتكريما وتشريفا وزد من حجه برا وكراهه اللهم افتح لي أبواب رحمتك واعذني من الشيطان الرجيم . فإذا دخل المسجد الحرام يدخل من باب بنى شيبه ويقول بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله . الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم اني أسألك في مقامى هذا أول مناسكى أن تتقبل توبتى وتتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى اللهم انى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك جئتكم أطلب رحمتكم وأسألك مسألة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك .

٦ - يقصد الحجر الأسود وييمسه بيده ويقبله ان أمكن والا وقف في مقابلته وقال اللهم أمانتى أدبتها وميثاقى وفيتة أشهد لى بالوفاة ومته يبتدىء طواف القدوم مراعى شروطه بأن يكون طاهر الثوب والبدن والمكان مستور العورة وأن يكون فى طوافه جاعلا البيت عن يساره على أن تكون مرات الطواف سبعا بعد أن يطوف سبعا يقصد الملتزم فهو موضع تستجاب فيه الدعوات ثم يصلى خلف المقام ركعتين بعد ذلك يخرج من باب الصفا فإذا وصل إلى الصفا علا فيه ثلاث درجات قدر قامته الرجل حتى ينظر إلى الكعبة كما كان الرسول يفعل غير أنه إذا ابتدأ السعى من أصل الجبل كفى لأن ذلك العلو مستحب ثم يبتدىء السعى من الصفا إلى المروة سبع مرات على أن يحسب الذهاب من الصفا إلى المروة مرة والعودة من المروة إلى الصفا مرة أخرى . وهذا السعى بعد

طواف القدوم كافى فى تأدية فرض السعى فلا يعيده بعد الوقوف لأن شرط السعى أن يكون بعد طواف ٧ - فى اليوم الثامن من ذى الحجة وهو يوم التروية يقصد إلى منى ويبعث بها ثم يذهب إلى عرفة للوقوف بها من زوال يوم التاسع إلى فجر ليلة النحر ثم بعد غروب شمس اليوم التاسع من ذى الحجة يقصد المزدلفة فإذا بلغها اغتسل لها وبيت بها فإذا كان النصف الثانى من الليل جمع حصى الرمى وعددها سبعون ثم يرحل إلى منى (موضع الجمرات الثلاث) وفى يوم النحر يرمى جمرة العقبة فقط بسبع حصيات على أن يكون ذلك بعد ارتفاع الشمس قدر رمح ثم يخلق شعره وبهذا يحصل له التحلل الأول فيحل له كل شيء الا النساء والصيد بعد ذلك يقصد مكة ليطوف طواف الركن ووقته يبتدىء من نصف ليلة النحر ولكن الأفضل أن يكون يوم النحر وله أن يؤخره الا أنه يبقى محرما فلا تحل له النساء حتى يطوف وبه يحصل التحلل الثانى فتحل له النساء .

٨ - اذا فرغ من طواف الركن عاد إلى منى ليبيت بها ويرمى الجمار فى الأيام الثلاثة وفى اليوم الثانى من أيام يوم النحر بعد زوال الشمس يغتسل ويرمى الجمار الثلاث على الترتيب الصغرى فالوسطى فجمرة العقبة كل جهر سبع حصيات ومثل ذلك فى اليوم الثالث والرابع وهى أيام التشريق الثلاثة .

٩ - من أراد العمرة بغتسل ويلبس ثياب الاحرام ويحرم بالعمرة من الجعرانة أو التتعيم أو الحديبة وينوى العمرة ويلبى ويقصد مسجد عائشة ليصلى به ركعتين ثم يعود إلى مكة وهو يلبى حتى يدخل المسجد الحرام فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا ثم يخلق رأسه وبذلك تكون عمرته قد كملت بعد ذلك يطوف بالبيت سبعا مودعا له ويصلى ركعتين خلف المقام ويشرب من ماء زمزم ثم يقصد الملتزم داعيا قائلا اللهم لا تجعل هذا آخر عهدى ببيتك الحرام .

١٠ - قال صلى الله عليه وسلم من حج ولم يزرأى فقد جفانى لهذا ينبغى على الحاج أن يقصد المدينة المنورة فإذا وقع بصره عليها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لى وقاية من النار وأمانا من العذاب ويغتسل قبل دخولها ويتطيب ويلبس أنظف ثيابه ويقول بسم الله وعلى ملة رسول الله رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق وأجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلى بجنب المذبر ركعتين ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف مستقبلا جدار القبر من غير أن يمسه ولا يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون .

من تعاليم الإسلام في المرأة وهي أم الأستاذ مبشر الطرازي الحسني

- ٣٠ -

ومن الأمر الطبيعي أن تصبح الزوجة أما اثر الزواج . فإذا نظرنا الى نصوص الإسلام في هذا الموضوع فأننا نجد أن الإسلام قد أصدر تعاليم حكيمة في رعاية المرأة في مرحلة الأمومة من حياتها أيضاً تعاليم تتعلق بها وفيها عدم وجوب أرضاعها أولادها . وهذا على أساس أن الإسلام قد جعل كفاية الطفل وضماً مؤونة أرضاعه على ذمة المولود له وهو الأب . كما أوجب عليه نفقة الطفل بعد عطمه من الرضاع ، ولهذا فعلى الأب أن يستاجر مرضعة لترضعه ، وعليه عدم إيجاب الرضاع على الأم ، هي أن الأم ربما تعجز عن أرضاع الطفل أرضعها أو ضعفها ، أو عدم كفاية لبنها لتغذية الطفل ، فلا معنى في إيجاب الرضاع على ذمتها ، وربما ترفع الأم عن الرضاع تجنباً عن التعب ، ولهذا فإن الحكمة تقتضي عدم الإيجاب وترك الأمر الى حريتها ، مع أنها ربما تنطوع للرضاع عند استطاعتها ، كما هو الحكمة في عدم إيجاب خدمة الأولاد على ذمتها .

ومنها : وللمرأة أن تأخذ الإجر لأرضاع طفل زوجها من غيرها ولو كانت في نكاح الزوج أو عدته بعد الطلاق ، لأن هذا الأرضاع ليس من مهنتها ديانة . وفي هذا يقول النص الفقهي : [ولو استأجرها وهي منكوتة أو معدته لأرضاع ابن له من غيرها جاز ، لأنه غير مستحق عليها] .

وما يجب أن يعلم هنا : أن كلامنا في هذا الفصل حول عدم وجوب الأرضاع على ذمة الأم بمعنى أنه لا يجب قضاء على ذمة الأم أن ترضع طفلها الذي ولدته وليس للاب [زوجها] أن يجبرها على الأرضاع ، أو يعاقبها أو يعاتبها على امتناعها وذلك بناء على قول الله تعالى : [لا تضار والدة بولدها] في أحد المفهومين من هذه الآية .

وقد استدلل بها صاحب « الهداية » في توجيه عدم وجوب الأرضاع على ذمة الأم ، حيث يقول : وقيل في تأويل قوله تعالى [لا تضار والدة بولدها] بالزاجها الأرضاع مع كراهتها له .

ثانياً — وليعلم أن هذا الحكم الإسلامي أيضاً من عطف الإسلام نحو المرأة وحمايتها كتلتها نظراً لضعف أغلبية النساء ، حيث ترك الأمر لها وحريتها ، فإن تطوعت وأرضعت طفلها فلها الإجر عند الله والثناء لدى المجتمع ، وإن رفضت فلا عتاب عليها ولا اكراه .

وأقول : ولو كان حكم الإسلام بإيجاب الأرضاع على ذمة الأم ، لاصبح دستوراً سبوايا عاماً يعم على طبقات النساء على اختلافها ، لأن الإسلام دين العدالة والمساواة ، ولكن لا يمكن تطبيقه على كل فرد من الأمهات لاختلاف أحوالها ، إذن فإن المصلحة الاجتماعية أنها تقتضي عدم إيجاب الأرضاع ، ومن المعلوم أن عواطف الأمهات ربما تدعوهم الى أطفالهن حتى لا يحرمنهن عن الأرضاع بأنفسهن ، اللهم الا القادرة أو المعذورة منهن ، ولعل هذا هو السر في صرف النظر عن الإيجاب .

ولزيد العلم

ولزيد العلم في هذا الموضوع يحسن ذكر الآية القرآنية التي تبني عليها أحكام الفقه الإسلامي . مع تفسيرها والاستنباط عنها ، وهي قول الله عز وجل :

ولا يخفى ما في هذا رعاية جانب المرأة بحكمة ونظرة معقولة لا يسوغ الخلاف عليها .

أما الأحكام التي تتعلق بعدم وجوب الأرضاع على ذمة الأم : فمنها : أن عدم إيجاب الأرضاع على ذمة الأم في حالة وجود مرضعة صالحة للأرضاع ، أما في حالة عدم وجود المرضعة ، أو عدم قبول الطفل غير لبن أمه ، فإن الأرضاع يجب على ذمة الأم وذلك صيانة للطفل من الضياع ، والإيجاب في هذه الحالة تقتضيه الإنسانية لصالح الطفل . ونس الفقه الإسلامي يقول : وذلك [الى عدم وجوب أرضاع الطفل على الأم] إذا كان توجد من ترضعه أما إذا كان لا توجد من ترضعه فإن الأم تجبر على الأرضاع صيانة للصبي من الضياع .

كتاب « الهداية » شيخ الإسلام الرفثاني

ومنها : وإذا أرادت الأم أن تقيم المرضعة عندها فلها هذا الحق وعلى الأب موافقتها ، وأنها هذا على أساس أن خسق الحضنة للأم بلا جبرها في حكم الإسلام . فمن حقها أن تستلزم إقامة المرضعة لديها حتى تشرف على الأرضاع مع نظارتها على حضنة الطفل وكيفية تربيته . وفي هذا يقول نص القنوري : ويستاجر الأب من ترضعه عندها [أي عند أم الطفل] وفي توجيه هذا القول يقول صاحب « الهداية » : أما استئجار الأب للمرضعة فإن الإجر — أي أجر الأرضاع — عليه ، وقوله « عندها » معناه إذا أرادت الأم ذلك لأن الحجر — والحضنة — لها ، أي من حق الأم . انتهى .

ومنها : وإذا أرضعت الأم طفلها فليس لها أخذ الإجر من زوجها [كالمرضعة] الذي هي في نكاحه أو في عدته ، ذلك لأن أرضاع الطفل مهمة الأم ديانة [وإن لم يجب عليها شرماً] ولكن الأم عدت معذورة لاحتمال عجزها ، فإذا أقدمت على الأرضاع للأجر ارتفع عذرها . وتعين على ذمتها الأرضاع .

وفي هذا يقول الفقه الإسلامي : وإن استأجرها وهي زوجته أو معتقة لترضع ولدها لم يجز لأن الأرضاع مستحق عليها ديانة إلا أنها عذرت لاحتمال عجزها ، فإذا أقدمت عليه بالأجر ظهرت قدرتها على الأرضاع ، فكان الفعل واجباً عليها فلا يجوز لها أخذ الإجرة عليه .

١] والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولده له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فإن أرادوا فصلا عن فراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ، وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتن بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير [الآية ٢٣٣ - البقرة]
 أقول : أن الله عز وجل بصر في هذه الآية بقوله [والوالدات يرضعن أولادهن] بأن إرضاع الأولاد على ذمة الوالدات حياة ، وهذا أمر ندب وترغيب ، لأن تربية الطفل بلبن الأم أصلح له من لبن غيرها . مع ملاحظة أنها أشفق على طفلها من غيرها .
 وليعلم : أن لفظ [الوالدات] يعم المطلقات والبقيات في النكاح ، لأن اللفظ عام مطلق ولا دليل لتخصيص بغير المطلقات ، فوجب تركه على إطلاقه وعمومه .
 فإن من أصول الاستنباط قولهم « المطلق يصر في إطلاقه ما لم يصر عنه صارف » .
 ٢ - ويقول [حولين كاملين] حدد الله مدة الإرضاع يستين كاملتين .

٣ - ويقول [لمن أراد أن يتم الرضاعة] أفاد الله سبحانه أن هذه المدة لمن يريد إتمام الرضاع وأن هذا التحديد ليس تحديدا إيجابيا ، بحيث يجوز غطم الطفل عن الرضاع في أقل من هذه المدة ، كما يدل عليه قوله تعالى في سلسلة هذه الآيات [فإن أرادوا فصلا عن فراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما]
 ٤ - ويقول [وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف] أوجب الله تعالى نفقة الوالدات وكسوتهن على الوالد بقدر وسعة وطاقته المالية .
 ٥ - ويقول [لا تكلف نفس إلا وسعها] يؤكد اعتبار الحالة المادية [اليسر والعسر] لدى الرجل [الوالد] في موضوع الرزق والكسوة وغيرها .
 ٦ - ويقول [لا تضار والدة بولدها] أفاد الله سبحانه بأن الوالدة لا تجبر ولا تكره لإرضاع ولدها إذا أبت الإرضاع ، ويعني آخر : أن الطفل لا ينزع من الأم لترضعه مرضعة وذلك عندما رضيت الأم إرضاعه بنفسها ، حتى ولو كانت مطلقة .
 ٧ - ويقول [ولا مولود له بولده] أفاد الله سبحانه بأنه ليس من حق الأم أن تفصل الطفل عن الإرضاع بعد أن رضيت وبقبلته للإرضاع بنفسها ، وقد ألف المولود برضاع من أمه ، وفي إعطائه للرضعة ضرر مالي يلحق بالمولود له وهو الأب .

وبمعنى آخر : لا يكره المولود له لإعطاء أجر الرضاع بمقدار يزيد على الأجر المعلوم في عرف المجتمع ، إذا طلبته الأم على إرضاع المولود وهي مطلقة .

٨ - ويقول [وعلى الوارث مثل ذلك] أوجب الله تعالى النفقة والكسوة وأجر الإرضاع على الوارث بعد وفاة الوالد ، مع رعاية ما يتعلق بهذا الموضوع من الأحكام .

٩ - ويقول [فإن أرادوا فصلا عن فراضهما وتشاور فلا جناح عليهما] أفاد الله سبحانه بأن إتمام الرضاع بحولين كاملين لا يجب ، فإذا أراد الوالد والوالدة فصلا المولود عن الرضاع قبل هذه المدة ، وذلك من تراش تشاور بينهما فلا جناح عليهما ، ويدخل فيه رأى الطبيب الخبير بشأن الرضاع .

١٠ - ويقول [وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتن بالمعروف] أرشد الله عز وجل الرجال أن يكونوا عند تسليم أجره الرضاع للوالدات المطلقات أو المرضعات مستبشرين الوجه ناطقين بالقول المعروف مطيعين النفس المطلقات أو المرضعات بما أمكن ، حتى يؤمن تغريظهن بقطع معاذيرهن .

١١ - ويقول [واتقوا الله] أمر الله تعالى الرجال بالتقوى والخوف منه في خصوص حقوق المطلقات والمرضعات وضمانا بشأن حقوق الأطفال ، وبهذا يؤكد الأمر بإيفاء الحقوق المذكورة .

١٢ - ويقول [واعلموا أن الله بما تعملون بصير] يهدد

الرجال بأنه سبحانه بصير بأعمالهم [علية كانت أو ترية] وأنه يجازيهم عليها ، وبهذا يبدى اهتمامه البالغ بشأن هذه الحقوق .

هذه هي تعاليم الإسلام بشأن إرضاع الطفل وعدم وجوبه على المرأة وهي أم إلا أن تطوع به . أو لم توجد مرضعة ، أو وجدت ولم يقبل الطفل لبنها ، مع ما ينطلق بالمطلقة وأجرة الرضاع من الأحكام .

ومما يلاحظ هنا : أنه إذا لم يجب على المرأة [في نظر الإسلام] إرضاع الطفل الذي ولدته هي من ميسور لبنها ، وهو أصلح به من لبن غيرها ، فلا يجب عليها خدمة أولادها بالطريق الأول وعلى الوالد أن يقوم بتدبيرها وغيرها من مصالح الأولاد . بها في وسعه من اتخاذ خادمة أو داية كما هو المعروف في زماننا ومجتمعنا ، إلا أن تطوع المرأة [الأم] بها أيضا ، تطوعا يستوجب حنان الأمومة بطبيعتها ، فنال به الأجر عند الله عز وجل ، وتستحق الثناء لدى الناس في المجتمع الإسلامي ، كما هو المعتاد في كثير من العائلات الإسلامية .

ومما يذكر هنا : أن الحكمة في عدم إيجاب إرضاع الأولاد على الوالدات ، وعدم إيجاب خدمة الأولاد عليهن ، مثل ما يبينه من الحكمة في عدم إيجاب خدمة الزوج على الزوجة .

اتخاذ المرضعة

ومما ينبغي أن نفيد القراء الأعزاء أن اتخاذ المرضعة كان من المبادئ الحسنة قبل البعثة ، ذلك لأن رجال العرب كانوا ينفقون مرضعة من البادية لإرضاع أولادهم ويسلمونهم إليها بعقد معتاد ، وكان القرص تربية الأطفال في البوادي وكانوا يقولون أن الطفل الذي يتربى في المدينة يطلع قليل الذهن وضعيف العزيمة غالبا ، أما تربيته في الصحراء حيث الهواء الطلق فانها تؤدي به أن يطلع نجيبا ذكيا شجاعا في مستقبل حياته وشؤون قومه وقبيلته .

وعلى هذه العادة الحسنة ، والقرص المعقول اختار عبد المطلب بن هاشم لحفيده المبارك طفل أمة محمد بن عبد الله [نبي الله ورسوله للعالمين في المستقبل] مرضعة ، إلا وهي حليلة بنت أبي ذئب السعدية من قبيلة بني سعد ، فكان الطفل المبارك عندها في إرضاعها وفي تربيته البدوية التزينة إلى أن حدثت شق الصدر حينما تجاوز عمره السنة الرابعة فأعادوه إلى أمة أمه الشريفة بمكة المكرمة .

حقوق المرضعة

ثم إن الإسلام بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، قرر هذه العادة العسنة كما هي ، وقد قرر حقوق المرضعة حسب التقدير ، حتى عد المرضعة إما رضاعية وبعد أولادها أخوة وأخوات رضاعية للطفل الرضيع وحرمت النكاح بينهم من الرضاع كتحريمه من النسب ، وتفصيله في الكتب الفقهية .

أقول : وبهذا أيضا قد رفع الإسلام مقام المرأة وهي مرضعة لأن اعترف لها بحقوق مقورة ، مما أثبت هذا أيضا مدى رعاية حقوق المرأة من كل جانب ، في النظر الإسلامي .

وكما أن الاعتراف بحقوق المرضعة يستنبط من الآية التي سبق تفسيرها واستنباط ما فيها من الأحكام يستنبط من الأحاديث النبوية أيضا ، هذا . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحترم مرضعته حليلة السعدية كل الاحترام ، على ما يدل عليه الحديث الذي رواه الإمام أبو داود في تيسرته عن أبي الطفيل الصحابي رضي الله عنه ، حيث يفهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فرش رداءه المبارك ، وأجلس عليه مرضعته حليلة السعدية ، وكان ذلك حينما قدمت حليلة إلى حضوره وهو مشغول بقسمة الغنائم في جمراته .

وبهذا وأمثاله ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة يجب اتباعها والتأسي بها على أمته قاطبة فقد قال الله تعالى [وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا] الآية - الحشر . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [عليكم بسنتي] إلى آخر الحديث النبوي .

[للبحث صلة]

كاد الثور أن يتكلم مستنكراً ومهشمة الإنسان

الأستاذ
ناصر سليم

وأكرر أسفى ، لأنى سأعذبك كما تعذبت أنا ساعتين%
أعرض عليك بعضاً مما رايت ، مع أنى مهما أوتيت
من دقة فى الوصف والتعبير فليست بالفا جزءاً من
الحقيقة ، وهل أستطيع أن أقبل لك التعبيرات
الفاضلة الصارخة ، والوجوه المكفهره لجمهور من
البشر ، يؤلمهم أن تكون ضربة الثور هينة لينة ،
ويزعجهم بل يشعروهم أيضاً ، بأن ما دفعوا من مال
مقابل مشاهدة هذه المأساة قد ذهب هباء ، لأن دم
الثور لم ينفجر كما تتفجر المياه من نافورة ميدان ،
فيصل الى علو شاهق !!

لقد بقيت دعوة الصديق حين رايت فى الفندق
انساناً يتخطى بزى براق يتللا اذا سطعت عليه
الشمس أو انعكس عليه الضوء . هذا هو المسى
« الماتيدور » شاب وسيم ، تحيل الجسم ، زيه
المناسب والتقليدى لهذه المعركة ملتصقا بجسمه أشد
الالتصاق ، حتى انه يوضح كل أعضاء جسمه
بالتفصيل !!

ويوحى اليك هذا الزى المفضض البراق ، أن
مرتديه ينتمى الى أحد الاسر المالكة فى القرون
الوسطى ، فيه أنفه واستعلاء ، ويلفت النظر الى
أبعد حد ، وله معجبون ومعجبات ، وما أن شاهده
صديقى ، حتى جرى نحوه محبباً ، ومستفسراً عن
ميدان السباق ، فازداد « الماتيدور » اختيالا ، واعتقد
أن شهرته تجاوزت الميدان المحلى الى خارج الحدود ،
وأن أمثالنا ما جاعوا الا من أجله ، وأنهم من عشاق
هذه الرياضة الوحشية ، ومفتونون بلون الدم الاحمر
القاتل يندفع من جسم حيوان برىء فى غير ذبح أو
فائدة !

وانطلقنا الى ميدان السباق ، فاذا هو فى قرية
على مسافة عشرين كيلو مترا بعيدا عن المدينة %
وقالوا هكذا يجب أن تكون ميادين السباق ، فالثيران
الكثيرة التى يذبح منها — أعنى يقتل منها — فى
الحفل الواحد أربعة ثيران ، ترتع فى حقل خصيب %
والحقل لا يكون الا فى القرية % وعلى جانب من
الحقل حظيرة مستطيلة ، فيها مئات الثيران التى
ستلقى نفس المصير .. وصاحبة الثيران والحقل
والميدان والمدرجات من حوله ، يهودية عجوز ..

لم أسف على شيء فى حياتى .. كما أسفت على
قضاء ساعتين من عمرى ، فى ميدان مصارعة
الثيران بمدينة تولوكا بالمكسيك .. شاهدت مأساة
حيوان يتعذب ، الدم ينفجر من جسمه بفزارة ..
والطعنات تنهال عليه من كل جانب ، ووقف ساكنا
يترنح ، وعنقه يتلوى بعد معركة عنيفة غير متكافئة ،
حتى تخيلت انه لو نطق — وكانت تعبيرات وجهه
وعينيه بالفعل ناطقة — تشكو الى الله وحشية
الانسان ، لكنه عاجز عن النطق ، عاجز عن الحركة
والجمهور يصرخ ، لا طلبا للرحمة بالحيوان الاعجم
الذى يبكى — كما يقول المنفلوطى — ولكن بغير
دموع .. صرخات الجماهير تنادى الانسان ..
ادخل عليه ، اطعن عنقه ، اجهز عليه .. لا نريد
توقفا ، والمعركة دائرة حتى خر الثور على ركبتيه ..
ثم انكنا على وجهه .. ثم جروه الى خارج الحلقة %
ونادى مناد : افتحوا الباب لغيره من الثيران ..
وهكذا معركة بعد أخرى .. حتى يجهزوا فى الحفل
الواحد على أربعة من الثيران الكبيرة أو الصغيرة !!

أسفت لحال الانسان .. ولم أكن قد شاهدت
قبل ، هذه المجزرة ، التى تسمى رياضة % أو بمعنى
ادق : مصارعة الثيران !

ولقد سبق أن تناولت هذه الرياضة فى تعليقاتى
من خلال قراعتى عنها ، أو مشاهداتى فى التلفزيون
لها ، لكنى هذه المرة دعيت من صديق فى وقت فراغ
ممل ، لمشاهدة حفل انعمت فيه كل مبادئ الرحمة
.. ولكنى خرجت منها بأكثر من درس وموعظة ،
كنت أحاول وعيناي تتابعان المعركة أن أتذكر مواقف
الرحمة الانسانية من الحيوان كما جاء بها رسولنا
الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . وكنت فى
حالات كثيرة قبل هذا الدرس العملى ، اتعفف أحيانا
عن أكل الحيوان المذبوح ، اذا تم ذبحه أمام عيني ،
فأصبحت اليوم أحس احساسا عميقا بحكمة الاسلام
فى تشريع الذبح وأسلوبه وطريقته ، انها الرحمة
بكل معانيها للحيوان ، والانسان فى آن واحد !!

ولكى تحس — ايها القارىء — بما أحسست به %

تقف على الباب بنفسها لتتابع عملية بيع التذاكر ؟
 غالتذكرة في المكان القريب من الحلبة ثمنها عشرة
 دولارات ، وكلها بعد المكان ، نقص سعر التذكرة ،
 ولقد أحصيت بالتقريب عدد المتفرجين وضربته في
 المتوسط [خمسة دولارات] فإذا لى أجد أن ربح
 هذه العجوز من الحفل الواحد يزيد على خمسة آلاف
 دولار ، في مقابل التضحية بأربعة من الثيران وأجر
 زهيد للوحش القاتل وأتباعه الذين ينتسبون إلى
 بنى الإنسان !

ثم انى سألت عن مصير الثيران المطعونة حتى
 القتل ، فقال لى صديقى مازحا :

سأكل منها غدا في الفندق ان شاء الله ..
 فالعزاز ينظر نهاية الحفل لينقلها الى محله ، ويوزع
 منها على المشفرين .. اذن هي مباحة بعد كل هذا
 الربح ، وفي سبيل الربح في عرف « اليهودية » أو
 اليهود عامة يستباح كل شيء ، من سفك الدماء ،
 وقتل الحيوان .. ولم أعجب كثيرا ، لان اليهود
 انفسهم يستطيعون قتل الإنسان في سبيل الحصول
 على المال ، لا فرق عندهم بين رجل مقاتل ، وامرأة
 ضعيفة ، وطفل برىء .. واذا كانوا قد قتلوا
 بالنابال تلاميذ مدرسة بحر البقر ! فهل تنكر عليهم
 قتل البقر !!

وبدأت المعركة ، بفتح باب الخطيرة المطل على
 الميدان المحاط بالسوار الحديدية لحماية الجمهور ..
 تخرج الثور هائجا الى اقصى حد .. لقد طعنوه في
 عنقه وهم مطلون من سقف الخطيرة ، ثم فتحو
 الباب .. ليندفع ، وليواجه رجلا يمسك بيديه الراية
 الحمراء يلوح بها عن الجنين يمينا ويسارا .. بينما
 يهرب حامل الراية .. واحيانا يختبئ خلف سور
 مبنى من الخرسان ، فلا يستطيع الثور ان ينفذ
 اليه منها ، ثم يقاها بفارس يمتطي جواده ويبيده
 رمحه الطويل ، ويدخل مع الثور أيضا في معركة ؟
 تنتهى بضرب الثور بالرمح ، حتى يصل من عنقه الى
 بطنه .. كل هذا والثور يتاوم .. ويتحدى .. ويوقف
 أحيانا ، وكأنه انسان يتأمل .. شاردا الذهن ، عنقه
 يهتز .. ومتأثر بجراحه ، وكأن الله الهمة أن يعذب
 الإنسان بنظراته ، كما عذبه الإنسان بطعناته ..
 وبينما الناس يصرخون .. وتتعالى الأصوات بشكل
 مخيف ، أسمع عجبا : انهم يريدون من « البطل »
 الا ينهى المعركة في وقت قصير . انهم يطلبون مزيدا
 من التعذيب ، فيدخل البطل بسيف بثار .. ويلوح
 بالراية الحمراء في اليد الأخرى الى أسفل ..
 ويتقدم الثور المخن بجراحه ناطحا في الراية القريبة
 من الأرض ، فيدك البطل سيفه في عنق الثور حتى
 ينفذ من أسفل بطنه مقطعا أحشاءه .. وعندئذ
 يسوت !!

ويلوح البطل بيديه بعد أن ترك السيف في بطن
 الثور .. ليتلقى الإعجاب والتصفيق ، ومن المفارقات
 العجيبة أن يخلصا صديقى وأنا ، بالتلويح ، فلنا منه

اننا من أشد المعجبين ، بل اننا ما جئنا الى المكسيك
 الا من أجله هو .. لنشاهد هذه المعركة !

ويمر طفل صغير ، ويبيده اعلانات مصورة ملونة
 مزركشة ، تنبئ عن حفل قادم ، وتور أضخم ، وبطل
 أشد عنفا ووحشية .

وقلت : كم أنا متعلم من هذه المأساة .. لكن كم أنا
 أيضا سعيد بما أعرف عن رحمة الاسلام بالحيوان ..
 وكلام الرسول عليه الصلاة والسلام لبنى الإنسان
 اجمعين ، بأن تكون في قلوبهم رحمة بالحيوان ..
 واستطردت اقول لصاحبى :

تمنيت ، لو كان معنى منشور لاتزويقيته ولا صور
 ملونة ، ولكن يتحدث لهؤلاء جميعا بلغة يفهمونها ..
 ويقول لهم من اقوال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« ان الله كتب عليكم الاحسان في كل شيء ، فإذا
 قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ،
 وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته .

« من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم
 القيامة » .

« ان الله يحب الرفق في الامر كله » .
 « رأى رسول الله حمارا قد وسم في وجهه »
 فانكر ذلك ، ونهى عن وسم الحيوان في وجهه وعن
 ضربه على وجهه » .

وما أجمل قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة
 وهى على بعير تصرفه يمينا وشمالا : يا عائشة !
 عليك بالرفق ، فإنه لا يدخل شيئا الا زانه ، ولا ينزع
 من شيء الا شأنه !

وانه ليقول :

« اتقوا الله في هذه البهائم المعجزة ، فاركبوها
 صالحة ، وكلوها صالحة » .
 وتلاميذنا في المدارس يتعلمون قول الرسول :

« ان امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار بطيف بئر ؟
 قد ادلع لسانه من العطش ، فنزعت له موقها ؟
 ففقر لها به ! »

و « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها ، فلم
 تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » .

وهكذا تكون الرحمة .. رحمة بالحيوان الاعجم
 الذى لا يملك وسيلة التعبير عن اله وشكواه ، أن
 جعلها الاسلام من الواجبات الحكيمة ، التى تقرب
 الإنسان من الله الرحمن الرحيم .

تري ، لو اطلع هذا الجمهور الذى يأخذ من هذه
 القسوة والوحشية وسيلة ترفيهه ، على ما جاء به
 الاسلام رفقا بالإنسان والحيوان على حد سواء ،
 أكان أحد يتركه ، أو يتخلى عن الدفاع عنه ، أو ادعوة
 اليه .. ما أجمل هذا الدين وأعظمه .. والله أنه
 نعمة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .



مع اشراقة هلال ذي الحجة يتجه المسلمون جميعا صوب مشرق النور والهداية ومهبط الوحي والرسالة المحمدية صوب الارض المباركة صوب بيت الله الحرام .. متجهين بانفسهم وأرواحهم وقلوبهم ، مشاركين حجاج شرف الزيارة .. وان يفيض عليهم بتوبة خالصة صادقة « فتاب عليهم ليتوبوا » وان يلهمهم سبل الهدى والرشاد حتى يكونوا من عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .. اتدعاء على الكافرين رحماء بينهم ..

فموسم الحج موسم الطاعة والفدائية والبذل والعطاء والاضحية .. موسم الجهاد الاكبر جهاد النفس ونزعها وجهاد الشسوات وملذاتها .. جهاد كبير عظيم يتحقق من خلاله قيام مجتمعات سامية ، مترامية ، متآخية ، متلاحمة قادرة على الجهاد في سبيل الله . والمجلة اذ تشارك الامة الاسلامية عيد الاضحى المبارك بنشر العديد من المقالات عن مناسك الحج ودعوته واضحيته ومكانته وفرضيته تهيب بهم ان يكونوا عباد الله اخوانا باسمهم على من عاداهم حتى يحققوا لشعوبهم العزة والكرامة ولراية الاسلام المجد والسودد .

الدراسات القرآنية والمقاولون العرب

رسالة

من الأستاذ عبد الفتاح عساكر

بقلم الصديق : محسن محمد ابراهيم اغا - القاهرة

تحية من عند الله مباركة طيبة استهل بها رسالتي الى مجلتي الفراء منبر الاسلام وأول ما أبدأ به هو التهنية القلبية الصارة تهنية أبعت بها من شفاف قلبي الى كل العاملين في هذا المنهل من مناهل العلم أبعتها في مقدم العام الهجري الجديد الذي تستقبله أمنا في مطلع هذا الشهر وباشراقة هلاله .. أبعتها الى الجميع طالبا منهم المزيد من الجهد لتتسع مجلتي الفراء فهنا الذي يزداد يوما اثر آخر كلما ازدادت الاعداد الصادرة عددا متمنيا لامتنا الاسلامية في بداية هذا العام ان يكون عام نصر وايمان عام تنتصر فيه على نفوس اعدائنا وننصر الله باقامة فراضة غيابة الوعد الذي لا يخلف ابدا عام يزداد فيه ايماننا بالله ويزداد فيه ما قدمناه من عمل صالح وتقوى عام ينصرنا الله تعالى فيه بعد ماغيرنا مما في انفسنا ينصرنا نصره المؤزر الحاسم الذي وعدنا اياه ينصرنا على نفوس البغي والعدوان حتى تعود ارض فلسطين الطاهرة وترجع القداسة الى بيت المقدس الشريف وهي بستريرج من قدم حياته فداء هذا الوطن وهذا الدين ثم تحية مملوءة بالحب أرسلها الى هؤلاء الصامدين على خط النار تحية الى الاسود في الكواثر الذين يقفون على أتم الاستعداد لغرض معركة الكرامة تحية للصامدين على خط القتال في انتظار اشارة الجولة الثانية في المعركة وها هي يدى أيدها لاشد من أزر كل منكم والى ان نلتقي في ميدان الشرف وكل عام وانتم بخير . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

• شكرا - أيها الصديق - على مشاركتك

يسرني ان أخبى الجهود التي تبذلها مجلة منبر الاسلام في نشر الدعوة الاسلامية ، كما يسرني ان تشارك المقاولون العرب في هذا العمل الجليل بأن تطلب الى السادة القراء المهتمين بالدراسات القرآنية ان يكتبوا لنا للحصول على الجزء الاول والثاني من مسابقة القرآن الكريم ويتضمن كل منهما دراسات قرآنية بأفكار المتخصصين في الدراسات الاسلامية على ان يتضمن خطاب القارئ لنا اسمه ومهنته وعنوانه وترسل الخطابات الى مركز المقاولون العرب عثمان أحمد عثمان وشركاه للثقافة العمالية ٣٤ شارع عدلى - القاهرة .

• المجلة تشكر للصديق الأستاذ عبد الفتاح عساكر غيرته على الاسلام وتتمنى له وللمقاولين العرب التوفيق والسداد .

الطبية ، ونعاهدك وجميع القراء أن نظل على
الدرب نسير مع تهنيتنا بالتوفيق .

التربية الدينية بقلم الصديق : راضي أمين الكنوري القوات المسلحة

نحن نعلم جميعا أن ديننا هو الاسلام ... ونحن في حاجة
للتعرف على كل جوانبه ... والدين الاسلامي يقوم بالتربية
الخلقية ... ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : انما بعثت
لانتم مكارم الاخلاق ...
فلماذا لا تدرس [مادة التربية الدينية] ببراحل التعليم العالي
كمادة اساسية . فما اهوينا في هذه الظروف الى التمسك
بقينا الاخلاقية التي نص عليها كتاب الله .
وما اهوينا الى التربية الخلقية والتفكيرية لكل الشباب الذي
سنسلمه في يوم من الايام . المسئولية . ويصبح منهم المدرس .
والدكتور والوزير ... الخ .
وانتمي ان لا اكون قد اخفقت فيها اصبو اليه .
من قراء منبر الاسلام . والسلام .

● اظن يا اخي ان الاهتمام بتدريس التربية
الدينية يتمتع اليوم بمزيد من الاهتمام
والخطيط ، ونتمنى معك للقائمين بهذه المهمة
التوفيق .

رسالة العراق بقلم الصديق : مكي الحاج حسنين الكبيسي المدرسة الدينية في الفلوجة

يسرني ان اتقدم اليكم بالشكر الجزيل لما تؤدون من جهود
جبارة في سبيل نشر مجادي الاسلام السامية في ارجاء المعمورة
لاسيما [منبر الاسلام] الزاهرة التي تضم بين دفتيها المقالات
الرائعة والكلمات النافعة وساتفع هذه الرسالة بقصيدة تحت
عنوان :

الى الاخت المسلمة

اختنا ان حميتي وابائتي
بعثا اليك تحيتي وندائي
اختنا ان رمت السعادة والعللا
ونشدت صبح العزة العلياء
فدعى احابيل الهوى متفاداة
للوازع السديني في الاحشاء
وتتزوجي بالصالحات وعرجي
تنظر الهداة الصيد والحكماء
فالله قد وضع العلاج مشخصا
للعالمين كـ وامن الادواء
اسلامنا رمز الخلود وانما
مستقبل الامجاد للحنفاء

تعقيب على مقال

بقلم الصديق : سيد فصيح محمد
مدير الشؤون المالية والادارية برعاية شباب اسبوط
قرأت في منبر الاسلام العدد ٩ رمضان ١٣٩٤ هـ
في باب « تعاليم الاسلام بشأن المرأة وهي زوجة »
لساحة الاستاذ مبشر الطرازي الحسيني . قوله
« ان الاسلام جعل من حقوق المرأة أن تمتنع عن
خدمة زوجها وبيت الزوجية بما فيه خدمة الاولاد
وبتعبير آخر ان الاسلام لا يستوجب على ذمة
الزوجة هذه الانواع من الخدمة »

ونعرف أن من حقوق الزوج على زوجته خدمته
وطاعته فاذا طلب منها خدمة وامتنعت تنفيذا لكلام
مضيفه الا يكون هذا اخلايا بحقوق الزوج على
زوجته . واذا كان الزوج معسرا وامتنعت الزوجة
عن خدمة اولادها [مع أن هذا لا يحدث] اقول اذا
امتنعت فمن يخدم الطفل الصغير .

نرجو توضيح رأي الدين في هذا الموضوع مؤيدا
بنصوص الاراء والمذاهب الفقهية والايات القرآنية
التي تؤيد هذا الكلام الذي ذكره فضيلته .

● نشكر لك هذا الاهتمام ، وتلك الملاحظات التي
في فعلا محل تقدير .

اشواق قدسية

بقلم : الشاعر عبد العظيم عمر زين الدين مشرف اللغة العربية مدرسة رقي المعارف جزيرة بدران

رسول الهدى لي اليك اشتياق
لواعجه مالهيا مصطبر
محمد احببت ميبت النفوس
واشعلت خامدها فاستبر
ونشرت في العالمين الكتاب
تضيء عبقاراته كالسدر
محمد واسمك ملء القلوب
وما اطهر اسمك ياما ابر
تركت شذى منك عبر السنين
وعطرا على العالمين انتشر
واينعت في ارضنا دوحه
لهوارف الظل بين الشجر
عليك ملاهي ما اصبحت
على الناس شميس وامسى قبر

فهرسة اعداد منبر الاسلام

اقتراح محل دراسة

للاديب : محمد جمال الدين حسن

محاسب ٦٣ ش نوبار - عابدين

يسرني ان اتقدم بهذا الاقتراح لاجلة منبر الاسلام راجيا النظر
في امر تنفيذه تعميما للفائدة العظيمة التي تلمسها من مجلتكم
القراء .

وبتلخص هذا الاقتراح في « ان تصدر مجلة منبر الاسلام
ملحقا في اول كل سنة مجرية يتضمن فهرسا موضوعيا واعلاميا
وجغرافيا وتاريخيا عن الموضوعات التي وردت باعداد المجلة في
السنة السابقة » .

وتتفج أهمية الاقتراح من ان كثرة وتنوع وعقق الموضوعات
التي تنشر في المجلة تجعلها مرجعا اسلاميا فريدا . فاذا تجمع
لدى المطلع اعدادا متوالية من المجلة دون أن يكون لديه فهرسا
يسهل له الرجوع الى ما يريد منها . فسوف يكون من المعسر
على القارئ ان يتوصل الى الموضوع الذي يريده .

ولا شك في ان المجلس الاعلى لرعاية الشؤون الاسلامية لديه
خبراء اكفاء في الفهرسة يمكنهم البدء فورا في اعداد فهرس
السنة الحالية على ان يضاف اليه اولا باول ما يخص الاعداد
اللاحقة بحيث يكون الفهرس جاهزا للطبع في نهاية السنة بان
الله تعالى .

وفتنا الله سبحانه وتعالى وايكم لما فيه خير المسلمين .

● ادارة المجلة تدرس هذا الاقتراح باهتمام
بالغ ، وتشكر لك هذه المشاعر الطيبة ،
وتتمنى ان يتحقق ذلك قريبا ان شاء الله .

بريد التعارف

الاسم : مصطفى مجسدي
 روف
 البلد : جمهورية مصر العربية
 المهنة : موظف
 الهواية : المراسلة مع شباب العالم الاسلامي وتبادل المناظر الطبيعية
 العنوان : ٣٩ شارع سليمان جوهرة القاهرة - الدقي



الاسم : عبد الباقي معروف يوسف
 البلد : الجمهورية العراقية
 السن : ١٩ عاما
 المهنة : طالب
 الهواية : المراسلة وجميع المناظر والرحلات
 العنوان : مخبز الكرامة - شارع السعدون موصل - العراق



الاسم : عيسد الله مخيف الجليدي
 البلد : الجمهورية العربية الليبية
 السن : ١٨ عاما
 المهنة : طالب
 الهواية : تبادل الاراء وجميع الطوايع والرحلات
 العنوان : طرابلس - ليبيا



الاسم : العربي علي الزواوي
 البلد : الجمهورية التونسية
 السن : ٣٠ عاما
 المهنة : موظف
 الهواية : المراسلة والسياحة والاطلاع الديني
 العنوان : زقة سيدي علي لعمر رقم ٩ شارع باب الجديد - تونس



الاسم : ابن ورفلة عبدالرحمن
 البلد : الجمهورية الجزائرية
 السن : ١٨ عاما
 المهنة : طالب
 الهواية : المراسلة وجميع الطوايع البريدية والمناظر الطبيعية وقراءة الكتب الدينية
 العنوان : حي ابن جسرمة بناية ٢٧٨ رقم ٦ الجلفة ولاية الجلفة



الاسم : اسماعيل محمد علياوي
 البلد : الجمهورية العراقية
 السن : ١٤ عاما
 المهنة : طالب
 الهواية : المراسلة والاطلاع الديني وجميع الطوايع والرياضة
 العنوان : محافظة اربيل - متوسطة سيداوة للبنين



الاسم : علاء الدين مصلحي
 رضوان
 البلد : جمهورية مصر العربية
 السن : ١٥ عاماً
 المهنة : طالب
 الهواية : المراسلة وجميع
 المناظر الطبيعية
 والكتب الدينية
 العنوان : بيت خلف مركز
 شبين الكوم منوفية



الاسم : عبد الفتى عبدالهادى
 البلد : المملكة الأردنية
 الهاشمية
 السن : ٢٣ عاماً
 المهنة : مدرس
 الهواية : المراسلة مع شباب
 العالم الاسلامى
 العنوان : الأردن - عمان -
 جبل الحسين -
 مكتبة الفيومى



الاسم : صلاح زكى أحمد
 أبو المجد
 البلد : جمهورية مصر العربية
 السن : ١٦ عاماً
 المهنة : طالب ثانوي
 الهواية : المراسلة وقراءة
 القصص الدينية
 العنوان : القضايرة هدايق
 زينهم ب ٤٢ م ١
 ش ٦



الاسم : عباس حسان
 عبد السلام
 البلد : جمهورية مصر العربية
 السن : ٢٥ عاماً
 المهنة : طالب بكلية الشريعة
 والقانون
 الهواية : المراسلة وتبادل
 الآراء الدينية
 العنوان : الجوايدة سينديلة
 محافظة الدقهلية



الاسم : مجدى عبد العزيز
 سالم
 البلد : جمهورية مصر العربية
 السن : ١٧ عاماً
 المهنة : طالب
 الهواية : المراسلة وجميع
 الطوايع والإطلاع
 الدينى
 العنوان : أبو كبير شرقية
 أبو شادى المنفرع
 من شارع التحرير
 قريب محل عبدالمعظم
 عبد الله الجزار



الاسم : رمزي بن شعيان
 البلد : الجمهورية التونسية
 السن : ١٧ عاماً
 المهنة : طالب ثانوي
 الهواية : المراسلة والإطلاع
 الدينى والاستماع
 الى القرآن الكريم
 العنوان : نهج زمادة عدد ٨
 تونس



الاسم : محمد ياش طبجي
 البلد : الجمهورية التونسية
 السن : ١٨ عاماً
 المهنة : طالب
 الهواية : المراسلة وتبادل
 المناظر الطبيعية
 العنوان : قاعة عدد ٢٧ -
 دار المعلمين بالمرسى



الاسم : أحمد يوسف الشريطى
 البلد : جمهورية مصر العربية
 السن : ١٤ عاماً
 المهنة : طالب اعدادى
 الهواية : القراءة وقرض
 الشعر والإطلاع
 على الكتب الدينية
 العنوان : شارع درب نصر
 ٨٨ - القاهرة
 بولاق



اقرأ في هذا العدد

دراسات قرآنية :

- الحج ومناسكه كيف بنيت الكعبة
 أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون
 الأعجاز
 أسماء يوم القيامة في القرآن الكريم
 من ركائز الاخلاق الاجتماعية في القرآن الكريم
 من اخلاق القرآن التقدير
 الفاتحة معجزة القرآن
 نظرات في أم القرآن
 القرآن
 تأملات في البيان القرآني
 السيرة في ضوء القرآن الكريم
 دعوة القرآن الكريم الى بناء المجتمع المثالي
 أضواء من كتاب الله
 تصوير العقيدة في القصص القرآني
- الاستاذ أحمد حسين
 الشيخ عبد الجليل عيسى
 الاستاذ فتحي رضوان
 الدكتور أحمد الحوفي
 فضيلة الدكتور محمد سماد جلال
 الدكتور أحمد الشرباصي
 الاستاذ محمد المعيني
 الدكتور محمد عبد المنعم الفقي
 الدكتور عبد العزيز علي صالح
 الدكتور ابراهيم عوضين
 الاستاذ محمد شديد
 الدكتور أحمد عمر هاشم
 الشيخ حسن صالح
 الاستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

التشريع الاسلامي

- اسلاميات في الحكم والاجتماع
 يوم الرجيع
 القتل في الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي
 الصلاة في ميزان الاسلام
 الاستثمار في الاقتصاد الاسلامي
 ديوان المظالم في الاسلام
 ملاح شخصية المؤمن
 الصلح في الجنایات
 محاسن القصاص في الشريعة الاسلامية
 بر الوالدين
 الحج مؤثر اسلامي
 معنى الحج
 تحت وابل الرحمة
 المؤثر المتجدد في حياة الانسانية
 الحج بين التاريخ والتشريع
 الحج مؤثر الاسلام الاكبر
 احكام الحج ومناسكه
 الحكم الالهية في تشريع الحج
 رحلة الحج
 الحج رحلة الى اشرف بقاع الارض
 الحج وبواغث الإصلاح النفسي والاجتماعي
 الحج تطهير وتكفير
 عيد الاضحى عيد التضحية
 من أسرار الحج وآداب الزيارة
 الحج أظهر اجتماع انساني مقدس
 بيت الله الحرام
 الوصية الدائمة والمسئولية الكبرى
 مكانة الحج والصبرة في الاسلام
 دعاء فوق عرفات
 الحج أعظم مظاهر الوحدة الاسلامية
 بين يدي الحج
 الى بيت الله الحرام
 اعيادنا في القرآن والسنة
 مع الخليل ابراهيم في يقينه
 الحج منساة الهدى الالهية
 تيسيرات لحجاج بيت الله الحرام
 حول حكمة الاضحية ومعنى الفداء
 رحلة القلب والروح الى بيت الله العتيق
 فلسفة الحج في الاسلام
- الاستاذ عبد العظيم منصور
 الشيخ محمود أحمد هاشم
 المستشار عبد الستار آدم
 الاستاذ ابراهيم هلال
 المستشار أحمد بدیع مصطفى
 الدكتور حمدي عبد المنعم
 الاستاذ مصطفى عبد الحليم الجندي
 الدكتور ياسين محمد يحيى
 الاستاذ محمود السيد المنطاوي
 الدكتور عبد الحميد أبو المكارم
 الشيخ محمد خاطر
 الاستاذ أحمد زين
 الشيخ فراج أحمد دردير
 الشيخ منصور الرفاعي مبيد
 الشيخ محمد مصطفى أبو العلا
 الاستاذ توفيق علي وهبه
 المستشار أحمد محمود خليل
 الشيخ أحمد كامل الخفزي
 الدكتور محمد كامل الفتى
 الاستاذ ابراهيم مصباح
 الشيخ عبد الفتاح اسماعيل نصير
 الدكتور عبد العزيز محمد عزام
 الشيخ عبد الرحمن النجار
 الاستاذ عبد المعلى اسماعيل عباد
 الاستاذ محمد رجاء حنفى
 الاستاذ مصطفى مجدى روف
 الاستاذ صلاح عزام
 الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح
 الاستاذ عبد الحكيم النجار
 الاستاذ أحمد أحمد أبو طه
 الشيخ المنطاوي أحمد عمر
 الاستاذ أحمد وافي
 المستشار اسماعيل الخطيب
 الدكتور عبد الفتى عيود
 الدكتور عبد الفتاح عاشور
 الاستاذ وجدى حافظ
 الدكتور على صافى حسين
 الشيخ محمد حافظ سليمان
 الاستاذ أمين عثمان

واذن في الناس بالحج

١٥٤	الدكتور زكي مشعل	١٥٨	الشيخ محمد عبد الغنى مقلد	١٥٩	الاستاذ محمد حسن عبد العزيز	١٦١	الشيخ الصاوى شعلان	١٦٢	الدكتور ابراهيم على ابو الخشب	١٦٥	الاستاذ محمد ابراهيم الخطيب	١٦٧	الاستاذ محمد عبده قناوى
١٧٢	الاستاذ حسن كامل اللطاوى	١٧٦	الاستاذ محمد ملال عبد الرسول	١٧٩	الاستاذ سالم عرفات سالم	١٨٢	الدكتور احمد حسنين القتل	١٨٦	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف	١٨٨	الاستاذ عبد المنعم مغربى	١٩٠	الدكتورة نعمات احمد فؤاد
١٩٣	الاستاذ محمد دياب	١٩٥	الاستاذ عبد الفتاح العدوى	١٩٨	الدكتور محمد محمد خليله	٢٠٠	الشيخ ميد الحكيم سرور	٢٠٢	الاستاذ عبد السلام الشاذلى التومى	٢٠٤	الاستاذ انور الجندى	٢٠٦	الاستاذ مقداد بالجن
٢٠٩	الاستاذ محمد النظامى	٢١٢	الدكتور جهمه على الخولى	٢١٤	الاستاذ عبد المنعم حياه	٢٢٠	الاستاذ عبد المجيد وافي	٢٢٢	الاستاذة ثريا سيد احمد نصر	٢٢٥	الاستاذة زينبات احمد مصطفى طاحون	٢٢٧	الاستاذة فتحية فودة
٢٣٠	الدكتورة محمد عبد المنعم خفاجى	٢٣٤	الشاعر محمد عبد اللطيف بن الخطيب	٢٣٦	الشاعر على الجبلاطى	٢٣٧	الشيخ محمد خليل الخطيب	٢٣٨	الشاعرة روية التلبنى	٢٤٠	الشاعر احمد عثمان المرافى	٢٤٢	الدكتورة ابتسام عبد الحليم
٢٤٤	الدكتور احمد محمد عوف	٢٤٦	الاستاذ توفيق ابو علم	٢٤٩	الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوى	٢٥١	الاستاذ ابراهيم محمد النحام	٢٥٤	عرض فتحى الايبارى	٢٥٦	عرض محمد غاوى عسر	٢٥٨	عرض محمود مصطفى فايد
٢٦١	عرض على عباد	٢٦٨	نفضلة الابهام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود	٢٧٤	الدكتور مصلح سيد بيومى	٢٧٩	الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى	٢٨١	الاستاذ ناصف سليم	٢٨٣	اعساد : نؤاد هيبة	٢٨٥	

■ التصوف

■ العلم والايمان

■ الفن الإسلامى

■ القصة

■ الشعر

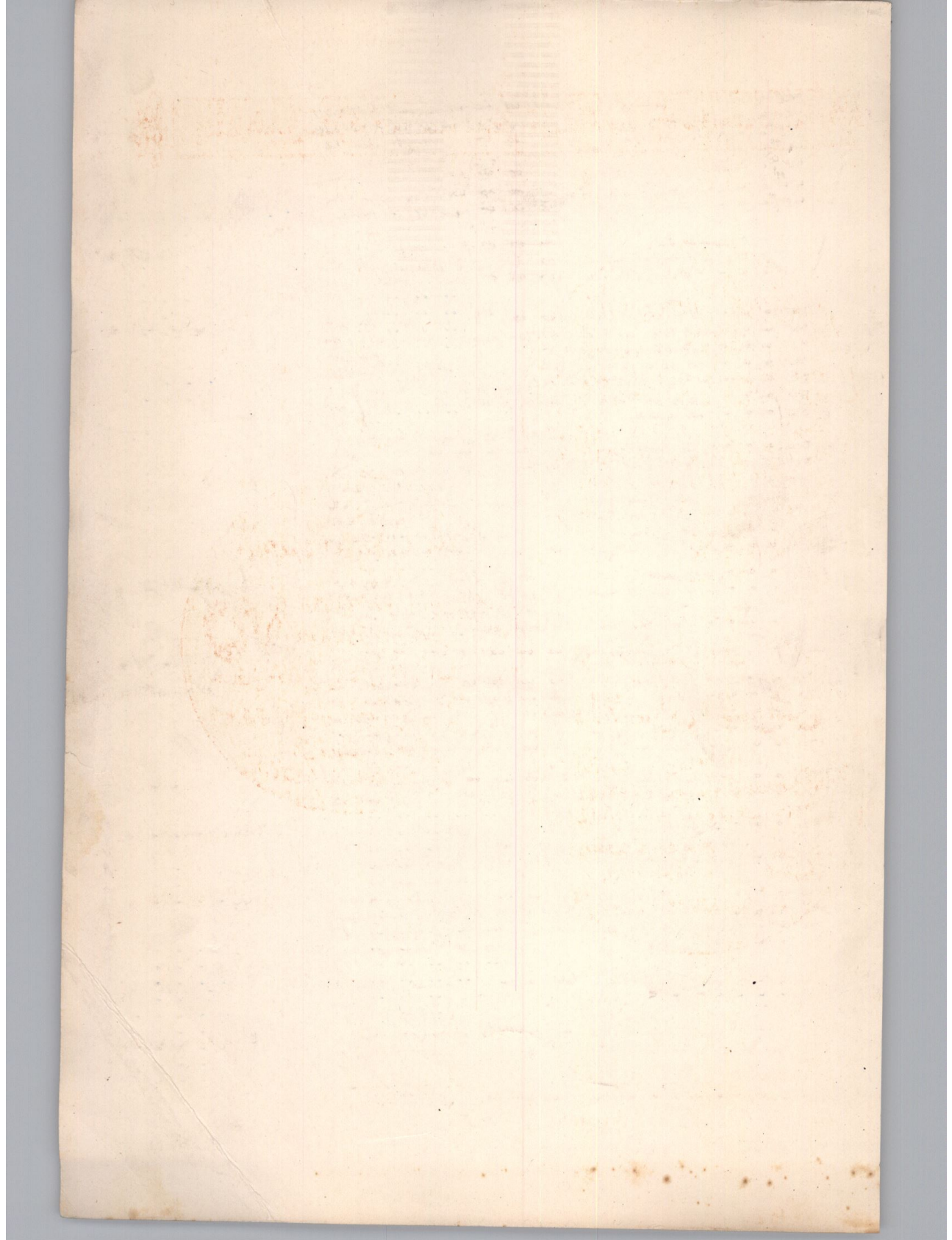
■ الطب

■ شخصيات اسلامية

■ المكتبة الإسلامية

■ الإفشاء

■ الإسيرة المسلمة



إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

يسر

المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية
أن يقدم
للعالم الإسلامي

المصحف المجود

« ١٢٠ أسطوانة »

بدول مرة يتم تسجيل القرآن الكريم
مجوداً بأصوات كبار القراء
كل جزء من القرآن الكريم على أربعة
أسطوانات طويلة المدى تجويداً للقرآن الأربعة بسرعة ٣٣ لفة
« مع كل أسطوانة غلاف فاخر »
سريع أسطوانة الواحدة في ٩ دقائق
البيع نقداً وبالنقطة موطى
الحكومة والقطاع العام

المصحف المعلم

٧٥
أسطوانة لتعليم القراءة والخط
الصحیح لآيات القرآن الكريم
كل جزأين على ٥ أسطوانات
المئة للجزأين ١٨٢ / ٢
البيع نقداً وبالنقطة موطى
الحكومة والقطاع العام

أسطوانات

القرآن المرتل

« رواية حفص عن عاصم »
٤٤ أسطوانة مع كتيب بالآيات القرآنية وغزير فافر ٨٢٦ / ٢٣
٤٤ أسطوانة مع غلاف عاصم ٣٥٢ / ١٩
رواية ورش عن نافع
٦٨ أسطوانة
٤٩ / ٩٠٩
سرعة ٣٣ لفة في الدقيقة

أسطوانات تعليم الصلاة والأذان والوضوء
٧ أسطوانات وافل كتيب مشروحة بالكلمة والصورة

باللغات: العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية
واللغات الآسيوية: الأندونيسية، الأوريت
واللغات الإفريقية: السواحلية، الفولانية
ولغات أمريكا اللاتينية: الإسبانية، البرتغالية
٥٠ قرشاً

مخازن البيع

القاهرة:

مخازن القرآن المرتل:

٧٦ شارع الجمهورية - الدور الثالث

الإسكندرية:

فرع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

٤٩ شارع سعد زغلول - الدور الرابع